

«درة نادرة»

للإستزاد



ترجمة ودراسة
حاتم محمد رشاد



الهيئة المصرية العامة للكتاب

«درة نادرة»
للإسراء بادي

ترجمة ودراسة
حاتم محمد رشاد



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٩٤

الغلاف والاخراج الفنى :

أميمة على أحمد

● تقديم ●

لم يهتم كثير من المؤرخين الإيرانيين بالحديث عن « نادر شاه »
لسببين أساسيين : أحدهما أنه لم يكن إيرانيا ، بل كان تركمانيا ،
وثانيهما أنه فرض المذهب السننى على الإيرانيين بهدف القضاء على أسباب
الخلاف بين إيران والدولة العثمانية .

وقد نال من المستشرقين عناية خاصة ، لما وجدوه فيه من شخصية
جديرة بالدراسة أثرت فى تاريخ أمتها ، دون النظر الى أصله .

ذلك أن نادر شاه استطاع بجلوسه على عرش إيران أن يحول
هزائمها الى انتصارات ، وتمكن من استعادة اصفهان من أيدي الأفغان ،
وأوقف العثمانيين والروس عند حدودهم .

ومن هنا ترجم أهمية ترجمة « درة نادرة » ، التى قام بتأليفها
« ميرزا مهدى خان » ، والتى سلك فى كتابتها منهجه الاسلامى فى سرد
الأحداث ، مستشهدا فى كل موقف بما يناسبه من آيات القرآن الكريم .

وربما كان مما يؤخذ على « مهدى خان » أنه أخذ يكيل الشناء على
« نادر شاه » فى المرحلة الأولى من عمله ، والتى كان فيها « نادر شاه » على
قيد الحياة ، ثم انقلب عليه فى الجزء الثانى بعد مصرعه فتحول من المديح
الى الهجاء .

وتعد هذه الدراسة اضافة جديدة الى المكتبة العربية ، وجهدا
مشكورا لصاحبها .

د . عبد العزيز بقوش

أستاذ اللغة الفارسية بكلية دار العلوم

جامعة القاهرة

● المقدمة ●

لقد كانت « إيران » ومازالت موضعاً لأحداث تاريخية وسياسية أثرت على مجرى الأحداث في أرضها وفي المنطقة المحيطة بها ، ولعل من الفترات التاريخية الهامة التي كانت بمثابة نقطة تحول خطيرة في تاريخ « إيران » فترة حكم (نادر شاه) - رغم قصرها - ، ذلك الملك الإفشاري التركماني الذي تمكن بما لديه من شجاعة وإقدام ومقدرة عسكرية فذة أن ينقذ « إيران » من الضياع ، حيث أنه ظهر في فترة من أخرج فترات تاريخها ، فقد كانت الدولة الصفوية تغالب سكرات الموت في عهد الشاه (سلطان حسين) - الذي قتل على يد الأفغان - ولم يتمكن ابنه الشاه (طهما سب الثاني) حماية العاصمة « أصفهان » من اعتداءات الأفغان ، ففر تاركاً إياها للعناية الآلهية التي تمثلت في (نادر قلي) الذي أحسن استغلال الفرصة التي سنحت له في تحقيق طموحاته ، والجلوس على عرش « إيران » ، فإذا به يحول هزائمها إلى انتصارات ، ويستعيد « أصفهان » من أيدي « الأفغان » ، وأوقف « العثمانيين » و « الروس » عند حدودهم ، لهذا كله كان جديراً بالجلوس على عرش « إيران » ، ولم يكتف باستعادة أرضها المسلوبة بل أنه تطلع إلى خارج الحدود ووصل إلى « الهند » بما فيها من كنوز ونفائس وأموال طائلة ، كل هذا يحسب لـ (نادر شاه) ، أما ما يحسب عليه معاملته الوحشية لابنه (رضا قلي ميرزا) الذي سمل عينيه لقتله الشاه (طهما سب الثاني) ، كما أنه استعاد جميع الغنائم التي كان قد وزعها على جنوده بعد العودة من « الهند » كما أنه أعاد فرض الضرائب التي كان قد ألغاهها ، أما السبب الرئيسي في التعجيل بمقتله فيرجع إلى تحويل الإيرانيين عن المذهب الشيعي ، وجعل المذهب السنّي هو المذهب الرسمي لـ « إيران » ، كل هذا جعل قواد (نادر شاه) ومعهم (علي قلي خان) ابن أخيه (إبراهيم خان) يتآمرون ضده ويقتلونه .

هذه نبذة سريعة عن (نادر شاه) موضوع « درة نادرة » ، وهو بحق موضوع خليق بالدراسة والبحث وذلك لاعتبارين هامين :

١ - ان المصادر التى كتبت عن (نادر شاه) قليلة نسبيا ، كما أن القليل من المؤرخين الايرانيين هم الذين اعتنوا بذكره . ولعل المستشرقين كانوا أكثر اهتماما به وتحليل شخصيته وذكر أعماله ، والسبب فى ذلك أن (نادر شاه) ليس ايرانى الاصل بل هو تركمانى ، وقد استلقت (نادر شاه) أنظار المستشرقين لما وجدوه فيه من شخصية جديدة بالدراسة ، ولما له من دور مؤثر فى تاريخ أمة دون النظر الى أصله .

٢ - أن (نادر شاه) أراد أن يفرض المذهب السننى على حساب المذهب الشيعى ، وإذا نظرنا الى هذا الأمر سنجد أن (نادر شاه) لم يفعل هذا من منطلق ايمانى أو مذهبى ولكن بغية أن يمحو أى ذكرى للصفيين الشيعة ، كما أنه أراد تسوية الخلاف مع الدولة العثمانية السننية .

أما بالنسبة للمنهج الذى تم على أساسه ترتيب هذا الكتاب فهو كالتالى : تم تقسيم الكتاب الى قسمين :

القسم الأول : يتناول فى الفصل الأول الحديث عن (نادر شاه) من حيث حياته وأعماله ، وطفولته ، وكيفية ظهوره وتكوينه ، وخصاله ، وموقفه من المذهب الشيعى ، ومقتله وحملته على الهند ، ومعركة كرناى .

الفصل الثانى فيتناول الحديث عن ميرزا مهدى خان مؤلف درة نادرة من حيث حياته وانتاجه ، وتخلصه بـ « كوكب » ، وكونه رائدا للتأريخ الاسلامى .

الفصل الثالث فهو يتناول درة نادرة دراسة نقدية تحليلية وذلك بعمل دراسة حول درة نادرة ، والحديث عن أهمية درة نادرة ، وعقد مقارنة بينها وبين النصوص الأدبية السابقة عليها ، والتعريف بخصائص البشر فى العصر الأفشارى ، ويختتم هذا الفصل بملاحظات على النشر الذى كتب به « درة نادرة » .

القسم الثانى : كان عبارة عن ترجمة أمنية لمثن « درة نادرة » دون تصرف ، وذلك محاولة لنقل ما كتبه (مهدى خان) بأسلوبه الفنى المتميز ، ودون اخلال بروح النص الفارسى .

وبغية تحقيق هذا الهدف لم يقتصر المؤلف على الاستعانة بالقواميس العربية والفارسية ، بل لجأ الى الاستعانة بكم كبير من المراجع العربية والفارسية في مختلف العلوم والفنون والآداب (طبية – زراعية – تاريخية – جغرافية – فلكية – موسيقية – تراجم ٠٠٠ الخ) وذلك للتعريف بما ورد بـ « درة نادرة » من أعشاب طبية وطيور وكواكب ونجوم وآلات موسيقية ونغماتها وأشهر المطربين الإيرانيين وكذلك أبطال إيران الأسطوريين وشعراء وأدباء العرب والفرس ، وأيضا التعريف بالأماكن والقلاع والجبال والأنهار وأشهر القبائل الإيرانية .

وحتى تكتمل الصورة ألحقت فهارس عديدة بالترجمة ، وأول هذه الفهارس للآيات القرآنية التي وردت بـ « درة نادرة » وكذلك الأحاديث النبوية والقدسية ، ويليها فهرس للأمثال المذكورة بـ « درة نادرة » مرتبة ترتيبا هيجائيا ، وفهرس ثالث لأسماء الأشخاص والقبائل ، وفهرس أخير بالأماكن والولايات والأنهار والجبال والقلاع التي قد ذكرها (مهدي خان) في « درة نادرة » .

● القسم الأول

● الفصل الأول

نادر شاه _____
حياته وأعماله

- ١ -

أصله ونسبه

اختلف المؤرخون فيما يتصل بأصل نادر شاه ونسبه وكيفية ظهوره، وتضاربت أقوال معاصريه ، ويمكن قبول أقوال (ميرزا مهدى خن) كاتب (نادر شاه) ومؤلف « درة نادرة » و « جهانكشاي نادري » بأطمئنان أكثر، ذلك أنه قد قال بصدد أصل (نادر شاه) (تلك الحضرة يعنى (نادر شاه) من شعبة قرقلو الأفشارية التركمانية ، كانت « التركستان » مسكنهم القديم عندما استولى « المغول » عليها ، فرحلوا عنها ، واختاروا الإقامة فى « آذربايجان » ، وبعد ظهور الفاتح العظيم (الشاه اسماعيل الصفوى) أنار الله برهانه ، رحلوا الى « تقرىبات » من توابع « مياب كوبكان » من محال « أببورد خراسان » شمال « مشهد طوس » المقدسة .

ويعتقد (لوكهارت) أن الأفشار قد رحلوا من وسط آسيا نتيجة للغزو المغولى فى القرن الثالث عشر الميلادى ، ثم أقاموا أولا فى « آذربايجان » ثم انتشروا فى أنحاء بلاد فارس ، وتمكن الشاه (اسماعيل الأول) من تكوين جيش جرار من الأفشار والقبائل التركمانية الأخرى (١) ، كما كان أحد قواد (الشاه طهما سب الأول) (خليل بيك أفشار) ، الذى كان قائدا لعشرة آلاف جندى من قبيلته ، كما أنه كان حاكما لمقاطعة « كوه كيلويه » .

ويتحدث (لوكهارت) عن أصل (نادر شاه) فيقول :

(ينتمى (نادر شاه) الى شعبة « قرقلو » المنبثقة عن القبيلة الأفشارية ، نزحوا الى « خراسان » فى عهد الشاه (اسماعيل الأول) (١٥٠٢ - ١٥٢٤ م) ، وأقاموا فى « مياب كوبكان » التى تقع جنوب مرتفعات « الله أكبر ») .

(١) جمع الشاه اسماعيل القبائل التركمانية (روملو - شاملو - استاجلو - تکه لو - شو القدر - أفشار - قاجار - ورساق - صوفية قراياغ) وكون منها قبائل القزلباش ب.هـ: أحمد الخولى ، الدولة الصفوية ، تاريخها السياسى والاجتماعى وعلاقتها بالعثمانيين ص ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ القاهرة ١٩٨١ م .

أما إذا تحدثنا عن مولد (نادر قلى) فنجد (ميرزا مهدي خان) يحدده
 بيوم الجمعة (٢٨ محرم ١١٠٠ هـ / ٢٢ نوفمبر ١٦٨٨ م) . ويتفق كل
 من (فلاديمير مينورسكى) و (بيرسى سايكس) أن ميلاده كان فى خيمة
 بجوار قلعة « درة جز » ، أسماه والده باسم جده (نادر قلى) ، نشأ فى
 أسرة فقيرة ، وقد أورد (صنعتى زاده الكرمانى) رأيا يوضح أصل (نادر
 قلى) فقال :

(بين مئات الخيام الأفشارية ، كانت هناك خيمة متواضعة لأسرة
 (امام قلى بيك) ، الذى كان يعانى من شظف العيش وقسوة الحياة ،
 وكانت ثروته عبارة عن بضع خراف وبقرة ، وكانوا جميعا يقيمون فى خيمة
 واحدة) .

كما نجد (ميرزا مهدي خان) عندما يتحدث عن أصل (نادر قلى) ،
 يورد هذه العبارات التى لا تعيب تواضع أصله :

(ان فخر السيف البتار بأصل مالكه ، ليس بمعدن الحديد ، وان
 مباهاة الجوهر النفيس بروقه ولونه الذاتى ، ليس بصلاصة المعدن) .

وهذه الآراء السالفة الذكر تختلف عما أورده (جيمس فريزر) ،
 وهو من معاصرى (نادر شاه) ، حيث قال (ان والد (نادر شاه) لم يكن
 فقط رئيسا لطائفة الأفشار ، بل أنه كان حاكم « كلات » (٢) .

وهكذا نجد أنفسنا أمام رأيين مختلفين بشأن (نادر شاه) وأصله ،
 وهناك رأى يرجح رأى (ميرزا مهدي خان) و (لوكهارت) ، وهو رأى
 الذى أورده الدكتور (رضا زاده شفق) (من خواص أحوال (نادر شاه)
 التى يجب أن تؤخذ فى الاعتبار ، أنه رغم انتسابه للطبقة الدنيا ، وحرمانه
 من التعليم والتربية الصحيحة ، ألا أنه حكيم ورجل عسكري من الطراز
 الأول) . كما أن (لوكهارت) يؤكد كلامه عن أصل (نادر شاه) قائلا :

عندما انضم (نادر قلى) الى ركاب (الشاه طهما سب) الثانى ، كان
 فى عتفوان شبابه ، وما أن مضى سبعة وثلاثون عاما من عمره ، الا وكان
 قد اكتسب شهرة واسعة ، بالرغم من أصله ونسبه المتواضعين) . كما
 قال فى موضع آخر (يعرف القليل أن (امام قلى بيك) - على غير الحقيقة -

Frasr, James. The history of Nadir Shah, P. 72, 2nd, London, (٢)
 1742.

فقير لا يشغل أى منصب هسام ، وأنه كان يعمل بالرعى والزراعة ورعى
الجمال (٣) .

وهكذا يبدو لنا شبه اجماع على أن « نادر قلى » ولد نشأ فى بيئة
متواضعة ، على الرغم من اختلاف (جيمس فريزر) - الذى زار « إيران »
عام ١٧٤٠ م - معهم فى الرأى ، إلا أنه من الواضح من خلال الأحداث التى
مرت بـ (نادر قلى) ، وما تكبده من مصاعب فى صباه، حتى انه عندما صار
شابا التحق بخدمة (بابا على) حاكم « أبيورد » وتدرج فى المناصب حتى
صار رئيسا لمخبريه وتزوج ابنته ، وكان هذا كله من أجل تحقيق طموحاته
التي وضعها نصب عينه ، ونجح فى تحقيقها ، وجلس على عرش « إيران » .

- ٢ -

طفولة نادر شاه

دأب بعض المؤرخين على نسج الخرافات والأساطير حول حياة (نادر شاه) ، فمنهم مؤلف « عالم اراى نادرى » الذى مزج سنى عمر نادر الأولى بقصص جميلة ، ونسب اليه البطولة وعظمة النفس حيث قال (فى سن العاشرة كان (نادر) يخرج لصيد الأسود والسمور والخنازير البرية ، كما أنه كان يتزعم الأطفال الذين يلعبون معه ، وكانوا يلقبونه بالملك كما أنه كان يفض المشاجرات التى كانت تنشب بين أصدقائه ، وعندما يتصارع اثنان فانه كان يخلع على الفائز ملابسه وقلنسوته وكثيرا ما كن يعود للمنزل عاريا) .

وهكذا نجد (نادر) منذ نعومة أظافره يتصرف بين أصدقائه كما لو كان ملكا متوجا ، يخلع الخلع على الفائزين ، ويحضهم على بذل مزيد من البطولات .

ويذكر لنا (لوكهارت) عن طفولة (نادر شاه) ، بأنه كان يرافق والديه أثناء تنقلتهما بين « كويكان » ومرتفعات درة جز « وما أن كان اشتد عوده ، حتى كان يساعده والده فى كسب رزقه الضئيل) . ثم ينقلنا (صنعتى زاده الكرمانى) الى « لامة تفكير (نادر) وشجاعته ، فى الرابعة عشر من عمره يقوم بأعمال عجز الكبار عن القيام بها ، فعندها تعرضت عشيرته لهجوم « الاوزبك » ، فقتلوا من قتلوا وأسروا من أسروا ، وكان من جملة أسراهم والدة (نادر) ، يفكر فى الطريقة التى تمكنهم من تخليص والدته وأهل عشيرته ، ويهديه تفكيره الى وضع مخدر فى زجاجات خمر ، ويحملها الى معسكر « الاوزبك » فيتكالب الجنود على شرب هذا الخمر حتى يفقدوا الوعى ، وعندئذ يفك (نادر) أسر عشيرته ، ويخلصهم من أيدي « الاوزبك » ولم يكتف بذلك ، بل انه يجهز عليهم ويفتك بهم ، وبذلك يعود بوالدته وأفراد عشيرته الى منازلهم سالمين منتصرين .

هذه الرواية ان دلت على شئء انما تدل على مدى سلامة تفكيره وتحمله عبء حماية عشيرته كما أنها تشير الى قدرات (نادر) المتصاعدة .

وقد كان لاستعداد (نادر) العسكرى منذ الصغر أثره فى أن يجمع حوله عددا من الأصدقاء لمقاومة قطاع الطريق واللصوص ، وقد نجح فى ذلك تماما مما استلقت اليه نظر حاكم « أبيورد » الذى يدخله فى خدمته ثم يتدرج فى المناصب حتى أنه فى فترة وجيزة تمكن من أن يتقلد منصب قائد حرس (بابا على بيك كوسه أحمد لو) حاكم « أبيورد » الذى لم يكتف بذلك بل أنه زوجه ابنته الكبرى كى يضمن الى جواره سنداً قويا يمكن معاونته فى التصدى لأعدائه .

- ٣ -

ظهور نادر شاه

دخل (نادر) فى خدمة (بابا على بيك كوسه أحمد لو) رئيس قبائل الافشار فى مدينة «أبيورد» وحاكمها ، ولم يمض وقت طويل حتى ارتفع شأن (نادر) فى تلك المنطقة ، ولم يكتف بأن يصبح قائد حرس (بابا على بيك) ، بل صاهره وتزوج ابنته الكبرى (ايلدر) التى أنجبت له (رضا قلى ميرزا) عام ١١٣١ هـ / ١٧١٩ م ، وبعد وفاتها تزوج من أختها (جوهر شاد) ، التى أنجبت (نصر الله) و (امام قلى) ، وبمجرد وفاة (بابا على بيك) عام ١١٣٦ هـ / ١٧٢٣ م ، قبض (نادر) على أزمة الأمور ، واستولى على « أبيورد » و « كلات » اما بالقوة أو بالآحقية .

ولعل ما أورده السير (جان مالكولم) من أن (نادر) قد قتل حماه (بابا على بيك) رأى لا يحتمل الصدق ، ذلك أن بعض المستشرقين دأبوا على تشويه صورة الملوك العظام ، وقد أراد (مالكولم) أن يظهر (نادر) على أنه سفاك ، قاصدا الخط من قدره ، مظهرا الشرق الاسلامى وقد غرق فى دوامة الأخذ بالثأر ، ولو أن ما ذهب اليه (مالكولم) له نصيب من الصحة لما أدخل (نادر) أولاد (بابا على بيك) فى خدمته ، ولولاهم مناصب بارزة . ونتيجة للنزعات القبلية ، لم يتمكن (نادر قلى بيك) من تحقيق درجة النجاح التى كان عليها (بابا على بيك) ، كرئيس لافشار « أبيورد » ، لذا فقد اتجه (نادر قلى) الى « مشهد » والتحق بخدمة الملك (محمود السجستانى) ، الذى جعله أحد قواده ، وقد تمكن (نادر قلى) من صد هجمات « الاوزبك » أعداء الملك (محمود) ، فكافأه بتوليته حاكما على « خراسان » .

فى تلك الفترة كانت الدولة الصفوية تحتضر على يد الشاه (سلطان حسين) نظرا لما كان يتسم به من عدم مبالاة واكتراث بأمور الدولة ، ومن ثم استطاع الملك (محمود) الاسميلاء على العاصمة « أصفهان » ، وجلس على العرش ووضع التاج على الرأس وذلك بتفويض من الشاه (سلطان حسين) ، فى نفس الوقت الذى هرب منه (طهماسب ميرزا) الى « قزوین » ، وجلس على العرش هناك ، ولقب بـ (الشاه طهما سب الثانى) ، وما أن

علم الملك (محمود) بذلك حتى أرسل اليه جيشا ، الا أن الشاه (طهما سب) اتجه الى « تبريز » واتجه (محمود) الى « مشهد » حدث خلاف بينه وبين (نادر قلى بيك) ، خرج على أثره (نادر قلى) من خدمة الملك (محمود) ، توجه الى « كلات » ، واتخذها مقرا له .

وما أن وصلت أنباء الخلاف الذى دب بين الملك (محمود) و (نادر قلى) الى (الشاه طهما سب) ، حتى أمر (حسن على بيك معير الممالك) بالاسراع الى (نادر قلى) ليعرض عليه الدخول فى خدمته ، فانتبه (نادر قلى) هذه الفرصة وأراد أن يكون مع القوة الشرعية ، والا يظهر نفسه بصورة المتمرّد ، وأسرع بالانضمام الى الجيش الصفوى « بخراسان » ، وصحبه ألفا جندى كردى وأفشارى ، بعد ذلك تحرك الركب الصفوى وعلى رأسه قائدان هما (فتحعلى خان القاجارى) و (نادر قلى بيك الأفشارى) ، وتوجهوا الى « خيوشان » وأقاموا هناك بضعة أيام ، ثم تركوها متجهين الى « مشهد » ، وكان ذلك فى ٢٢ محرم ١١٣٩ هـ / ١٩ سبتمبر ١٧٢٦ م ، وأقاموا معسكرهم فى « خواجه ربيع » التى تبعد ثلاثة أميال شمالى « مشهد » ، وأثناء حصار « مشهد » لم يتمكن (فتحعلى خان القاجارى) من فتحها ، فلا حظ (الشاه طهما سب) أن هناك ثمة خيانة من قبل (فتحعلى خان) وميله للملك (محمود) ، لذا فقد أمر بقتله فى ١٤ صفر ١١٣٩ هـ ، وهكذا خلت الساحة لـ (نادر قلى) من منافسة (فتحعلى خان القاجارى) ، فامتلك زمام الأمور ، وأنعم عليه (الشاه طهما سب) بمنصب وزير التشرىفات ، وتلقب بلقب (طهما سب قلى) أى غلام طهما سب .

أراد الملك (محمود) أن يستغل الخلاف الذى حدث فى صفوف الجيش الصفوى واتجه الى المعسكر الصفوى ، غير أن (نادر قلى) تمكن من هزيمته هزيمة نكراء ، وتمكن من دخول (مشهد) ، بمساعدة (بير محمد) قائده جيش (الملك محمود) ، فتخلى (الملك محمود) عن العرش وخلع التاج ، واحتفى بخلوة من خلوات حرم (الأمام رضا) .

ورغم كل ما فعله (نادر قلى) فى سبيل القضاء على (الملك محمود) ، واسترجاع ما اغتصبه من ولايات ، الا أنه لم يسلم من حقد الحاقدين والوشاة ، الذين كانوا يقفون له بالمرصاد ، فقد أوجسوا الى (الشاه طهما سب) بأن (نادر قلى) خائن ولا بد من القضاء عليه ، لذا طلب (الشاه طهما سب) المساعدة من حكام « مازندران » و « استراباد » وقبائل « كرايلى » ضد (نادر) ، وما أن سمع (نادر قلى) بذلك حتى اشتد غضبه ، وأسرع الى « خيوشان » وحاصرها ، وانضم اليه أفراد

« خبوشان » الذين يكرهون (الشاه طهما سب) غير أن (طهما سب) اعتذر لـ (نادر) ، وعادوا جميعا الى « مشهد » يوم النوروز سنة ١١٣٩ هـ مقيمين الاحتفالات هناك لمدة أسبوع .

بعد ذلك قامت عدة ثورات فى مناطق مختلفة ، تمكن (طهما سب قلى) من القضاء عليها ، ثم دخل فى حروب « الأفغان » من أجل استعادة العاصفة « أصفهان » ، وتمكن من هزيمتهم فى معركة « مهنا ندوست » عام ١١٤٢/١٧٩٢ ، وبعد عدة أشهر هزمهم ثانية فى « مورجه خورت » ، وتمكن من استرجاع دار السلطنة الصفوية من أيديهم ، وبعد أن استتب الأمر لـ (نادر قلى) فى أصفهان ، اتجه الى « آذربايجان » وطرد العثمانيين منها ١١٤٣ هـ / ١٧٣٠ م . وأثناء حصاره لـ « ايروان » ، وصلت أنباء قيام اضطرابات فى « خراسان » ، فاتجه اليها وقضى على تلك الاضطرابات واستعاد « هرات » ، رغم كل هذه الانتصارات التى حققها (نادر قلى) على العثمانيين ، الا أن (الشاه طهما سب) انتهاز فرصة توجه (نادر قلى) الى « خراسان » ، وأراد أن يقلده فهاجم العثمانيين فى « نخبوان » وهزمهم ، غير أنه هزم فى « ايروان » ، وتمكن العثمانيون بقيادة (أحمد باشا) من احتلال « كرما نشاه » و « أردلان » ، كما تمكن (على باشا) من الاستيلاء على « خوى » و « سلماس » و « مراغة » ، و « تبريز » ، وجاءت قوة عثمانية ثالثة لتحتل « خوزستان » و « الاهواز » ، ثم عقدت معاهدة صلح مخزية بين (الشاه طهما سب) والعثمانيين ، استولى العثمانيون بمقتضاها على « كنج » و « تفليس » و « كرجستان » و « شيروان » و « داغستان » ، على أن يحتفظ (الشاه طهما سب) بـ « تبريز » و « أردلان » و « كرما نشاه » و « لارستان » ، وعندما وصلت أنباء هزيمة (طهما سب الثانى) ومعاهدته مع « العثمانيين » الى (نادر قلى) ، أسرع الى (الشاه طهما سب) وعنفه ، وأرسل (نادر قلى) رسولا الى « استانبول » يحمل رسالة فحواها (أما أن ترد الولايات المغتصبة وأما الحرب) ، كما أنه وضع لكافة طبقات الشعب الايرانى مدى الخزي والعار الذى لحق بايران من جراء عمل (الشاه طهما سب الثانى) ، ولم يكتف بذلك بل انه خلع (الشاه طهما سب الثانى) وولى ابنه (عباس ميرزا) ، الذى كان عمره حينذاك سبعة أشهر ، ولقبه بالشاه (عباس الثالث) ، كما أن (نادر قلى) تخلى عن لقبه (طهما سب قلى) ، وتلقب بوكيل الدولة ونائب السلطنة .

وهكذا نرى أن الفرصة التى ينتظرها (نادر قلى) منذ أن دخل فى خدمة (بابا على) قد واثته ، ذلك أنه استغل الخطأ الحاصل الذى وقع

فيه (الشاه طهما سب) وخلعه عن عرش « إيران » ونصب ابنه الرضيع بدلا منه ، تمهيدا للجلوس على عرش « إيران » .

بدأ (نادر قلى) فى الاستعداد لاسترجاع أراضى « إيران » التى اغتصبها « العثمانيون » فاتجه الى « كركوك » لمحاربتهم ، وتمكن من هزيمة (أحمد باشا) القائد العثماني فى بديء الأمر ، غير أن الحال قد تبدل عندما تولى (طوبال) باشا القيادة ، فألحق هزيمة بالجيش الايراني فى عام ١١٤٦ هـ / ١٧٣٣ م ، لكن اصرار (نادر قلى) جعله يخوض معركة أخرى مع (طوبال باشا) فى نفس العام ، وتمكن من هزيمته هذه المرة ، وقتله ، ولم يهدأ بال (نادر قلى) حتى استرد الأراضى التى كان « العثمانيون » قد استولوا عليها بموجب المعاهدة المبرمة مع الشاه المخلوع .

كما أن (نادر قلى) عقد معاهدة « رشت » مع القيصرية الروسية تمكن بموجبها من استعادة الأراضى الايرانية التى استولى عليها الروس أبان حكم قيصر « روسيا » (بطرس الكبير) فتدخلت « روسيا » عن سياستها التوسعية ، وقد تم استعادة كل من « كيلان » و « مازندران » و « استراباد » بموجب معاهدة « رشت » ١١٤٥ هـ / ١٧٣٢ م ، وقد حصلت « روسيا » بموجب تلك المعاهدة على امتيازات اقتصادية تتضمن اعفاءات لصادراتها و وارداتها من الجمارك كما تمكن (نادر قلى) من استعادة « باكور » و « دربند » عام ١١٤٨ هـ / ١٧٣٥ م .

وهكذا نجد (نادر قلى) يجد ويسعى من أجل الحصول على هدفه الاسمى لى لا وهو عرش « إيران » ، وهو بما قدمه من أعمال جدير ، فقد تمكن من القضاء على « الأفغان » واستعادة دار السلطنة « أصفهان » من أيديهم ، واخماد الفتن التى ثارت فى جميع الأرجاء الايرانية واستعاد الأراضى التى اغتصبها العثمانيون من (الشاه طهما سب الثانى) ، كما استرجع أراضى « إيران » من يد « الروس » ، ولم يبق سوى « قندهار » فى يد « الأفغان » التى استردها فيما بعد من خلال فتح « الهند » - وأنه بالنظر الى كل هذه الخدمات التى أداها لايران كأنه جدير بالجلوس على عرش « إيران » ، وتكوين امبراطورية ايرانية تعيد لايران أمجادها القديمة .

- ٤ -

تتويج نادر شاه

بعد أن خلع (نادر قلي) الشاه (طهما سب الثاني) ، وولى ابنه الرضيع (عباس الثالث) خلفا له على عرش « إيران » ، ونصب نفسه وكيلا للدولة ونائبا للسلطنة ، وبعد أن حقق لايران من الانجازات ما هو كثير ، وأعاد لها هيبتها المفقودة ، رأى أن هذا هو أنسب الأوقات ليتوج نفسه ملكا على « إيران » ، لذا فقد وجه (نادر قلي) الدعوة الى حكام الولايات والقضاة والعمام والأشراف والأعيان ورجال الدين لحضور مجلس في صحراء « مغان » في عام ١١٤٧ هـ / ١٧٣٥ م . وقد كان من المنتظر أن يحضر هذا المجلس حوالي ستة آلاف شخص ، لذا أمر (نادر) بإقامة اثني عشر ألف دارا من الخشب والطوب . وكذلك إقامة حمامات ومساجد وميدان وسوق كبير . وقصر كبير له ملحق به حرمك .

وفي اليوم المحدد في التاسع من رمضان المعظم ١١٤٨ هـ / ١٧٣٦ م قام (نادر) وألقى كلمة على الحاضرين قال فيها :

(سوف أتوقف عن مواجهة الاضطرابات والفتن وقيادة الجيوش ، وسوف أعتكف للعبادة في الضريح المقدس « بمشهد » ، وعليكم أن تختاروا ملكا لكم سواء (الشاه طهما سب) أو أى شخص آخر من الأسرة الصفوية ترنه مناسبا لعرش « ايران » . وهكذا نرى (نادرا) يريد أن يظهر نفسه متعقفا عن ملك « ايران » وعرشها ، وأنه قد اكتفى بما حققه لها من انجازات وأعمال يعلمها الجميع .

نهض أحد الحضور وقال على لسان المجتمعين :

(لا ملك لنا سوى (نادر) ، « الأتراك » و « الأفغان » و « الروس » و « الغلجائيون » كانوا قد اقتطعوا أجزاء من « ايران » ، لكن الآن حمدا لله ، لم يعد شبر واحد من أرض « ايران » مغتصبا ، فقد قتل (نادر) العصاة وأسروهم ، وظهر أراضى المملكة من دنس الأعداء ، والآن يعيش جميع أهالي « ايران » فى أمن وأمان والعيش ميسر) .

بعده ذلك ترك (نادر) الحاضرين يستريحون لمدة أربعة أيام ، ثم اجتمعوا ثانية وخرج عليهم (طهما سب خان الجلائر) زعيمهم قائلا :

ان هناك ثلاثة شروط لـ (نادر قلي) حتى يقبل عرش « ايران » وهى :

١ - ألا يتخلى أحد عن (نادر) ، ولا يساعد أحدا من أبناء الشاه المخلوع .

٢ - أن يتخلى أهالى « ايران » عن التشيع وسبب الخلفاء ، وأن يتحولوا الى المذهب السننى واعتناق مذهب الامام (جعفر الصادق) وجعله المذهب السننى الخامس .

٣ - ألا يقترب أحد جريمة الخيانة ضد (نادر) أو أبنائه ، وأن يخضع لأوامره ، قبل الحضور هذه الشروط ، ووقعوا على محضر الاجتماع بالموافقة ، غير أن الزعيم الشيعى (ملا باش ميرزا عبد المحسن) أعلن عدم رضائه عن البند الخاص بتحول « ايران » الى المذهب السننى ، وبقي على ميله الى الأسرة الصفوية ، فنقل جواسيس (نادر) اليه ذلك ، فكان أن عاقبه بالشنق فى صبيحة اليوم التالى .

ولعل (نادر) قد سلك هذا المسلك حتى يرهب الجميع منذ اللحظة الأولى ، وحتى لا يكون هناك من يحاول أن يخرج عليه أو يعترض .

وبعد انتهاء هذا المجلس بحوالى شهر ، وبالتحديد يوم الخميس ٢٤ شوال ١١٤٨ هـ / ٨ مارس ١٧٣٦ م . تمت مراسم تتويج (نادر) فى الساعة التى حددها المنجمين (الساعة الثامنة وعشرون دقيقة) . ذلك بأن وضع (ميرزا زكى خان) التاج على رأس (نادر) ، ولقب بـ (نادر شاه) ، وسك اسمه على العملة من خلال هذا البيت :

— سك على الذهب اسم السلطنة فى الدنيا .

— « نادر ايران » وملك الدنيا .

وسك على الوجه الآخر (الخير فيما وقع) ، وهو بحسب الجمل تاريخ جلوس (نادر) على العرش (١١٤٨ هـ) .

بعد انتهاء مراسم التتويج، أرسل (نادر شاه) الشاه عباس الثالث لدى والده (الشاه طهما سب الثانى) المخلوع فى « خراسان » ، كما أرسل السفراء الى « استانبول » و « سان بطر سبرج » لاطلاع العثمانيين والروس على أنه ملك ايران ، ونصب ابنه (رضا قلي ميرزا) حاكما على « خراسان » ، و (طهما سب خان الجلائر) وزيرا له ، كما عين أخاه (ابراهيم خان ظهير الدولة) حاكما على « آذربايجان » .

- ٥ -

خصال نادر شاه

تميز (نادر شاه) بقامة طويلة ، وجمال ظاهر ، وصوت أجش ، وشجاعة فائقة وعزم لا يفتر ، وقدرة فائقة على التحمل ، كان طوله ستة أقدام ، ووجهه مشوب بحمرة ، ويهيل للسمنة ، لكن المتاعب والاهوال التي واجهها محت آثار السمنة من تقاسيمه ، كانت عيناه حادتان ، وحاجباه أسودان ، كان يطلق لحيته وشاربه كما كان يتمتع بذاكرة قوية وذكاء متوقد .

أما خصاله كرجل عسكري ، فتشمل في امتلاكه قدرة فائقة على الزعامة والقيادة ، كما أن جسارته كانت بلا نظير ، ويهتلك مهارة عالية في فنون الحرب .

كان في أوقات الحرب يتحمل نفس المشاق والصعاب والحياة التي يعيشها أقل جندي كما كان يتناول الطعام والشراب مثله في ذلك مثل أي جندي متواضع .

كان (نادر) بلا شك نابغة في الحرب ، رغم أنه نشأ في أسرة متواضعة وأمية ، وقد تعلم فنون الحرب لمجرد معاشته للحروب التي كانت تندلع بين القبائل ، إلا أن استعداداته العسكرية وفطرتة الحربية جعلت منه قائدا عسكريا من الطراز الأول ، حيث أنه تمكن من احراز انتصارات عظيمة لايران ، وأحدث تحولات كبيرة في مجريات تاريخها كانت أشبه بالمعجزات ، ومن ثم فإن المؤرخين والمستشرقين لم يبالغوا عندما لقبوه بـ (نابليون) الشرق ، أو شبهوه بـ (الاسكندر الأكبر) و (تيمور لنگ) .

كان (نادر) قليلا ما يهتسى الخمر ، وإذا انشغل بأمر من الأمور ينسى الغناء تماما ، وكان يحتفظ دائما في جيبه بحبيبات من الحمص ، وفي كثير من الأحيان يكتفى بجرعة منها .

بدأ التغيير يطرأ على سلوك (نادر شاه) منذ عودته من « الهند » ، وكان عمره وقتئذ زهاء خمسة وخمسين عاما ، فبعد أن وزع الغنائم التي غنمها على جنوده ، ورفع الضرائب عن أهالي « ايران » لمدة ثلاثة أعوام ،

عاد واسترد ما وزعه على جنوده ، كما أنه ضاعف الضرائب على الأهالي ،
 هما آثار الجند والشعب معا ضده .

بدأ (نادر) عنيقا عندما سمل عين ابنه (رضا قلي ميرزا) ، وكان
 السبب في ذلك هو أن (رضا قلي ميرزا) قتل الشاه المخلوع (طهما سب
 الثاني) وأولاده جميعا ، وقت أن كان (نادر) في « الهند » ودون الرجوع
 الى والده ، وكان يمكن لـ (نادر) أن يفعل أى شئ آخر بابنه غير سمل
 عينيه ، ولعل مرجع هذه الوحشية في طبع (نادر) ، أنه مر بأحداث
 متتالية لو مر بها أى شخص عادى لما استطاع أن يتحملها ، فمنذ أن كن
 ابن الرابعة عشر وهو يتحمل مسئولية عشيرته ، كما أنه دخل في حروب
 متصلة مع « الأوزبك » ، ثم دخل في صراعات عديدة طويلة أربعين عاما مع
 مختلف الطوائف والقبائل من الخارجين على الشاه ، وأيضا تلك الحروب
 مع أعداء « ايران » « كالأفغان » و « العثمانيين » ، ولم يكتف بذلك بل أنه
 حقق أكبر الانتصارات لايران ، وتمكن من فتح شبه القارة الهندية عام
 ١١٥١ هـ / ١٧٣٩ م ، واستولى على غنائم وأسلاب لا حصر لها ، لم يستطع
 هو وجنده حملها من بلاد الهند .

وهكذا نجد (نادر شاه) في حروب متصلة لمدة تزيد على أربعين عاما
 لم تعرف الراحة سبيلا اليه ، قضى معظم عمره اما على ظهر فرسه أو في
 خيام المعسكرات ، حتى أن نهايته كانت في خيمة .

- ٦ -

نادر شاه والمذهب الشيعي

تزامنت فكرة تخلي إيران عن المذهب الشيعي ، والتحول الى المذهب السني ، مع جلوس (نادر شاه) على العرش ، ونحن نعلم أن الشاه (اسماعيل الصفوي) هو الذي فرض المذهب الشيعي بحمد السيف على أغلب أهالي إيران ، وقد كان (نادر) يرى ضرورة كسر النفوذ الصفوي ، ومحو أى أثر يذكر الايرانيين بالصفويين ، فكان ذلك أحد أسباب التحول من التشيع الى التسنن .

وقد أصدر (نادر شاه) المنشور التالى لأهالي « إيران » فى محاولة لاقناعهم بالمذهب السني :

(ملك العالم المستعان الشاه (اسماعيل الصفوي) فى بادىء الامر ، بناء على صلاح دولته فقد شرع فى التخلي عن المذهب السني وأشاعة المذهب الشيعي ، ولم يكتف بذلك ، بل أنه سلك مسلك السب والرفض للخلفاء الراشدين ، حيث كان ذلك عملا أهوج وأساس المفاصد التى جرت على السنة وأفواه العامة والسوقية ومحرك شرر شرارة حجر النار ، وخلطهما معا ومزج التراب بدم الفتنة والفساد ، وما دام هذا الأمر الذميمة قد شاع ، ولن ترفع هذه المفسدة من بين أهل الاسلام الا اذا أراد أهالي « إيران » سلطانا لهم برغبتهم ، فانهم يجب أن يتخلوا عن هذا المذهب المخالف لمذهب الأسلاف الكرام والسادة العظام وأن يتبعوا مذهب أهل السنة والجماعة ، لكن نظرا لأن حضرة الامام (جعفر الصادق) من ذرية الرسول ، فأنا سنجعله زعيم مذهبنا وامام طريقتنا) .

وهكذا نجد أن (نادر شاه) يخفف من وطأة فرض التسنن بدلا من التشيع بأن أدخل المذهب الجعفري الشيعي ضمن المذاهب السنية الأربع ليكون خامسهم ، وذلك ليس حبا من (نادر) فى السنة ، ولكن وراء ذلك دافع سياسى ، الا وهو اصلاح ما أفسده الشاه (اسماعيل الصفوي) من اتخاذ المذهب الشيعي مذهبا رسميا لإيران بين « إيران » والدولة العثمانية ولكي يرضى على منشوره الشرعية ، نجده يقوم بزيارة عتبات الشيعة

المباركة في العراق ويطوف بمزار (أبي حنيفة) هناك ، ويجمع في النجف عددا كبيرا من علماء الدين الذين صدقوا على أن مذهب الامام (جعفر الصادق) هو المذهب السنن الخامس ، وقد كفر علماء ما وراء النهر الأشخاص الذين ثاروا ضد (نادر شاه) ، وأعلنوا أن المذهب الجعفري يوافق الاسلام .

وهكذا نجد أن (نادر شاه) كان يريد كسب مزيد من التأييد للمذهب الجعفري ، الذي أراد أن يدخله ضمن المذاهب السننية ، كما أن (نادر) طالب في مجلس « النجف » أن يكف الشيعة عن سب الخلفاء الراشدين .

- ٧ -

مقتل نادر شاه

ترك (نادر شاه) « أصفهان » فى العشر من محرم عام ١١٦٠ هـ / ٢٣ يناير ١٧٤٨ م . متوجها الى « يزد » و « كرمان » حيث اشاع القتل هناك ، ثم بعد ذلك أقام احتفالا بـ « النوروز » خارج مدينة « كرمان » ، وكان يحتفل معه أبناؤه وأحفاده وعددهم ستة عشر فردا ، فى نفس الوقت كان (على قلى خان) ابن (ابراهيم خان ظهير الدولة) - شقيق (نادر شاه) يجمع شمله لقتال عمه ، وانضم اليه أهل « سيجستان » و « بلوچستان » ثم توجه الى « هرات » حيث انضم اليه عدد من رؤساء العشائر هناك ، كما انضم اليه أكراد « خبوشان » .

وبذلك تجمعت قوات المناهضين لـ (نادر شاه) وعلى رأسهم (على قلى خان) .

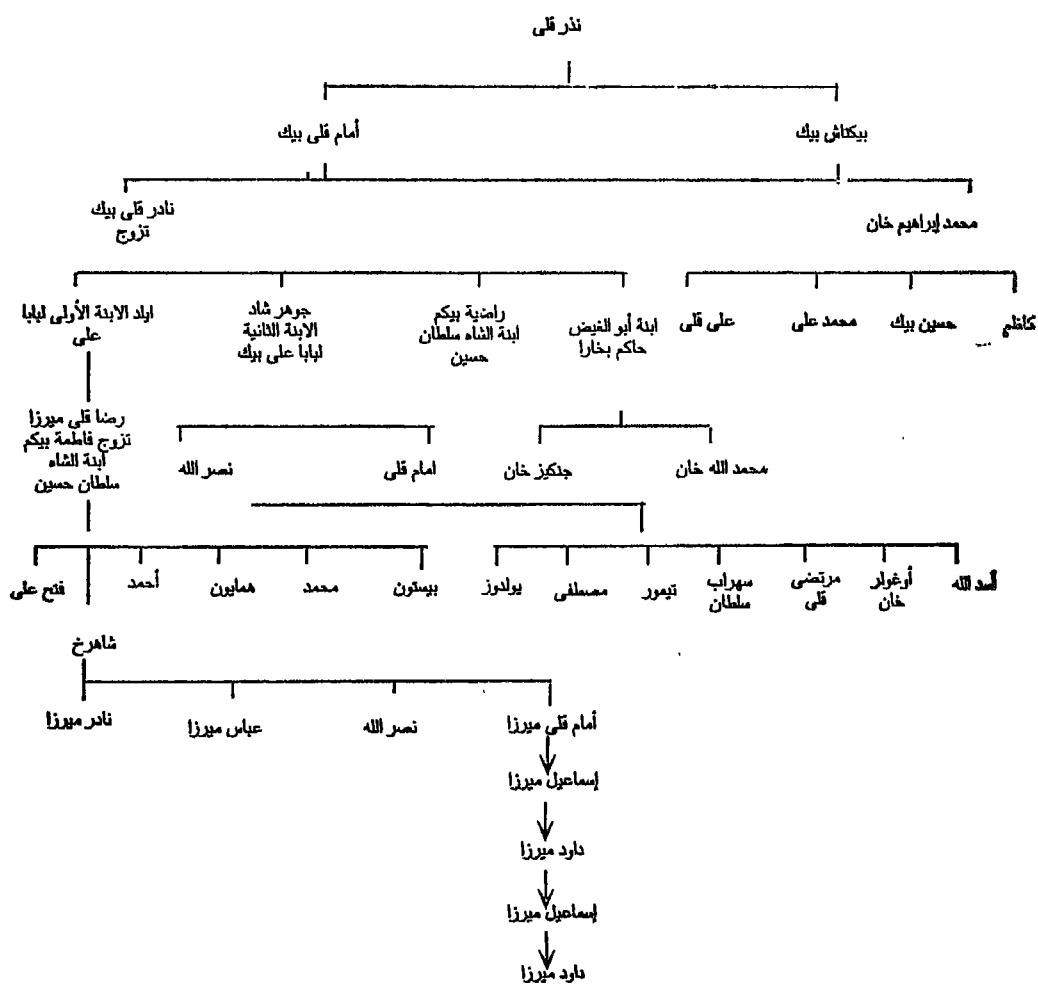
وفى صده رأى (نادر شاه) أن يتوجه الى « خبوشان » لاختماد فتنة ابن أخيه ، فأرسل أبناءه وأحفاده الى قلعة « كلات » ، وتوجه هو الى « خبوشان » وعسكر فى « فتح آباد » ، التى تبعد فرسخين عن « خبوشان » .

وقد أورد طبيب (نادر شاه) « بازن » فى شرح أحواله فى أواخر أيامه ، (كان) نادر (يشعر بالشيء قبل حدوثه ، فقد كان حدسه قويا ، لذا ألجم حصانه ، واستعد للتوجه الى قلعة « كلات » ، لكن منعه حرسه ، وبصروه بما سيترتب على ذلك ، وأظهروا له الوفاء ووعدوا بمساندته ضد أعدائه) ، فى الوقت نفسه كان يعمل فى الخفاء اثنان من رجال بلاطه ، (محمد قلى خان) قائد الحرس و (صالح خان) رئيس البلاط ، وكان (نادر) يخشى من (محمد قلى خان) ذلك أنه كان شجاعا وله علاقات طيبة بسائر القواد ، ونظرا لما شعر به (نادر شاه) من خيانة تدور حوله ، فقد أحضر قائده الجنود « الأفغان » (أحمد خان الابدالى) وكان معه أربعة آلاف جندي أفغانى ، وأوصاه بتشديد الحراسة عليه ، واعتقال الخونة فى الصباح ، وإذا قاوموا فعليه أن يأخذهم بالشدة ، لكنهم لم يمهلوه ، فقد هم بالدخول عليه فى خيمته وهو نائم (محمد قلى خان) و (محمد خان

قاجار الايراني) ، (موسى بيك ايرلوى أفشار) و (قورجه بيك كوندوزلوى أفشار الارومى) و (حسين بيك شاهوار) وسبعون شخصا غيرهم جاءوا جميعا لقتل (نادر شاه) وما أن ذهب حارس خيمة (نادر شاه) لقضاء حاجة له ، حتى دخل كل من (محمد خان قاجار) و (صالح خان) وآخر شجاع ، وما أن أحس بهم (نادر شاه) حتى نهض من نومه مستلا سيفه ، غير أنه تعثر فى وتد الخيمة ، فضربه (صالح خان) ضربة قطعت يده ، حينئذ استولى عليه الخوف ، وتسمر فى مكانه أما (محمد خان قاجار) فقد احتفظ بشجاعته ، وفصل رأس (نادر شاه) عن جسده ، وكان ذلك يوم الجمعة ١١ جماد الآخر (١١٦٠ هـ / ١٧٤٨ م) ، بعد ذلك توجه (على قلى خان) من « هرات » الى « مشهد » ، وعندما رأى أن وجود أبناء (نادر) وأحفاده سيكونون عقبة فى سبيل وصوله للعرش ، أرسل قوة للاستيلاء على قلعة « كلات » ، وبعد حصار دام ستة عشر يوما استطاع اقتحام القلعة ، وقتل (رضا قلى ميرزا) بينما حمل (نصر الله ميرزا) و (امام قلى ميرزا) حيث قتلها فى « مشهد » ، كما سم الأخوين الآخرين (جنكين خان ميرزا) وكان عندئذ عمره ثلاث سنوات ، و (محمد الله خان) الرضيع وأراد (على قلى) أن يقضى على نسل (نادر) نهائيا ، فقتل زوجات (نادر شاه) الحوامل ، بينما أبقى (على قلى خان) على (شاهرخ ميرزا) ابن (رضا قلى ميرزا) وحفيد (نادر شاه) ، وذلك لأن أمه من أصل صفوى - ابنة (الشاه سلطان حسين) (فاطمة سلطان بيكم) - ، ويحتمل أن يطالب الايرانيون بأن يكون ملكهم صفوى الأصل .

ومنذ ذلك الحين حتى وقتنا هذا ، ظلت أراضي « ايران » تتناقص من الشمال والشرق والجنوب الشرقى ، ولو لم يكن (نادر) ، ما وصلت حدود « ايران » الى ما هى عليه الآن .

مشجر نادر شاه وأخلافه



- ٨ -

حملة نادر شاه على الهند

فى الوقت الذى نربع فيه (نادر شاه) على عرشه « ايران » (ربيع أول سنة ١١٤٨ هـ) كان يحكم الهند (محمد شاه) منذ سبعة عشر عاماً (١١٣١ هـ) ، وقد اتجهت سلطنة سلالة ملوك مغول الهند فى عصره الى الانحطاط .

وقد فكر (نادر شاه) فى القيام بحملة على « أفغانستان » لتأديبهم ، واستعادة ما نهبه الأفغان من أموال « ايران » فى الغارات التى شنوها عليها أثناء حكم (الشاه سلطان حسين) وابنه (الشاه طهما سب الثالث) ، وقد أطلع (نادر) البلاط الهندى على حملته على « أفغانستان » ، وطلب منهم عدم ابواء الفارين منهم .

وقد أرسل (نادر شاه) عدة رسل للامبراطور الهندى لمنع « الأفغان » من دخول بلاده ، لكن الامبراطور لم يبال برسل (نادر شاه) ، الى أن أرسل (محمد خان تركمن) للبلاط الهندى ، لكنه لم يسمح له بمغادرة « دهلى » لمدة عام حتى فتحت « قندهار » فى أوائل محرم سنة ١١٥١ هـ .

وقد تمكن (نادر شاه) من احتلال « قراباغ » و « غزنين » على التوالى بدون مقاومة تذكر ، أما « كابل » فقد قاومت قليلا ثم استسلمت ، وبعد ذلك توقف احدى وعشرين يوما فى « جاريك كار » شمال « كابل » ثم تحرك الى « كندمك » حيث قام بتأديب رؤوس العصاة ، وحضر (رضا قلى ميرزا) لمجلس أبيه فى مكان يسمى « بهار سفلى » وذلك بعد أن أخمد ثورة « بلخ » و « بخارا » ، وتشاور معه بشأن فتنة « خراسان » ، واختاره ليكون نائبا له فى « ايران » أثناء تواجده فى « الهند » .

فى تلك الآونة جمع (ناصر خان) والى « كابل » عشرين ألف أفغانى من « بيشاور » و « خيبر » غير أن (نادر) هاجم ممر « خيبر » ، وانتصر على قوات (ناصر خان) وشنتهم ، وقتل وأسر منهم الكثير واحتل « بيشاور » ، ومكث هناك أربعة أسابيع حيث تلقى نبأ مقتل أخيه (ابراهيم خان) فى « شيروان » على يد « اللزكيين » .

أمر (نادر) قواته بعمل جسر على نهر « الهند » ناحية « اتوك » للعبور الى الضفة الأخرى ، واتجه بقواته الى « وزير آباد » التي عبر منها بلا خسائر تذكر ، وتقدم تجاه « لاهور » واستعد حاكمها (زكريا خان) للمقاومة والدفاع عنها ، لكن (نادر شاه) دخل معه في عراق وانتصر عليه وأسره ، فطلب (زكريا خان) الأمان .

وقبل طلبه ، ووصل الى بلاط (نادر) ، وقدم هداياه ، وحفظ « لاهور » من الهجوم ، وعبر (نادر) من « لاهور » ، ووصل الى أبواب « الهند » .

وهكذا نجد أن (نادر شاه) أراد أن يحصل بحدود « إيران » الى ما كانت عليه في العصر الصفوي ، كما أنه أراد من ناحية أخرى أن يقيم سدا منيعا في وجه أعداء « إيران » « الأفغان » ، ولعل من جملة الأسباب التي جعلت (نادر شاه) يفكر جديا في غزو « الهند » ، أن خزان « إيران » قد خوت من جراء الحملات العسكرية التي كان يقوم بها .

— ويرى (رضا زاده شفق) أن حملة (نادر شاه) على « أفغانستان » و « الهند » ، لم تكن مجرد هجوم وقتال وفتوحات ، بل أن (نادر) في بداية قتاله كان يسعى الى القضاء على المتمردين والعصاة ويسد طريق الفرار عليهم ، وذلك بإرسال رسل ورسائل الى (محمد شاه) امبراطور « الهند » كي يعاونه في مهمته هذه ، غير أن امبراطور « الهند » لم يستجب لرسل (نادر شاه) ورسائله ، فما كان منه الا أن جرد حملة عسكرية لتأديب أولئك العصاة « الأفغان » ، وكذا تأديب امبراطور « الهند » ، والحصول على امدادات مالية تعاونية على استكمال طموحاته وأحلامه .

(٤) رضا زاده شفق ، نادر شاه در نظر خاور شناسان ، ص ٨ .

- ٩ -

معركة « كرنال »

بعد أن انتهى (نادر شاه) من أمر « لاهور » ، أعد العدة لمعركة فاصلة بينه وبين (محمد شاه) امبراطور « الهند » ، فدخل بجيشه حدود « الهند » ، وأراد أن يتحقق من صحة حجم جيشها ، فأرسل فرقة من جيشه قوامها ستة آلاف جندي للاستكشاف والاستطلاع ، ونصبوا كمينا لفرقة من جيش « الهند » كانت بقيادة « سعادت خان » أحد قواد الجيش الهندي - وقتلوا وجرحوا وأسروا الكثيرين منهم وتمكن (نادر شاه) من التعرف على حجم القوات الهندية المتواجدة بـ « شاهجان آباد » ، وكانت عبارة عن ثلثمائة ألف جندي وألفين من الأفيال الضخمة وثلاثة آلاف مدفع ، هذا بخلاف عتاد الجيش من سيوف وبنادق ، وبعد أن حدد (نادر شاه) موقع جيش (محمد شاه) تحرك تجاهه واختار موقعا لجيشه يبعد نصف فرسخ من معسكر الخصم ، وكان يقع على ضفة نهر « فيض » وكان جيش (نادر شاه) يقدر بثمانين ألف جندي .

وبناء على ما تقدم نلاحظ أن القوتين غير متكافئتين في العدد والعدة ، فيكفي الأفيال التي ألقت الرعب والفرع في قلوب الجنود الإيرانيين ، وقد ذكر (هانوي) أن (نادر شاه) استفاد من خطة (تيمور لك) في مواجهة الأفيال الهندية ، لقد أحضر عددا من الجمال ، وأثناء سير المعركة كان يلقي عليها نفطا ومواد حارقة ثم يجعلها تجرى وسط الجيش الهندي نحو الأفيال مما يذعرها ، ويجعلها تفر هاربة من أرض المعركة ، فيحدث اضطرابا في صفوفها ، وبالتالي يتيح أكبر فرصة للجيش الإيراني للقضاء عليهم والانتصار في المعركة .

في الخامس عشر من ذي القعدة سنة ١١٥١ هـ ، دارت رحى حرب هائلة بين جيش (نادر شاه) قليل العدد والعدة وعلى رأسه قائد شجاع مقدم يمتلك فكرا حربيا فذا، وبين جيش جرار يعتمد على كثرة العدد والعدة وليس لديه أي فكرة عن القتال ، وكان (نادر شاه) جديرا بالنصر الساحق الذي حققه على جيش (محمد شاه) .

ويصف لنا ميرزا مهدي خان المعركة في كلمات مختصرة فيقول :

(القصة منذ بدء الظهر حتى انقضاء مدة ست ساعات ، اشتعلت شعلة الحرب ونار الطعن والضرب ، واشتغل سيف وسنان الأبطال في الرعايد والأنال) .

وقد قتل في هذه المعركة وجرح العديد من قواد الجيش الهندي وعلى رأسهم (خان دوران) قائد الجيش ، و (سعادت خان) الذي أسر . هذا بجانب آلاف القتلى من الجنود ، وقد حصل (نادر شاه) على كثير من الغنائم والأسلاب التي تقدر بحوالى ثلثمائة مليون تومان (٥) .

حاول (محمد شاه) جمع فلول جيشه والاستعداد لجولة أخرى مع (نادر شاه) ، لكنه وجيشه فروا تحت جنح الليل بعد ما رأوا من قوة جيش (نادر شاه) ما سحقهم ، واضطر أن يرسل لـ (نادر شاه) طالبا التصالح .

أما عن خسائر جيش « الهند » فتقدر بحوالى مائة أمير وقائد وثلثين ألف جندي قتيل .

ورغم النصر الكبير الذي حققه (نادر شاه) في « الهند » ، إلا أنه كان يطمح جيدا أن يبقاه في « الهند » لمدة طويلة يعنى استنزاف قوته وريدا رويدا لذا قبل الصلح المعروض عليه من قبل (محمد شاه) ، وقد كان قبول هذا الصلح نظير سبعة ملايين روبية هندية .

تقدم (نادر شاه) الى « دهلي » منتصرا وفاتحا ، وأظهر (محمد شاه) قبولا وسلم له مفاتيح خزائن أجده ، وكان من بين الكنوز المحفوظة بالخزائن « تخت طاووس » ، وقد كان دخول (نادر شاه) « دهلي » يوم الجمعة التاسع من ذى الحجة عام ١١٥١ هـ ، وتنازل (محمد شاه) عن عرشه ، وخلع تاج العزة من على الرأس ، وقلده (نادر شاه) ، كما ذكر اسم (نادر شاه) في الخطبة وسكت العملة باسمه . في ذات يوم أثناء زيارة (نادر شاه) لـ (محمد شاه) في القصر الامبراطوري ، اشيع قتل (نادر شاه) ، مما دفع أهالي « الهند » للهجوم على الجنود الإيرانيين في كل مكان ، وقتلوا منهم بضعة آلاف ، وفي صباح اليوم التالي أمر (نادر شاه) جنوده أن يقتلوا كل من يقابلونه من الهنود . فد بدأ هذا القتل

(٥) قيمة الثلثمائة مليون تومان تساوي خمسين ألف روبية هندية (صنعتى زارده الكرماني ، نادر فاتح دهلي ، ص ٣٢٢)

منذ انصباح وحتى الظهر ونتيجة لهذا شاع الفقر والقحط في كافة أنحاء « دهلي » .

ولكى ينشأ جو من الود بين « إيران » و « الهند » فقد تزوج (نصر الله ميرزا) بإحدى أميرات مغولي « الهند » ، وكان ذلك في الثالث من صفر عام ١١٥٢ هـ / ١٢ مايو ١٣٣٩ م .

وفي محفل « دهلي » الكبير وضع (نادر شاه) التاج الهندي على مفروق (محمد شاه) وشكر له عطايه .

هذا ماخص موجز لحملة (نادر شاه) على « الهند » ، ومجمل لأهم الأحداث التي حدثت في أثناء تلك الحملة ، خاصة معركة « كرنال » وما ترتب عليها من نتائج أظهرت مدى قدرة (نادر شاه) العسكرية وفكره الحربي ، وكيف انتصر ومعه الفئة القليلة على (محمد شاه) ومعه العدد الكثير ؟

وبعد فأننا نجد أن (نادر شاه) أراد أن يضع نفسه في مصاف الفاتحين المشهورين في آسيا على وجه الخصوص وفي العالم على وجه العموم ، فقد سبقه الى فتح « الهند » في آسيا (جنكيز خان) و (تيمور لنك) ، ومن خارج آسيا (الاسكندر المقدوني) ، بينما (نادر شاه) لا يقل بأى حال من الأحوال من حيث الفكر العسكري الفذ والارادة الحديدية التي لا تعرف مستحيلا ، فانه دخل في معارك عديدة ، ومر من طرق وعرة وصعبة ، وتحت قيادته جنود إيرانيون وغير إيرانيين ، ورغم هذا كله فقد تمكن من تحقيق أحلامه وطموحاته ووصل الى « الهند » فاتحا غانما من خزائنها كنوز الأجداد وأهمها وأشهرها « تخت طاووس » (٦) الذي يحتوى على أشهر جوهرة في العالم « كوه نور » ، وبعد حصوله على تلك المغنم التي لا تقدر بأموال ، فكر - كقائد محنك - في أن قواته سوف تستنزف في « الهند » خاصة بعد المذبحة التي راح ضحيتها حوالي سبعة آلاف جندي إيراني وحتى لا يظهر نفسه على أنه معتد أثيم ، أعاد تنويع (محمد شاه) على عرش « الهند » ، وشكره على ما قدم له من هدايا ثمينة ، وعاد أدراجه الى « إيران » .

(٦) يعد « تخت طاووس » من أعظم وأنفس العروش على الإطلاق ، وهو عبارة عن عرش واسع بستة أرجل طويلة وأربع جوانب عريضة ، وهو مرصع باللآلئ والماس ويوجد أعلى العرش طاووس باسطة جناحيه ومغطى بالياقوت والأحجار الكريمة الملونة ، وكذلك الطاووس مصنوع من الذهب الخالص وموجود على صدره ماسة كبيرة من الياقوت وتزن خمسين قيراطا ، كما يوجد في كل طرف من طرفي الطاووس باقة ورد وهي عبارة عن وردة ذهبية . وقد بدأ تيمور لنك وأنهاه شاه جهان .

● الفصل الثانی

_____ میرزا مهدی خان الاسترا بادی
حیاتہ - انتاجہ

١ - حياته :

هو (نظام الدين محمد مهدي الحسيني) ابن ميرزا (محمد نصير) . من أهل « استراباد » . أما مولده ونشأته الأولى فغير معلومة لنا ، ويبدو أنه من الكتاب الإيرانيين الذين لا ينتمون إلى أسر عريقة ، وعلى الرغم من أن القسم الأول من حياته مجهول ، إلا أنه استطاع أن يصل إلى أعلى المناصب وارتبط بالعظماء والملوك ونال شهرة فائقة . وقد أخذ طريقه إلى البلاط الصفوي متولياً منصب رئيس القصور الملكية .

تناول الأستاذ (سهيلي خوانساري) (ميرزا مهدي خان) بالاجازات قائلا :

(كانت « أصفهان » عاصمة ودار علم ، وكان يفد عليها أهل الفضل ، والآدب من كل حذب لاستكمال دراستهم ، وقد وفد عليها من جملة دن وفد (محمد نصير) من « استراباد » وبصحبه ابنه (مهدي) ، الذي تمكن من اكتساب العلم والآدب ، وقد رأى (محمد نصير) في ابنه الموهبة والاستعداد ، وتنبا له بمستقبل مشرق ، إذا استطاع أن يتفوق على أقرانه في دراسة مقدمات العلوم) (١) .

ومن أرفع المناصب التي تقلدها (مهدي خان) التاريخ ل (نادر شاه) ، وتولى السفارة له حينما كان يطلب منه ذلك .

كما نجد (سيد علي حسن) يتحدث عن (ميرزا مهدي خان) فيقول :

(ميرزا مهدي خان) تولى ديوان الانشاء النادري ، ثم أصبح بعد جلوس (نادر شاه) على العرش مستشاره الخاص ، لحصافة رأيه ومتانة فكره وحسن طبعه ، وكان يجيد الكتابة شعرا ونثرا ، كتب وقائع عصر (نادر شاه) وأحدثه من خلال رؤية خاصة وذلك بأن :

(أ) صاغ وقائع كل عام بغاية السلاسة .

(ب) دون التاريخ النادري بأسلوب مقبول لدى الخاصة والعامة .

(ج) كتب « درة نادرة » التي تحرى فيها كمال المدة ولطافة الجناس) .

(١) مجلة توشة ، العدد الاول ص ٢٦ سنة ١٣٣٧ هـ ش .

كما أوردت (زهراى خانلرى كيا) هذه المعلومة عن (ميرزا مهدى خان) فقالت :

(ميرزا مهدى خان الاسترأبادى) . كاتب (نادر شاه) ، ورئيس كتاب عصره ، مكث فترة شبابه فى « أصفهان » ، عرف طريقه الى البلاط الصفوى ، ثم عزل أثناء هجوم « الأفغان » على « ايران » ، وفى عصر (نادر شاه) تمكن من الوصول الى بلاطه . ونظرا لحسن بيانه ، صار موضع عنايته وأصبح كاتبه الخاص ، فكان أن سجل أغلب معاهدات الصلح وأخبار الفتوحات التى قام بها (نادر شاه) وقد مكث (مهدى خان) ثمان عشرة سنة فى خدمته ، ثم اعتزل بعد مقتله وانشغل باتمام كتابه المعروف بـ « جهانكشاي نادري » ومن آثاره الأخرى « درة نادرة » ، منشآت ، وباني لغت) .

وهناك اختلاف كبير فى تاريخ وفاة (ميرزا مهدى خان) ، فالبعض يقول أن تاريخ وفاته يقع فى الفترة ما بين (١١٦٢ - ١١٦٦ هـ / ١٧٤٩ - ١٧٥٣ م) ، ومن هؤلاء (واله الداغستانى) ، ولكن الأستاذ (سهيل خوانسارى) يقول (عاش بقية عمره منعزلا وحيدا ، وكان شغله الشاغل مطالعة الكتب حتى الفترة ما بين (١١٧٥ - ١١٨٠ هـ / ١٧٦٢ - ١٧٦٧ م) ، ثم مات بعد ذلك) .

كما تذكر (زهراى خانلرى كيما) أن تاريخ وفاته ١١٨٠ هـ / ١٧٦٧ م .

على أى حال فانه من الواضح أن (ميرزا مهدى خان) توفى بعد عام ١١٧٣ هـ / ١٧٦٠ م ، حيث أنه أنهى تأليف كتابه « سنكلانخ » فى ذلك العام ، وعلى الرغم من أن (ميرزا مهدى خان) يذكر فى مقدمة « سنكلانخ » أنه بدأه فى عصر (نادر شاه) ، غير أنه يمكن القول بأنه قد بدأه فعلا فى عصر (نادر شاه) ، وأنهاء فى عام ١١٧٣ هـ / ١٧٦٠ م .

٢ - تخلصه بـ « كوكب » :

تضاربت آراء المؤرخين الايرانيين وتباينت حول تخلص (ميرزا مهدى خان) بـ « كوكب » فهناك من يؤكد تخلصه بهذا اللقب ، وهناك من يقول أنه يوجد (مهدى خان) آخر تخلص بنفس التخلص ، ولعل ما أورده (ميرزا مهدى خان) فى منشأته لهو خير دليل على أنه هو نفسه « كوكب » ، اذ أورده هذا المرسوم الصادر اليه .

(شاهد أحوال حسن حال (ميرزا مهدي خان) الملقب بـ « كوكب »
الذي كتب بيت الاخلاص بقلم الضمير ، وخلط أساس بنيان وجوده بماء
حسن الاعتقاد وطنيه ، ومن ثم عهد اليه بادارة جميع الحقائق والقصور
الملكية الموجودة في « أصفهان » جنة الأساس ، ومثال « ارم ذات العماد
التي لم يخلق مثلها في البلاد ») .

وهكذا نجد (ميرزا مهدي خان) يسجل المرسوم السلطاني بتوليته
منصب رئيس الحقائق والقصور الملكية في منشآتة التي كان يدون فيها
المراسيم والأوامر والرسائل التي صدرت أثناء حياته . ويؤكد (سيد علي
حسن) تخلص (ميرزا مهدي خان) بـ « كوكب » فيقول :

(« كوكب » تخلص (ميرزا مهدي خان المازندراني) الذي كان رئيسا
لديوان انشاء (نادر شاه) بطل « ايران » العظيم ، ومن آثاره « نادر نامه -
درة نادرة » أرسله (نادر شاه) بصحبة (مصطفى خان) كسفير إلى
« اسطنبول » ، وما أن وصل إلى « العراق » حتى عاد بعد أن وصلته أنباء
مقتل (نادر شاه) ، فأفل نجم « كوكب » ، وحاول عبثا السعي لكسب
قوت يومه) .

كما أن مؤلف « قاموس الأعلام » يتفق وما أورده (سيد علي حسن)
فيقول :

(« كوكب » من شعراء الفرس المخلصين (ميرزا مهدي خان
المازندراني) ، كاتب (نادر شاه) ، أرسله إلى « اسطنبول » للسفارة ،
ولدى وصوله إلى « بغداد » ، وصلته أنباء مقتل (نادر شاه) ، فانزوى في
منزله بـ « مازندران » ، ومن مؤلفاته « درة نادرة - نادر نامه ») .

وهكذا نجد أكثر من رأى يؤكد أن « كوكب » هو تخلص (ميرزا مهدي
خان) كاتب (نادر شاه) بينما يعتمد القائلون بأن « كوكب » ليس تخلص
كاتب (نادر شاه) ، على أن (سيد علي حسن) أورد ذكره مرتين ، الأولى
في حرف الكاف « كوكب » ، والثانية في حرف الميم (مهدي خان منشي) ،
وفي حرف الميم لم يذكر شيئا عن تخلصه بـ « كوكب » ، كما أنه يوجه
الأنظار إلى أن (ميرزا مهدي خان) لم يشر في أى من كتبه « درة نادرة »
أو تاريخ جهانكشاي نادري إلى تخلصه بـ « كوكب » أو « كوكبي » .

أه! إذا نظرنا في كتب المستشرقين فنجد « لوكهارت » يذكر اسم
(ميرزا مهدي خان) على أنه (ميرزا محمد مهدي كوكبي الاسترآبادي) ،
أى أنه يتفق في الرأى مع كل من (سيد علي حسن) و (شمس الدين
سماي) في تخلص (مهدي خان) بـ « كوكب » .

وهكذا يجد انه يمكن الاعتماد على كتاب « صبح كاشن » و « قاموس الأعلام » ، حيث أنه لا يوجد فيها أى خلط أو لبس ، بينما الخلط نجده فى مجلدات الذريعة ، حيث أن مؤلفها لم يكن موفقا فى استنتاجاته للأسباب الآتية :

(أ) لم يرد فى أى تذكرة من التذكرة أو كتاب من كتب التاريخ المى كتبت فى أواخر العصر الصفوى وخلال العصر الأفشارى حديث عن (مهدي) رئيس الحقائق الملكية أو (مهدي كوكب) .

(ب) جاء فى نص المرسوم الصادر لـ (مهدي خان) (شاهد أحوال حسن حال (ميرزا مهدي) الملقب بـ « كوكب » الذى كتب بيت الاخلاص بقلم الضمير) ، وهذا يوضح بأن (ميرزا مهدي) الملقب بـ « كوكب » كاتب فى المقام الأول ، ثم تولى منصب رئاسة الحقائق والتدوير الملكية وهو منصب شرفى .

(ج) الكتاب المعاصرون لـ (ميرزا مهدي خان) أو الذين جاءوا بعده كانوا يلقبونه فى كتبهم بـ « كوكب » ، ومنهم (سيد على حسن) مؤلف « صبح كاشن » حيث أنه كتب تحت « كوكب » . (تخلص (ميرزا مهدي المازندراني) ، الذى كان رئيس ديوان انشاء (نادر شاه) بطل « ايران » العظيم) .

وبناء على ما تقدم فانه لا يمكن أن نتخيل بأن هناك شخصين باسم (ميرزا مهدي خان) احدهما رئيس الحقائق والقصور الملكية الصفوية ، والآخر كاتب (نادر شاه) .

٣ - (ميرزا مهدي خان) رائد التاريخ الاسلامى :

لم يكن غرض (ميرزا مهدي خان) من كتابة « درة نادرة » هو التاريخ لـ (نادر شاه) انما كان يرمى وراء « درة نادرة » ابراز مكانته فى اللغتين العربية والفارسية، واطهار مهارته فى انشاء النثر الفنى والصنعة اللفظية، والبدعية كما أنه أراد أن يضيف جديدا للتاريخ بأن يبرهن عليه بالقرآن، قاصدا من ذلك عبرا أخلاقية .

ولعلنا نلاحظ ذلك من مطالعتنا للكتاب الذى لم يترك فيه (مهدي خان) موضعا الا وأورد فيه آية قرآنية توضحه وتفسره ، والرأى عندي أن (مهدي خان) نجح فيما فشل فيه أسلافنا من علماء المسلمين ، حيث أنهم اهتموا بالقرآن اهتماما تاريخيا دون محاولة لاستخلاص ما وراءه من قوانين وسمن كونية واجتماعية ، فكل قصة قرآنية هى فى الواقع تجربة

تاريخية تحتاج الى تفسير ، وربما يختلف تفسير كل قصة عن أخرى ، فتجتمع لدينا حصيلة من الدلالات والاشارات والسنن الاجتماعية تصلح - لو وقف وراءها عقل مسلم - لاستخلاص جوانب مفيدة للتفسير الاسلامي في التاريخ ، ولقد كانت هذه العقلية عقلية (مهدي خان) الذي درس القرآن دراسة متأنية ، واستخلص منه بعض الأحكام التي تصلح للمواقف التاريخية في « درة نادرة » . وفي حين أن (مهدي خان) جعل من « جهانكشاي نادري » سجلا للتاريخ الاسلامي الا أنه جعل من « درة نادرة » نفسيرا للتاريخ النادري ، ويتضح ذلك من النظرة الشمولية لـ (ميرزا مهدي خان) في « درة نادرة » ، حيث أنه يضع في اعتباره كافة العوامل والأنشطة وجوانب الحياة المساعدة على تفسير الواقعة التاريخية ، كما أنه يؤمن بالرصد الحضاري الشامل لكل العوامل الفعالة في الحركة التاريخية ، ولا يقتصر على التاريخ السياسي أو العسكري ، بل أنه يتناول جوانب أخرى اجتماعية وحضارية ونفسية ، وهذا ما أكدته (مهدي خان) في « درة نادرة » .

لم يكن (مهدي خان) في « درة نادرة » مجرد آلة تصوير تنقل ما تراه حرفيا ، بل انه صاغ التاريخ صياغة أدبية مستخدما في ذلك كافة المظاهر الطبيعية . كما نلاحظ أيضا من خلال دراستنا لـ « درة نادرة » أن (مهدي خان) مكتشف وليس مجرد مسجل أو موظف أرشيفي في دائرة التاريخ ، بل انه متأمل ومحلل للوقائع ومستنبط لبعض التسم المعاصرة للواقع وبعض الأنماط الاجتماعية والاقتصادية وغيرها .

ارتبط التاريخ الاسلامي بكل العلوم من أدب وسياسة واجتماع وفقه وجغرافيا ورحلات ، فكان بحق علم العلوم ، ويتضح ذلك من أسماء الكتب والشخصيات والعلوم والمعارف التي أوردها (مهدي خان) في « درة نادرة » .

كما أننا نجد أن القرآن الكريم قدم للعالمين مادة تاريخية هامة ، وأن تكن مجملة وتكتفي بالاشارة والملحة ونسمى بالقصص ، وبالرغم من أن الغرض منها الموعظة والاعتبار الا أن الرغبة في معرفة التفاصيل فتح بابا من أبواب المعرفة الدينية ، وهي النظرة الى الماضي كأساس فكري للعقيدة ، ومن هذا الباب دخل التاريخ كجزء من المعرفة الانسانية الموصلة الى فهم العقيدة .

كان القرآن صريحا في الاشارة الى بعض القوانين بما يوجهنها الى طريقنا المنشود وجاء الرسول (صاعم) فقدم الكثير من الأحاديث المتصلة

بالعملية الحضارية في الماضي والحاضر والمستقبل ، مما يضيف ذخرا
لأبعاد التفسير الاسلامي للتاريخ ، مثال ذلك .

(أراحت الشمس بال العذارى ، حيث أن شمس الحسن بدون
زوالهم شعاع « ما لكم من زوال ») .

(كان يتصور مثل عرف البلاء في سيف الجنود المنتصرين المرصع
بمفاد « اذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه ») .

(وألقوا على قلوب المخالفين رعبا « ان زلزلة الساعة شيء عظيم »
بإعلان الغضب والقهر) .

(لكن أثناء ذلك الحال ظهرت أعمال مبنية على النفاق ومنبهة عن
الشقاق ، وأعطوا بيده في الحضرة الملكية أن « اقرأ كتابك ») .

(عندما لم يتمكن من انكار ذلك العمل انكشف مصداق « ولو ترى
اذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم » طأطا رأسه خجلا) .

(وانهى شدة البلاء الى حد يمكن معه أن يمثل بشأن أهل المدينة
بمثل « طارت بهم العنقاء » « كما تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام
كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين » وبيوت حاوية آثار « خاوية على
عروشها ») .

وهكذا نجد مما تقدم من أمثلة عديدة كيف كان (مهدي خان)
يستخرج من القرآن الكريم الآية الملائمة للموقف التاريخي الذي يتحدث
عنه أمهانا في اظهار ما يريد أن يقوله وتوضيحا للمفهوم المراد توصيله
لذهن القارئ .

اذا تعرفنا على العرض التاريخي نجد أن شروطه ومقدرة المؤرخ على
حسن التعبير باللغة التي يكتب بها ، فعليه أن يعرف كيف يختار الالفاظ
والأساليب التي تعبر عن غرضه ! ولعلنا نجد كيف أن (مهدي خان) قد
وفق في ذلك توفيقا كبيرا ، بل أنه تعدى لغته الأصلية وأجاد التعبير باللغة
العربية مؤكدا تملكه لنا صيتي اللغتين الفارسية والعربية ، بل ومقدرته
الغذة في فهم معانيهما الحقيقية والمجازية ، مثال ذلك .

(رفع العقاب بعقابه العقافة ، واشعلت زبانا شمعة على بيدر حظه ،
أبد الأبدن وعوض العائضين ودهر الداهرين) .

(وعام كل منجم أنها « خرقاء ذات نيقه ») .

(ملك صور الحور الذى كان يسلب فى العشق الروح من الانس والجن من الملاك ، أخذوا فى ظلمة الليل مع الشياطين خلق الجن طبيعة البشر) •

كما أنه ضمن كتاباته أمثالا وأبياتا شعرية عربية وفارسية • مثال ذلك :

(لووا لبلاب عشق غلاء العلامة مغلق فم المعشوق ، ولبلاب شوق المجاورة والمحاورة للمطربة الفاتنة « فحب الغواني كسير السواني » (٢) هكذا على القلب والجسد) •

(نار من ظلم الأعداء «أصم الله صداهم» بدلا من تسجاع الفواخت) •
(قال غراب البين للاقحوان متأوها بلحن صوت العنقاء :

يظل غرابها خديم شنداه شج بخسومة الذئب الشنون وجعل أساس لسان العالم الندب والعيول • وأنشد هذا البيت •

لئن كسفونى بلا علة وفازت قداهم بالظفر فقد يكسف المرة من دونه كما يكسف الشمس جرم القمر) •

وقد جمع فى فقرة واحدة بين الآية القرآنية والشعر العربى والمثل العربى ، مثال ذلك (جعلوا ندى شجرة المملكة شجر ، وتجنبوا بالهمة حماية الملك ، « ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون » •

إذا كان رب البيت بالطبل ضاربا فلم تلم الصبيان فيه على الرقص « فالحق والحق أقول » من ركب الخيول السريعة وكأس الشراب والمداومة على التبذير ومنادمة الحسنات) •

ويعتقد البعض أن (مهدى خان) قد استخرج مفردات الكلمات من القواهيس ثم استخدمها فى كتاباته ، فلو أن مهارة (مهدى خان) تقتصر على استخدام كلمات غير مألوفة فإن هذا ليس بمشكل ، ولكن الكلمات التى وردت فى « درة نادرة » صعبة من ناحية وقليلة الاستخدام من ناحية

(٢) قال بعض المحدثين :

فحب الغواني كسير السواني

أقلا من اللوم يا عاذلاتى

وهو مثل يضرب فيما يدوم ولا يكاد ينقص • أبو منصور الثعالبي ، ثمار القلوب ،

ص ٣٥٥ •

أخرى ، كما أنها لا تخلو من الصناعات اللفظية من جناس (٣) وتضاد (٤) وتضمنين (٥) ومراعاة النظير (٦) .

ولكننا نذهب الى أن هذا الرأي يخلو من انصحة . فمن الصعوبة يمكن أن يجمع أديب - كان من كان - القواميس ثم ينتقى منها الكلمات الصعبة والغريبة ، ثم يضعها متجاوزة متراسة في مؤلفه لتؤدى مفهوما أو مضمونا ، وأنا يكون له ذلك ومتن « درة نادرة » كبير يؤدى مفهوما ومعنى واحدا ! فلو لم يكن (مهدي خان) يمتلك القريحة الغضة والذاكرة المختزنة للأحداث ، لما تمكن من كتابة مؤلفاته بصفة عامة و « درة نادرة » بصفة خاصة !! ورغم أن هناك من يقول أن بعض المؤرخين يعتمدون اختيار الألفاظ الصعبة والأساليب المعقدة لايهام القارئ بالمقدرة وعمق التفكير . وهذا الأمر مخل بأسلوب العرض التاريخي وأنه يجب على المؤرخ أن تكون لديه ملكة الكتابة التي يجمع فيها بين البساطة والدقة وروح الفن لكن يعرض الحقائق والحوادث كما كانت أو كما فهمها (٧) .

وإذا ناقشنا الرأي السابق نقول أن (مهدي خان) كان بالفعل يعتمد الى ما يشير اليه الرأي السابق أما بالنسبة لاختلاله بالعرض التاريخي فنقول أن التاريخ لم يكن غرض (مهدي خان) الأساسي ، وإنما غرضه الأساسي اظهار قدراته اللغوية ، وقد ساعده على ذلك ملكته نى الكتابة . كما أننا نجد (مهدي خان) أديب الأسلوب المتميز الجيد الذى جعله يخرج كتاباته بهذه الصورة من حيث حسن البيان وبراعة الأسلوب ودقة المعاني وإن كانت غريبة . ويرى بعض المؤرخين أن التدوين التاريخي كله

(٣) الجناس هو تشابه اللفظين فى النطق لا فى المعنى ويكون ثاما وغير تام .
عمر الرادويانى ، ترجمان البلاغة ، ص ١١ .

(٤) الجناس التام : هو ما اتفقت حروفه فى الهيئة والنوع والعدد والترتيب مثل .
علم - علم ، جمال - جمال . المرجع السابق ص ١٣ .

(ب) الجناس الناقص . ما اختلف فى أحد الأشكال الأربع السابقة . مثل بعير - بعيد ،
حديد - جديد . المرجع السابق ص ١٤ .

(٤) التضاد : الجمع بين كلمة وضدها ، مثل الليل والنهار ، الشروق والغروب .
المرجع السابق ص ٣١ .

(٥) التضمنين أن تضمن النثر شيئا من الشعر يوضحه . المرجع السابق ص ١٠٣ .

(٦) أن يجمع المتكلم فى حديثه بين أشياء متناظرة مثل الشمس والقمر البحر والسفينة .
المرجع السابق ص ٧٥ .

(٧) د . حسن عثمان . منهج البحث التاريخي ، ص ١٩٧ ، ١٩٨ . القاهرة سنة . ١٩٨٤ .

نتاج للكتابة النثرية الأدبية ، وتظهر مهارة (مهدي خان) أيضا في الصنعة اللقظية مثال ذلك :

(أ) جناس : (ببلاطه العالى عظماء) جمشيد (الشوكة جميعهم مثل الجماجم) .

(سياسى سياسته حديث يوم القيامة عن المطيعين) .

(فى ميدان حربه من فرط الدهشة طرأ على « سام » مرض صدرى وورم فى الرأس) .

(من الطرق المذكورة لم يستطع الوصول بشئ الطرق لفضائل صفاته) .

(ترك من فيض رحمته دايات الندى بلا عائق) .

(جمال خمائل أشجار السرو من لطف عقد النؤلؤ وأعلام الأغصان الملونة) .

(ومسرة عظيمة لا توصف ، ولذة دائمة وبلا حدود ، وعمر خالى من النقصان ، وحياة بلا هموم) .

كما أكثر (ميرزا مهدي خان) فى « درة نادرة » من التضمين ، مثال ذلك :

(سلك صديقه الظريف قلم آكواب الرجيق من زجاجة كتلب على محتسب شراب التحقيق)

لم تر عيني كاتبيا مثله لكل شيء شفاء وشفاء
يبدع فى الحظ وفى غيره بسبحه الانشاء بن شفاء .

(بدأ كأس التزيين المزخرف والطريقة شريفة المفعول عبادة الزينة فى العقل الخاطف والمسرور بالعقل للتعقل ، صنع الشراب الخالص والميسك المسحوق :

— فاجت رائحة الروح العطرة من تلك الأوراق العنبرية .

— ان كل قطرة كانت أقوى من المسك) .

(وكتبت الأرض للورق « ماشيا على رأسه » ، وكتب ملك الأفق ونادر الآفاق :

— من خوف ضرب سهم قوس كمال ذى القرنين

— يذهب كل ليلة فى أى مغرب الشمس مقلوبة •
(دخانك الأسود من دخان شعلة جبل الطور ، وجبرك المسكى اللون
سلسلة ذوبة الحور •

كانك من كل النفوس مركب وأنت الى كل القلوب حبيب
كما أكثر من ايراد الطباق • مثال ذلك :

- (الفضاة البيضاء تنفع فى اليوم الأسود) •
- (النعمة المصانة من النعمة) •
- (فرح بلا غم ، وفرح بلا ضيق) •
- (الحمد والشكر بكرة وأصيلا) •

وأكثر أيضا من الاقتباس من القرآن الكريم • مثال ذلك :
« لثلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل » يعنى ذلك المبعوث
على النساء والرجال •

(سحب قلم الكتابة على خطوط كتب الاشراف ، وسطور رسائل
الأفاضل ، ظهر لأهل الدنيا من هذا التأليف المتين « وفى نسختها هدى
ورحمة » « بلسان عربى مبين » ، برهان دعوة « انى عبد الله آتانى
الكتاب ») •

وأحيانا ما كان (ميرزا مهدى خان) يورد الجمل التى تحتوى على
الفاظ ثقيلة وركيكة من أجل الصنعة اللفظية ، مثال ذلك :

(يكون جيبه الملى بعيوب ضميره وعاء الاينسون والقرفة والبسباس،
وحلاوة أمر أعماله شراب شرب الرياء لكل الناس) •

ولعلنا من خلال تصفحنا لـ « درة نادرة » نجد أن الأدب وثيق الصلة
بالتاريخ فهو مرآة العصر ، وهو تعبير عن أفكار الانسان وعواطفه ، وهو
يفصح عن دخائل النفس البشرية ويصور أحلامها وأمانيتها ، ويرسم نواحي
مختلفة من حياتها الواقعية سواء أكانت أفرادا أم جماعات ، ومن حياة
المدينة أو الريف ، بل ومن النظم الاجتماعية والحالة الاقتصادية ، وكل
ما يقع تحت حس الانسان ويدخل فى نطاق ادراكه وتصوره •

من أهم آثار (ميرزا مهدى خان) التى أظهر فيها ابداعه الفنى :

- ١ — درة نادرة : وهو موضوع بحثنا •

- ٢ - تاريخ (نادر شاه) والمعروف بـ « تاريخ جهانكشاي نادري » وهو كتاب سجل فيه الفتوحات التي قام بها ، ووقائع دقيقة حدثت في عصر (نادر شاه) .
 - ٣ - كتاب « سنكلانج » وهو كتاب في أصول اللغة التركية الشمالية الجغتائية .
 - ٤ - « مباني لغت » وهو في قواعد اللغة التركية .
 - ٥ - كتاب مجمع المنشآت من دوائر الوزارات ، وهو كتاب يشتمل على الأوامر والمراسيم والمعاهدات والفتوحات ورسائل الصداقة التي تمت في عهد (نادر شاه) .
- كما ترك (ميرزا مهدي خان) مكتبة قيمة لأولاده وأحفاده ، ولكنهم أضاعوا معظم كتبها وكان آخر أحفاده محمد علي تربيت ابن المرحوم ميرزا صادق ابن ميرزا جواد ابن ميرزا علي أكبر ابن ميرزا مهدي خان .

● الفصل الثالث ●

درة نـبـادوة _____
دراسة نقدية تحليلية

- ١ -

دراسة حول « درة نادرة »

إذا نظرنا الى « درة نادرة » فاننا سنجد لها من أصعب النصوص وأكثرها تكلفاً في النثر الفنى الفارسى ، فقد كان غرض المؤلف الأساسى أبراز قدرته على انشاء النثر الفنى ، أما كتابة التاريخ فانها تأتى عنده فى المرتبة الثانية .

وعلى الرغم من مرور أكثر من قرنين على تأليف « درة نادرة » ، إلا أنها مرت بمراحل عديدة ومتباينة ، فتارة يهتم بها الأدباء والكتاب ، وتارة أخرى يعرضون عنها ، ويجعلونها قبلتهم تارة ثالثة ، والمؤلف فى المراحل الثلاث تتأرجح مكانته ، فحينما يكون هدفاً لطعن المثقفين وتجريحهم ، وحينما آخر يكون أضحوكة للمعلمين وموضعا لنقد الأساتذة ولومهم .

وكان المعلمون يستخدمون كلماته لتزويد مفرداتهم اللغوية ، كما ضمنوا كتبهم ومؤلفاتهم فقرات منها ، لكن لم يكن يمضى وقت طويل حتى يدعون أن نفس الفقرات والجمل المنقولة عن « درة نادرة » ترهات واسهابات بلا فائدة .

ولعلنا نلاحظ أن المؤلف قد قصده من إطالة الجمل فى الحديث عن موضوع واحد اثبات تمكنه من ناصية اللغة الفارسية ، وخاصة أنه كان يورد ألفاظ صعبة وكلمات غريبة مستهجنة ، وعلى الرغم من ذلك نجد أن « درة نادرة » كتبت بأسلوب لائق ومتميز اعتمد مؤلفه على براعته اللغوية ، وتمكنه من اللغتين الفارسية والعربية وحسن بيانه ولو لم تكن « درة نادرة » موضع اهتمام الكتاب والأدباء ، ما ظلت طيلة قرنين تخط وتطبع عدة مرات ، خاصة فى هذا العصر الذى اختلف فيه أسلوب التعليم من ناحية ، وتخلص النثر الفارسى من قيد الكلمات العربية المهجورة الصنعات اللفظية من ناحية أخرى .

وقد تحدث (تقى بهار) عن أسلوب (ميرزا مهدى خان) ، وذكر « درة نادرة » ضمن مؤلفات (مهدى خان) المعقدة والمتكلفة وغير المشوقة ، وفى رأيه أنها مجرد تقليد بحت لاسلوب نثر (الجوينى) و (و صاف

الحضرة) الصعب والتركيب ، بل كان يمكنه أن يأخذ أربعة أو خمسة نماذج من تاريخ (وصاف) كأمثلة يكتفى بها لإظهار الصعوبة والتكلف ، ويتضح هذا الأسلوب في الكتاب المعروف بـ « درة نادرة » وبعض مؤلفات (ميرزا مهدى خان) الأخرى (٨) .

وهكذا نجد (تقى بهار) يوضح « درة نادرة » في أعداد المؤلفات المعقدة الصعبة في أسلوبها ، والتي تعتمد في تقليدها على الأسلوب القديم المأخوذ عن تاريخ (وصاف) ونثر (الجويني) و (درزيان نامه) .

ولعل أهم ما يلاحظ من خلال تصحيف أوراق « درة نادرة » أن مؤلفها صاحب معرفة عامة وثقافة تامة فهو عالم يتبحر في مختلف العلوم والفنون ، وما هو يظهر درايته بعلم النبات فيقول :

(في تراب أرض السعادة ، صبت الرياح الماء على نار القلوب ، وخلط نسيم السحر رائحة الروح والريحان بأنف أهل الدنيا ، لم يتمكن الورد من الانبساط في القميص ، لم يلتئم فيه البرعم من الضحك ، ولم تنم عين النرجس من السعادة ، وفرش الورد المخمل في أرضية البستان ، وجلس الزنبق مزدهرا ، واتكا البنفسج من الدلال على الساعد ، ونزع الياسمين اليأس من القلب ، ونام الورد من الدلال على الغصن ، وقص السوسن قصة بجائفة لغة ، وتفتحت البراعم وردة وردة ، وكان الندى يثقب الدر لعقد وجه الورد ، وكانت حشائش حسن يوسف مثل حسن يوسف العزيز ، وزلف العروسين مثل ذوائب العرائس المحبوبات ، فقد الصنوبر القلب ، ووقفت شجرة الحرية بذلة ، كان العرعر والشمشاد تطف الحفل الخاص ، نهض السرور بأصول عزف الفاخنة الرقاص الجتار للرقص ، وزين الصفصاف نفسه بطرة معطرة مثل مجنون ليلي ، كان الورد الأحمر يشعل النار ، وكان الزهر يظهر الحمرة من سواد الفحم ، هبت رياح الصبا ونقلت النسيم بين البراعم وكانت تقطف القوة النامية من وريقة غصن النبات في البستان ، وكان شجر الورد يعتبر من أوراق السمندر ، وأنضج العبر النرجس) .

وهكذا نجد أن (ميرزا مهدى خان) كان متمكنا في عالم الزهور والنباتات ، وبالمثل كان خبيرا بخصائص الأعشاب الطبية ، ودليل ذلك :

(يشرح بالقلم السائر على مفاصل العظام والدمامل والجدرى ، وكتب للمضلات والمفاصل قوائم معقدة ومفصلة والطف من ماء المفاصل وأعذب من نهر السلاسل) ، حمل بالغريزة الغريزة الحسنة من جسم

الحصباء ، والصفراء من وجه القمر وزال بحسن التحديق والتحديق الحمى
المطلقة من طبيعة الشمس والدوران من قمة الفلك الدائر ورفع المرض
الصفراوى ارتفاع درجة الحرارة وعلاجها بـ « السقمونيا » ، ورفع صداع
الشمس للمشفق بقرص تبشير الصبح صباحا ، يراعى مهارة الطب فى
أهاليج آماه ، وحطم من دقة الصنعة شدة الضغط وعلة البرد فى شهر
« دى » بالبهمن ، أنبت بحصافة العقل من بذرة الحرفة حب الواواق وفتح
بالعقل المحكم من بذرة البنج رقيب الشمس .

نهض بنكهة روحه المعطاءة من الأرض البور بدلا من تفتح نبات حى
العالم ، وقام حافظ الأجساد من التراب الهالك بأنفاس قابض الأرواح ،
تلم منه الجسد الذى بلا روح يبروح الصنم حبا كثيرا ، قبل ثمر الفهم
بلا لؤلؤ لزيئة من حلية حسن تدبيره ، وجعل بقلة الباردة من خلاصة علم
العقل ، ومنح لحية التيس رونق زلائف الملوك ، وتجملت شبيبة العجوز
بالقراط وزلائف الملوك ، وتزينت العروس فى الهودجة واللعبة البربرية
بشعر مجعد هو أصل الشعر المفاقل ، وجعل شعر الملائكة بالمقدرة الطبية
شجرة رستم ، وفتح كف آدم من نفس المسيح قبضة مريم لطالب الخبز
من خبز الأفحوان دكان الخباز مدحته السنة العصافير بشمان أفواه .

وهكذا نجد (مهدى خان) يعدد الأعشاب الطبية المستخدمة فى كافة
الأمراض والعلل والأسقام ، وكأنه خبير وطلع اطلاعا كاملا على هذا العلم .
كما أنه على علم تام بالطيور وأنواعها وفصائلها ونغماتها ، مثال
ذلك :

(كان صوت كل بطة عود جميل النغمات ، وكان لحن كل طائر
صوت عنقائى سار ، وكان الحبار السعيد ديك فى الصباح وديك برى
البنمة ، وصوت الوثر فى الثورة صوت غراب كل قول نغمة الزاغ ، كان
آنين جكاوك مثير ساحة حديقة تسجاع البلابل مزيل للهموم ، وكان صوت
العنادل يمحى الأشجان ، وكانت شعلة صوت نغمات عود القمارى تشعل
النار بروح عود قمارى ، كان صوت مينا يثير الضوضاء الفلك البللورى ،
وكانت البومة تظهر بلباس الهما من فرط السعادة ، ومن اقبال سعادة
الهما لقميص السعيد سعادة فى الصدر ، انكأت عروسك مثل العرائس
التتاريات على الوسادة الريش ، وأظهر الكروان بصيحة لك الحمد راحة
كبيرة ، كان الكبك يغنى على الفلك باللغة الدربة ، وكان الهدهد يقذف
بقبعة النشاط فى الهواء ، جعل جبل قباء حجر صلب فى الصدر) .

كما أنه فصل الحديث عن بعض النغمات والألحان الموسيقية ، مثال
ذلك :

(ربط الطوق على الوسط بكمال العظمة والجلال ، كان يلعب بالسيف وارتدى النبع لباس الموج المائي الذي كان يعزف أبشار رود ، كان ينشد ما وراء النهر ، وكان في أركان الدنيا الأربع قانون خرم ورفع في الجهات الخمس في الجهات الست سبع أقاليم أرغنون السرور العالى الصوت من كمال الغناء ، كل فقير في قلعة تبديل نغمة شادروان مرواريد ، وأعطى من قمة نواهر العجز في عرش خسرو پرويز العالم نغمة آيين جمشيدى والنغمة الخسروائية ، نغمة رهاوى تخلص عشر قلوب من نقرات الغم ومن ارتفاع الفرح نغمة شام حجاز وعراق نوروز العرب والعجم مخالفتين غير متآلفتين في الظاهر والباطن مغلوب آئين الليل وتأوه السحر وخارج ألحان مقام راستى الباكين في دائرة الحيرة المحيرة الصغيرة والكبيرة صفاهان وتاجيك وترك لنيشابور بيتا ونهارا من فرخ روزى على شهناز وفراغ عقول الرأس الصلبة مثل الطنبور ضرب بأطراف الحسرة مخلب في صدر المحنة عازف القمة والقاع نغمات أسفل وأعلى ، ووصل مخلب النشاط الحجاب في حزن كوشة أهالى فيلى ونهاوند مثل العشاق ، موسيقار نغمة السرور وزنكومه بندان زابل وتبريز من دولة كبراي شاه خسروان المقام رفيق البهجة والسرور ، من شور السماع سامعه في برج الاذن الواسع بالسمع والوجد وحدى سامعى منشئى الحب ، مرقص قلوب ليل وشان بسنتة نكار وادى حجاز ونجد) .

وإذا نظرنا في ثنايا المخطوط نجد كم كان (مهدي خان) صاحب ثقافة أدبية وشعرية واسعة ، ويظهر هذا من خلال ذكره للبحور والأوزان الشعرية .

(وأركان بيت ذو قافيتين وجود مع جود جودته ، في فن بديع الابداع يتكون بحسن التناسب ونسيج نساج القدر ثوب عاداته المزركش ، والثوب ذاته المزركش بلا شوائب الالتباس بصنعة نسيج الخيمة الملونة وتزينها بالحرير وزخرفة الثياب وحمل الأحمال على الأعناق بنسيج المحسنات الذاتية واللطائف العرضية ، ألبس القامة الموزونة رقعة النظم الجميل والثوب الرقيق اللطيف ، وروى عطش شفاء الكلام من معانى ساقى ماء المعين) .

(وصارت نهاية غزليات أحواله من المطلع الى المقطع من الاختلال وصعد توالى مصائب الدهر وأصبحت القافية وتشدها توارد وساوس المداخلة وبقوافى غموم المتكاسوس والمتراكب وأسجاع هموم المتدراك والمتراصف المقفى والمردف ، وصار بكثرتة دخيل نار المحن ومقيد بقيده نوائب الدهر ، ونثر منظومات وسائل معيشته من استدراك التنافر

والتناقص واتباع التغيير والتناقض ، وجاء من سبب الوتر المقطوع والمهجور ، ويرى تسهيل وتكميل لأمره تحت طباق الفلك المضيء ، والسماح المليئة بالنجوم ، نموذج السهل والممتنع ، كانت قصائده مقاصده لتسوء حظ الترجيع وبأعناق الكروب المستزادة ، يختارون مثل الروى ركن بيت العزلة ، وينتج تركيب بلا انتظام حاله من الصدر حتى العروض موصولة بالهم ومذيلة بالغم ، ومنذ ابتداء الحياة حتى نهاية الأجل من جمع مع تفريق من جمع الأذى وتفريق السعادة)

ويعد (ميرزا مهدي خان) موسوعة تاريخية ، حيث أورد أسماء بعض أبطال « إيران » المشاهير ، كما أورد بعض الأبطال التورانيين ، وذلك بجانب ذكره للأحداث التاريخية العامة ، ويتضح ذلك مما سنورده :

(ارتقى (كيومرث) (١) الشأن الذى صيت غدله وانصافه من صوت شهرة البيشداديين (٢) ، و (كيقباد) (٣) المكانة التى قبة خيمة جلالة ختم على قلب الكيان ، واعتبروا (فرخ زاد) (٤) الملك (الساساني) (٥) قانون ساسان فى بلاط الفلك ، و (نرسي) (٦) الشوكة الذى لقبه الاشكانيون (٧) أشكانيا لنشره الدمع لعدم امكانية الوصول لخدمته ، و (أردشير) (٨) القدرة الذى كان الأسد المفترس أمام مهابته أقل من

(١) يدعى الايرانيون القدامى انه آدم أبو البشر ، بينما يعتبره المؤرخون مؤسس الأسرة البيشدادية . (محمد خاوند شاه ، روضة الصفا ، مج ١ ، ص ١٤٩)
(٢) أول أسرة حكمت إيران فى العصر الاسطوري ، مؤسسها كيومرث ، ومعنى ييش داد العادل الأول . المرجع السابق ، مج ١ ، ص ١٤٩ .
(٣) أول ملك كيانى ومؤسس الأسرة الكيانية التى حكمت بعد البيشدادية ، (محمد خاوند شاه ، روضة الصفا ، مج ١ ، ص ١٧٠)
(٤) فرخ زاد بن خسرو ، من الأسرة الساسانية ، تولى حكم إيران بعد مقتل كسرى نوشيروان ، (المرجع السابق ، مج ١ ، ص ٢٤١)
(٥) سميت بالدولة الساسانية نسبة الى ساسان بن بهمن بن لسفنديار البيشدادى ، ويعد أردشير بن بابك مؤسس الأسرة الساسانية بعد قضائه على الاشكانيين . (المرجع السابق ، مج ١ ، ص ٢٢٠)
(٦) هو نرسي بن بيزن من الأسرة الاشكانية ، تمكن من دفع اليونانيين عن إيران وحكم مدة احدى عشر عام . (المرجع السابق ، مج ١ ، ص ٢٢٠)
(٧) هم ملوك الطوائف ، كانوا قواد فى جيش الاسكندر المقدونى ، وولى كل قائد من قواده على ولاية من الولايات الايرانية ، وظلوا يحكمونها حتى ظهر أردشير . (المرجع السابق ، مج ١ ، ص ٢١٨)
(٨) مؤسس الدولة الساسانية بعد قضائه على الاشكانيين (المرجع السابق ، مج ١ ،

الشمس ، حسن تفكير (بهمن) (٩) المقام الذي جاء لمطاردة أسد تهوره فهد .
أعمى فمال للعرج ، (اسكندر) (١٠) الملك الضعيف حانة أحسانه والملوك
المنتصرين حجاب تراب الغربال ، بلاط (برويز) (١١) شأنه يصبح من
لطف سكتة بأنه كل من يعانده الحظ (افراسياب) (١٢) الشأن ، وفي
بحر سطوته الهائل يشابه كأس رأس (اسكندر) (١٣) عرش (افراسياب)
مالك الرأي زينة العالم كثيرة الزينة والتاج والعرش أمامه لون وعقل ،
(فريدون) (١٤) الحقيق و (هوشنك) (١٥) الضعيف في ساحة واحدة
من العظمة والسمو مع (تهمتن) (١٦) جسد واحد ، وفي ميدان حربه
(اسفنديار) (١٧) معزول من الشجاعة ببلاطه العالي .

أن الملك (كيومرث) الشأن ، (افراسياب) القدر ، (جمشيد) (١٨)
العزم ، قارن المقترب بالاسكندر ، (دارا) (١٩) الرأي ، (بهرام) (٢٠)
المجلس ، الجنود قساسة القلوب ، (كستهم) (٢١) الشجاع البطول ،

-
- (٩) ابن اسفنديار البيشداي ، وقد لقب بذات اليد الطويلة حيث تمكن من الاستيلاء
على اقاليم الدنيا السبع . (المرجع السابق ، مج ١ ، ص ١٨٧) .
(١٠) ابن دارا وكان حاكما لآيران فترة من الزمان في العصر الساساني . (محمد
حسين خلف التبريزي ، برهان قاطع ، ص ٧٩) .
(١١) خسرو برويز أحد الملوك الساسانيين ، تولى العرش بعد هزيمة بهرام جوبين .
(محمد خاوند شاه ، روضة الصفا ، مج ١ ، ص ٢٢٩) .
(١٢) من أصل توراني ، تمكن من الاستيلاء على إيران بعد مقتل ملكها منوجهر .
(المرجع السابق ، مج ١ ، ص ١٦٩) .
(١٣) هو الاسكندر المقدوني ، فاتح يوناني تمكن من الوصول حتى بلاد الهند .
والصين . (محمد حسين خلف التبريزي ، برهان قاطع ، ص ٧٩) .
(١٤) ابن اتقيان بن جمشيد من حفدة كيومرث ، من الحكام البيشدايين الأوائل .
(محمد خاوند شاه ، روضة الصفا ، مج ١ ، ص ٢١٠) .
(١٥) ابن سيامك بن كيومرث ، تولى الحكم بعد جده نظرا لوقاة والده . (المرجع
السابق ، مج ١ ، ص ١٥١) .
(١٦) لقب رستم بطل إيران العظيم (زهراي خانلري كيا ، فرهنگ ادبيات فارسي ،
ص ١٤٨) .
(١٧) ابن كشتاسب ، ملك كياني ، حكم خلال حياة رستم زال . (محمد خاوند شاه ،
روضة الصفا ، مج ١ ، ص ١٨٧) .
(١٨) يتكون اسمه من مقطعين جم بمعنى كأس ، شيد بمعنى ضوء الشمس ، وقد
حكم إيران بعد والده هوشنك . (محمد خاوند شاه ، روضة الصفا ، مج ١ ، ص ١٥٥) .
(١٩) دارا بن بهمن بن اسفنديار ، تمكن من هزيمة فيلقوس قيصر الروم . (المرجع
السابق ، مج ١ ، ص ١٩٠) .
(٢٠) ملك إيراني بن يزد جرد الاثيم ، حكم مدة ٤ أعوام . (محمد حسين بن
خلف التبريزي ، برهان قاطع ، مج ١ ، ص ١٩٣) .
(٢١) ابن نوذر بن منوجهر ، واسم بطل إيراني . (المرجع السابق ، مج ٢ ، ص ٢٢٧) .

(سام) (٢٢) الحسام ، (رستم) (٢٣) الرسم ، (بولاذ) (٢٤) الضرب ،
والبطل (يلان) (٢٥) الصولة ، (بلانشان) البأس شببيه (كشواد (٢٦)
والبطل (كاموس) (٢٧) معدن قوس (الوا) (٢٨) مثل لواء (قلوأش)
والمقاتل ، (جوياء) (٢٩) العراق ، (جنكش) (٣٠) المخلب ، (بندوى)
القيد ، بطل صنع (كرد كير) (٣١) الأسر ، (فوشيد) (٣٢) العظمة ،
مثل (هومان) (٣٣) حنين وصف المهزومين ، (يشنك) (٣٤) الشان ،
(اشكيوس) (٣٥) القهر ، (كركين) (٣٦) الانتقام .

(٢٢) هو سام بن نريمان جد رستم بن زال بطل ايران . (زهراى خانلري ،
فرهنگ ادبيات ، ص ١٤٨)
(٢٣) بطل من أبطال ايران القدامى . (محمد خاوند شاه ، روضة الشفا ، مج ١ ،
ص ١٨٢)
(٢٤) اسم بطل ايراني . (محمد حسين بن خلف التبريزي . برهان قاطع ، مج ١ ،
ص ٢٤٤)
(٢٥) محارب توراني قتل على يد بيزن بن كيو . (المرجع السابق ، ج ٢ ،
ص ٥١٩)
(٢٦) احد أبطال ايران العظام ، عاش في العصر الكياني . (محمد خاوند شاه ،
روضة الصفا ، مج ١ ، ص ١٧٦)
(٢٧) مبارز كاشاني ، واسم ملك السنجاب ، واسم قصير الروم حضر لمعاونة افراسياب
ضد رستم فقتل على يده . (محمد حسين بن خلف التبريزي ، برهان قاطع ج ٢ ،
ص ٢٣١)
(٢٨) اسم الشخص الذي يحرس حربة رستم نستان . (المرجع السابق ، ج ١ ،
ص ٩٦)
(٢٩) اسم بطل توراني ، قتل على يد رستم ، محمد باد شاه ، فرهنگ آنتدراج ،
مج ١ ، ص ٨٥١ .
(٣٠) اسم محارب توراني جاء لمعاونة افراسياب فقتل على يد رستم . (محمد
حسين بن خلف التبريزي ، برهان قاطع ، ج ١ ، ص ٣١٦)
(٣١) ابن افراسياب التوراني . (المرجع السابق ج ٢ ، ص ٣١٦)
(٣٢) اسم شقيق بيران ويسه البطل التوراني . (المرجع السابق ، ج ٢ ،
ص ١٨١)
(٣٣) اسم شقيق بيران ويسه وقد قتل في معركة كنايد على يد بيزن بن كيو .
المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٥٠٨ .
(٣٤) والد افراسياب واسم محارب ايراني . (المرجع السابق ، ص ٢٣٤)
(٣٥) اسم بطل توراني ، انضم لافراسياب لمعاونته ضد رستم ولكنه قتل على يده .
(محمد غياث الدين ، غياث اللغات ، ص ٤٠)
(٣٦) بطل ايراني . (محمد حسين بن خلف التبريزي . برهان قاطع ، ج ٢ ،
ص ٣٢٠)

والبطل (شيروى) (٣٧) الرأى ، (روثين) (٣٨) العمود ،
(كوبال) (٣٩) الحرية ، والبطل (زواره) (٤٠) القوة ، (برزو) (٤١)
المتوجه للقتال ، (فريبرز) (٤٢) القامة ، والبطل (كرز) (٤٣) الحرب ،
(كرازه) (٤٤) التبختر .

ومما سبق نجد (مهدي خان) يستعرض أسماء مشاهير أبطال إيران
فى سبلاسة ويسر ، ومفاخرا بهم فى أكثر من موضع .

ولقد أراد (مهدي خان) أن يظهر نفسه متكامل المعرفة فيما يتصل
بأدباء العرب وشعرائهم . (كل أديب عاقل يظهر الأدب كغنون أدب
(السيوطى) (٤٥) بأسواط التوبيخ ، ويعتبر (الاخفش) (٤٦) أخف
من الحذاء ، و (ابن الضايح) (٤٧) الذى رسم أبو الفضل النجاشى اسمه
مجنس ، و (شجرى) (٤٨) الذى يفر وقت الشجار ، و (الحريرى) (٤٩)

(٣٧) ابن حسرو برويز ، خالف والده وعرف بشيويه ، واسم بطل ايرانى كان فى
خدمة الملك منوچهر . (محمد حسين بن خلف التبريزى ، برهان قاطع . ج ٢ ،
ص ١٢٨)

(٣٨) أحد القواد الايرانيين . (محمد خاوند شاه ، روضة الصفا ، مج ١ ،
ص ١٧٦)

(٣٩) أحد القواد الايرانيين ، عاش فى العصر الكيانى . (المرجع السابق ، مج ١ ،
ص ١٧٦)

(٤٠) شقيق رستم دستان . (محمد حسين بن خلف التبريزى ، برهان قاطع .
ج ١ ، ص ٥٠٠)

(٤١) محارب تورانى فى جيش الفراسياب . (المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٥٣)
(٤٢) بطل ايرانى ، قاد جيش ايران ضد التورانيين خلال فترة حكم كيخسرو

الكيانى ، محمد خاوند شاه ، روضة الصفا ، مج ١ ، ص ١٧٦)

(٤٣) شقيق اسفنديار ، سبه امام والده كشتاسب فحبسه . محمد حسين بن خلف
التبريزى برهان قاطع ، ج ٢ ، ص ٣٠٥ .

(٤٤) بطل ايرانى ، قتل سيامك فى معركة « دوازده رخ » المرجع السابق ، ج ٢ ،
ص ١١٣ .

(٤٥) جلال الدين السيوطى ، نشأ بالقاهرة وشارك فى شتى أنواع العلوم وله
مؤلفات عديدة . عمر رضا كحالة ، معجم المؤلفين ، ج ٥ ، ص ١٢٨ .

(٤٦) سعيد بن مسعدة المجاشع الكنى بابى الحسن ، من علماء الادب ، متوفى
بين (٢١٥ - ٢٢١ هـ) . محمد على التبريزى ، ربحانة الادب ، ج ١ ، ص ٤٩ .

(٤٧) ابن الضايح على بن محمد بن على بن يوسف النحوى الاشيبلى ، الكنى
بابى الحسن متوفى عام ٦٨٠ هـ وعمره سبعون عاما . المرجع السابق ، ج ٦ ، ص ٥٧ .

(٤٨) شريف بن هبة الله البغدادى ، مؤلف كتاب الامالى . بن خلكان ، وفيات
الاعيان ، ج ٥ ، ص ١٠٠ .

(٤٩) قاسم بن على الكنى بابى محمد ، صاحب المقامات ، (٤٤٦ - ٥١٥ هـ)
ابن شاعر الكتبى ، فوات الوفيات ، ج ٢ ، ص ٨٨ .

يجعل بضاعة الكلام كاسيدة ، (والفراء) (٥٠) يمزق بالكلزك الصغير اللباس الصوفى ، لم يشتر (ابن الانبارى) (٥١) بشعيرة ، واقتبل (تاج) (٥٢) من فتحة أكليل الجلد ، وتحطم (الزجاج) (٥٣) ، وعندما قرأ فى استكشاف آداب أدب الأدباء بمأدبة التحقيق، أخذ (ابن السكيت) (٥٤) جنون السكوت واتجه (نمرى) (٥٥) لوجه البهاء ، وهرب (الشعلى) (٥٦) للحجر صارخا ، ويصعد (سيبويه) (٥٧) من غصن الى غصن ، ويهبر (الفالى) (٥٨) صحارى الحيرة ، وينسب ضعف الرأى لـ (عنبسة الفيل) (٥٩) وينكس (الاعلام) (٦٠) علم العلم ، ويسب (نفويه) (٦١) الدخان الأسود على الجبين ، ويأخذ (ابن خالوية) (٦٢) نسبة « عموا صموا » ، ولا يستطيع

-
- (٥٠) يحيى بن زياد بن منظور المكنى بأبى زكريا ، من علماء النحو واللغة والادب (١٤٤ - ٢٠٧ هـ) ياقوت الحموى ، معجم الأدباء ، ج ٢٠ ، ص ٢٩ .
- (٥١) محمد بن أبى محمد المكنى بأبى بكر (٢٧١ - ٣٢٧ هـ) . محمد على التبريزى . ربحانة الادب ، ج ٥ ، ص ٢٥٧ .
- (٥٢) تاج الدين عبد الوهاب بن على ، من علماء القرن الثامن الهجرى المعروفين (٧٢٧ - ٧٧١ هـ) . المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٠٤ .
- (٥٣) ابراهيم بن محمد سهل المكنى بأبى اسحق ، من علماء النحو فى القرن الثالث والرابع الهجريين . ابن خلكان ، وفیات الاعيان ، ج ١ ، ص ٣٣ .
- (٥٤) يعقوب بن اسحق المكنى بأبى يوسف ، من علماء الادب (م ٢٤٦ هـ) . المرجع السابق ، ج ٥ ، ص ٤٢٨ .
- (٥٥) حسين بن على البصرى ، اديب ولغوى (م ٣٨٥ هـ) . محمد على التبريزى ، ربحانة الادب ، ج ٤ ، ص ٢٣٣ .
- (٥٦) احمد بن محمد التيسابورى ، من مشاهير الفقهاء والمفسرين فى القرنين الرابع والخامس الهجريين (م ٤٢٧ هـ) . ياقوت الحموى ، معجم الأدباء ، ج ٥ ، ص ٣٦ .
- (٥٧) عمر بن عثمان البيضاوى البصرى المكنى بأبى البشر ، صاحب كتاب الكتاب (م بين ١٦١ - ١٦٤ هـ) . ابن خلكان ، وفیات الاعيان ، ج ٣ ، ص ١٣٣ .
- (٥٨) على بن أحمد بن على بن سليمان القالى ، محدث ومؤدب ، من آثاره الآمال والاستقامة . عمر رضا كحالة ، معجم المؤلفين ، ج ٧ ، ص ٢٠ .
- (٥٩) عنبسة بن المعدان الفيل الميسانى ، تلميذ ابو الاسود الدؤالى . ياقوت الحموى معجم الأدباء ، ج ١٦ ، ص ١٣٣ .
- (٦٠) ابراهيم بن القاسم المكنى بأبى اسحق ، اديب ولغوى ، (م ٦٤٢ هـ) . المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٦٠٢ .
- (٦١) ابراهيم بن محمد بن عرقه بن سليمان البغدائى الواسطى الازدى (٢٢٤ - ٢٢٣ هـ) . ابن خلكان ، وفیات الاعيان ، ج ٦ ، ص ٣٠ .
- (٦٢) حسين بن أحمد المكنى بأبى الحسن ، من علماء النحو واللغة (م ٣٧٠ هـ) . المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٤٢٤ .

(أبو الأسود) (٦٣) أن يصبح أبيض ، ولا يستطيع (اللحياني) (٦٤) .
عرض المحبة ، يكتب (الجاحظ) (٦٥) هناك ، ولا يفرق (ابن الهري) (٦٦) .
بن قطع وفار ، وعندما يزين المعلم سياق الكلام ، ويستحسن من الكلام .
افادات نظم (المبرد) (٦٧) بالترحاب ، ويكتسى (كسائي) (٦٨) بكساء
الشرف .

وهكذا يعرف كل ذي رأى بليغ حوليات (الزهير) (٦٩) ، واعتذارات
النسابة (٧٠) . هاشميات (الكميت) (٧١) ، ونقائض (٧٢)
(جرير) (٧٣) ، وخمريات (٧٤) (أبو نواس) (٧٥) ، وزهديات (٧٦)

(٦٣) ظالم بن عمر بن سفيان الدؤلي المعروف بابي الاسود ، واضع علم النحو
وفقيه . عمر رضا كحالة ، معجم المؤلفين ، ج ٥ ، ص ٤٧ .

(٦٤) علي بن مبارك المكنى بابي الحسن ، من أهل ما وراء النهر . من أئمة علماء
اللغة . ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، ج ١٤ ، ص ١٠٦ .

(٦٥) عمرو بن بحر المكنى بابي عثمان ، عالم وأديب ، ولد بالبصرة ، له مؤلفات
عديدة منها الحيوان والبخلاء وغيرها . عمر رضا كحالة ، معجم المؤلفين ، ج ٨ ، ص ٧ .

(٦٦) عبد الله بن برى بن عبد الجبار ، من علماء اللغة والنحو (٤٩٩ - ٥٨٢ هـ) .
ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، ج ١٦ ، ص ٥٦ .

(٦٧) محمد بن يزيد بن عبد الأكبر البغدادي البصري . بن خلكان ، وفيات الأعيان
ج ٣ ، ص ٤٤٤ .

(٦٨) علي بن حمزة بن عبد الله المكنى بابي الحسن (م ١٨٩ هـ) . المرجع السابق ،
ج ٢ ، ص ٤٥٧ .

(٦٩) زهير بن أبي سلمى ، شاعر جاهلي صاحب المعلقات المعروفة (٥٣٠ - ٦٢٧ م) .
عمر فروخ ، تاريخ الأدب العربي ، ج ١ ، ص ١٩٤ .

(٧٠) النابغة الذبياني ، زياد بن معاوية المكنى بابي أمامة ، أحد الشعراء في العصر
الجاهلي العظام ، ارتبط بملوك الحيرة وخاصة النعمان بن المنذر ، ثم فر إلى الحسانسة ،
ثم عاد ثانية للمناذرة ، وأئشد لهم الاعتذارات . عمر رضا كحالة ، معجم المؤلفين ،
ج ٤ ، ص ١٨٨ .

(٧١) كميت بن زيد الأسدي الكوفي ، شاعر بني هاشم . خير الدين الزركلي ،
الاعلام ص ٨١٦ .

(٧٢) نقائض الجرير والفرزدق اسم كتاب جمعه أبو عبيدة معمر بن المثنى التميمي ،
موضوعه تناقض أشعار هذين الشاعرين العظيمين في الهجاء . مجدي وهبة ، معجم
مصطلحات اللغة والأدب ، ص ٢٢٨ .

(٧٣) جرير بن عطية بن حذيفة الحصفى (٢٨ - ١١٠ هـ) الزركلي ، الاعلام
ج ١ ، ص ١٨٢ .

(٧٤) الخمريات هي قصائد أبي نواس في وصف الخمر . مجدي وهبة ، معجم
مصطلحات اللغة والأدب ، ص ٩١ .

(٧٥) حسن بن هاني بن عبد الأول بن صباح المكنى بابي نواس (١٤٥ - ١٩٥ هـ) .
يوسف اليان سركيس ، معجم المطبوعات العربية والمعرية ، ج ١ ، ص ٣٥١ .

(٧٦) أشعار أبي العتاهية التي أنشدها في الزهد . مجدي وهبة ، معجم مصطلحات
اللغة والأدب ، ص ٣٢٣ .

(أبي العتاهية) (٧٧) ، وهدائج (البحتري) (٧٨) ، وتشبيهات
(ابن المعتز) (٧٩) ، وروضيات (الصنوبري) (٨٠) ، ولطائف
(كشاجم) (٨١) ، وبدریات (المتنبي) (٨٢) ، وبديعيات (بديح
الزمان) (٨٣) ، ورسائل (صبايي) (٨٤) ، ومقولات (ضبي) (٨٥) ،
مثل كلام صبي على حجرة النسيان قرين لعدم الزينة .

لم يكتف (ميرزا مهدي خان) بذكر الادباء العرب والشعراء السابقين،
بل أنه ذكر بجانب هؤلاء طائفة أخرى من الشعراء .

كسر في معرض معارضة رباعياته الكاملة رباعيات (درست) (٨٦) ،
من الأساس بقبضة التوبيخ ، وأعاد بخمساته المثينة لقبضة (بو سعيد
الرستمى) (٨٧) ، بقوة المعنى وأمعن في طريقة تناسب بدائع كلام (امرؤ

(٧٧) أبي العتاهية اسماعيل بن قاسم بن سعيد الكيساني (١٣٠ - ٢١١ هـ) .
مجدى وهبة ، معجم مصطلحات اللغة والادب ، ص ٢٢٣ .

(٧٨) الوليد بن عبيد الطائي ، من شعراء القرن الثالث ، محمد على التبريزي ،
ريحانة الادب ، ج ١ ، ص ١٤٤ .

(٧٩) عبد الله بن المعتز بن المتوكل من تلاميذ المبرد والعماسي . عمر رضا كحالة ،
معجم المؤلفين ، ص ١٥٤ .

(٨٠) الصنوبري أحمد بن محمد بن الحسن المكنى بأبي بكر الحلبي ، شاعر بلاط
سيف الدولة (م ٣٣٤ هـ) ، اشتهر بوصف الحداثق والروضات . محمد على التبريزي ،
ريحانة الادب ، ج ٢ ، ص ٤٩٥ .

(٨١) محمود بن الحسين المكنى بأبي الفتح ، كاتب وشاعر ومنجم ، له كتاب
الرسائل وديوان شعر ، ابن النديم ، الفهرست ، ص ٢٠٠ .

(٨٢) أحمد بن حسين بن حسن بن عبد الصمد المكنى بأبي الطيب . الثعالبي
النيسابوري يتيمة الدهر ، ج ١ ، ص ٢٨ .

(٨٣) أحمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد ، صاحب المقامات . المرجع السابق ،
ج ٤ ، ص ١٦٧ .

(٨٤) ابراهيم بن هلال بن زهرون ، المكنى بأبي اسحق عامر الشريف الرازي الذي
رثاه حين مات ، (٣١٣ - ٣٤٨ هـ) . يوسف اليان سركيس ، معجم المطبوعات العربية
والعربية ، مج ١ ، ص ٢٩٢ .

(٨٥) الفضل بن محمد بن يعلى المكنى بأبي العباس . عمر رضا كحالة ، معجم
المؤلفين ، ج ١ ، ص ٣١٦ .

(٨٦)

(٨٧) محمد بن حسين بن رستم الاصفهاني ، شاعر معاصر للمصاحب بن عمار .
الثعالبي النيسابوري ، يتيمة الدهر ، ج ٣ ، ص ١٢٩ .

القيس (٨٨) المخالف للقياس ، لم يعتبر فصاحة (صخر) (٨٩) الا آلة
تسخير ، لم يتحدث (جرير) (٩٠) الا على اعتراف « هو أفصح مني
لسانا » (٩١) ، يرى منظومات (حسان بن ثابت) (٩٢) من منبت الأشواك
وظن أن عذوبة كلام (سحبان) (٩٣) طراوة لسان ، ويعتبر المخضرم (٩٤)
في أنساب البلاغة مجهول النسب ، وينسب عدم الكمال (لابى تمام) (٩٥) ،
وينثر طرفة في (طرفة) (٩٦) العين طرائف النظم ونظم الطرائف ، يجعل
(سمرة) أسطورة لقذف الكلام ، ويلقى (أسمر الحيص) (٩٧) بالضجر
والضيق ، وجعل (كثير عزة) (٩٨) بلا عزة .

تأثر (الأخطل) (٩٩) بالخطأ والخلل ، ويعتبر (ذو الدجاج) (١٠٠)

(٨٨) صندج بن حجر الكندي المكنى بأبى الحارث الملقب بأمرئ القيس ، من اشراف
كندة شاعر جاهلي عظيم ، صاحب المعلقة المعروفة ، (٥٠٠ - ٥٤٠ م) جورجي زيدان ،
تاريخ أديب اللغة العربية ، ج ١ ، ص ١٠٧ .
(٨٩) صخر بن عمر بن شريد شقيق الخنساء ، ابن قتيبة ، عيون الأخبار ، ج ٤ ،
ص ١١٧ ، ١١٨ .

(٩٠) حذيفة بن بدر بن عرف بن كليب الملقب بجرير والمكنى بأبى عطية . يوسف
الليان سركيس ، معجم المطبوعات العربية والمعربة ، مج ١ ، ص ٦٨٧ .
(٩١) سورة القصص من الآية ٣٤ .

(٩٢) حسان بن ثابت الأنصاري المكنى بأبى الوليد ، من عظام الشعراء المخضرمين ،
من مадحى الرسول صلى الله عليه وسلم يوسف الياس سركيس ، معجم المطبوعات العربية ،
مج ١ ، ص ٧٥٢ .

(٩٣) سحبان بن زفر من بنى وائل ، ولد في الجاهلية ، متوفى ٥٤ هـ ، كان خطيبا
مقتدرا . عمر فروخ ، تاريخ الادب العربي ، ج ١ ، ص ٣٩١ .
(٩٤) المخضرم هو الشخص الذي عاصر فترتين متتاليتين . مجدى وهبة ، معجم
المصطلحات اللغة والادب ، ص ١٨٨ .

(٩٥) حبيب بن أوس بن حارس ، من عظماء الادب والشعر ، صاحب كتاب
الحماصة ، صلب المعتمد في جريه مع الروم . عمر رضا كحالة ، معجم المؤلفين ،
ج ١٣ ، ص ١٨٣ .

(٩٦) طرفة بن العبد ، شاعر جاهلي ومن اصحاب المعلقة . (م عام ٥٥٠ م) . عبد
القادر البغدادي ، خزنة الادب ، ج ١ ، ص ٤١٤ .
(٩٧) سعد بن محمد بن سعد الصيفي المتخلص بحيمس بيمس . ياقوت الحموي .
معجم الادباء ، ج ١١ ، ص ١٩٩ .

(٩٨) كثير بن عبد الرحمن ، وسمى كثير عزة نسبة الى معشوقته عزة جميل بن
وقاص جورجي زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية . ج ١ ، ص ٣٣٢ .

(٩٩) غياث بن غوث بن الصلت الثعلبي ، من طبقة جرير والفرزدق ، شاعر نصراني
عاضد بن زاهية . عمر رضا كحالة . معجم المؤلفين ، ج ٨ ، ص ٤٢ .
(١٠٠) ذو الدجاج الحارثي . شاعر .

ديحاجة بياضة ، يحطم (ديك الجن) (١٠١) ريش وجناح طائر الطيران
 العالى ، وتعتبر قلائد (المتنبي) مبنية على التقليد ، ويجد ربايعيات
 (المعري) (١٠٢) خالية من السلاسة ، وينسب أشعار (معزى) (١٠٣)
 للسوء .

أما الأدباء الفرس الذين ذكرهم (مهدي خان) :

يكون كل (ناظم) (١٠٤) (قدسي) (١٠٥) الخصال ، (صائب) (١٠٦)
 الرأى ، الذى يصمت أمام جودة كلامه نطق (الناطق) (١٠٧) ، ويتحطم
 (شوكت) (١٠٨) و (شاهي) (١٠٩) و (شاني) (١١٠) ، ويتعلم عن
 النضارة بنستان بيان (الفردوس) (١١١) بطراوة بيانها ، وبجانب
 (اشراق) (١١٢) ضميره تكون شعلة (تجلي) (١١٣) الشمس مثل شمس

- (١٠١) عبد السلام بن رغبان ، من شعراء العرب المتعصبين • توفي عام (٣٣٥ هـ)
 عمر رضا كحالة • معجم المؤلفين • ج ٥ ، ص ٢٢٤
- (١٠٢) أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي المكنى بأبى العلام (٣٦٣ - ٤٤٩ هـ) .
 ياقوت الحموي • معجم الأدباء ، ج ٣ ، ص ١٠٨
- (١٠٣) شاعر معروف فى العصر السلجوقي • معاصر لآل أرسلان • وفاته بين
 (٥١٨ - ٥٢٠ هـ) • زاهرى خانلى ، فرهنگ ادبيات فارس • ص ٤٨١
- (١٠٤) هو ناظم الهروي ، شاعر ومداح سلسلة شاملو ، نظم مثنوية يوسف الزليخية
 لطفعللى آذر ، اتشكده آذر ، ص ٢٠٥
- المرجع السابق ، ص ١٢١ •
- (١٠٥) هو الحاج محمد جان الهروي القدسي ، من ولاية دلكير ، (م ١٠٤٢ هـ)
- (١٠٦) ميرزا محمد على التبريزي ، من الشعراء الصفويين • المرجع السابق •
 ص ٤٧
- (١٠٧) ملازم الاصفهاني المتخلص بناطق ، عاصر الشاه عباس الثاني ، المرجع
 السابق ، ص ٢٧٥
- (١٠٨) محمد اسحاق البخاري ، المتخلص بشوكت ، وصل لخدمة حاكم هرات عام
 ١٠٨٨ هـ • المرجع السابق ، ص ٢٤٢
- (١٠٩) آقا ملك جمال الدين ، شاعر بايسنقر • المرجع السابق ، ص ١١١
- (١١٠) وجيه الدين شاني تكلو ، شاعر الشاه عباس الاول م ١٠٣٢ هـ • المرجع
 السابق ، ص ٢٦
- (١١١) شاعر ايران العظيم • (٣٢٩ - ٤١١ هـ) مؤلف الشاهنامه • المرجع السابق
 ص ١٢٢
- (١١٢) مير محمد الباقر داماد ، عاش فى عصر عباس الاول الصفوي • المرجع
 السابق ، ص ١٢٢
- (١١٣) على رضا تجلى (م ١٠٨٣ هـ) • المرجع السابق ، ص ٢٢٩

التصوير بلا نور ، (خسرو) (١١٤) لا يتكلم عن عذوبة كلامه ، نجعل
(سخاوى) (١١٥) أمام أشعاره الرطبة مثل سحب الربيع ، وبانشاد مقال
الروح واهبة (جامى) (١١٦) خمر الشراء من فيض الشارب . وهكذا نجد
(مهدي خان) كم كان مطلعا على الثقافة العربية عارفا بأدبائها معرفته
بالفارسية وأدبائها .

ولعلنا نلاحظ أن (مهدي خان) أراد أن يجعل من درة نادرة موسوعة
متكاملة العلوم ، وبالتالي يثبت مقدرته الفائقة وإطلاعه الواسع ،
وثقافته المتعددة الجوانب .

يكون كل طبيب ماهر يشعر أن (جالينوس) (١١٧) قد دون له
روشتة عيادة أفادته ، ويرى جماعة الفصحاء تحت طية ملقى مهارته ، وفي
علم علاج (الأيلاقى) (١١٨) مقابل الجهل ، ويصف فى فن تشخيص
مرض . (أرسطا طاليس) (١١٩) بالبطالة ، ويعتبر عالم الخمر أى
(أفلاطون) جاهل ونىء ، ويمائل (ديوجانس) (١٢٠) الشيطان والغول ،
ويجد (شفاثى) (١٢١) الحمامة والهوان فى شفا حفرة ، ويتصف

(١١٤) ناصر بن خسرو بن حارث ، كان شغوفا منذ الصغر بتحصيل العلوم .
لطفلى آذر ، أتشكده آذر ، ص ٢٦٥ .

(١١٥) ميرزا سيد محمد الأصفهاني ابن سيد أحمد هاتف ، من شعراء العصر
القاجارى ، معاصر ومداح فتحعليشاه قاجار . زهراى خانلرى فهرتك أدبيات فارسى ،
ص ٢٤٣ .

(١١٦) نور الدين عبد الرحمن ، سعى بالجامى نسبة الى مسقط رأسه جام .
لطفلى آذر ، أتشكده آذر ، ص ١٠٤ .

(١١٧) اسم طبيب يونانى شهير ، عاش فى الفترة ما بين (١٢١ - ٢٠١ م) .
لويس معلوف المنجد فى الاعلام ، ص ٢٠٦ .

(١١٨) شرف الدين يوسف الأيلاقى المكنى بأبى عبد الله ، قتل عام ٥٣٦ هـ . ذبيح
الله صفا ، تاريخ أدبيات ايران ، مج ٢ ص ٢٩٤ .

(١١٩) أرسطو (٣٨٤ - ٣٢٢ ق م) فيلسوف يونانى ، كما تخصص فى الطب .
وقد نبغ فيه حتى شبهه البعض بجالينوس . لويس معلوف ، المنجد فى الاعلام ، ص ٣٤ .
(١٢٠) فيلسوف يونانى ، من الكلبين ، عاش فى أثينا ، عاصر الاسكندر المقدونى ،
الموسوعة العربية الميسرة ، ج ١ ، ص ٨٤٠ . القاهرة ١٩٥٩ .

(١٢١) شفاثى الحكيم شرف الدين حسن ، طبيب ونديم الشاه عباس الاول . كما
كان شاعرا . زهراى خانلرى ، فهرتك أدبيات فارسى . ص ٣٠٤ .

(أبو البركات) (١٢٢) بضعف الرأي ، عندما يبحث (ابن سينا) (١٢٣)
عن ضالته شعب طور سينا يقول (هو أعلم بمنبت القصيص) (١٢٤) ،
ويرى (أبو بصير) من توتيا قلمه ، وتصطبج نفسه القدسية أنفاس
(مسيحا) (١٢٥) ، وخلق بطيبته طينة بنى آدم فى خاصيته معرفة الأشياء
حيث ارتفعت مهارته عاليا ، ويحتاج فى معرفة الآلام وكل أدوية
(بقراط) (١٢٦) بقليل من وسائل البحث وكثير من تراكيب علمه .
صاح بصوت علم ضمير الطبيب ليس كسماء الفلك المظنن ، ومن افادته
المختلفة « قانون الشفاء » (١٢٧) المقنن ، « موجز » (١٢٨) عن « كليات » (١٢٩)
مهارة « الكامل » (١٣٠) وكافية (الحاوى) (١٣١) ، وأسباب
و « علامات » (١٣٢) « النجاة » (١٣٣) ، وفصل من « التذكرة » (١٣٤)

(١٢٢) هبة الله بن على بن ملكان البغدادي (م ٥٤٧ هـ) • بن خلكان ، وفیات
الأعيان ، ج ٥ ، ص ١٢٤ .
(١٢٣) حسين بن عبد الله الملقب بالشيخ الرئيس (٣٧٠ - ٤٢٨ هـ) • معجم اعلام
الفكر الانساني ، ج ١ ، ص ١٧٥ .
(١٢٤) أى أنه عارف بموضع حاجته • الميداني ، مجمع الأمثال ، ج ٢ ، ص ٥١ .
(١٢٥) اشارة الى معجزة سيدنا عيسى في احياء الموتى باذن الله • زهرای خانلری ،
فرهنگ ادبيات فارسی ، ص ٥٨١ .
(١٢٦) طبيب يوناني ، لقب بابي الطب ، ولد عام ٤٦٠ ق م • بيلرس البستاني ، دائرة
المعارف ، مج ١ ، ص ١٨٨٩ .
(١٢٧) من مؤلفات ابن سينا فى الطب • اليان سركيس ، معجم المطبوعات العربية
والمعربة ، مج ١ ، ص ١٣٠ .
(١٢٨) كتاب فى علم الطب العامى والعملی ، تأليف بن غالب • المرجع السابق ،
مج ١ ، ص ٢٦٩ .
(١٢٩) كتاب فى الطب تأليف سديد الدين محمود بن عمر الطبيب المكنى بابن رقيقة ،
(م ٥٦٣ هـ) • المرجع السابق ، مج ١ ، ص .
(١٣٠) كامل الصناعة أو الطب الملكى ، تأليف بن عباس المجوسى ، وقد صنفه للملك
عضد الدولة الديلمى • المرجع السابق ، مج ١ ، ص ١٦١٩ .
(١٣١) كتاب مشهور فى الطب لـ محمد الرازى • حاجي مصطفى ، كشف الظنون ،
مج ١ ، ص ٦٢٨ .
(١٣٢) الاسباب والعلامات هو كتاب فى الطب لـ بقراط • المرجع السابق ، مج ١ ،
ص ٧٧ .
(١٣٣) هو كتاب مشهور فى الحكمة لابن سينا • اليان سركيس ، معجم المطبوعات
العربية مج ١ ، ص ١٣١ .
(١٣٤) كتاب تذكرة اولى الالباب تأليف داود بن عمر الانطاكى (م ١٠٠٨ هـ)
المرجع السابق ، مج ١ ، ص ٤٩٠ .

فضل « المعنى » (١٣٥) و « شافية » (١٣٦) « ذخيرة » (١٣٧) العلم ،
و « منهاج » (١٣٨) فنون العلاج ، لو شرح بالجبهة رأس القلم على خط
فى مؤخرة الرأس .

نستنتج من كل ما سبق أن (ميرزا مهدى خان) كان واسع المعرفة ،
كثير الاطلاع فى مختلف العلوم وشتى الفنون ، وان اطلاعه لم يكن مجرد
علم بالشئ بقدر ما هو معرفة متعمقة وراسخة ، بحيث يمكننا أن نعتبره
موسوعة علمية وفنية وأدبية ، فنجدته يتحدث عن الفلك وكأنه فلكى ، ثم
ينتقل بحدسه عن الأعشاب والزهور والنباتات الطبية كما لو كان عالما
بها ، يعرف كل عشب والمرض الذى يعالجه ويعرج بنا الى عالم الطيور
ذاكرا لنا أسماء مختلف الطيور المفردة والمحلقة ، ثم يميل بنا الى عالم
الموسيقى الحالم بألحانه ونغماته ، بل أنه ذكر لنا جزئيات كل نغمة ، ثم
يقترح عالم الأبطال الايرانيين المشهورين حيث كان يحرص فى كل
مناسبة على ذكرهم متباهيا بهم متفاخرا بما صنعوه لايران ، جاعلا كل
بطل منهم بصفة تدل عليه .

كما أراد أن يثبت تمكنه من الأدب العربى ، وأنه قارىء لتاريخه
وعالم بأسماء أديائه فى مختلف العصور ، بل الأكثر من ذلك أورد لنا
اللون الشعرى الذى برع فيه كل شاعر من هؤلاء الشعراء .

كل هذا جمعه بطريقة جميلة وعرضها بأسلوب شيق وسلس ودون
ملل ، حيث أنه أراد أن يجذب القارىء للتعرف على كل هذه المعلومات
القيمة بدلا من الرجوع الى مراجع أو دوائر معارف معرفتها ، ورغم كونه
أديبا ، الا أنه لم يهمل الجانب العلمى ، فقد ذكر لنا مشاهير الأطباء وأشهر
مؤلفاتهم التى أفادت البشرية وترجمت للغات شتى وانتفع بها العالم
أجمع .

(١٣٥) كتاب فى الطب تأليف سعيد بن هبة الله (م ٩٤٩ هـ) . حاجى مصطفى ،
كشف الظنون ، مج ٢ ، ص ١٧٥٠ .

(١٣٦) الشافى كتاب فى الطب تأليف يعقوب بن اسحق (م ٦٨٥ هـ) ، المرجع
السابق ، مج ٢ ، ص ١٠٢٣ .

(١٣٧) ذخيرة خوارزمشاهى ، تأليف زن الدين اسماعيل بن حسين الجرمانى الطبيب
(م ٥٣٠ هـ) . المرجع السابق ، مج ١ ، ص ٨٢٤ .

(١٣٨) منهاج البيان ، اسم كتاب فى الادوية المفردة والمركبة ، تأليف بن جزلة من
من تلاميذ نصير الطوسى الطبيب . المرجع السابق ، مج ٢ ، ص ١٨٧٠ .

- ٢ -

أهمية مخطوط « درة نادرة »

إذا تحدثنا عن « درة نادرة » فإننا نجده يحتوى على بعض الثنائى من ناحية الأسلوب والموضوع والمحتوى ، بما يجعلنا ننظر اليه بتحفظ ، لكن إذا راعينا نقص المصادر التى يعول عليها فى التأريخ للدولة الأفشارية ، وعدم دقة كتابات مؤلفى هذا العصر واضطرابهم فيما كتبوا ، فإنه يمكن اعتبار « درة نادرة » ذا أهمية خاصة ، إذ أنه يتناول بالبحث تاريخ هذه الفترة من الحياة الايرانية ، ولو تجاوزنا عن الكتب المعروفة التى تحدثت عن تلك الفترة أهـثال « جهانكشاي نادري » لـ (ميرزا مهدي خان) نفسه و « عالم آراى نادري » لـ (محمد كاظم) ، يجب الاعتراف بأنه من المؤسف أن تكون مصادر التحقيق الأصلية لدينا قليلة عن أعظم فاتحى آسيا ، وأعماله العديدة التى أنجزها مما كان لها أكبر الأثر فى الساحة السياسية لايران والعالم .

وقد اقتدى مؤرخو ايران المتأخرون بـ (ميرزا مهدي خان) ، وذكروا ذلك فى مواضع شتى من كتاباتهم ، فمن الجدير بالذكر أن « درة نادرة » تشتمل على ايضاحات بشأن بعض المسائل التى لا توجد فى أى نسخة خطية أو مطبوعة عن هذا العصر ، صحيح أن المؤلف قد أخطأ فى بعض المواضع ، وعلى الفرض أنه لم يذكر بدقة تاريخ الاتفاقيات أو الأسماء المشهورة ، إلا أن هذا الأمر كان شائعاً فى معظم كتاب هذا العصر ، فلم تكن تخلو منها مؤلفات (ميرزا مهدي خان) مؤرخ (نادر شاه) وكاتبه الذى شاركه جميع رحلاته وفتوحاته ، وهكذا ندرك مدى أهمية هذا المخطوط المشتمل على تلك الفترة شبه المجهولة من تاريخ ايران ، والتى لم تحظ بما يناسبها من أهمية ، ولعل مرجع هذا أن (نادر شاه) كان يفرض سياساته وآراءه بالقوة ، حيث وصل به الأمر الى عمل تألف بين المذهب الجعفرى الشيعى والمذاهب السننية وجعل الأئمة الشيعة يقرون بذلك بالتهديد والوعيد ، كما أن حادثة اسمال عيني ابنه الأكبر (رضا قلي) ميرزا أو غرت قلوب الايرانيين ضده أكثر ، ولعل هذا جعل المؤرخين لا يعطونه الأهمية الملائمة بصفته فاتحاً عظيماً تمكن من فتح الهند ، وهذا

عمل لم يجرؤ على فعله الا قليل من القواد الأفذاذ ، كما انه بفضل ما يتمتع به من شجاعة وفكر عسكري تمكن من تخليص ايران من أعدائها (الأفغان - الروس - الأتراك) ، هذا من الناحية التاريخية أما اذا نظرنا الى الأهمية الأدبية التي تكمن في « درة نادرة » فاننا نجده يدلنا على الأسلوب الأدبي الشائع في تلك الفترة والتي تلت العصر الصفوي ، وهي تعتبر امتدادا للأدب الصفوي من ناحية الخصائص والسمات التي كانت تميزه . هذا الى جانب ابراز التأثير الأدبي للمؤلف من كتاب وكتاب العصور السالفة الذين تأثر بهم (مهدي خان) في كتابة مؤلفاته بصفة عامة وكتابة « درة نادرة » بصفة خاصة ، ولعل أبرز من تأثر بهم (وصاف الحضرة) ، اذ وصل به حد التأثر الى أنه كان يقتبس فقرات كاملة ويضعها في « درة نادرة » كما سنرى فيما بعد . وهكذا ومن خلال هذه الدراسة التي اشتملت على أكثر من جانب ، نكون قد أزحنا الستار عن كتاب جديد ، بأبعاد جديدة ليضاف الى المكتبة العربية للدراسات الشرقية .

- ٣ -

« درة نادرة » والنصوص الأدبية السابقة عليها

ان « درة نادرة » لا تعتبر أثرا جديدا للمؤلف فى الكتابة ، وهو متأثر بالمؤلفات التى كتبت قبله من ناحية النشر الفنى المتصنع ، ذلك أن كتاب القرن السادس من ذوى المهارة والمعرفة التامة بالأدب الفارسى ، كانوا يسعون دائما حتى لا يدرك اقتباسهم وتقليدهم بسهولة ، والتقليد والتأثير واضح فى عبارات « درة نادرة » ويمكن للقارى أن يدركه بسهولة .

ولعل أكثر كتاب قلده (ميرزا مهدي خان) واقتبس منه وتأثر بأسلوبه هو كتاب « تجزية الأمصار وتزجية الأعضاء » المعروف ب (تاريخ وصاف) (١٣٩) تأليف (عبد الله بن فضل الله) الملقب ب (وصاف الحضرة) ، ورغم أن اقتباس (مهدي خان) وتقليده لهذا الكتاب لم يكن اقتباسا كاملا ، إلا أنه فى بعض المواضع كانت عبارات « درة نادرة » أفضل مما جاء فى (تاريخ وصاف) ، وفى مواضع أخرى كانت عبارات ال (وصاف) ترجح على عبارات (درة نادرة) ، وقد كتب مؤلف « درة نادرة » فى مقدمة كتابه ما يوضح تأثره ب (تاريخ وصاف) .

(وبعد فانه لما كان كاتبو العناوين ذوو الشأن قد كتبوا « خلق الانسان علمه النبيان » منشور بذات بدائع الآثار الفاضل ٠٠٠ ابن فضل الله أبى الفضل عبد الله الملقب ب (وصاف الحضرة) ، وقد لقبوه بالطخيرة الغراء . ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء » .

كما أنه ذكر اسمه أيضا فى مقدمة « درة نادرة » فقال :

(أويده بالهام الملهم وتلقين ملقن التوفيق ، هذا السائح غريق الغمرات ، والسباح غريق الدومات ٠٠٠ محمد مهدي بن نصير) .

(١٣٩) تاريخ وصاف لعبد الله بن فضل الشهير بوصاف الحضرة ، رتبته على خمس مجلدات وسماه « تجزية الأمصار وتزجية الأعمار » فرغ منه عام ٧١١ هـ ، لم يكن يقصد فيه بيان التاريخ فقط ، بل اظهار مقدرته الانشائية واللفظية . حاجى مصطفى ، كشف الظنون مج ١ ، ص ٣٠٩ .

وذكر كذلك (و صاف الحضرة) فى نهاية « درة نادرة » قائلا :

(وعندها حدث تجدى لجنتاب الوصاف فى آخر المجلد التسارىخى الخامس مع مؤلف « كليله ودمية » فى عدة فقرات ، وكان يقبل هذا الأقل بمناسبة المقام تحديا لهما بذكر عدة عبارات) .

كما كتب فى الموازنة مع الوصاف . (لم يتوقع أحد من القمر المقنع والفرس المصنع عمل البدر الكامل وسير الجواد المتبختر) .

من هذه العبارات نلاحظ الى أى حد كان (ميرزا مهدى خان) ينظر الى (تاريخ و صاف) بعين الإعجاب ، وقد صرف جهدا كبيرا حتى يمضى قدما فى أسلوب مخطوطته مع (شرف الدين عبد الله) أو حسب قوله (تحديا له حدد لنفسه المكان الأعلى) .

وهو فى الفقرات التى قلده فيها الوصاف أو اقتبس منه ، لم يتفوق فقط على عبارات (الوصاف) ، بل أن تقليده ناقص وسرقته غير كاملة ، وفى الفقرات الآتية يمكننا أن ندرك جيدا كيفية تقليد مؤلف « درة نادرة » للوصاف ودرجة توفيقه فى هذا العمل ، فقد جاء فى تاريخ الوصاف .

(كانت المعادن هى التركيب الأول ، وهى تتصف بصفات الألوان والخواص) .

(كانت المعادن هى التركيب الأول ، خط قلم قدرته على الماء فصار جوهرا صافيا) .

(الاجرام علوية فى ميدان شوق أنوار الجمال ومطالعة جلایا أسرار كماله أحسن صفة فى عصا صولجان التقدير) .

(سقطت الأجرام العلوية من غلو شوق أنوار جماله البهى كلها على الفلك) .

كما نجد (ميرزا مهدى خان) اقتبس بعض الفقرات من (تاريخ و صاف) ، وأدخل عليها بعض التعديلات حتى لا يظهر اقتباسه .

(ارتبط كل عنصر من العناصر الأربعة من تأثير حركات شوق تلك تلك السلسلة رغم تضاد الأمزجة . واختلاف الكيفيات وتباين الأينات ، وظهر تركيب العناصر الثلاث فى عالم الكون والفساد) .

(ارتبط كل عنصر من العناصر الأربع من تأثير حركات شوق تلك السلسلة ، رغم تباين الأين وتباعد البين ، وجعل قابلة قابليتهم تخرج الكيفية الخامسة ، وتقلبت تراكييب المواليد الثلاث هيئة الصورة) .

(سبيكة الذهب الخالص ، وقرص الفضة الخالصة فى بوتقة الشمس الذهبية فى دار الضرب لسك العملة) •

(صك فى دار الصك « أعطى كل شئ خلقه » للذهب الخالص بنقش « صفراء فاقع لونها تسر الناظرين ») •

(عندما وصلت مرتبة التركيب للدرجة الرابعة ، أعبروا معشر البشر الذين كانوا أرقى الأنواع من تربية الآباء الفلكية والآلهات العنصرية فى رحم الارادة بمراتب التكوين والانشاء يوما بعد يوم وحالا بعد حال) •

(عندما وصل الامكان للدرجة الرابعة بالقدرة التى بلا نظير ترتيب التربية والرعاية ، أصبح فى رحم المشيئة وجه زينة جوهر الجنس البشرى بتأثير وتأثر الأفلاك والعناصر الأربعة) •

(مالت الطيور بالآلوف متكبرة فى غناء وصياح لواقح الرياح حاملة الغصن للخمائل بهدف تقبيل الجانب صباحا ومساء ، وعلمت القوى النباتية خواص الأفعال الشخصية والنوعية ، منعت الداية أصغار النبات عن المراودة والمخالطة لخدم التربية الأربع ، فتحت صريف النامية يد الصنعة فى استكمال أقطار الجسم على هيئة التناسب الطبيعى) •

(مالت خمائل السرور الجميلة من لطف الشواح وأجمال الفرع على الصدر) •

(تكون فى التركيب الثانى الرسم النباتى ، اجتمعت فيه صفات الأحجار المضيئة والمعادن ، بالإضافة الى قوى التنمية والتغذية ، واستكمال أقطار الجسم وخواص الأفعال النوعية والشخصية) •

هكذا نجد كيف أن (مهدي خان) يقتبس الألفاظ والكلمات والمعانى من (وصاف الحضرة) مستعينا بها فى « درة نادرة » ، وهذا يوضح مدى تأثره به وأعجابه بالفاظه :

(واقترب بحظ سعيد وحشمة لا توصف وانتماء) •

(وفرحة غامرة لا توصف ولذة دائمة وغير محدودة) •

كما تأثر (مهدي خان) بـ (الوصاف) فى إيراد أسماء البروج الفلكية ، الذى من المحتمل أن يكون قد تأثر بها الأخير من خلال كتاب « الفهيم لأوائل صناعة التنجيم » لـ (أبى ریحان البيرونى) ، ويتضح ذلك من الرسم الذى نقله وصاف فى تاريخه ص ٣٥٨ •

(أثبتت صور دوائر الأفلاك ، وأزال ذهن هندسة فتح المشتبهات
عن التدوير والجوامل وجوزهر ومائل الأوتاد ، حطم بجودة الطبع المضىء
فكة الفلك ، وزين العذراء بطوق عقد الرقبة ، وسحق قدم التفوق على قمة
رأس الفرقدان ، يظهر الاستجداء دائما من قصعة المساكن ، ويصعب ساكب
الماء شرف عزته ، يسعى دبران فى أدباره ، ويصبح السماك أعزل بطعن رامج ،
وأطلق ممسك الأعنة العنان لإيدائه ، تصلب الطيب فى عداوته وربطت
منطقة الجوزاء نطاق عداوته ، ويقدم قرن الثور الرأس لمنطقة ضرب السهم
بقوس جفائه ، ألقي السفينة بدوامة بلائه ، وكانت طريقة كل منجم « خرقاء
ذات نيقة » ، وخطوط جبينه عقرب النجس ، ولم يعلم الجوز شئ عن
الجوزاء ، ولا الشعير عن الشعير ، وعندما سألوا عن السماء تحدث عن
الحبل ، وعندما تكلموا عن الفلك أجاب عن الفلسفة ، كان دائما الفلك
حقير الملاحظة من بخور النجوم المجرة دائرة حفل عشرته) .

كما عمد (ميرزا مهدى خان) فى تقليد (وصاف الحضرة) فى ذكر
كنى وألقاب الأدباء .

(كل أديب يلغو وقت تحقيق اللغة وبيان كمال بلاغة ماثورات
الأصمعى) اللغوى ويقراً مقولات (الهري) هراء مطلقاً ، ولا يرى
(الجاحظ) هنا حظاً من علمه ، يرتدى (الكسائى) كليماً على رأس
الترهات ، قلد (نمرى) كلب الصفة قلادة التعليم) .

(كل أديب أريب يؤدب فى بيان فنون أدب (السيوطى) بسيماط
التقريع ، اتجه (نمرى) صوب وجه الجمال ... خط الجاحظ هناك ،
ولم يعترف (ابن هري) الهسر من البسر واكتسى (كسائى) بكسائء
الشرف) .

كما قلد (ميرزا مهدى خان) (وصاف الحضرة) فى ذكر القلاع
والحصون ، فذكر (الوصاف) عن قلعة شنجار .

(أمر السد حتى يقيموا الوثاق لدعائم فلك الرواق محاذى للمقلعة ،
وحاصر الجيش كافة أنحاء المنازل والمطالع وهم على ظهور الخيل ... وفى
اليوم التالى عاينوا جانب الحصن ، جعلوا من كثرة الحطب « حمالة الحطب »
وأوصلوا حمزن « سيصلى ناراً ذات لهب » ، وظهر صورة المجانيق التى
رفعوها من أطراف « فى جيدها جبل من مسد » .

وفى القطعة التالية نجد كيف أن (مهدى خان) سار على نهج
(الوصاف) .

(حمل المدفعجية بأمر الملك المدافع لذلك « قلعة كركوك » من الأطراف الأربعة قرب سور القلعة ، وفي اليوم الأول نثر الثعابين تينينية الجسد نار جهنم من الفم على أرض وسقف القلعة منذ الفجر حتى العشاء ، كانت أحجار القذائف التي سحقته تنزل آية « فاتفوا النار التي وقودها الناس والحجارة » ، ورسم من الطلقات النارية على صفحات حظ ذلك القدم نقوش « يوم يكون الناس كالفراس المبتوث » ، وجعلوا ألواح الجدران تكتب بقلم الرعد الصرير كتابة « وتكون الجبال كالمهن المنقوش » .

أما بالنسبة لوصف (الوصف) لبلاد « الهند » فقد قال :

(باتفاق سائر الأمم فإن بلاد « الهند » أكثر بقاع الدنيا اعتدالا ومن أجمل ربوعها ٠٠٠ أوراق وقشور الأشجار والتراب والأعشاب وحطبها قرنفل ومسك وعود وصندل وكافور) .

وقد قال (ميرزا مهدي خان) مقلدا (الوصف) في وصف « الهند » :

(« الهند » مملكة واسعة عريضة ، وهواؤها في مزاج كبرى القلب مثل تأثير المومياء ٠٠٠ شجرها عرعر وحجرها مرمر ، ٠٠٠ كل ورد أرضها من برعم ورد أرض كلها منافع ، وكل نبات متفتح من بوتقة الجواهر جي فضة صفراء (١٤٠) .

لم يقتصر (مهدي خان) على تقليد (الوصف) والاقتباس منه ، بل أنه تأثر بنصوص فارسية أخرى واقتبس منها ، ومن هذه النصوص « نفثة المصدور » .

(خلال اثني عشر يوما هدنة بصحراء موغان ، كان مشغولا باستعراض الجيوش والجنود وراحة الخيول واعداد السلاح والعتاد ، كما كان يذهب منذ الصباح حتى نهاية اليوم لصيد الغزلان والبط البري ، وارتبط الغبوق والصباح بعزف الناي والعود وتغافل بالنغمات الحسروائية عن النغمات الملكية ، وتشاغل بأوتار اللهو عن أوطار الملك) .

بينما كتب (مهدي خان) مقلدا إياه في وصف استعدادات الجيش للمعركة :

(سحب المقاتلون اليد من مقابض السيوف ، واستبدلوا سيف اليد برقبة حسناوات قوس هلال الاحمال ، قال لابسو القلنسوات أن الحسناوات هن أساس القتال ، وارتدوا بدلا من القبة والقلنسوة حب شاهدي الزينة .

(١٤٠) ميرزا مهدي خان ، درة نادرة ، ص ٤٠٣ ، ٤٠٤ .

كان العظماء والملوك الذين يعزفون على خراطيم الأفيال يعزفون على نغمة ربابية الخرطوم ، ذهب الأبطال الذين مثل الشيخ بغومة المدفع والبندقية ، حصاروا خلداع أمتار التحرير ، ٠٠٠ المصلى على سجادة العبادة ترك الصلاة ، وجرة الطاعة ، وثمل من خمر العصيان ، وجاوز طريق العدل) .

وهناك مواضع أخرى فى « نفثة المصور » تأثر بها (مهدي خان) :
(وقت عطعطة الكفاح وجمجمة الجياد وقعقة السلاح وولولة الأجناد ، وقلقلة الكؤوس ، وصوت التقبيل وصوت القلى وصوت رباط السروال) .
(فى الاسطبلات والمرابض من صوت التيس ونخيف العنز وخوار البقر ٠٠٠ وعققة العقق ولقلقة اللقلق وشيشقة العصفور ، وزرزة الزرور وبطبطة البط) .

(واقترن وجه الملائكة بشكل القمر ، وحسناوات خيمة الاستقرار بديوان الوجه الأسود وقبح منظر العفاريث) .

(اقترن كل ألم ببطل ، وارتيب كل ملاك بشيطان) .
كما تأثر (مهدي خان) بـ (كلستان) ، حيث أنه تأثر ببعض الكلمات التي وردت بها وضمها « درة نادرة » ، مثال ذلك :
(من فيض مرحمته مرت دايات السحب بلا موانع ، كانت نبات الورد الأحمر نبات فى مهد البستان كالنهدى الملىء باللبن على الشفاه) .
و (مهدي خان) فى الفقرة السابقة متأثر بما ورد فى (كلييات سعدى) :

(أمر داية سحب الربيع حتى ترعى صفار النبات فى باطن الأرض) .
(جاء النخل الباسق فى أرض عشقه قدم فى الطين ، تعب القلب من حسرة البلح الطرى) .

وهو أيضا متأثر بـ « كلييات سعدى » ، حيث ورد بها :
(صار الباع برعايته نخلا باسقا) .
وهن جملة الكتابات التي تأثر بها (مهدي خان) « مرزبان نامه » ، فقد ورد فيها :

(تفاخر فاخر بتلميذه ، وتراجع سعى كوشيار عن مرتبته) .

ويظهر تأثر (مهدي خان) بهذه العبارة في :

(همس (كوشيار) مثل الأذن أو القرط ، كان (فاخر) شاكرا
لتلميذه والمملك مفاخرا بخادمه) .

لم يكتف (ميرزا مهدي خان) بالتأثر والاقتباس من النصوص
الفارسية ، بل أنه تأثر بالنصوص العربية ، ومن أكثر النصوص العربية
التي تأثر بها مقامات « الحريري » ، حيث أنه ضمن « درة نادرة » فقرات
كاملة من المقامات ، مثال ذلك :

(أصبح الرأي شديدا والعزم أكيدا ٠٠٠ القلم حصان ٠٠٠ جعل أثر
حافر الادهم قلمه البليغ وان لم يدرك الضالع شأو الضليع) .

كما تأثر بـ (الحريري) في موضع آخر :

(وصارت الفضة البيضاء في اليوم الأسود مورثة العيش الأخضر
ودافعة الموت الأحمر) .

أما ما ورد في مقامات (الحريري) فهو :

(فمد أغبر العيش الأخضر ، وأزود المحبوب الأصفر ، أسود يومى
الأبيض ، وأبيض فودي الأسود ، حتى رثى لى العدو الأزرق ، فحبذا الموت
الأحمر) .

وهكذا يتضح لنا من الأمثلة السابق عرضها أن (ميرزا مهدي خان)
واسع الاطلاع ، استطاع أن يطلع على مختلف النصوص الفارسية والعربية ،
وتفهمها جيدا ويتأثر بها في كتاباته ، وعندها كان يعجب بفقرة من فقرات
النصوص التي يطلعها ، كان ينقلها كاملة دون أى إضافة منه .

ولعلنا نلاحظ أن (وصاف الحضرة) كان له نصيب الأسد في التأثير
على (مهدي خان) ، وانعكس هذا بالتالي على كتاباته خاصة في « درة نادرة » ،
فقد كان يستخدم نفس اللفاظ والعبارات والمصطلحات مضمنا إياها
« درة نادرة » .

- ٤ -

النثر في العصر الأفشاري

إذا تصفحنا كتب الأدب الفارسي فانبأ لن نجد تحديدا للعصر الأفشاري ، وربما مرجع ذلك الى أنه ليس هناك سمات تميز الأدب في تلك الفترة عن العصر السابق له ، كما أن هذا العصر لم يضيف جديدا للأدب الفارسي، وبالتالي فإنه لم يسترغ انتباه مؤرخي الأدب، كما أن فترة هذا العصر قصيرة (١١٤٨ - ١١٩٠ هـ) ، لذا فإن مؤرخي الأدب يعتبرون الأدب الأفشاري إنما هو امتداد للأدب الصفوي ، وهذا يعني أن الأدب الأفشاري يتسم بنفس سمات الأدب الصفوي ، وأهم هذه السمات التي تظهر بوضوح في « درة نادرة » .

١ - طول الجمل • مثال ذلك •

(أ) أدركوا من حدوث ذلك الاستعداد فرح بلا غم ، وفرج بلا فقر .
وبلاء ورحمة بلا تعب وعناء ونعمة مصانة من العقاب ، ومسرة عميقة لا توصف ، ومتعة دائمة وبلا جدود وعمن كامل غير منقوص ، وحياة خالية من الغم والكدر .

(ب) مقدار قوسين ومقدار رمحه كاشف أسرار « ن والقلم » وراية « وانشق القمر » بشعار ساري نصيب علمه يرق سفينة .
نوح للأمة ، وشمس الفلك لـ « وحى يوحى » ، أحمد القلب .
الذي السنة حمده في الجمد والمدح دعاء ثناء كثيرة جدا .

٢ - أما السمة الثانية من سمات أدب تلك الفترة كثرة الجمل الاعترافية .. مثال ذلك :

(أ) أى فاضل كامل وافر العقل - الذى فى أيام كدر الحياة - لم تتساقط من واقع حسرته دمة من العين الدامعة .

(ب) أولا كان الأمير ويس من رعا « قندهار » - حيث أنه فى عهد الخاقان السعيد الشهيد شاه (سلطان حسين) - أسرع تجاه القصر السلطاني ليشكو من سوء سلوك والى تلك الولاية

وشوك قدرة الجماعات المسلحة سلاحهم الشاكي وبقلب
مجروح وعين باكية متظلما ومتألما .

(جعل قلعة « عمر كوت » - التي تقع فى وادى « غير ذى زرع »
وهى أصعب القلاع والأماكن وصحراء أطرافها « أقفر من برية
خساف » ومن أبرق العزاف - مأوى له) .

(وحدث أن عيى الأضحى والنوروز - اللذان هما أعواد نار
أضياء عالم الحرقه - قد جاء فى يوم واحد) .

٣٠ - السمة الثالثة حذف الأفعال من الجمل . مثال ذلك :

(لوى يد الفلك مقبض هراوته المضيفة ، وسحبت أفعى شجرة
الخدنك قبضة الشمس ، فانقلب الوجود رأسا على عقب من الخصم
سبىء الأثر ، وشكل مقبض السيف تنين الوسط فى نظر الشعبان
ناثر النار) .

(يضع الفلك قطن من السحاب فى الأذن من صوت فتح باب بلاطه ،
ويقبع الأسد فى العرين من صولة سيف جراته ، وتسكن أطراف
البعوضة) .

(فى زمان بهجة أثاره من غناء سعادة طائر الكباب على سينج كباب
عازف الربابة ، ، وفى أيام الرخاء فان سحاب أول الربيع يبدو وكأنه
كأس الفلك الزجاجى على خد الريحان ورائحة الياسمين وشراب ماء
الورد) .

٤: - السمة الرابعة استخدام الآيات القرآنية بكثرة ، فلا نكاد نجد موضعا
يخلو من آية قرآنية ، حتى أننا اعتبرنا (ميرزا مهدى خان) يفسر
التأويل تفسيراً إسلامياً ويستخرج من الآيات ما يلائم الحدث الذى
يذكره ، ويورد توضيحا قرآنيا مثال ذلك :

(وسفينة ارادة خاطرك البحر فى هذا البحر اللجى مجداف
» وما يستوى الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل
ولا الحرور ») .

(هبت فى « أصفهان » ربح هواء البلاء ، نظرا لتلاء الغلة ، وغلبة
الصعاليك ، وزيادة الأحمال ، أظهرت شدة الجوع آثار « لا يسمن
ولا يغنى من جوع ») .

(جذب مغلب قتلة المصائب من تلا ييب جلاله المنع ، فى نهاية عهد الخاقان الشهيد » وأنه على ذلك لشهيد « ، جعل خواتيم اماره وولاية . «تون» فى الأصبع) .

٥ - السمة الخامسة ، الاكثار من الاشعار العربية والفارسية ، مثال ذلك :

- فاحت رائحة الروح المعطرة من الأوراق العنبرية .
- ان كل قطرة كانت أقوى من المسك الصافى .
- من خوف ضرب سهم قوس ذو القرنين .
- تذهب الشمس كل ليلة فى أى مغرب .
- هذا الطريق مأمور من الغرور .
- أخشى ألا تصل للمنزل من بعيد .
- نتكن بلا لسان لترى أن القلم .
- حيث تجد اللسان فان رأسه فى خطر .

لم ترى عيني كاتبا مثله	لكل شىء شىء شاء وشاء
يبدع فى الحظ وفى غيره	بسمحه الانشاء ان شاء .
تأمل فى نبات الأرض فانظر	الى آثار صانعها المليك .
عيون من لجين فائتات	وأجفان من الذهب السبيك .
زال ذاك أم صفو العقار	وزهر اللفظ أم درر الدرارى .
كنشر القطر فاح بكل قطر	وكالدرارى عطر كل دار .
بنفس كتابا أرانى عيانا	أجل وأشرف نوع المقول .
فألفاظه ولمعاني جميعا	مراى العيون مراى العقول .

٦ - السمة السادسة ، الاسراف فى استخدام المحسنات البديعية والبلاغية ، مثال ذلك :

- (أ) الكناية : (لم يجعل الفلك من الشمس دعوى صاحب القبة) .
- الواضح أن المؤلف أورد كلمة « قبة » كناية عن الشمس ،
- وأيضاً صاحب القبة كناية عن الملك .
- بدء العمل بفتح قلعة مينا « قلعة مينا » كناية عن زجاجة الحمر .

– أوج نير اقباله منذ ظهور الشمس حتى انقضاء نصف النهار •
هذه الجملة تجمع بين الكناية والطباق ، فهي كناية عن قصر
حكم الملك (محمود السجستاني) ، كما أن هناك طباقاً بين
ظهور وانقضاء •

(ب) الطباق : فرح بلا غم ، وفرج بلا ضيق ، ورحمة بلا بلاء وعناء •
– ويشرب بجائزة الجهل من شراب تحسين العظماء والصعاليك •
– كأس تصديق « بل هو شاعر » • الطباق هنا بين عظماء
وصعاليك •

– استراح في مهد عهده الملى بالنفع الأبيض والأسود •
الطباق بين أبيض وأسود •

(ج) الجناس : أساس هذا الادعاء في خلد الخلد وجنان الجنان
تفتح عقد اللؤلؤ • الجناس بين خلد الخلد ، جنان الجنان •
– صار الرأي سديدا والعزم شديدا •
جناس بين سديد وشديد •

– واعجابه (قمقمة حكمت بجانب الباذل) ستكون شبه شبه
خزف الحرف المزخرف لنفسه ، كيف ستسحب مع الجواهر
النفيسة جوهر سوق زينة البلاغة بعقله واحد ؟

– لست موجة بين البحر الأحمر وعمان ، بالالاح واللباح
أين كل نطف المنوطه بى ؟

(د) الاستعارة : أظهر (التركمان) أيضا يله التناول من الجيب •
استعارة تصريحية ، حيث انه أراد أن يظهر مدى التناول
فاستعار اليد وصرح بها •

– واقتربت من طلب الليل والنهار الظلمة والنور معا •
استعارة تشبيهية الظلمة استعارة عن « الاوزبك » ، وشبه
الفتيات الايرانيات بالنور •

٧ – السمة السابعة ، حشد الألقاب والصفات والرتب •

تحرك من « قزوين » تجاه « شيروان » ، جعل قلعة « شماخي »
الشامخة مقر جنده (شماخ) الشوكة الشوامخ العظام ، كان (بنوك)
الحرية ، و (زوبين) الشجاع ، « كيوان المعركة » • « كيو » القدرة ،

وبطولة (كيوان) ، مهابة البطل العاقل الذي كل واحده (جهن)
العالم والتميز في الاكوان .

(حدث في الاوقات التي نزل فيها جماعة مالك العالم لحدود
« داغستان ») .

(دخلت مفاتيح قلاع « آذر بايجان » الأربع بقبضة ملك الاقاليم
السبع) .

(ملك الملوك ملك القدر الذي كاسمه ندر وفي سماء السلطنة بدر
ملك « ايران » زينة صولة ايران الذي كان في ميدان قتاله « باورد »
اقل من نسا) .

٨ - السمة الثامنة ، المبالغة في المدح . مثال ذلك :

(أظهر بقدم الشجاعة الرأس بالسروور واليد لقذف العدو « حتى
يتميز الحبيث من الطيب » ، وصار من قبل الرجولة والعلم لاكتساب
التأييد ، وبحد السيف الحديد المستخدم لفتح البلاد ، وقاد جواد
العظمة من طبع الكريم على العطاء ، سخب للاكتشاف أسوء اراضي
الاطراف ، وأحاط الاطراف والجوانب ، وقطع اكتاف وأطراف أهل
الخلاص ، ربط السيف لقائد الجيش وقائد العدو ، وبسط الساعد
وفتح الشبكة وعلق يد الفتنة على الظهر ، وأوصل لأذنه حجاب
باب الملوكوت) .

(ألقوا بخاطره الخطير ، كان حسن المظهر ، جميل ، مخلص ، أسد
الصولة ، وسيم ، واضح الصوت ، امتلك مصيدة العدو لصنيد صقر قوى
الشكيمة ، سلوكه يوافق مسلك كل فرقة وطبقة (وافسق شن طبقه) ،
ومحبته سلسلة قلب الضعفاء والأقوياء (كأن قلوب الناس في حبه قلب) ،
كانت له وجهة وجبهة ، وذاكرة قوية ، ووجه موثق ، وبأس مهلك) .

(وتشبع واقفي مجالس الحضور المبارك من مبارك لطفه وصنائع
احسانه ارتدى السفلة والعظام من لباس الأنعام العام ومجمع عطاياه
وكرمه ، وشربوا الشراب وامتلئ مجلس الملة المحمدية برائحة المسك
المقريل ورائحة روح اشارة صيائنه العطرة ، ووصلت شمس الدنيا
المصطفوية في شهر فروردين دولة ثباته بمحاذاة خط الاستواء واقترح
مداحو العهد السعيد الباسم لسان أعداد التهئة بشكل جميل ، وبارك
الدهر الانتصار على نصيب وحظ الملك زبرجد العرش ناشر الجوهر) .

- ٥ -

ملاحظات على نشر « درة نادرة »

إذا نظرنا الى « درة نادرة » ، نجد أن غرض (ميرزا مهدي خان) من تأليف هذا الكتاب ليس التأريخ ، بل رغبته في تملك ناصية اللغتين الفارسية والعربية ، وكذا أظهار مهارته في الانشاء الفني والمتنصع ، والذي ينبغي أن نوضحه هو الى أى مدى استطاع أن يوفق في تحقيق غرضه ؟

منذ الرحلة الأولى ندرك أن لـ (مهدي خان) حصيلة كبيرة من مفردات اللغة الفارسية والعربية ، كما أنه تمكن من فهم المعاني الحقيقية والمجازية .

ويذهب البعض الى أن (مهدي خان) استخرج الكلمات التي استخدمها في كتابه من القواميس ، لكن من يدقق النظر في « درة نادرة » ، يتحقق من بطلان وجهة النظر هذه ، فلو أن مهارة (مهدي خان) تقتصر على استعمال الكلمات الغريبة فان احتمال تصديق القول السابق يكون وارداً ، لكن نلاحظ أن عبارات « درة نادرة » في الوقت الذي تحتوى فيه على كلمات صعبة وغريبة وقليلة الاستخدام ، فانها لا تخلو من الصناعات اللفظية مثل الجناس والتضاد والتضمن ومراعاة النظير ، وما الى ذلك من الصناعات اللفظية الأخرى . مثال ذلك :

(ينبوع بخت أهل الحرب جاء مثل كثرة عيون أرم الصافية ، وهيكل المحاربين » العثمانيين » من تفتح براعم جروح غصن الورد الأحمر ، صارت الجماعة فريسة للسيف الشهير ، أسروا لسير سيرج عناق الخيل ، صارت رؤوس الجنود في ساحة القتال من أسفل جرعة غنائم الثمل ، وفي طرف اضطراب نوق أحوالهم حاملة الأناقة الجميلة ، وبمدلول « أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة » ، بدأ الأمر بشرح عادة الإيعاظ بأمر قلم صحة البيان ، أصدر منشور يقوم على قلع شجر التشاجر) .

في الفقرة السابقة نجد أن مهارة المؤلف ليست فقط في استخدام الكلمات ومشتقاتها بل انه استخدم أيضاً صنعة الجناس والتضمن والاستعارة والتشبيه ، حتى ان الشخص الذي لا يكون له سابق معرفة

بمفردات اللغة ، لا يدرك مواضع استخدامها من حيث الاطلاع على آثار الأدباء السابقين ، ولو أراد المؤلف أن يرجع للقواميس ، فانه لم يكن ليلقى أى توفيق ، بل انه فى مواضع استخدام مترادفات أو بعض أقسام الجنس بحيث أنه يلفق الكلمات لصياغة جملة .

اذن فان مما لا شك فيه أن ل (مهدي خان) معرفة تامة باللغة من حيث صرف ونحو ومعان وبيان ، كما أنه قرأ النصوص الأدبية المشهورة ، وجعلها تستقر فى ذهنه واستفاد منها جيداً ، واستخدم كثرة من الكلمات العربية والفارسية « ثمان آلاف كلمة » أما من ناحية تركيب العبارة فهى تشتمل على محسنات وصفات لفظية بكثرة ، خاصة أنواع الجنس ، بل أنه الركيزة الأساسية فى صنعة كتابه « درة نادرة » جناس الخط ، وأحياناً ما كان ينشئ من أجل هذا الجنس عبارات لا تخلو فى اللفظ والمعنى من ثقل وركاكة . ومثال ذلك :

(جمال منظر السهم المحكم هى طريقة صنع كل جوهر ملون صافى) .

(لو أن الله الوهاب لم يرفع عرش فلكه لمرتبتة درجة على الفلك) .

كما أكثر أيضاً من استخدام صنعة بدعية أخرى وهى السجع ، وقد أولى هذه الصنعة أهمية خاصة ، بحيث أنه أحياناً ما كان يورد جملاً تحتوى على سجع رغم تأثير هذه السجع على استقامة عباراته . مثال ذلك :

(أنواع جواهر الترصيع وأجناس الجنس البديع فى درج درج املائه الصافى صواف وأصناف وشائج التوشيح والتلميح فى درج انشائه الضافى على مواقع وقيع التوقيع طواف ابن فضل الله أبى الفضل عبد الملعب بالوصاف) .

وهكذا نجد أن المؤلف ذكر كل هذه التكلفات من أجل أن يذكر (الوصاف) ، كما يبدو ذلك فى هذه العبارة . فرح بلا ألم ، وفروح بلا ضيق وعوز ، ورحمة بلا تعب ومشقة .

ومن جملة الصناعات اللفظية التى أكثر المؤلف من استخدامها التضمين ، حيث ضمن مؤلفه الكثير من الآيات القرآنية والأمثال العربية وأبيات الشعر العربية والفارسية ، وهو فى هذا المجال يمتلك مهارة كبيرة . مثال ذلك :

- (حتى فى مراقى معرفة الله ، أيقن تكميل جوهر النفس والايمان بدلالة « أولم ينظروا فى ملكوت السماوات والأرض ») .
- (كان من شمس حسنه بلا زوال ملقى شعاع « مالكم من زوال ») .
- (ظهر مثل صباغى آثار « صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة » .
- فى ألوان الرياحين والأعنان) .
- (فضاء البهجة الزائدة « جنات عدن مفتحة لهم الأبواب » ومنزوى المجلس المطلوب ، « متكئين فيها يدعون بفاكهة كثيرة وشراب ») .
- (ظهر فى الأرض دخان من تراب وغبار موكب قرين الفلك آثار يوم تأتى السماء بدخان مبين ») .
- كما أنه ضمن « درة نادرة » الأمثال العربية لتوضيح المعانى المختلفة وتكميلها .
- (ارتدى مرتدى الملابس الخشنة أصحاب العمامات رداء « أبرق من رداء الشجاع ») .
- (كان ذكاء « أركن من أياس » الذى كان دائما مثل أشعة الشمس على البطحاء وسفح الجبل وسهول وهضاب عالم المعانى اللامع) .
- (ووسط البحر الأحمر وبحر عمان محيط العدم ، وبالحاح وسؤال وطلب كل لآلئ هذه البحار أين أحاطوا بى ؟ « لو كان عندى كنز النطف وما عدا ») .
- (لم ينشغل فى نفس ظلمة الليل بحمل الأحمال « أجبن من نهار ») .
- كما أورد التضمين على سبيل التشبيه .
- (قفز لتلك الناحية بجناح السرعة « كاختطاف الخطاف واستلاب الحداة » وأشناع سفيه الاختلاس وبغايا الاختطاف بغنائم النعم وأسلاب النهب) .
- ولعل من مظاهر براعة (مهدي خان) فى الصناعات اللفظية بصفة عامة والتضمين بصفة خاصة إirاده فقرة واحدة تضمين من شعر فارسى ومثل عربى وشعر عربى مثال ذلك :
- هذا الطريق الذى بدأته من الغرور

- - أخشى ألا تصل الى المنزل لبعذك عنه .
- من صنف فقد استهدف والصمت أحسن من عى النطق والسكوت
- مستر ممدود وفدام على الغدامة .
- - لتكن بلا لسان أما ترى أن القلم .
- - منذ وجد لسانه ورأسه فى خطر .
- ثم توصل بوسيلة « ما لا يدرك كله لا يترك كله » وتوصل بوضلة ،
- فقد تسجع الورقاء وهى حمامة وقد تنطق العيدان وهى جماد .
- نهضت بقدم الأدب وطلبت بكف التفاؤل التكلف بزاد الطريق .
- ومن الملاحظ أن معظم الأشعار التى وردت بـ « درة نادرة » مأخوذة
- عن (أبو الفتح البستى) و (أبو بكر الخوارزمى) ، ومن المرجح أنها قد
- استخرجت من كتاب (أبو منصور الثعالبى النيسابورى) « يتيمة
- الدمر » .

● القسم الثاني

● الفصل الأول

درة نادرة _____
الترجمة

- ١ -

ترجمة مقدمة «درة نادرة»

ديباج (١) مقدمة كتاب كتاب الفصاحة ، المقترن بالمخطط والمديح بالمديح والثناء على خالق العالم ، قد أظهرت السرة العقلية للعقل الأول من أعماق (٢) محيط حكمته العميقة ، فباب الدر ومخرج قدرته العظيمة قد ظهرت في آن واحد بحرفي « كن » وظهرت من شعاع العقل الوضاء الفياض (٣) لفيض المعرفة القيمة لظهور النفس الكلية (٤) ، بالسناء البهي والبهاء السني ، فأزاد من لمعان ذلك المعدنين الثمينين ، ومن ضياء ذلك النجمين اللانهائيين وأجلى قيمة جرائد الجواهر المجردة (٥) المزينة بزينة التكثر (٦) ، وتزينت مفارق النفوس المارقبات (٧) بأكاليل التعداد ، انفلعت الأجرام العالية كلها بالفلك من شوق أنوار جماله البديع ، كذلك ظهر من الشمس المضيئة من عدم قرارها ، التي هي متحيرة لهذا المعنى ، وظهر من جدرى القدم الملىء بالنجوم ، الذي طوى صحراء هذه الأمنية ،

- (١) قماش من الحرير الملون ، محمد كريم ، برهان جامع ص ٢١٥ ، تبريز ١٢٦٠ هـ .
 (٢) العقل الأول أو الصادر الأول في رأى الحكماء أن أول صادر من الله تعالى العقل الأول ، وهي تقوم على ثلاث اعتبارات .
 (أ) وجوده في نفسه .
 (ب) وجوده من جهة وجود علته .
 (ج) إمكان ذاته ، وتصدر ككل واحدة من هذه الاعتبارات الثلاث باعتبار وجوده يصدر العقل الثاني منه ، وباعتبار وجوب أن يصدر غيره من ذاته ، وباعتبار أن ذلك الجسم صادر منه . محمد بن علي التهانوي ، كشاف اصطلاحات الفنون . ص ١٠٢٦ ، ١٠٢٧ . بيروت ، ١٩٦٦ .
 (٣) المقصود من العقل الفياض العقل العاشر أي العقل الفعال وهو العقل المؤثر يفيض في هيولا العالم السفلى والصور والنفوس والأعراض عن عناصر ومركبات هذا العقل . المرجع السابق ، ص ١٠٢٨ .
 (٤) وهي فلك الأفلاك . المرجع السابق ، مج ٢ ص ١٣٣٩ .
 (٥) مقابل المادى كما قيل في المجرى أنه يمكن أن يكون غير متحيز كما قيل عنه أيضا أنه مفارق ، المرجع السابق ، مج ١ ص ٢٠٥ .
 (٦) يقال متكثر للموجودات التي تشترك في الوجود وتختلف في الماهيات والعوارض . المرجع السابق ص ١٤٦٤ .
 (٧) قيل في تعريف المفارق أنه يمكن أن يكون غير متحيز وليس حال في المتحيز . محمد بن علي التهانوي ، كشاف اصطلاحات الفنون ، ص ١١٢١ .

وعندما رفع قبة هذا الرواق المنقوش ، ورسم بشكل الشمس الذهبية صور الكواكب الفضية ، جعل من تأثير أفلاك تلك المجموعة الشمسية كل مقدار من الاسطوانات (٨) الأربع رغم انفصال الأين (٩) وتباعده البين ، وبعضهم البعض دائمة قابلة قابليتهم لتوليد الكيفية الخامسة (١٠) وحدت تراكيب المواليد الثلاثة (١١) لقبول هيئة (١٢) الصورة . كان التركيب الأول المعادن خط قلم قدرته على الماء فصار جوهر صافيا وصب قلم صنعة اللون بالتراب ، فأصبح ياقوتا لامعا ، وأشتعل موقد معدن الكون من لهيب شوقه ، وأظهر الماس الناري (١٣) وعصرت قبضة ذوقه قلب الحجر ، ورشح العقيق الجسرى (١٤) من حجاب التوارى ، وملا الياقوت اللحمى (١٥) الوجه بدمع عشقه الدامى ، وحفرت شقائق النعمان (١٦) ذات النقوش الملونة على خاتم القلب . « الملك اليوم لله الواحد القهار » وارتدى الزمرد « الذبابى » (١٧) من ألوان الأخضر حرير « برمكس » (١٨) ، وطرز اللؤلؤ الطاووس (١٩) بنقش الحرير الرومى ، وتعلم طريقة التحل والتجلى ، وغلى

- (٨) جمع اسطس فى تعريفات الجرجانى يعتبره لفظ يونانى بمعنى أصل ، ويطلق على العناصر الأربع وهى الماء والرياح والتراب والنار . الشريف على بن محمد الجرجانى . التعريفات . ص ١٥ ، القاهرة ١٣٢١ هـ .
- (٩) أحد المقولات العشر ، وهى عبارة عن وجود الجسم فى المكان المخصص لأثنين ومملوء به أو الهيئة التى تحدث للجسم بالنسبة لمكانه الحقيقى . التهانوى كشاف اصطلاحات الفنون ، ص ٩٩ .
- (١٠) مقصود الكيفية الذى يظهر من تركيب العناصر الأربع ومستعد لقبول الصورة النوعية . المرجع السابق ، ص ١٢٥٧ .
- (١١) المواليد الثلاثة هى المعدن والنبات والحيوان . بطرس البستانى ، محيط المحيط ص ٩٨٥ .
- (١٢) الهيئة تقابل المادة . التهانوى كشاف اصطلاحات الفنون ، مج ٢ ص ١٥٣١ .
- (١٣) شكل من أشكال الماس . أبو الريحان البيرونى ، الجماهر فى معرفة الجواهر ، ص ٩٢ حيدر آباد سنة ١٣٥٥ هـ .
- (١٤) نوع من أنواع العقيق الخراسانى . المرجع السابق ص ٨١ .
- (١٥) نوع من أنواع الياقوت وهو أقل من الأرجوانى وأرقى من الجلنارى . المرجع السابق ، ص ٣٢ .
- (١٦) نبات حولى معمر زهرته كبيرة ثنائى النصل . وديع جبر ، معجم النباتات الطبية ص ٢٤٣ . بيروت ١٩٨٧ م .
- (١٧) زمرد أخضر صافى وشفاف ولونه يميل أحيانا للون الذباب الأخضر الذى يطير بين الأعشاب . أبو الريحان البيرونى ، الجماهر فى معرفة الجواهر ، ص ١٦٠ .
- (١٨) نوع من أنواع الملابس الحريرية الرقيقة . محمد باد شاه ، لهرنك آندراج ، مج ١ ، ص ٥٦٩ .
- (١٩) نوع من اللؤلؤ بياضه ممزوج بالأسود والأخضر والأحمر . الجماهر فى معرفة الجواهر للبيرونى . ص ١٠٤ .

دمه الأحمر الياقوتى فى العروق من العشق ، واكتسى جبل «بدخشان» (٢٠) بالحرير الأحمر من خلعة عنايته الثقيلة ، وأصبح كل حجر فى حجر عنايته جوهر ، وصار مصان من عروض الاندثار ويكون كل نوع من صلب المنجم دليلا على الخالق صلب الأساس .

وامتلك كل من الغرر الدرر لفيض ذرات تعاقبه ليكثر خير العز القيم . زين صورة المرجان عالمى الجماد والنبات بالحلية الياقوتية رافعا غصن امتيازه ، سك فى دار الصك (٢١) « أعطى كل شئ خلقه » ذهب خالص بنقش « صفراء فاقع لونها تسر الناظرين » كعملة رائجة ، وجعل الفضة البيضاء فى اليوم الأسود سبب العيش الأخضر ودافعة الموت الأحمر ، وأظهر أن النحاس الصافي للاندفاع بالليل والنهار، وتغيرات الزمان ومتطلبات الحياة المادية يلى الفضة الخالصة ، وعفا عن قلع الطريقة البسيطة وفيضان الصورة التركيبية القيمة على الرصاص ، وخلع القصدير اللباس البخارى وظهر من قناة العدم ، وجعل كرامة الحديد من أصل الحكمة السديدة « فيه بأس شديد » رعى الزنك فى غصن التريبة مثل وردة بلا شوك ، تكون فى التركيب الثانى (٢٢) الرسم النباتى ، تجمعت صفات الحجر الصلبة والمعادن المشتعلة على قوى التنمية (٢٣) والتغذية ، واستكمل أقطار الجسم (٢٤) ، وخواص الأفعال النوعية والشخصية (٢٥) وظهرت آثار (فأنبتنا به جناب وحب الحصيد والنخل باسقات لها طلع نضيد) وظهر معنى « وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج » ومدلول « ثم يخرج به زراعا مختلفا ألوانه ثم يهيج » ترك من فيض مرحمته دايات الندى بلا مانع وظهرت الورود الحمراء فى مهد البستان ندى ملء باللبن على الشفاة .

(٢٠) اسم نوع من الياقوت الذى لا يوجد الا فى جبل بدخشان فى ساحل نهر كليجه . أبى ریحان البيرونى . الجماهر ، ص ٥٢ .

(٢١) وهو المكان الذى يسبك فيه النقود وهنا استعارة لعالم الخلق . (٢٢) تتكون المركبات من مجموعة أشياء بسيطة ، والتركيب الثانى يصدر من الحس والحركة الارادية ويتكون من نفس حيوانية وجسم مختلف لذلك الحيوان كشاف اصطلاحات الفنون ، مج ١ ، ص ٢٥٧ .

(٢٣) المرحلة التى يكون فيها الجسم فى مرحلة الكمال . (٢٤) القصد من أقطار الجسم أبعاده الثلاثة ، واستكمال يعنى التحرك التدرجى ناحية الكمال د سيد جعفر شهيدى ، تحقيق درة نادره ، ص ٧٦٥ . طهران ١٣٤١ هـ .

(٢٥) الفعل النوعى أو الفعل العام الفعلي الذى فيه يشترك لا أقل من نوعين أو شيئين مثل التنمية والتغذية نسبة للنبات والحيوان ، أما الفعل الشخصى عبارة عن كفاءات مخصوصة تلك جسم مثل استكمال أقطار الجسم . المرجع السابق ، ص ٧٦٦ .

حمل بمساعدة كرمه رياح الفجر وردا ناريا بالماء والضياء التام من
التراب ، ومال على الصدر جمال خمائل أشجار السرو من لطف عقد اللؤلؤ
وأعلام الغصن الملونة ، أعطى أغصان الشمسباد (٢٦) المشبعة بالماء من
السحابة ، ظهرت البراعم والزهور بالغمزات والاشارات أكثر جمالا من
«معمشوقه» «بربر» (٢٧) اللؤلؤية ، ظهر عود النرجس بثوب أزرق وثياب
فرسية (٢٨) ، وظهر الورد من الطين ، والسنبيل من التراب ، ونبت للمصبي
شعر لحيه حيث أنه بلا لحيه ، تدلل السعداء من اهتزاز صباه (٢٩) لطفه
المرتدى القميص الأخضر ، والمشنف بالقرط الأبيض تدلل السعداء ،
تمايلت براعم شفاة الزهور المتدللية المرتدية اللباس الحريري . وحديقة
ذات ورود ومزدانة بعقود اللؤلؤ الخالص فى البستان .

تواجه طرف الصحراء الجرداء والحديقة الموردة من طرف اختراعه ،
وكتب حرف ألف «سرو آزاد» ، وباء «بيد» ، و ودال «دلب» وعين «عرعر»
من كتاب (كلستان) (٣٠) ابداعه و «ف» فتح الجنار (٣١) يد الحاجة
من كل ورقة ، طالت من الأصابع الخمس سبابة الوحداية ظهر النخل
الباسق (٣٢) فى أرض عشقه غائضا فى الطين ، ومرض القلب من حسرة
البلح الطرى . من مطالع الأغصان طلع الطلع ، وزهر الزهرة ، والنور
زهرة نور زهرة الزهراء من السماء السماء ، ومن القضب الزبر جدوة
تلاأت اللآلئ البيضاء ، «ان الله اصطفى آدم» بلا تردد زينة الزينة ، ورتب

(٢٦) نوع من الأشجار العالية معقدة الأطراف ، جلال الدين بن محمد غياث الدين
غياث اللغات ، ص ٢٨٣ .
(٢٧) مدينة فى السودان تقع على نهر النيل ، فى درجة ١٨ دقيقة واحدة عرض
شمال حاشية البرهان القاطع ج ١ ، ص ٢٤٩ .
(٢٨) نوع من الثياب ، نسبة الى نرسى وهى قرية بالعراق ، بطرس البستاني ،
محيط المحيط ، ص ٨٨٧ .

(٢٩) رياح تاتى من الشمال وعكسها الدبور وهى مخصوصة بين الرياح برقة النسيم
وطيب الهبوب ، أبى منصور الثعالبي ، ثمار القلوب ، ص ٦٥٦ .
(٣٠) من كتب النثر الفارسى ، ألفها سعدى شيرازى شاعر وأديب إيران العظيم
عام ٦٥٦ هـ . برسم الأمير سعد بن أبو بكر بن سعد زكى ، وهو كتاب فى التربية
والأخلاق . زهراى خانلرى كيا ، قوهنك ، أدبيات فارسى ، ص ٤٢٣ ، ٤٢٤ .
(٣١) نوع من الأشجار المنتشرة فى إيران وأوراقها تشبه قبضة الانسان ويصل
عمرها الى ألف عام ، محمد غياث الدين ، غياث اللغات ، ص ٢١٣ .
(٣٢) الاحتمال الأقوى أنه متأثر من جملة سعدى الشيرازى التى وردت فى
الـ «كلستان» (وتتم خرمائى به تربيتش نخل باسق كشته) . سعدى شيرازى ،
كلستان ، ص ٢ . تصحيح قريپ .

فى مقام « وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » سائل الكثرة ، حتى
أيقن فى مراقى معرفة الله بدلالة « ولم ينظروا فى ملكوت السموات »
تكميل جوهر النفس وثباتها ، ظهر بسلم التسليم على غرفات العرفان
ونوافذ الشرف ، وشاهد من ثقب القلب المضى عين مناظر مفرح العالم ،
واستحق جلائل القدس ، وصاروا من خمر المعرفة ثمالى الحق ، وادركوا
من حدوث ذلك الاستعداد فرح بلا أذى ، وفرح بلا ضيق ، ونعمة ورحمة
بلا بلاء ومشقة ونعمة مصانة من النقمة ، ومسرة عظيمة لا توصف ، ولذة
دائمة وبلا حد ، وعمر مبرأ من الزوال وحياة خالية من الغم والكدر والرياء
« أكبره بأصغرى » (٣٣) رايدا زايداً كبيراً كثيراً .

بعد الحمد والمدح فى الصباح والمساء ، الرائحة المفيدة الثناءات
الشائعة وجماعة الروائح الطيبة المنتشرة ، التى تبتسم من نسيم الصبأ
ثمرات القبول ، تأخذ النفحات المسكية النسمات تسليماً بلا حصر التى
من حركة شمائل مسك ثمار تلك الخفايا والظواهر ملك الملكوت الى يوم
القيامة ، شمائل عنبرية الرائحة تليق بضريح البيت المعمور (٣٤) حضرة
ضريح الأمة ، وقرأ من كتبه بلاط قصره الآية الكريمة ، « ومن دخله كان
آمناً » وتباهى بمساواة قدرة أصل الكونين ، كما كانت لواضع جوهر قدرته ،
جهل عز العرش عرش درجته من درجة العرش الملكى الأعظم ، وقلب وعين
الكفر والاسلام من ضياء أسنة رماح العالى نور وضياء .

مقدار قوسين ومقدار رمحه كاشف أسرار « نون والقلم » وقطعة
« وانشق القمر » شعار سارى نصيب علمه يبرق سفينة نجاة أمة نوح ،
وفلك « وحى يوحى » شمس ، أحمد القلب الذى السنة حمده فى الحمد
المدح ، دعاء ثناءه كثير جدا ، وغبار سالك الفلك طرف خذائه على مفرق
طرف وطرفه تاج « بعثه الله على الأمم وجعله محجة للسبل » لئلا يكون
للناس على الله حجة بعد الرسل يعنى ذلك المبعوث للنساء والرجال ، الذى
أخمد نار الانجيل ، وطهر التوراة ، ورد المصحف من معجزات فرقانه المجيد
آية ، وعلم الأسماء ، « علم آدم الأسماء كلها » من المضمرة المخفيات علمه
اللدنى وآية عقد عبودية أبنائه على رقبة الانس والجن لازمة ، ونعمة شفاعته
لكشف غموم الأمة جمعاء متلازمة .

(٣٣) المقصود بأصغرى قلب المرء ولسانه - لويس معلوف ، فرائد الأدب ،
(٣٤) البيت المعمور هو مسجد فى السماء الرابعة من الزمرد والياقوت ، وهو فوق
الكعبة مباشرة بحيث أنه لو سقط شيء من البيت المعمور فإنه يكون على سطح الكعبة
الملائكة وقد كانت قبل الطوفان مكان الكعبة وقد لقب بالمعمور لأنه عامر فى كل وقت
بزيارة الملائكة محمد غياث الدين ، غياث اللغات ، ص ١٢٧ .

المبعوث على الأسود والأحمر ، حامى بيض (٣٥) الاسلام بالأبيض (٣٦) والأخضر ، ومأوى البيضاء (٣٧) عن سواد الملة البيضاء بالنصل الأزرق والرمح الأسمر ، سيد الأنبياء ، وسند الأصفياء ، محمد صلعم ، محمد نواثر الشرك ، ومكفر الكفر عليه صلاة الصلوات ، أطيح من نوافج المسك ، وعنبر الشجر (٣٨) ، ما سحر نور الكوكب ، ونجم السحر ، ونجم النور والكوكب عن النجم (٣٩) والشجر وتالى الحمد المحمدى سعة كرم المختارات ، ونجباء التحيات ببلاط النجيب ، ذو العظمة اللاتقة ، الذى رفع راية النصر لضرب سيف الغزو فى ميادين الدين والملة الغراء .

أشار نثار الحاجة ببلاط الأوصياء على حق المناسب الذين حرقوا كومة عمر الأعداء حقيرى الأصل ، المغرورين من برق السيف الدامى البتار لهلك بنار الهلاك ، أعنى خلفاء العصر وخلفاء العهد ، وباقي أهله وأصحابه ، الذين كانوا أقطار رحمة الرب الجليل ، وعلى الصالحين ذو العظمة والشأن المحمدى ، أدلاء السبيل ، كل واحد منهم والى الولاية وملك الدين « ونحن على ذلك من الشاهدين » على أرواحهم السلام من المهين السلام ، وعلى أقواه أعدائهم السلام والسلام والسلام .

وبعد فأنه لما كان كاتبوا العناوين ذوو الشأن قد كتبوا « خلق الانسان ، علمه البيان » منشور ذات بدائع (الفاضل الفاضل ، البازل ، البازل ، الفارع البار ، والصيدق الأشدق ، المصدع المصطع ، اللوزعى البيلتعى ، والوعوى اليلمعى ، الفائق النحرير والحبر الخبير الفائق فى التحبير والتحرير والمتبحر المتمهر ، الذى لدى تلاطم فضائله الطمطم طمطم وعنده لجة بحر تبخره غطماط اللجى متلجلج ومتلعم . أنواع جواهر الترصيح ، وأجناس الجناس (٤٠) البديع (٤١) فى درج املائه الضافى صواف وأصناف وشايح التوشيح (٤٢) والتلميح فى درج انشائه

(٣٥) بيض جمع بيضة ومعناها ، وهو حوذة كل شيء . بطرس البستاني ، محيط المحيط ، ص ٦٣ .

(٣٦) الأبيض هو السيف . لويس معلوف .

(٣٧) البيضاء هو البلا . بطرس البستاني .

(٣٨) ساحل بين عمان وعدن .

(٣٩) النجم خلف الشجر ، وهو ما نجم على غير ساق . بطرس البستاني .

(٤٠) ايراد الفاظ من نفس الجنس فى النظم أو النثر . لويس معلوف ، المنجد فى اللغة ، ص ١٠٥ .

(٤١) فيها ايها لعلم البديع .

(٤٢) فى اصطلاح علم العروض الصنعة التى فيها يوضع بناء الشعر على عدة أوزان

مختلفة . بطرس البستاني ، محيط المحيط ، ص ٩٧ .

الضافى على مواقع وقيع التوقيح طواف (ابن فضل الله أبى الفضل
عبد الله) الملقب بـ (الوصاف) كانوا قد لقبوه بالطغرة الغواء « ذلك
فضل الله يؤتية من يشاء » .

ارتدى قلم سحر زخرفته لباس البراعة على قامات جماعة الكلام ،
ويتنمى « تاريخ تجزية الأمصار » (٤٣) « وهو آيات بينات فى صدور
الذين أوتوا العلم » ، سحب قلم النسخ على خطوط كتب الأشراف ، وسطور
رسائل الأفاضل ، ومن هذا التأليف المتين « وفى نسختها هدى ورحمة »
ظهر لأهل الدنيا « بلسان عربى مبين » برهان دعوة « انى عبد الله آتاني
الكتاب » .

انشغل فى احياء رفات أموات الكلام من نفس سحر البيان لاطهار
معجزات (عيسى بن مريم) أبدع الحق من الباطل ، نشأة عمان ، تجنب
مريم للفضائل لأن الجوهر العالى أصل غالى .

لم يسقط حاسده على التراب من البداية ثمرة بلوغ الرغبة من دوحه
الأنفاس المثمرة ونفوس الكلام المدربة المرغوبة ، أظهر الساقى الشافى
طبعه بالقرب المليئة بالكلام ، الملى بالطيب لترطيب الرأس الجامدة ، رؤس
عالم المعنى ، سلك الصديق الطريف قلمه أكواب الرحيق من زجاجة كتاب
على خمر محتسى خمر التحقيق . شعر :

لم تن عيني كاتباً مثله لكل شئ أو شئ
يبدع فى الخط وفى غيره بسحره الانشاء أن شئ

أحياناً يهاجم مروض خياله بمقرعة الفضيلة محجلات اللغة العربية ،
ويظهر غائص فكره زماناً من بحار اللهجة الدرية درة لامعة « كأنها كوكب
درى » .

بجانب كلامه الأعجمى الأصل ، متانة قول فصحاء العرب بأعجوبة
بيان الأثر غير فصيح الكلام بطريقة واحدة ، فى مقابل مقالاته السليمة
الأساس سطور الأخبار شهرة الأدباء أتفه من دساتير الأساطير المكتوبة .
قلمه البليغ فى ايراد البدائع مثل السفاح العاقل الماهر ، وروح
(أفلاطون) المعقدة من رائحة شراب المسطرات وائاء ترويق جمال كتابه
الشمس .

(٤٣) اسم هذا الكتاب « تجزية الأمصار وتجزية الأعصار » المعروف بتاريخ وصاف ،
تأليف شرف الدين عبد الله الملقب بوصاف الحضرة وهو يعد ذيل على جهانشاى جوينى .
تقى بهار ، سبك شناسى ، ج ٣ ، ص ١٠١ .

الشاربون من كأس حانة تلميذه مع (أبى على) ، البنداء وخلاصة فضل العلماء فى مقابل بحر فضائله قبضة كف « فاحتمل السيل زبدا رابيا » . رسم قلم بنانه المشار اليه فى اعجاز ، وحملوا ظفر قلمه مثل هلال براعة الاستهلال من الصنع .

توافه وملفوظات طبع نقوده عجائب الفاظ البلاء ، زوائد وتنقية ذهن العاقل روائع أفضل الأدباء . قلم الدقائق الدقيقة صحراء زبالة ونشارة ونخالة فنخل قلمه ، ونفائس حسن كلام الأدباء شعر وزبالة منجل قلمه المسكى الختام ، أبتكار مبتكراته « لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان » ، وحاصل نتائج الضمير ذهب وفضة دفينه بحر مرموزه « كأنهن الياقوت والمرجان » .

زين بزينة أسلوب صعب القبول ، صور أشكال مختلفة المعاني بالدلالات الجذابة من القرط الملى بالزينة والجمال . وتحلى بواسطة القلم الواسطى (٤٤) خدام كلام حسن الصفات بجلباب التجليات . أطار الأتشيح القرطاس للقلم فى ساحة الفصاحة الفسنيحة على رأس علماء الدنيا ، وحمل للعرش رسول الكلام باللوح والقلم فى معراج البلاغة وأجلسه على العرش ، سلسلة شعر العبارات المتتابعة أسيرة زجاجة حبر قلمه ، وقده شاربي كأس الخمر المقذوح ، ثمل صحراء كأس الزجاجة .

من طبيعة بلاغة العلماء السالفين ثمل خمر المعارف وخلق مربى الجمال قبل افلاضة صورة الكتابة على هيولا حوامل معاني ونطف المعاني المعروفة ، لآى بحار أقلامه المتلافة درة تاج بلاغة (حسان بن ثابت) (٤٥) ، وجمال عفاف كلامه فى « نمارق مصفوفة » سطور « متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان » (يتصف عند حسن لسنه ولسنة (٤٦) كل اللسن بكل اللسان ، ويختص من احاطة أحضان أحسان عميم أفضاله بالعجز عموم الخصان ، در اللبن وشير العسل من أنابيب بنانه ، وصادف الصدف الدر الفريدة من صدف بيان) .

حتى نسخته القرون والدهور صارت محط أنظار الأفاضل ، ولم ير

(٤٤) نسبة الى واسط وهى مدينة بالعراق تقع بين بغداد والبصرة ، وينتشر فيها البوص الذى يصنع منه أجود الأقلام . جلال الدين بن غياث الدين ، غياث اللغات ، ص ٧١٧ ، ٧١٨ .

(٤٥) حسان بن ثابت الأنصارى شاعر معروف ومن الشعراء المخضرمين توفى عام ٥٤ هـ ، يوسف اليان سركيس ، معجم المطبوعات ، ص ٧٥٢ .
(٤٦) الفصاحة . المرجع السابق ، ص ٨١٥ .

نظير كتابه التاريخي في أى تاريخ ، ولم ير القنابين المجربين مثله بالعين
الناظرة .

وقد باع نفس مشترى أسواق كلام أنسة هذا الكتاب الواضح فقط
جماعة عبد الدرهم ، الصخور المضيئة انصاف السطور ، و « سنكلان » (٤٧).
كلامه الصلب كلها در وجواهر نفيسة .

وجنادل الألفاظ الجميلة المحببة ، والصخر المدبب الحاد بالأرض
الصلبة طريقة تلفيقه كل الجواهر الملونة صافية ، كل جزء من أجزائه
بنثر اللآلئ (٤٨) رابطة كلية ، وهيكل فقراته مع كتاب « نضد در » (٤٩).
قراءة صلبة .

زلاية (٥٠) الكلمات الحلوة في طبق عطر العنبر ، كئس وكتاب
ورقة كله ممزوج بخلصة الروح ، وموائد الجمال وطعام المعاني السائغة ،
وقطف العنبر ، وقطائف المضامين السابغة التي كتبت بالقلم الأسود ،
حرفها كلها مليئة بالمسك .

ثمل مستمعو المعاني والبيان المشروع من خمر شروح كلامه الموجز
مجيئه أفضل من الاستماع للأناغم والاستمتاع بالغواني ، كل لفظ منها
يعتمد على شاهد الجمال اللطيفة ، وفحوى « العلم نقطة شامل كل نقطة »
ورسم دوائر حروفه ، ومتكا بنات أفكاره ، وقرط وغرفات لطائف البيان.
ونقاط بنان مقدمة الحسنات اشارات الأفكار البكر ، كل معنى مغنى
معنى في لفظه ، الحياة في ظلمات السواد .

وما هية كل حرف قمة للفصاحة قمر مضى على الوجه كما هو مثل
ليل ، عباراته الغريبة العربية لم يقصرها في سواد خيمة « حور مقصورات
في الخيام » الذين في نجد (٥١) ورق ارتبط الجبل في الطناب « من نظر
اليها فلقى نضرة وسرورا » .

(٤٧) في هذه الكلمة ايها لحد مؤلفات ميرزا مهدى خان باسم « سنكلان » الذي
يعد قاموس فارسى . مقدمة جهانشائ نادى . تقديم سيد عبد الله أنوار ، ص ١٠ .
(٤٨) هناك عدة مؤلفات تحمل اسم نثر اللآلئ أحدها من مؤلفات محمد بن أبى
جمهور الاحسانى المتوفى بعد عام ٨٧٨هـ وموضوعه فى الفقه ، كما يوجد كتاب آخر بنفس
الاسم تأليف أبى على الطبرسى .

(٤٩) جار « نظم الفرر ونضد الدرر فى ترتيب غرر الحكم » ترتيب عبد الكريم بن
محمد يحيى القزوينى المعاصر للشاه سلطان حسين الصفوى وهو كلمات قصيرة عن
امير المؤمنين على عليه السلام .
(٥٠) نوع من أنواع الحلوى .
(٥١) هضبة . فى الكلمات ليلة ، عربية ، سواد الخيمة ، مقصورات فى الخيام.
رعاية صنعة مراعاة النظير .

واستعاراتها النادرة الدرية فى كل باب من المعانى المحبوبة ، قصور
يلا عيب التى « يطوف عليهم ولدان مخلدون اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا
منثورا » تمثيله وتضمينه بلا نظير « كأمثال اللؤلؤ المكنون » ، وإيهامه
بثلميته بلا إيهام « وجنا الجنيتين دان » .

ما أعجبه من تأليف لكساء الكساء كأس وكأس « يخرج من بطونها
شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس » . مصحفاته مع اخوان الجناس على
كراسى القرباس « اخوانا على سرر متقابلين » وصفحاته صحاف « وكأس
من معين » تحكى عن « خمرة لذة للشاربين » .

زالال ذاك أم صفو العقار وزهر اللفظ أم در الدرارى
كنشر القطر فاح بكل قطر وكالدرارى عطر كل دار

يا أيها الذين من أقبان فنون الافتتنان تجتنبون ، « أفسح هذا
أم أنت لا تبصرون » « ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون »
« أقبنا الحديث أنتم مدهنون » .

نظرا لأن نسخة العجائب هذه التى من أوصافها حارت العقول ،
وكلت الألسن « وفيها ما تشتهي النفس وتلد الأعين » ، نظر بعين التحقيق
والتدقيق ، ذهب بعين حدة النظر والتأمل الملحوظ ، وفى معانى هذه
المنارل الامعان الكامل والتدقيق والتأمل الكافى ، أغلق قاطف الورد الحديقة
الناظرة من رياحين حديقته الناضرة ، علق على الظهر عدة شيلان ، بدأ كأس
التزيين المزخرف والطريقة سريعة الاثر عبارة عن زينة فى العقل الخاطف
والمسرور بالعقل المتعقل ، فصنع الشراب الخالص والمسك المسحوق .

– فاحت رائحة الروح المعطرة من تلك الأوراق العنبرية .

– ان كل قطرة كانت أقوى من المسك الخالص .

أدرك طبع المشتاق بلا مشقة من سياق كلامه شراب كأس ، « ويسقون
من رحيق مخضوم ختامه مسك » الذى « فى ذلك فليتنافس المتنافسون » .

مسحوا بالماء ملامة التلميح ، وفصاحة التلويع ، وبراعة الترتيب ،
وطرافة التركيب وسلاسة التلفيق ، ونفاسة التلميق ، ومتانة
التريق ، ورزانة الترميق ، ورفافة التنيق ، ونزادت التنيق ،
ورشاقة التشقيق ، وسياسة التريق ، وإفاضة الرائحة ، والتشبيهات

الرابعة ، والتشميلات الرافعة ، الأدباء المهرة ، أوراق صحف تأليفاتهم من عرق الخجل * « لمثل هذا فليعمل العاملون » *

بنفس كتاب أرانى عيانا أجلى وأشرف نوع القول
فالفاظله والمعانى جميعا مرانى العيون مراعى العقول

بعد ذلك فى عهد الدولة أكثر سلطان سلاطين الشرق والغرب ، الذى سخر سيفه الأرض كالشرق من الغرب ، غسل أسبل وضرب ضريبته أحلى من العسل والضرب ، ومطربى جداله أفضل من قصور الطرب ، ارتقى (كيومرت) الشأن الذى صيت عدله وانصافه من صوت شهرة (البيشمدايين)، و (كيقباد) المكانة الذى نصب قبة خيمة جلاله ، ختم على قلب الكيان ، واعتبروا (فرخ زاد) الملك الذى كان (الساسانيون) فى بلاط فلنكه مثل الشمحاذين - و (نرسى) الشوكة الذى يلقب (الأشكانيون) كل من لا يصل لخدمته وينثر السم « أشكاني و (أردشير) القدرة الذى كان الأسد المفترس أمام خوف هبابته أقل من الثعلب ، الصادق (بهمن) المقام الذى جاء لمطاردة أسد تهوره فهذه أعمى فمال للعرج ، (الاسكندر) المالك ضعف خمار احسانه والملوك المنتصرين ، حجاب العين تراب غربال بلاط (برويز) شأنه ، يصبح من لطف سكنة بابه كل عائر الحظ (أفراسياب) الشأن ، وفى بحر سطوته الهائل مشابه كأس رأس (الاسكندر) عرش «أفراسياب»، مالك الرأى ، زينة عالم الزينة ، مزين التاج والعرش ، أمامه لون وعقل (فريدون) الحقير و (هوشنك) الضعيف فى ساحة واحدة من عظمتهم وسموه مع (تهمتن) مثل الجسد ، وفى ميدان حربه (أسفنديار) معزول من الشجاعة ، ببلاطه العالى عظمة (جمشيد) (٥٢) الشوكة جميعها مثل الجماجم *

فى سلوك طريق طاعته عصاة العالم أجمع مثل القلم رأسه لأعلى ، قصة عرش (جمشيد) بجانب قصة عرشه كحكاية غناء وصوت طبل وعسكر « الترك » و « الهند » فى ساحة صحراء اقتداره ، الحصن أمام عرشه الحجرى كأجرام الشمس والقمر وبساط فلنك مائدتته حزين الفلك الأعظم تحت مقياس « فنعم الماهدون » ، حديد سيفه قرين البطالح التيمورى (٥٣) ، ولضرب يده من خالق الروح صانع سيفه مثل الهلال فى ترطيب شهر

(٥٢) جمشيد يتكون اسمه من جم بمعنى كأس وشيد بمعنى ضوء الشمس وقد حكم ايران بعد والده هوشنك * زهراى خانلرى ، فرهنگ ادبيات فارسى ، ص ١٥٥ *
(٥٣) الملك المعروف بالجرجانى الذى حقق فتوحات كثيرة ، وهنا اشارة الى معنى الكلمة اللغوي فان الحديد باللغة التركية يعنى تمر وفى المغولية دمر *

أغسطس ، ومقبض هراونه المضيئة لوى يد الفلك وقبضة الشمس ،
سحبت أفعى شجر الخدنك قلب تنين وجود الخصم سيء الأثر رأساً على
عقب ، وشكل مقبضه تنين في أنظار الثعبان نائر النار •

يتعارك بطرف سهم قوسه « الثير » مكسور الجناح مع النسر الجارح ،
ويصب من سهم ذراعه الممزق مهدم القمر في عش الفلك المضيء ، وجلاد
سياسته حديث حادثة يوم القيامة من المطيعين ، والقوس المشدود وتر
عقوبته الفاء السهام بقلوب الملاحدة •

من صوت فتح باب بلاطه وضع الفلك قطن من السجاب في الأذن ،
ومن صولة حده السيف العابرة قبع الأسد المفترس في عرينه ، وسكنت
أطراف البعوضة ، وفي زمان دولته يعاني العنكبوت من البطالة اذ كان
يحمي بجناح حمايته كل بعوضة ضعيفة ، دار الفلك وفق مراده ، وصارت
ممالك الشموكة خاضعة لدولة ممالك ملوك احتشابه ، سحق عبيد العجم
والعرب رأس العظمة على الفلك ، واستراحوا في مهد العهد المليء بالنفع
الأبيض والأسود •

في زمان بهجة آثاره من غناء السعادة صار طائر الكباب عازف ربابة
على سيخ الكباب ، وفي أيام سروره صار سحباب أول الربيع من كأس الفلك
الزجاجي على وجنة الريحان الجميلة ورائحة الياسمين وشراب ماء الورد •

في عهد حاجز رغبة الدلال انشقق قلب الصقر من غابة الأوز ، وبعد
رفع الظلم لو كان منافقا فان صدره يكون مشقوقا ، لو لم يرفع الله
عرش الفلك درجة فان مدار الفلك قدم على الفلك ما لم يجعل الفلك من ختم
دعوى الشمس، ولو لم يرتفع من قوس ملكه الصلب سهم هدفه المرينغ « ٥٤ » ،
وسهام المشتري (٥٥) على هدف متحرك على السماء ، لم يحتم فلك عطار
والفلك المقوس من الخوف ، حبه وعطفه للسماء منشأ الشمس والشفق ،
وخوف قهره ظلمة ليل لعالم البلاء ، زبرجد عقل السعوى فص خاتم جلاله ،
وفيروزة النصر فص خاتم اقباله ، بجانب سطوة شجاعته (سام نريمان)
مثل البرص ، ومع ضوء طلعت المنيرة وجه القمر أبرص •

في ميدان حربه من فرط الدهشة طرأ على « زال » الورم على الصدر
والرأس ، سرى في مجلس شرابه من حرارة الخجل على شمع مرض ورم
الرأس •

(٥٤) كوكب من كواكب المجموعة الشمسية •

(٥٥) كوكب من كواكب المجموعة الشمسية ، لويس معلوف •

فطر من ضرب هراوته دم الجمجمة • وامتنص فى مرعى عدله العاجز
المسكين لبن الشدى • ينبغى لتشبيهه نعل الحذاء بالهلال لو أن الرأس على
السماء سائدة •

وينبغى وزن جود كرمه فى ميزان الوهم والقياس ولو كانت
بثقل جبل « آرات » (٥٦) ، كل من يتجرع جرعة من ماء لطبقه النمير
لا يموت ، ولا تقبل المرأة أى أمنية بدون اهتمام حضرته صورة الحدوث ،
طين مزاجه الأقدس نارى الطبيعة تراب حافره الأشهب عنبرى الرائحة ،
عقدة تجعديته الجذابة همة ثنائيا ضعفه المخطئ ، وخيل قدرته شمس
الركاب ، ومروض جلالة السماء البراقة ، وشجر الصفصاف نصل الورق
المديب الثمار ، ولجام خيله النشيط زينة تاج للقباصرة والسلطين ، لم
تتمكن أدق الأقلام الوصول لدقائق حصر مناقبة ، كتب بالرجولة صفة
سباق القلم الذى لم يتمكن تراب الصحارى استيعاب نعمته بقلم العجز ،
ملك ملوك تلك الشجاعة الذى سار فى الصحراء البيضاء لحصر مذهبه وذكر
عظمته ، وأطارت الحمامة الورقاء القلم المقصوص الجناح حيث أن تلك
القدرة التى فى علياء هواء الورق بهواء تفصيل تفضيله عالية الجناح •
عندما جعل الفرسان أصابع الخيل السريح للقلم فى مرعى « قصيرة من
طوياء ، قصر جبل الاطناب وربط قدم الخيل ، أمال اللجام ناحية الاختصار
والتقصير » صرخ القلب أن لاسمه السامى العزة التامة بورقة الرسالة ،
وأورد اسمه الشهير بالعزة فى رسالة الكتابة ، ثم قال القلم بالرأس والعين ،
أولا طهر الغم بماء جوهر المعنى ، أبحث بحركة القدم جبين طريق تحيته
الضيق وكتبت الأرض للورق « ماشيا على رأسه » وكتب ملك الاتفاق ونادر
الاتفاق •

من خوف ضرب سهم قوس ذو القرنين

تذهب الشمس فى أى مغرب كل ليل معكوسة

اللهم أيد أياديه لاغاة الأنام وأيد أياديه لاعانة الأيام ، بالهام ما هم
التأييد ، وتلقين ملقن التوفيق ، هذا السائح ملازم الشدائد ، والسباح
غريق الدوامات ، يعزف البلبل بنغمة نشاز رياض ضعيف التأوه •
والفاخته صارت من الرياح كسير الجناح ، كاتب هذه الأطروفة التى بلا نظير
« محمد مهدي بن محمد نصير » رزقهما الله فى الدارين الرزق الدريس
والعيش النضير •

(٥٦) الجبل التى استوت عليها سفينة سيدنا نوح وهو موجود بتركيا وهو أحد
جبال أرمنيا •

أساس هذا الادعاء فى جنة الخلد وجنان القلب ، هكذا تفتح عقد اللؤلؤ ، حيث جمع جميع درر وقائع عصر ملك هذا العصر والأوان فى نظم النثر بسلسلة الضبط .

أعطى عصا الطلب لسلوك مرحلة هذا الموضوع ، الرسول سعيد الأثر للتفكير من القلم ، والقوتين المفكرة والناطقة (٥٧) ، أن نظر بالبشرودلى بذلوه يبرق القلب لجريان ماء معين هذا المعنى بحكم (ألقى دلوك فى الدلاء) (٥٨) انحنى جانباً القلم والمحبرة والدواة وسحب الدلو من البئر . عندها تركزت جرعة بيان مستغنى الأوصاف ، « الوصف » الصافى صفاء الصهباء ، جلس شاربى الصبوح على مصطبة التزول والصعود لقمم الجبال العالية ، عباراته نابغة من مقياس أقدام الصعود للجبل والتوغل لكن بمدلول (الحق أحق أن يتبع) .

أحكم رأى وثبتت النية التى تبحث فى طريق طرائف تزيين طرق صناعات الكتابة والجمال بالتساوى . جعل الحصان السريع (حذو النعل بالنعل) يقتفى أثر قدم حصان قلم بلاغته الأسود (وان لم يدرك الضالع شأو الضليع) .

عندما قلم كاتب الهمة الأظافر ، بدأ الترقيش والترشيق والتعليق والتمشيق ، أصدر حرض البلبل من صوت القلم نغمة جميلة ، ونثر الضمير المشوش والمخاطر المضطرب طرف التحمل باغراء خاطر (من استبد برأيه فقد خاطر) قرأ باستهزاء هذه القصة ، إذ لم ينتظر مطلقاً الانشاء من رسم البيت ونعش فقيد الأدب .

لم يتوقع أحده من القمر المقتنع والفرس المصنع (٥٩) عمل البندر التمام وسير الجواد المتبختر ، ولوسيجه (٦٠) من الاعجاز الموسوى تنفس شبكة هزل الدوران وللوجه القبيح بحسن جمال (بهنانه) بمساواة التزيين أضحاكة « ما جئتم به السحران الله سيبطله » .

(٥٧) المقصود من القوة المفكرة النفس المفكرة حيث قال ابن سينا عنها : يقال عنها القوة المفكرة أو القوة المتخيلة وهى موجودة فى التجويف الأوسط من المخ . ابن سينا ، رسالة النفس ، ص ٢٢ . طهران ، سنة ١٣٣١ هـ .

(٥٨) جاء هذا المثل فى فرائد الأدب « الق فى الدلاء دلوك » الأب لويس معلوب اليسوعى ، فرائد الأدب ، ص ٩٦٩ ، بيروت سنة ١٩٦٩ .

(٥٩) يقال ان هناك شخص اسمه عطاء أو الحكيم ومشهور بالمقنع الخرسانى ، وهو من مرو ، خطرت له فكرة سيئة وهو أن يضع على وجهه نقاب من ذهب وقد احضر قمر من بئر نخشب وعندما يراه الناس من بعيد يظنون أنه قمر . (٦٠) طائر شبيه بالفاختة أو الصبوعة .

- - تعرض ألوان الفنون على جاهل
- - تبيع الجواهر بقيمة خرزة كبيرة
- - أخشى ان تفضح النار الدخان
- - الأم تبيع شجرة العنب للناس حطب رطباً

هيهات في مقام الترجمة والبيان بضم الأصابع والبنان يصف لك أن (بنان كف ليس فيها ساعد) تلك اليد التي بالساعد القوى ، الأقوال الجميلة الساحرة مثل كذب (بازور) الساحر ، هاجم بقبضة التمزيق الدرية وطبيعتك الجامدة وذكائك الخامد فأين قلعة الهجوم ؟ ، هاجم الذي يصف أعجوبة اللسان مقابل ذلك الفارس كعرين الأسد مقابل جباد العرب ، وأعجابه (قمقمة حكمت بجنن البازل) ستكون الخرزة البراقة شبيهه بخزف الحرف لنفسه ، كيف ستضع جوهرة سوق زينة البلاغة بعقد واحد مع الجواهر النفيسة ؟ ، وكم ستزن خرزات الباطل أمام جواهر تاج الملك الثمين ؟ « لا يستوى الخبيث والطيب » ولا يشبه الضباب بالصيب .

حصى الصغارى الشاسعة بجوار اليواقيت الحمراء والجواهر المتلألئة من أفق الاحضار قليل القيمة ، والزمرد المزيف والكلام الباطل والواهى مع الفيروز (٦١) الثمين والبهيمان الرومانى (٦٢) مثل دليل مبهم ، ومحسن الكلام يشبه الى حد كبير مهاجر الحكم ، ويتشابه الى حد كبير ملح الغضب الحاد مع جمال لطائف الكلم ، « ما يستوى البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج » ، بيان رث بث ، وكلام غث ونث .

مع تلك الأعجوبة « كتابا متشابهها » قراءة قلب مجروح وخرزة رخيصة وزجاج عمل جوهر البحث تبين قليل القيمة مع حجر كهربا الوزن ، الضال وسفينة ارادة خاطرك. الحر فى هذا البحر اللجى مجداف سفن ، « ما يستوى الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور » .

- - هذا الطريق تصدرته من المغرور
- - أخشى الاتصال لمنزل لبعذك عنه

من صنف فقه استهدف والصمت أحسن من عى المنطق ، والسكوت ستر ممدود وفدام على الغدامة .

(٦١) حجر كريم لوثة مانل للاخضرار . أبو ریحان البیرونی « الجماهر فى معرفة الجواهر » ، ص ١١٩ .

(٦٢) نوع من أنواع الياقوت ویأتى فى المرتبة الاولى ، المرجع السابق ، ص ٣٢ .

- - لتكن بلا لسان أما ترى أن القلم
- - منذ وجد اللسان ورأسه فى خطر

بعد التوصل بوسيلة (ما لا يدرك كله لا يترك كله) ، والتوصل
بواسطة •

فقد تسجع الورقاء وهى حمامة وقد تنطق العيدان وهى جماد •
نهضت بقدام الأدب ، أردت بكفك النظر جيدا بالكفاف زاد الطريق ،
كان الذكاء يلعب دائما مثل أشعة الشمس على السهول والجبال والسهول
وتلال عالم المعانى (أذكر من أياس) (٦٣) ، هجج بتراكم سحب الحزن
والأيس ، واعتبر الدهاء (أدهى من قيس) (٦٤) ، أن بلاغة قيس « أدهى
وأوهى من القس ، قال نور تجلى شعاعه للدهاء « لعل آتيكم منها بقبس »
أغلق فم النطق ، أسف شاهد فكر الرؤية ، أخفى الخجل فى بيت العروس
جد نقاب الاخفاء والتجنب • بأى حال فإن الوجه الجميل لم يزل مطلبه ،
كشف القناع بالرضاء عن طلب الوجه ، أظهر طبع الشجاع أيضا الشعاع
الباقى من مرآة الباطن ، قال باستحسان أن لم يضعف بيد اوسى (٦٥)
الكيانيين وكنز (قارون) بخزانة الروح ، لم يخفف كنز (جمشيد)
وكنز (خسرو برويز) فى مخبى القلب الحزين ، لماذا يوجد فى خزانة
الطمع عدة سبائك فضية وذهبية ؟ الست موجة بين « البحر الأحمر » وبحر
« عمان » ، بالجدال والمناقشة أين لآلى البحار الخاصة بى ؟ (لو كان عندى
كنز النطف وما عدا) (٦٦) •

الزمان عدو انفنانين ، وأهل الزمان مئات عدة ، الورد النارى الباسم
فى هذا البستان نار موقدة على أهل العلم ، وعلى مائدة مليئة بدم فلك
فاتحة الترك والتجريد للكلام ، تكون الليالى فى ركن الصفة بصفاء الخيال
لا حراق العلم والعالم أحرقت مصابيح كثيرة الرأس ، أشعلت بمساعدة

(٦٢) المقصود من اياس هو اياس بن معاوية بن قرة المزنى كان قاضيا زمن عمر
ابن عبد العزيز مدة عام له نواذر مجموعة فى كتاب •
(٦٤) هو قيس بن ساعدة وهو من الحكماء والعقلاء العرب وبلاغته مضرب الأمثال ،
وهو أول من قال (أما بعد) كما أشاع قول (البينة على من ادعى واليمين على من
انكر) •

(٦٥) العملة المتداولة فى العهد الكياني •

(٦٦) النطف بن الخبيرى رجل من بني يربوع كان فقيرا يحمل الماء على ظهره
فينطف أى يقطر ، فأغار على مال بعث به بازان حاكم اليمن الى كسرى ملك الفرس
فأعطى منه يوما حتى غابت الشمس ، فضرب العرب به المثل فى كثرة المال •

قيد القلم والأنامل المشتعلة القوة المتفكرة والمتخيلة بالسراج المضيء في
غرفة مساجين البيان وأسرى غم سجن الكلام .

حطمت غوامض المعاني وقلت بقوة الموضوع المتصدع ، ذهبت بقدوم
التدبير ، وكنتست سطح رقبة الكلام العالي ، تأثرت العبارات الموزونة من
القلب المحترق بنار طبع الذهن المشتعل والفكر المنشغل وتعلق « بالعشى
والابكار » لا بكار الأفكار في كوشة القلب المعذب بصحبة زينة القلم
النشيط ، الوشائج المتوجة بالهيكل والصدر جعلت في مغزل القصة
ومقابلة الحكايات لغزل النساج الماهر بقلم اعداد النسخ والروايات ،
أورد الشعراء الغزليات عذبة النغمات ، وناظمى العبارات الجميلة من
صحراء الكلام العذب بحركة اليد جلفة الكتابة ومصيدة التحرير . في عين
الجاهل الجبان الذي لم يركز النظر الا على العيوب ، كان (أقبح من عشوة
العشواء ودلال العثواء) . لم يقيموا الوجه المشرق وجمال بشرة تلك
المطلقات الجميلات . والزوجات المحبات لأزواجهن صغيرات الفهم اللواتي
من حسن وجه الجميلات حور العين .

أظهر (أنكر من هيئة البرحاء وهبات العرجاء) (قسيمة أطيب من
القسيمة) في عين تمييز هؤلاء الناظرين ، مع العجوز انعامه والفاجرة
الجهول على هودج الجمل ، جلست بكر المقاناة « أغنيج من مغنقة » (٦٧)
مع الرميمة القبيحة والشمطاء الحقيرة في هودج واحد (ولو نزلنا عليك
كتابا في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر
مبين) .

— أما هذه الجواهر التي في هذه الأسواق .

— قيمة الحل كانت أغلى من جوهرةنا .

ثم بدأ خيال آخر صنع بقلم الأديب بشكل الأسطورة ، أن يا أيها
الأخرس المزخرف للكلام ، وأيتها الصامت الذكي ! ويا خضر المتتبع أثر
منبع حياة الظلمات ! ويا حاكم حدود الأقليم ومقلمة الدواة ! اجعل رأس
المغلوب دائما من الأمانة في طريق محبتي ، ومزق بسيف صداقتك صدر
طريق الوفاء ، وجدت بقبضتي خطاب «هي عصا أتوكأ عليها» من ترجمان
ضميري ، أسرع في تلبية مطالبى بإشارة الأصبع ، سلك القدم وقت
الكتابة مثل الثعبان المارق الأرقط من الكلمات الشاذة على الأعداء سم
قاتل ، يظهر وقت الحرب الهجاء مثل ضرب الحراب من طعنات الحراب
على الأعداء يكون الهجاء في معركة الكلام أمر مؤلم ، أخرج حدة العقل

(٦٧) المغنقة وهي المرأة الناعمة .

لحظة من الرأس ! امتلك أمنيته خطوة ! أكتب سطر من سطر حاجتي !
أرسم جزء من ألى الدفين ! من هذه الأمنية فتحت برعم وردة القلم براعم
التعجب ، وتضرر من صوت الزفيرو « يضييق صدرى ولا ينطق لسانى »
وقال « أنا لتريك فى سفاهة » عندما كنت مزين فتاة راحة بالك ، ومن
المعاد الأسود خصل العذراء المجدولة على كتف الحسناء مثل القمر ، وشكل
حسن دلال الحسناء جذب القلب الخالى ، وقد أثرت الذوائب العجدة كثيرة
الثنايا من مسك « نجم » (٦٨) على محيا حسناوات « الصين » والختن « (٦٩) ،
تدلّت صفائر لائقة وذوائب عنبرية - التى كان عنبرها مسك خالص - على
وجه الابكار العارى ، وخلطت من وسط زجاجة المسك زجاجة مزاجها
المسك والكافور الجاف ، وصب اللسان من السيل المدرار قطرات عود
جميل الرائحة على قطر الورق .

وعطر حسن جمال البيان توأم حسناوات آذرى (٧٠) بلا تعلل ،
وسحق على الورقة البيضاء مسك أسود بلون الكافور ، وقد جعل مثل
خطباء ذو الشقشقة شق علم اللواء العظيم شقوق الكلام ، وكشف يرق
العلم صنوف البيان ، وبسطت بأجنحة الديوك المفتوحة المليئة بالعلامات
والإشارات حسن جمع المظلة الطاووسية (كرفرة الرفراف الرفيف) على
رأس خيل المعاني ، لم يتوان عن سلوك طريق رضا الجند ، وأسرعت
بدخول أى مكان بدون اذن ، وظهر بخاطر نهرك النهار والليل بالورق
والجبر من باب الخلط ، لم أدر الوجه ، ماذا كان جزائى الا العتاب والتلوث
بالجبر ؟ لو تحدثت بعد ذلك معك بكلمة ، ووضعت لصداقتك القدم على
سطر الورق ، لتسحب السيف على رقبتي ، وتقطع القيد عنى « فلن أكرم
اليوم انسيا » ، عندما قرأ قلم الغاب رقيق الشكل الذى يشبه الطائر المغرد
ضعيف التأوه هذه الحكاية بالجراح ، وهذه القصة المليئة بالشكوى ، قال
للدواة : يا من أنت ريشة اللياقة ، ومداد حسن السمائل على ذوائب
شواهد شهد الكلام العذب ، ونواهد زهرة وضع العبارة ، امتزج العبير
والعنبر ، وتدلّى فى قصر رائحة مسك الاوراق الخطائية (٧١) طرف وجهه
غريب الأصل لبيان الزلف السوداء ، لو ضرب القلم عديم الخبرة يد الرد
على الصدر ، امنع الصداقة مرة أخرى ! واقبل ألى من ناحية المحبة !

عندما استمعت الدواة لهذه المقالة ، اعتذرت ، وقالت هيهات اننى
مضطربة الخاطر أكثر منك ، وليلتى المظلمة امتدادا لليلة الطويلة السابقة .

(٦٨) مدينة مشهورة بالمسك .

(٦٩) مدينة بتركان بين كاشغر ويوكند ، لويس معلوف المنجد فى الاعلام ، ٢٦٧ .

(٧٠) نسبة الى آذر والد سيدنا ابراهيم .

(٧١) نسبة الى اقليم الخطا بالصين ، محمد كريم برهان جامع ، ص ٥١ .

— الزمان مضطرب أما من زلقتك أو من غبلى *

سواد منزلى من كثرة الحزن صار مجمع عزاء ، وتراكم داخلى غبار
الغم والحزن تلال بل جبال *

تكوم الغم فى الصدر ، واستقر غبار الهم على الوجه ، لو انه رسم
منى بقلم النرجس الخط الریحانى ، يراه خط غبار ، ذبلت من تعب
القلب ، صار عصير قبضة الألم والتعب ، وبقي قدر من الطراوة فى حلقى
وفمى ، حيث أن ظل قلم الكاتب بمائة تدير مبلل الشفاة من أجل الكتابة *

أنظر ! دع هذه المعاملة من أعماق القلب ! ولا تضع القدم على هذا
الوادى ! « فلا تصاحبنى قد بلغت من لدنى عذرا » بمقاد أن :

— لا يكون أكثر سوادا من اللون الآخر *

احتجت الى اعادة العرض : أن يا صاحب بلد العاصمة ، ويا من يتوأم
فى ظلمة اليوم مع يومى الأسود ! يا من حبر دوايك من مواضع السعادة ،
ورسم بلا عيب ، حبر الدواة مركبات عنصر أساس السرور ، دخانك
الأسود من دخان مشعل جبل الطور ، وحبرك المسكى اللون سلسلة
ذوبة الحور *

كانك من كل النفوس مركب وأنت الى كل القلوب حبيب

ندى من البحر وقليل من جود الكثير ، قلعة الملك دواء شافى لى
قطرات قولى ! لم تنقص الدواة من عين الحياة ، أظهرت ظلمات المداد الأبدى
القول ليست الا الحياة ؟

اليوم الحكيم « مردود » بكل مكان ، فقد تنافست النفوس بنفائس
الكلم *

للمزمان الآن كساد سوق الأدب ، وبسيط الأرض بائعا للجهل المركب

— ليلة الجهل المركب لها الدرع الذى من العمى *

— اذا تحلى بحلية من الشمس لا يرى *

كل أديب عاقل يظهر الأدب بشأن فنون أدب (السيوطى) بأسواط
التوبيخ ، ويعتبر (الأخفشى) أخف من الحذاء ، و (ابن الضايغ) الذى
هو أبو فضل النحاة يظن أن اسمه مثل معناه ، و (الشجرى) الذى يفر
وقت المشاجرة ، و (الحريرى) يجعل بضاعة الكلام كاسدة ، و (الفراء)
يمزق اللباس الصوفى بالكزلك الصغير ، لم يشتر (ابن الأنبارى)
شعيرة ، اقتلع (التاج) الجلد من القفص الصدرى ويحطم (الزجاج) مثل

الزجاج ، وعندما قرأ في استكشاف آداب أدب الأدباء بمأدبة التحقيق ، يأخذ (ابن السكيت) جنون السكوت ، ويتجه (النمرى) لوجه البهاء ، ويهرب (الثعلبي) صارخا للحجر ، ويصعد (سيبويه) من فرعا لفرع ، ويعبر (الفالي) وجه صحارى الحيرة ، وينسب (غنيسة الفيل) لضعف الرأى ، وينكس (الأعلم) علم العلم ، ويسحب (نفطويه) الدخان الأسود على الجبين ، وينسب (لابن خالويه) نسبة (عموا صموا) ، لا يستطيع (أبو الأسود) أن يصبح أبيض ، لم يتمكن (لحياني) من التكبر ، يخط (الجاحظ) هناك ، ولا يعرف (ابن الهري) القط من الغار ، وعندما يزين مدرسة تتابع الكلام ، يستحسن من الكلام افادات لتسلسل (المبرد) بترحابه ، ويكتسى (الكسائي) بكساء الشرف ، اعتبروا كل حرف من حروف كلامه مصادر اشتقاق فروع العلوم من وجه الخلاف مثل قريحته الجامدة ، واعتبروا من فهمه الناقص قول صحيح ومثالات سالمة ليفي (٧٢) ومهموز (٧٣) ومن المعنى الأجوف (٧٤) • وجعلوا تغيره مضاعف (٧٥) ، وظهرت لأوقاته صرف الالال (٧٦) والجحد (٧٧) ونفى (٧٨) أقواله التي هى مثنى ومفرد من جمع نحاة الزمن الماضى والحال والاستقبال ، نسبوا أفعال مدحه للذم ، وهكذا يعرف كل صاحب رأى بليغ أن حوايات (٧٩) (الزهير) واعتذارات (النابغة) ، وهاشميات (الكميت) ، ونقائض (جرير) ، وخمريات (أبى نواس) ، وزهديات (أبى العتاهية) ، وممدائح (البحتري) وتشبيهات (ابن المعتز) ، وروضيات (صنوبرى) ، وإطائف (كشاجم) ، وبدريات (المتنبي) ، وبديعيات (بديع الزمان) ، ورسائل (صباثى) ، ومقولات (ضبى) ، مثل كلام صبى فى حجرة النسيان قرين للدمامة ، وكسر فى معرض المعارضة رباعياته الكاملة ، فاقتلع رباعيات (درست) بقبضة التوبيخ من الأساس ، وأعاد مخمساته المثينة لقبضة (أبو سعيد الرستمى) بقوة المعنى وأمعن فى طريقة تناسبه بدائع كلام (امرؤ القيس) ومخالف القياس ، لم يعتبر فصاحة (صخر) إلا آلة

(٧٢) فى اصطلاح علم الصرف كلمة حرفين من حروفها الأصلية حروف علة •

(٧٣) فى اصطلاح علم الصرف كلمة أحد حروفها الأصلية همزة مثل سال •

(٧٤) فى اصطلاح علم الصرف عين الفعل حرف علة مثل قال •

(٧٥) فى اصطلاح علم الصرف كلمة حرفين من حروفها الأصلية من جنس واحد •

(٧٦) تبديل حرف علة بحرف آخر مثل قال أصلها قول ، سماء أصلها سماء ،

بناء أصلها بنائى •

(٧٧) الفعل المضارع المجزوم بلم التى وضعت لنفى الماضى فى المعنى وخيد الماضى •

(٧٨) انكار وقوع الفعل من الماضى حتى حدوث الفعل • بطرس البستاني ، محيط

الحيط ، ص ٩١٦ •

(٧٩) اسم القصائد التى انشدها زهير بن أبى سلمى وهى تنتشر فى أربعة شهور

وتنهد فى أربعة شهور وتنتشر بعد عام •

تُسَخِّر ، لم يتحدث (جرير) الا على الاعتراف « هو أفصح منى لسانا » ، يرى منظومات (حسان بن ثابت) من منبت الأشواك ، وظن أن غلبة كلام (سحبان) طراوة لسانه ، ويعتبر المخضرم في أنساب البلاغة مجهول النسب ، وينسب عدم الاكتمال لـ (أبى تمام) ، وينثر (طرفة) ، في (طرفة العين طرئف النظم ونظم الطرائف ، يجعل (سمرة) لقذف كلام الأسطورة ، ويلقى (أسمر الحيض) بالضجر والضيق ، وجعل (كثير عزة) بلا عزة .

تأثر (الأخطل) بالخطأ والخطل ، ويعتبر (ذو الذجاج) دجاجة بياضة ، يحطم (ديك الجن) ريش وجناح الطيران العالي ، وتعتبر قلائد (المتنبي) مبنية على التقليد ، ويوجد رباعيات (المعري) خالية من السلاسة ، وتصيح أشعار (معزى) منسوبة للسوء ، وعندما يجعل في ساحة البلاغة بلوغ زمام المبالغة ، ويرتجل بسرعة ارتجال (أبو فراس) ، ويلقى في أسلوب الصيد والغروسية من فرس القراسة ، ويبحث (لبيد) (٨٠) عن بلاد البلادة ، ويصبح (ميكال) (٨١) فيلسوف ، ويقطع فصاحة (ابن حسام) (٨٢) ، ويصبح صوت شهرة (راعي) (٨٣) (وذو الرمة) (٨٤) صوت راعي الغنم ، وتظهر لطائف كلام (مبدول) (٨٥) مبتذلة ، لم يتمكن (البحترى) فتح الشفاة من الحيرة بشيء من القلة والكثرة ، لم يستطع (التبريزى) (٨٦) الشاعر في مقام التفوق على الاقران في فن مليء الكأس ، لم يستطع (راجز) (٨٧) أن يتجنب فكرة مدحه من البحر الزاخر ، انشغلت مكة العربية في حرم الفصاحة ومنتهى الشعر بلمس أركان كعبة البيت ، وسعى المروءة بصفا شعره ، وردت أقاويله في لوح الظن « كما ظن في لوح الهجير الذباب » (٨٨) يجعل عمره (أسير من

(٨٠) ابن ربيعة بن مالك بن جعفر العامري ، من الشعراء المخضرمين مات في أوائل الخلافة الأموية .

(٨١) محمد بن اسماعيل بن عبد الله بن ميكال .

(٨٢) هو مولانا محمد بن حسام الدين الخوسقي القهستاني ، من شعراء القرن التاسع الهجري له قصائد في مدح آل البيت .

(٨٣) عبيد بن حصين النعمري ، من فحول الشعراء ، كان يعيش في العصر الأموي ، (م ٩٠ هـ) .

(٨٤) غيلان بن عقبة بن مسعود المكنى بأبي الحارث .

(٨٥) هو أبو غنيس شاعر جاهلي من بني مبدول .

(٨٦) مير حسين التبريزي ، شاعر مشهور عاصر الشاه عباس الأول وتخلص بسهوى ١٠٠٣ هـ) .

(٨٧) فضل بن قدامة المكنى بأبي النجم من بني عجل من شعراء العصر الأموي (م ١٣٠ هـ) .

(٨٨) مأخوذة من شعر أبي فراس الحمداني .

شعر) بعيد عن البلاد ، ويلقى بالأفواه مثل حرف اللغو ، وصار فى تزييف المنظومات الجيدة ، وتشويش الخيالات الدقيقة (أدق من الدقيق) وينسب للخطأ كلام بلا نظير جماله بسخرية لحن « ولتعرّفنهم فى لحن من القول » ، ونغمة « وما هو بقول شاعر » للسان حاله فى هذه الدنيا الفانية ودار المحنة ، ذخيرة مناسبة لطبع وازن الكلام سرا وجهرا ، ويثير هذا البيت الحزن :

وما أرجى من حياة دميعة مقسمة بين النوى والنوائب •

ويكون كل (ناظم) (قدسى) الخصال (صائب) الرأى ، الذى يصمت أمام جودة كلامه نطق (الناطق) ، ويتعظم (شوكت) و (شاهى) و (شانى) ، ويتعلم بطراوة بيانه بستان بيان (الفردوس) من النضارة ، ويجوار (اشراق) ضمير تكون شعاع (تجلى) الشمس مثل شمس التصوير بلا نور ، (خسرو) لا يتكلم من عذوبة قوله ، خجل (سحابى) أمام أشجاره الرطبة مثل سحب الربيع وبانشاد مقال الروح واهبة (جامى) من فيض شارب خمر الثراء ، وأمام كلام معشوقة نظم معروف ومجهول بلا معنى •

عذوبة منظوماته جعلت (زلالى) (٨٩) من عرق الخجل ياقى سجل الكلام بالماء ، ويجعل (هلالى) (٩٠) مثل الهلال أصفر اللون ، ونقص بدر شهرة المدينة المشار إليها ، ويسحب (كلیم) (٩١) البساط على رأس الكلام فى قدر جبل طور بلاغة ، يسقط فى مجلس بلاغته الممتد طبع (سليم) (٩٢) مثل الثعبان اللاذع بساحة جوكان الاضطراب ، يقرأ ل (مكتبى) (٩٣) طفل الابتدائى ويعتبر (أهلى) (٩٤) مبرا من الأهلية ، لم يستطع (قوس) (٩٥) سحب قوس كماله ، ولم يستطيع (نظيرى) (٩٦)

-
- (٨٩) زلالى الشبرازى من أصحاب النظم المؤثر وله أشعار جيدة •
 (٩٠) هلالى جفتاند ، أصله تركى ولد باسترآباد وحصل العلم هناك • أهم مؤلفاته مثنوى شاه •
 (٩١) أبو طالب كلیم معاصر للصفيين ذهب للهند وعاش هناك فى خدمة شاهجهان •
 (٩٢) محمد قلى سليم المعاصر طاهر نصر آبادى (م ١٠٥٧ هـ) • عاش فى طهران وقزوین •
 (٩٣) من شعراء أواخر القرن التاسع الهجرى • صاحب منظومة ليلى والمجنون •
 (٩٤) أهلى الشيرازى • (م ٩٤٢ هـ) •
 (٩٥) قوس الهروى • ليس هناك معلومات عن أحواله غير أنه عاش فى مشهد وعمل بصنع الصحن مثل والده •
 (٩٦) نظيرى النيشابورى من شعراء العهد الصفوى هاجر للهند ومات فى أحمد آباد (١٠٢٣ هـ) •

أن يكون نظيره ، ويكون (اخترى) (٩٧) نجم سوء حظه ، و (آذرى) (٩٨)
أشعل النار بروحه ، فى النهاية تخلص من نكبات الدهر (نزارى) (٩٩)
اللقب ، (حزنى) (١٠٠) الخطاب ، (هلاكى) (١٠١) يجعل الشعار
لذكر أحواله تذكر هذه الأشعار :

- حظى مثل عين خسرو كلها نسوم
- عيني مثل حسن شيرين كلها رونق
- جسمى مثل روح المجنون كلها ألم
- روحى مثل ذؤابة ليلى كلها عقد •

الحق أن العالم كلامه عجيب ، والبليغ كثير الكلام ، حيث أن قلم علم
التربية فى طلاقة البيان وفصاحة اللسان وبداهة الذكاء ، وحلاوة البيان ،
وقبول تقريره فى بيان المعانى ومعانى البيان (أحلى من البديع) ،
وأركان (١٠٢) بيت ذو قافيتين (١٠٣) ، وجود مع جود وجودته فى فن
بديع الابداع بحسن تناسب التركيب ، ونسج نساج القدر ثوب عاداته
المخطط ، والثوب ذاته بلا شوائب الا لتباس بصنعة نسج الخيمة
المخططة والتديج والغزل ، والقاء الاحمال بنسج المحسنات الذاتية
واللطائف العرضية ، وألبس القامة الموزونة الرقيقة نظم جميل ، وثياب
لطيفة ، وروى عطش شفاة الكلام من معانى ساقى ماء المعين •

لو كتب القلم ذو الحدين ألف حكاية ، لا يمكن لو أحد من ألف أن
يقول قصة بلاغته بمائة حيلة ، ولو يكتب من الأشعار الغث ، يمكن أن
يسمع عن قرب معانى ذلك الصوت شلال من صوت القلم الجاف •

وعندما يلقي مزين طبع البداهة وزنه بمسط دقة النظر فان تجعبد
سلاسل شعر الأشعار اللطيفة يكون برسم المثنى والمرسل من مفرق النظم
المتتابع ، تعلق شعراء شعري العظمة الماضية بقدم شعره لو هو من الشعر
أدق ومن السيف أرق مثل الذؤبة •

(٩٧) شاعر العصر الصفوى معاصر للشاه عباس الاول • له باع كبير فى علم
النجوم •

(٩٨) نور الدين حمزة بن عبد الملك البيهقى ، شاعر وصوفى العهد التيمورى
(م ٨٦٦ هـ) •

(٩٩) نزارى القهستان معاصر لسعدى الشيرازى (م ٧٢٠ هـ) •

(١٠٠) صلاح الدين حزنى تلميذ محتشم كاشانى •

(١٠١) هلاكى من شعراء العصر الصفوى عاش فى خدمة بهرام ميرزا الصفوى •

(١٠٢) الأركان من اصطلاحات العروض ، وتشتمل على السبب والود والفاصلة •

(١٠٣) تكون هذه الصنعة بأن يقول الشاعر قصيدة أو مقطوعة ويجعل لها قافيتين •

وصب فصحاء القرون الآتية والماضية الروح بسن قلمه ، وصارت
نهاية غزليات أحواله من المطلع حتى المقطع مختلة ، وتصدع توارد مصائب
الزمان ، وتضييق وتشديد توارد الأفكار الفاسدة ، وصار بقوافي غموم
المتكاوس والتراكب وأسجاع هموم المتدارك والمتراصد المقفى والمردف ،
بالإضافة الى ذلك فقد صار دخيل نيران المحن والمقيد بقيد مصائب الزمن ،
ونثر منظومات وسائل معيشته من استدراك التنافر والتناقض واستتباع
التغيير والتناقض ، وجاء من السبب والوتد المقطوع والمهجور ، ويرى
تسهيل واستكمال اموره تحت طباق السماء الملمعة والفلك المرصع بالنجوم ،
ظهر نموذج السهل والمتنع ، وكانت مقاصد مقاصده مقترنة بسوء حظ
الترجييع وباعنات الكروب المستزادة ، وكانوا يختارون ركن بيت العزلة
مثل الروى ، فينتج تركيب غير منتظم ، حاله من الصدر حتى العروض
موصول بالهم ومذيل بالغم ، ومنذ ابتداء الحياة حتى نهاية الأجل يكون
له جمع المهالك وتفريق السرور (جمع من تفريق) ، ويكون غم الدنيا ودنيا
الغم اطراد عكس لمجموعة أحواله ، وكان ظهور هلال براعة الاستهلال فى
بداية الشهور من الألم المؤلم وضعف اقباله .

عقود مسمطات أمره أكثر تعقيدا من الشعر المعقد ، وبجرم موزون
مثل البيت المشجر ، قيد السرو قدمه بقيد أبدى ، والشاعر ذو المشاعر
الخاملة خفيف الوزن وذو الوجهين المتزلزل البيان حيث أنه تجنس بجنس
شعراء التجنيس المشوش والمذبذب ، لم يعرف الشعر المشجر من الشعر
المجعد ، والنجم الشعزى من المرأة الدميعة ، والغزل من المغزل يمكن قول
أبيات الملاحة غير الملازمة له من اللطائف المتداولة المشهورة ببيت اللطف
بل أن أقواله لا يمكن قولها ، لم يدرك فى البحور الأوزان الثقيلة من
الحفية ، والأركان السائلة من الأزاحيف (١٠٤) ، ويظهر من فرط التعديق
والمعرفة لو ألقينا تجويف الكتف على الرقبة وألصق الصدر على العجز ،
وعجز عن فهم (رد العجز على الصدر) (١٠٥) ، ويضحك دائما من الخاطر
السمعيد بضواحك الهزل على الشعراء الفصحاء ، ويقايل بغزاة عيون
الشمس الساطعة فى خلوة العزلة ، تقاربت دائرة حياته فى ساحة الأرض
المتقارب بالهزج وبنشاط وافر وسرور كامل تضمين مزدوج ، ويسعى
التفات (١٠٦) الزمان فى تنظيم المراد وتأسيس المرام ، ويشرب بجائزة
الجهل من كؤوس شراب تحسين الأفاصى والأدانى كأس تصديق (بل هو
شاعر) .

(١٠٤) تغيير يلحق التفعيلة بتسكين متحرك فيها أو حذف ساكن منها ولا يقع الزحاف
الا فى الحشو وهو مفرد ومزدوج .
(١٠٥) وتكون هذه الصنعة بان يذكر الكاتب أو الشاعر فى أول كلامه المنثور
أو المقطوع لفظا معينا ثم يذكره ثانيا فى آخر البيت أو العبارة .
(١٠٦) عبارة عن نقل العبارة من المخاطبة الى المغايبة أو العكس .

(يوسف العروضي) (١٠٧) لو يعاصر هذا العصر ، لما استمتع في معرض التعسف وموضع التأسف الا (يا أسفى على يوسف) ، ولو قارن (الخليل) (١٠٨) بهذا القرن كان من ظهور الأحداث لتجنيس اسمه الخليل ولسان حاله القاتل (يا دهر أف لك من خليل) .

ويكون كل طبيب حاذق ماهر يشعر بأن (جالينوس) (١٠٩) كاتب رويته أفادته ، ويرى جماعة الفصحاء تحت طى قلقى مهارته ، وفي علم العلاج يكون (الا يلاقى) (١١٠) مقابل الجهل ، ويصف فن تشخيص المرض (أرسطاطاليس) بالبطالة ، ويعتبر عالم الخمر يعنى (أفلاطون) جاهل ودنىء ، ويأخذ (ديوجانس) من نفس جنس الشيطان والوحش ، ويجد (شفاثي) فى شفا حفرة الحماقة والهوان ، ويتصف (أبو البركات) بضعف الرأى ، عندما يبحث (ابن سينا) عن ضالته بشعب طور سيناء يقول (هو أعلم بمنبت القصيص) ، ويبصر (أبو بصير) من زرقة قلمه ، تلازمت نفسه القدسية بأنفاس المسيح، وخلق بطينته طبيب طينة بنى آدم يمتلك خاصية معرفة الأشياء ، ارتفع صنيت مهارته عاليا ، ويحتاج فى معرفة كل الآلام وكل أدوية بقراط قيراط من وسائل البحث ، ودرهم من تراكيب بحثه ، صاح من صوت عالم ضمير عالم السموات الفلك على الصوت ، ومن افاداته المختلفة القانون والشفاء المكنن . موجز عن كليات مهارة الكاملة وكافية الحاوى ، وأسباب وعلامات النجاة ، وفضل عن تذكرة فضل المغنى وشافى ذخيرة العلم ، ومنهاج فنون العلاج ، لو شرح بالجبهة رأس القلم على خط مؤخرة الرأس (تنتهى الحروف قبل أن يصل الى المقصد) . ولو يشرح بمهاد البحر على سفن الدهر من كمال العلم بعظم الزورقى « لنفد البحر قبل أن تنفد » .

رتب ذهنه دقة النظر على العروق الرقيقة موضوعات رقيقة . بطريقة سحب أوتار الارتباط من واردات الضمير على أوردة وأربطة المعانى الرفيعة ، ويشرح بالقلم السائر على البرى من نفس مكان ريحان الجمال (١١١) ، وجه بستان أفروردين ضوء السنا جزء من قمر بروين (١١٢) ، ومن جمال نطق بيانه صار سم الفئران (١١٣) حنظل مثل العسل ، رائحة حكماء

(١٠٧) من شعراء العصر السامانى .

(١٠٨) الخليل بن أحمد بن عمرو الأزدي اليمرى المكنى بأبى عبد الرحمن أستاذ

سيبويه وأضع علم العروض .

(١٠٩) اسم طبيب يونانى شهير عاش فى الفترة ما بين (١٣١-٢٠١ م) .

(١١٠) شرف الدين يوسف الايلاقى المكنى بأبى عبد الله ، قتل عام ٥٣٦ هـ .

(١١١) طبيب يونانى يلقب بأبى الطب ولد عام ٤٦٠ ق م .

(١١٢) عشب طبى له استخدامات متعددة .

(١١٣) هى عبارة عن ستة نجوم صغيرة مجتمعة ، تظهر أيام الشتاء أول الليل .

اليونان مثل المسك الأفرنجي المدهون بقرنفل كماله ، وورد السفطة الزانبييل الصغير علم خرفة (١١٤) حديقة أفضاله ، لم يعالج رأى الحكيم قارون قدرته مرضاة العاجز الا بقارون (١١٥) . لم يمنح الخالق الكريم خطأ وهبة عدم قدرة المفاس إلا قلوب الدينار ومعجون (١١٦) العطاء ، يعود من دقة نظر حكمته ظفر النسر (١١٧) من كف الأسد (١١٨) .

أراد تزيين أعماله الباهرة ظفرة العجوز بأصابع فرعون (١١٩) بظفر اليد ، يجعل المتألم الذى شم رائحة المسك خلقة (١٢٠) ، ويبحث برائحة العود الجميلة والروح السقيمة التى تداوى من الأنفاس ذاتها ، يرقد بالفراش عند عودة العود والصندل مرة أخرى الجميل العجوز والجميل الضعيف ، ومسح باليد على المرض وكأنها دواء ، جاء الشفاء لطالبه قائلا « لا مرد لحكمه » ، وعندما يعالج المريض ويهدأ ألم رأسه ، ويستبدل المرض بصحة ، ويجلس أسرى مرض النقرس آملين ان يأتى لهم العلم بفارس الصحة ، وينثر غبار الاساءة من طرف القلوب الرحيمة من حسن المواساة ، ويجلب بالحكمة اللبن من الضرع ، ويسحب بلسان أملس وناعم ، زيت بلسان « (١٢١) من الطوب النى » .

كأنه من لطف أفكاره يهول بين الدم واللحم
ان غضبت روح على جسمها أصلح بين الروح والجسم .

أخيرا يأسر يوم الأسود وأقسام الأسقام المهلكة ، لم يدرك أن عدم السعى لا يأتى بالمال ولا الدواء ، كان التمرجى مجهول مثل غضروف الرقبة ، وعرق عرقوبه مثل عرقوب اليمامة (١٢٢) أيام ، والحشائش وخسة الأخلاق وعرق السوس كاملى النميمة ويكون جيبه المليء بعيوب ضميره وعاء الأينسون (١٢٣) والقرفة والبسباس (١٢٤) ، وحلاوة صنيع أعماله مشروب رياء لكل الناس ، لم يعلم أن النبض من المنبض (١٢٥) ،

(١١٤) عشب طبى . طعمه مر ورائحته جميلة . ينفع فى سم العرب .

(١١٥) اسم دواء يسمى أصل السوس .

(١١٦) عشب طبى ذو رائحة طيبة .

(١١٧) دواء يسبب دفع سرعة الانزال .

(١١٨) عشب ورقه مثل ورق الزيتون وثمره مثل الحمص .

(١١٩) نبات مثل اللفت .

(١٢٠) عشب ينمو فى اليمن يعالج نزيف الدم .

(١٢١) اسم شجر ينمو فى مصر . وهى يشفى أوجاع السنة الحيوانات .

(١٢٢) اسم رجل من العماليق . الميدانى .

(١٢٣) نبات أوراقه مستديرة طارده للغازات .

(١٢٤) قشر جوز يوا رائحته عطرية تطيب رائحة اللحم .

(١٢٥) المنبض هو القلب .

وأن القرفة من التوتيا (١٢٦) ، والزنجبيل وماء الورد من زنجبيل الكلام (١٢٧) ، لم ينمو الترخون الذى من مهجة القلب وصميم خاطره الا من الحضرة الباطلة ، ويكون الوعاء الخشبي ضمير الخصومة ، ويخمد في الصندوق خداع الرجال وقاتل أبيه ، ويظهر داخله وخارجه نبات الرتيلاء (١٢٨) وترياق العقرب ، رأى العصفور شجرة الزقوم بشجرة الورد ، ويظهر ماء الورد خداع خلطه في كلية المريض بدلا من الشفاء كعمل سنن البسكين .

كان دائما سعيدا في الحقيقة والمرعى مثل المرج دائم الخضرة ، وكان بحمايتها كل نعنار ریحان ، ألقى جناح النسر (١٢٩) الفارغ البال الظل على فرقته ، حلبت الأم في الدهر الأسود من الثدي البرقوقي لبن التوفيق في فمه ، وكل رصاد الذى هو منبع الفضل ومنجم الاستقامة ، وقمة سماء الوجدانية ، كوكب فرد الانفراد (١٣٠) في صغر الصناعات المهرة ، في مرصد عطار القوم ، ويعتبر علم الحكماء الفلاسفة سفه ، ويشتهر (بطليموس) (١٣١) بكتابة الباطل على ورقة تقويم الكوكب ، علق (كوشيار) (١٣٢) قرط في الأذن المحبوب ، يشكر (فاخر) (١٣٣) الحكيم تلميذه ، ويفاخر (شاهي) (١٣٤) بكاتبه ، ويزين رأى (المجسطي) (١٣٥) ، وشيت تماثيل ممثلات (١٣٦) الأفلاك ، ويزيل ذهن قياس المشتبهات المتشابهات من

(١٢٦) أصل معدني يميل للزرقة يشفى من الأرق الزمن والجرب .

(١٢٧) بقلة لا نفع فيها .

(١٢٨) نبات له زهر كالسوسن .

(١٢٩) ويسمى بالحرشف ورقه كبير اكبر من ورقة الخس ويفيد في حالات هضم الطعام والانتفاخ .

(١٣٠) الكوكب الذى يولد في منزل بمفرده .

(١٣١) من الفلاسفة الافلاطونيين الجدد ، صاحب كتاب المجسطي ، نظريته مبنية على مركزية الأرض وحركة الافلاك توفى عام ١٦٨ م .

(١٣٢) هو كيا أبو الحسن كوشيار من علماء الفلك .

(١٣٣) عالم من علماء الفلك .

(١٣٤) المقصود هنا كتاب الجامع الشاهي تأليف أحمد بن محمد بن عبد الجليل السنجرى ، وهو كتاب في البروج والنجوم .

(١٣٥) اسم هذا الكتاب في الأصل يعنى الترتيب العظيم من تصنيف بطليموس عربي حنين بن اسحق في عهد المأمون .

(١٣٦) سطح منطقة البروج كلها يقال لها الكواكب السيارة ، ولكل كرة دائرة موازية لمنطقة المرور وتكون تلك الدائرة فلك ممثل تلك الكواكب .

التدوير (١٣٧) والحوامل (١٣٨) وجوزهر (١٣٩) ومائل الأوتاد (١٤٠).
والزوائل ، تتحطم بجودة الطبع الشاقب النجوم الدائرة ، تتزين
العذراء بطوق تطويق الرقبة ، توضع قدم التفوق على فرق الفرقدان (١٤١)
« فلا أقسم بمواقع النجوم ، وأنه لقسم لو تعلمون عظيم » وكان كوكب
طالع (أنكد من تالى النجم) ونجم اقباله نموذج « ادبار النجوم » ، ويظهر
دائما من النجم كأس اليتامى الفقراء ، ويصب ساكب الماء شرف عزته
ويسعى دبران (١٤٢) فى سوء الحظ ، ويصبح سماك الاعزل (١٤٣).
لطعنه راميح ، وصار ممسك الأعنة (١٤٤) للأيذاء مطلق العنان ، وتتجرع
الحية (١٤٥) والتنين (١٤٦) بسهم ظلمه ، ويرقص الراقص (١٤٧) بدق
القدم على رأسه ، ويتصلب الصليب (١٤٨) فى عداوته ، وتتحزم منطقة
الجوزاء (١٤٩) بنطاق (١٥٠) عداوته ، ويقدم قرن الثور (١٥١) الرأس
للمناطحة ، يضرب السهم (١٥٢) بسهم جفائه ، وألقى السفينة بدوامة
بلائله .

(١٣٧) فلك صغير يدور على دوران الأرض مثل فلك الأوج لكن الأرض خارجه .
(١٣٨) فلك مثل فلك الأوج مركزه خارج عن مركز العالم وسطحه مائل للفلك .
(١٣٩) عند ميل سطح الفلك عن سطح منطقة البروج يتقاطع الفلكان فى موضعين .
متقابلين .

(١٤٠) تنقسم منطقة البروج لأثنى عشر قسم ويسمى كل قسم بيت ويكون هناك
أوتار لأربع منازل من هذه البيوت ويسمى المنزل الأول بالافق الشرقى الودت الغرب .
والمنزل العاشر الذى فى النصف اعلى دائرة نصف النهار وتد السماء والمنزل الرابع
الذى للصف الأسفل لدائرة نصف النهار وتد الأرض وهذه المنازل الأربع تسمى
الأوتاد الأربعة .

(١٤١) العذراء اسم برج السنبلة .
(١٤٢) كوكبان منيران على صدر الدب الأصغر .
(١٤٣) كوكب كبير مضى عليه عين بقرة تنظر جهة الشرق .
(١٤٤) كوكب كبير مواجه لنبات النعش ورمحه نجمين من صورة الجائية .
(١٤٥) الصورة الحادية عشر من الصور الشمالية وهو صورة رجل ممسك فى يده
عنان وفى الأخرى سوط .

(١٤٦) الصورة الرابعة عشر من الصور الشمالية .
(١٤٧) الصورة الثالثة من الصور الشمالية .
(١٤٨) اسم نجم فى فم التنين .
(١٤٩) صورة فلكية كبيرة من نصف الكرة الجنوبي ويتكون من أربع كواكب .
سيارة .

(١٤٩) أحد صور السماء الجنوبية ومنطقة الجوزاء ثلاثة نجوم ونطاق الجوزاء .
نظام نظم . نظم الجوزاء فقاء الجوزاء .
(١٥٠) فيها أيهام بمعنى مصطلح نطاقات فى علم الهيئة .
(١٥١) اسم البرج الثانى من الأبراج الاثنى عشر .
(١٥٢) اسم الطائر المعروف والصورة الخامسة عشر من الصورة الشمالية .

ويرفع العقاب (١٥٣) العصا لعقابه ، تشتعل ناز زبانا (١٥٤) على
بيدر بخته ، وكان أهد الآبدین ودائما ووسط نجم اقباله وآخر الشهر
الاحتراق ونجم دولته فى عين الاحتراق سيجعل هذا البيت یرد على لسانه •

— لم یعرف أى منجم كوكب حظى

— قلیا الهی بأى طالع ولدت الدنيا الأم

وكان كل رصاد (خرقاء ذات نيقة) وخطوط جبینه عقرب (١٥٥)
النحس ، لم یعرف أن الجوز من الجوزاء والشعير من الشعرا (١٥٦) ،
وعندما یسأل عن السماء يتحدث عن الحبل ، وعندما یتكلم عن الفلك
یجیب عن كرة الخیط ، وكان دائما الفلك قليل الملاحظة من بخور النجوم
الحمراء المحیطة بمجلس أنسه ، ويعطى له من ورم كبره رونق
الدرفیل (١٥٧) ، يطول ساعده السعدین (١٥٨) لمساعدته ویلقى
النحسین (١٥٩) لتجسین حاله ، ویجلس ذات الكرسي (١٦٠) على كرسي
رفعته ، ویقول الكلب الجبار (١٦١) حارس عتبه « كلبهم بأسط ذراعیه
بالوصید » ، وتمنح الرأس (١٦٢) ، رأس فخره ، ویحل الذنب (١٦٣)
عقدة من عمله ، ویأتى القلب المحبوبة ، وتصیح جبهة الجبین صیقل حاجته •

دائما یستل الفلك الأزرق سیف العداوة على رأس العلماء الأفاضل ،
وترفوف خیمة السعادة على رأس الجهلاء ولا أطار المذلة الا على قصر عزة
أهل الكمال ، ولا یثور فى هذا البحر الطاغی طوفان الأحداث الا بتعاقب
دول أصحاب العلم • المستظللان بقباب الفلك لو عالیة أو السماء دائما فى
طریق سوق العالم فانهم یمیلون لا ینذاء العادلین ، طالب المتاع الضائع
والراغب الشجاع على الهمة مستغرق فى الهموم • وكل الفنانین مستظللین
بسحب الغيوم السوداء •

(١٥٤) المنزل السادس عشر من منازل القمر •

(١٥٦) هناك نجمان بهذا الاسم احدهما الشعرا الیمانى أو العبور الذى على فم
الكلب الجبار والآخر شعرا الشامى أو العمیصاء الذى فى الكلب الأصغر •

(١٥٧) الصورة الثامنة عشر من الصور الشمالية •

(١٥٨) المقصود هنا المشترى والزهرة •

(١٥٩) زحل والمریخ •

(١٦٠) الصورة العاشرة من الصور الشمالية وهو على شكل امرأة تجلس على

كرسى •

(١٦١) وهو الكلب الاكبر وهو الصورة الخامسة من الصور الجنوبية •

(١٦٢) المقصود هنا حامل رأس الغول وهو الصورة الشمالية الحادية عشر •

(١٦٣) رأس نقطة التقاطع الشمالية الفلك المائل مع سطح منطقة البروج وذنب

نقطة التقاطع •

وجه بخت العالم الباحث تحت نقاب الخفاء ، وطائر أحوال جماعة
الثقاة في موبقات الدهر مقيده حوادث الجفاء ، دائما الذل والحزن مع الغم
وعدم الراحة والكدر والضيق مهدة لكل العظماء ، شراب السعادة وحياة
النعيم والهناء وشراب الحياة الهائلة نصيب الحقير ، يد القضاء دائما تحل
العقدة من أمر الزمان ، ولا يفتح سوء الحظ ، ويصبح التغيير دائما برغبة
الجاهل والحكيم ، ولا تصبح النفس سيئة الحظ لحظة ، زاد نصيب أبناء
الدهر من الفلك ، نسي الفلك نصيبنا ، قطف كل فرد من أرض النخيل
وقت طرف الطرف ، أعرضت الدنيا عنا في ظرف الزمان هذا ، كل حقير
نمام (أنم من الزجاج) ، من دوران الفلك الأزرق لم يشرب كأس الشحاذ
الا خمر السعادة ، لم يرتد كل مكار أخس من الخسة وأحقر من الحقارة
حيثما يكون الأحقق ثملا من شراب العقل خاطف السعادة ، يجده وجه
من نفائس ملابس الدنيا الا الحرير والديباج والبرد المنمنم .

الحال بحلية العيش الخالي من الغم مزين ومنير ، وحيثما يصبح الأبله
مقترن بالحياة الهائلة يكون انائه يغلى وقدره عالى ، أى جاهل حقير العمل
لم يمتلك الهناء صباحا ومساء كؤوس خمر الراحة على كفه ! وأى فاضل
كامل وافر العقل لم تتساقط - من شدة الحسرة - دمعته من العين الحزينة
أيام تكدر العيش !

يفضل أهل الزمان الخنازير الكسولة على الأعيان ، يضعوا أهل
الغلط والجهل في ميزان التساوى مع أهل العلم والمعرفة ، يعتبروا العظيم
السخى ممل أذل من الذل ، ولا يفرقوا الفاسد من الطيب ، والمسيخ من
المسيح .

يكون ميسر لضعيف الراى خاصة محبة قلوب الناس ، ويتساوى
أمام هذه التفرقة الظالمة غزال الجبل مع عاقل المدينة .

ارتدى (دلاورد ستان) (١٦٤) الأسطوري الذى فى ساحة معركة
الكلام شكل الكلام ملابس (رستم) العسكرية (١٦٥) ، يختص بشباب
اليأس ، ويتحدث أبطال اللغة البهلوية (١٦٦) بصولجان القلم عن أحرار
العرب والعجم بكلام مناسب لهجة الجهل ، ويكون الأحقق الذى كلامه
جارج للقلوب وحديثه خالى من اللباقة ، ويتخيل أنه مالك ملك الكمال ،

(١٦٤) زال والد رستم .

(١٦٥) يزعم فى الشاهنامة أن رستم قتل عفريت يدعى اكوان وصنع من جلده بذلته
العسكرية .

(١٦٦) لغة ايران الشائعة فى عصر الاشكانيين والساسانيين .

ويقيد ملك الكلام الحسن الذى هو حسن النطاق على وسط أهل النطق ،
يحضر انشاء انشائه فى دائرة النسيان •

حقا ما فائدة البط على الماء من كأس الشراب ؟ وما ثمل ديك البرارى
من وعاء الخمر ؟

ماذا يعتبر الأبيكم طريقة القول الفصيح ؟ وما فائدة إصصال مثل
ونحل (الشهر ستانى) (١٦٧) للبديوى ؟ • لا تستمع للحن (داود) فى
الاستماع للزبور (١٦٨) مثل حكاية حرف الحق (كن) ، ويتجرد مرسوم
(مانى) وكتاب « ارتنك » (١٦٩) واتيليه (مانى) من لون الفن العارى ،
فكيف يكون كلام صوته نشاز والحديث يكون بلا لحن ونغمة ؟ وسواد خط
الرسم حرك سواد القلم حاد السن ، ثار مكر الرسم الأول على بياض
الورق ، نشر الفلك المظلم الذى ينثر يد الكاتب من ناحية رصاص القلم على
الكتاب « انهم عن السمع لمعزولون » ، وعن البصر لمحبوبون •

— اليوم قيمة الخشب والعود واحدة

— فى نظر العالم الخليل والنمرود واحد

— فى أذن الناس الذين فى هذا السوق

— صوت الحرير ونغمة دواود واحدة

يخرج أحيانا الشخص الغافل وعقل الشخص يقدر استعداد المادة
ومادة الاستعداد وفن الكمال وكمال الفن ، وأصل الخلق وطبع الجوهر ،
ويجعل من بلاغة الطبع وطبع البلاغة بطلاقة اللسان واللسان الطلق ،
حيث يكون اللؤلؤ الناصع من مشرقاته الماء العجائى وجريتان الماء ، غرق
الخبلى ، وكتب بواشطة قلم التحرير وكتابة القلم فى رسالة الورق وورق
الرسالة ، حيث أن حسن صنعة هذا النوع من الكلام ليس فى صنعة
حسنه ، المعلوم أن الضمير هو القلب والقلب مظهر الضمير ، وكيفية الجودة
وجودة الكيفية أمام العقل حاد والفهم والادراك حاد العقل مستغنى عن كتابة

(١٦٧) الملل والنحل كتاب فى بيان المذاهب المختلفة تأليف محمد بن عبد الكريم
ابن أحمد الشهرستانى المتكلم الأشعرى المكنى بابى الفتح (٤٦٧ - ٥٤٨ هـ ق) •
(١٦٨) اسم كتاب داود • وهو عبارة عن مجموعة مختارة من مزامير داود النبى ،
وهى مبنية حسب الأيام والمناسبات
(١٦٩) اسم الكتاب الذى يحتوى على رسومات مانوى • ويقال له (مسنور
مانى) •

الكاتب وكاتب الكتابة، لكن المتطرفون يصفون الانصاف بالركاكة، وعندما يسمع هذا اللون عبارات قارع سمع الأذن وحلقة الأذن ، ويجمع من رمح اللوم وطعن الرمح كلام وسائل جماعة الملولين ، وأساس اضطراب الخاطر ، لم يسمع فى هذه الصورة لطف الكلام لهذه الفرقة ، اختلط المسك الخالص بماء البحر ، وصب النبات فى مخللة انبات الكلا ، وقرأ من اللسان الممتلئ بنفس لسان القلم .

(ان نصيبنا نصيب النصب والنصب) • « ولن يصيبنا الا ما كتب » كيت وكيت ، كان قد اضطرب القلب المضطرب الحال من اضطراب بستان صداقة الأصدقاء القدامى الذى يعرفهم • شم رائحة الخيانة ، وسيدرك رائحة اليأس بحسن الفهم ، كان يطلب لقم من المقلمة ، والقلم الذى كان طائر اليد معلم الأصابع ، ارتبط الحب بالحجر ، ولم يحمل اسم آخر رسالة ودواة تقدم سر امتناع (بواعث العادة كالتبيعة الثانية) عقب ذلك بمفاد (من قرع بابا ولج ولج) من باب الاصرار ، وصارت حلقة الدق فى اليد ، أسرع باللجوء لبوابة الصادقين للملاطفة حضرة حصن العقل ، جعل أولا للبيضاء لسان صيد معرفة العظمة ، وأوصل بعرض حاجب حجاب الجلال وبواب أبواب الاقبال ، حيث يرفض فكرة عادة الكسل ، جاء راكبا على كتف الضعيف والعاجز من العجز • احتضن القلم الثرثار حاد اللسان مثل الشوك لسان شكوى حاد وقميص ورق • ومزق التلابيب مثل أهل المتوفى من يد الأرض والزمان ، ومزق الصدر ، وأخذ الجبر من الفم ، ارتدى السواد ، كان يصب الحمر من العين بدلا من الدمع الرمادى ، تصويهم وايعاظهم وتهذيبهم وايقاظهم محول برأينا القيم ، حيث أن القلم والدواة تركا حالة الجدال والمناقشة ، وسارا على الطريقة الظرفية من حيث الدقة والمساعدة •

ضرب العظيم المن البارئ تمويل النار ببضاعة الصبر والسكون ، سيحضر الرأس للعشق ، وسيجعل كل قانون خادما للوطن • « فلما جاء وقص عليه القصص » وربط على نفسه النفس اللوامة مثل فتيلة الشمع ، وانفجرت دمعة حارة من العين من شدة الوجد ، وفتحت الشفافة بكلمات الحب • قال عزاء : يا قلب لا تعجز ! واترك ألم القلب ، كان يجعل القلب الحزين وفق العادة إعادة التحدث بالعجز والألم ، وفى الأرض الحجرية حيرة التضرع وعدم الاستقرار ، ويظهر العقل مثل الأسلوب المحبب للنفس وهرج حركة المواضع ، واضطراب القلب بسبب انقطاع محبة الأحباب ، ورق له أيضا من شدة الوجد ، أرسل حال النفس الرؤم التى هى قرينة الروح وأعز من الابن الوحيد ، وأرسل طالب الدواة لاحضار الخاطر والقلم ، وحشهم على السلام والتحالف ، ورهبهم وأرعبهم ونحاهم عن عيب القسم والانكار واللؤم والتأنيب •

وأعطى بالنية الصافية ، والنصيحة الخالصة اختلاف العداوة والخصومة بفحوى « ونزعنا ما فى صدورهم من غل » ، صار نازعا شعيرات النزاع ودامعا شدة قبس القلم والأصدقاء ، ارتدى الثوب المزركش من الحب ، وأشرق ضياء وجمال وطهارة داخلية ، وزال الغم وخوف القلب ، أخذ خاطر الوفاق والاتفاق وطريق اتفاق الرفاق ، ازدهرت بساتين الألفة وخرائب القرب بالنضارة ، ووجد اليأس والبؤس شكل الألفة • وتبدلت المصاحبة لمصاحبة ، والمفارقة للاقتران ، والغضب بالوفاق ، والنور للتقارب ، والغربة للوحدة ، والنفاق للاتفاق ، والشقاق للاشفاق ، والتجنب للحب ، وبذل قول هات دواء الأنفاس الى دوات الأنفاس وهلم الملقاط والقرطاس (وقال من المحبرة والمحبرة للملماس ساعد بنانى واسع فى تزيير بيانى بالراس) رأى القلم القدير بالشوق الكبير أصبح القبول ، ووضع القدم فى طريق المشاركة والحديث ، فى بدء العمل قال من ناحية الاخلاص دعاء « رب اشرح لى صدرى ، ويسر لى أمرى ، وأحل عقدة من لسانى » •

— اشارة من الحبيب واستجابة سريعة منا

« ستجدنى انشاء الله صابرا ولا أعصى لك أمرا » ، وألقى المحبرة أيضا من وسائل الخداع وآلات التقصير ، نثر الأحزان التى هى مخزونة فى خاطر والقلم تلال فى خاطر • وكتب بهذا المعنى وبحكم « أسلك يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء » وخطاب « التى ما فى يمينك تلقف ما صنعوا » وتكلم بلا رياء وبالسلاام ، وظهرت الماطلة التى بوصف التشجيع فى القيادة ، واندفع التأخير الذى كان يحدث فى كتابته ، وارتفع برفع العوائق والصعاب من وجه الفتيات والنواهد المحبوبة •

بعد ذلك ألقى فكرة المفكر ورفع الوسوسة والهمس من وجه الضمير ، وانشغل بهوى وصل معشوق المراد مع الشوق المتزايد بلا تساهل بالمرؤة • (كمش ذلاذله) وجعل الضمير المحجوب وجه المنع لحجاب معذرة تقاب العذار الثرارة « بل الانسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره » • ورسم طبع اللبقة حسن الخلق ، وذهن المتقدم الحاد بالقلم الخائف الحاد من الحبر جميل الرائحة الاسود على البياض الناصع شديد البياض ، ويظهر خاطر العابت الضعيف أحيانا بأمنية يوجد فى الاسقاط ما لا يوجد فى الاسقاط • ظهر حمل الشوق بعزم سوق قيادة كلام حمل مطية الهمة • علق الجرس الأهوج على رقبة حمل الأمل • (قد وضع المجلس على بكر غلط) •

وصار بقدم التوكل (كالحادى وليس له بعيد) بركبة ضعيفة وعين عشواء ، فسحق هذا التل الترابى والأرض المستوية ، والتقطت الحصى

والزبط من صحراء « دشت بياض » بلا فائدة ، وارتبط بعدم الربط فى
حبل عدم الانتظام والبطلان ، وسميت بـ « درة نادرة » أصبح الأهل أن
يكون من فيض أنظار أهل النظر نفس سلك الجوهر اليانع ، نحاس وجهك
هذا الحزين من النحاس الخام باصطلاحاتهم الكيميائية ذهب خالص .

– أولئك الذين يحيلون الشراب بالنظر ذهب

– هل كان من الممكن أن ينظروا لنا بطرف العين ؟

فى زخرف القول تزيين لباطله والحق قد يعتريه سوء تعبير
تقول هذا مجاج النحل تمدحه وان دحمت تقبل فى الزناير
تمت الديباجة بحمد الله وحسن توفيقه والسلام .

● الفصل الثانی

_____ترجمة نص « الدرة النادرة »

- ١ -

بيان احتلال ممالك « إيران » بتقدير مالك الملك المطلق

« نقص عليك من أنباء ما قد سبق » « هل أذاك حديث الجنود ،
غرعون وثمود » مصدوق هذا الكلام حال (ميرويس الغليجائي) (١)
و (أسد الله الابدالي) اللذان أثارا فتنة في البداية باذعاء الرئاسة في
حاشية الملك ، قاما باشغال نار الظلم ورفعاً راية الحرب ، فقد كان
(ميرويس) من رعا « قندهار » ، وأسرع بقلب مجروح وعين باكية ناحية
القصر الملكي في عهد البخاقان النسعيد الشهيد (الشاه سلطان حسين)
شاكيا سوء سلوك والى تلك الولاية ، وتسلب الجماعات المسلحة بسلاحهم
الشاكى ، متظلم ومتألم ، وعندما لم يجد معينا ومغيثا فى بلاط فلك المماس ،
عاد ناحية « قندهار » ، وساح فى أنحاء الملك متمردا ، فى عام ١١٢٠ هـ
قتل بالمكر والعداوة (كركين خان) (٢) والى « قندهار » ، ورفع راية
« الطغتيان (قد لقي ويسا) ، بعد ذلك تطاولت يده للأنحاء والأطراف ، خدش
وجه حسناء الممالك بظفر النصر ، وجرح تلك النواحي « دلخك » (٣)
و « دلارام » (٤) من ملحقات المملكة ، احتضن المعشوق مراده ، وتجرع
جرعة من منهل النجاح ، (انما خدش الخدوش أنوش) (٥) بعد ذلك
« اختلط » الغليجائيون « بالفساد من حقد الدنيا » .

فى عام ١١٢٣ هـ جهز (أسد الله الابدالي) - الذى كان قد استقر
فى منطقة « هراة » - بمكتوب ما فى ضميره السيئ ، وأظهر المكر الباطن
بالظن الباطل ، وحطم قيد العبودية ، وقطع حبل الطاعة ، واستولى على
قلعة « هراة » ، أظهر العداوة والحقد متغافلا عن يوم القيامة ، أشاع ظلم

-
- (١) الغليجائية قبيلة من اصل ايراني تسكن افغانستان فى منطقتى دىخان
ويندخشان وهم يتكلمون بلغات ايرانية عن الفارسيين .
(٢) هو شاهنوازخان كان حاكما لقندهار فى تلك الاونة .
(٣) اسم عين تبعد عن واشير بولاية كرشك بحوالى ٨٩ كم ٢ بالجنوب الغربى .
(٤) مكان بافغانستان يبعد عن قندهار بـ ٢٤٤ كم ، وهو مكان خاص براحة مسافري
« القوافل » .
(٥) يخرب فيما قدم عهده ، محمد على الميداى .

قوم عاد وثمود « فأولئك هم العادون » بمرور الأيام والسنون تغيرت أحوالهم
الأنام ، ظهر التقصير فى قصور الدولة ، ووضح الخلل والقصور فى حجب
البلاد الخالص ، وصارت ساحة البلاد عرضة للمهالك .

وأظهر للرؤساء والعظماء الرأس من فتحة جلاباب العصيان والخلاف .
واليد من كم قميص التطاول ، وعصى أقاصى وأدانى الرعاع الأشراف فى
القلاع والحصون والأنحاء القريبة والبعيدة فى الدولة العظيمة ، ثارت
جماعة الأشرار مستترى أسرار السرائر وخباثة الطبع وخيانة الذات على
الأعيان ، ورفع الصعاليك عديمى القيمة القدر والقامة لاثارة الفتن ، قامت
القيامة من افسادهم فى الساهرة ، وصارت أعين الفتن النائمة من ايقاظهم .
وغلبت سنة السبنة على عيون الأعيان ، وانقلبت السنة والسنة فى كل
مكان ومعان ، وأصلى الدهر سكينه على السكان مسنوناً مرج حياء البلاد
بالحماء مسنوناً ، وفوافر الفواقر زهرت ، وعناقد العناء قد ظهرت ، وخلاف
الفتن قد تفتن ، وشجر الخلاف قد تغصن ، « ذلك بأن الله لم يك مغيراً
نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » .

- ٢ -

بيان استيلاء الأفغان الغلجائية « على أصفهان » نزهة البنيان

« ارم ذات العماد ، التي لم يخلق مثلها في البلاد » • كان (محمود
تاجين ميرويس) الذي كان محتالا فاجرا ، ومتكبرا مزهوا بنفسه ، خداعا
غامدرا ، أسفل من فعل أبيه ، تركز في ضمير نيته تخريب أمور السلطنة ،
وجد خيال الملك أمل الغرور الطريق لرأسه ، وسقط هوى صاحب
السلطنة على رأسه ، وزين له دعاة طبع الفتنة رسم العرش والتاج ، في
شهور عام ١١٣٤ هـ سمع بشارة من سفير القضاء « ذلك يوم الخروج » ،
ارتقى في فلك « قندهار » على مركب خروج الملك ، وارتكب المفسد
والفتن ، في بادئ الأمر جعل قلعة « كرمان » مقر جيوش الاستيلاء ،
وسياج الاستلاء ، ومنزل نزول المصائب ، ومحل حلول النوائب ، وتقدم
من « كرمان » بفوج (أقوى من نملة) و (أغوى من غواء) و (أجرد من
جراد) ، ووجه عنان العزيمة تجاه « أصفهان » •

غفل أعيان الدولة الملكية عن العادة القديمة « ومن يكذب بهذا الحديث »
قوس خيال مجيء الخصم لركن النسيان وشجرة سهام الاحتياط بجعبة
ثقلته المذهب والعصيان ودرع العقل بالظهور ومن رأس هوائه الملقى من
إشارة (قبل الرماء تملأ الكنائس) واتصف من رامى سهام القضاء وسهام
أقواس الفلك أن (الرامى الكنانة بالنبل) صارت تلك اللحظة قرينة الندم
والأسى من ثمل خمر غرور العقل بالخاطر المدهوش ، وانشغلوا بأعداد
وسائل الدفاع ، وحضر جمع غفير وعدد كبير من الناس بالرماح والسهام
والسلاح والعتاد بشجاعة ، وجعلوا كل فرد (كنجدة في جلد سبنتاه)
مثل الذئب والكركدن (لبسوا جلد النمر) •

يا بارئي القوس برى لست تحسنها لا تفسدنها واعط القوس بارئها •
تبين الزمان هذه الأقوال بلسان حال (رب حال أفصح من لسان)
نقال :

فقد يظن شجاعا من به خرقا فقد يظن جبانا من به زمع
ان السلاح جميع الناس يجهله وليس كل ذوات المخلب السبع

وأظهروا خارج المدينة بأربعة فراسخ في مكان معروف بـ « جلون .
آباد » التفاف الحشود وترتيب الصفوف وتجريد السيوف ، وأظهروا من
بوارق المدافع والصواريخ الصاعقة على أصحاب الرعد والبرق (١) تلالا
البرق البراق ، فانكسفت شمس طالع (القز لباشية) (٢) ، وانكسفت
سر « اذا الشمس كورت » ، وارتفعت براق رايات اقبالهم مثله مثل البدر
في السماء ، انقلبت الأرض ، وأسرت جماعة من قواد الدولة في يد (الأفغان)
سنة ١١٣٤ هـ .

من البلديهي أن يكون لكل محارب سيف مغمود وعصا على الرأس .
وشوك في الجفون ، بعد ذلك عبر (محمود الأفغاني) نهر زنده ، وتوقف
الجيش في « فرح آباد » (٣) ، واحتل جميع الحقول والبراري والقرى .
والكنائس ، وارتعب نصارى « جولاهه » من خطر الصولة الأفغانية ،
واتفقوا على مخالفة شريعة الحيوانات وتجولوا معهم كأصدقاء ، واكتفى
الجيش الأفغاني بتسخير « أصفهان » بعزم أكيد ، وحوصرت تلك المملكة
ثمان أشهر بجيش لا حصر له ، أظلمت أيام المملكة ، انخسف وأظلم قمر
مدينة « أصفهان » ، وصارت جميع المعالف والمشارب والمراعي والمرايح
محط الرجال ولسكن رجال تلك الجماعة (الأفغان) ، وفسد أمر الدنيا
بأولئك الفاسقين .

لا تعجبوا من صيد صعوة بازيا ان الأسود تصاد بالخرفان
قد غرقت أملاك حمير فارة وبعوضة قتلت بنى كنعان
بعد وقوع هذا الأمر المريع ، جعل الأمراء مرايا الضمائر منقوشة
بصور الاختلاف والوساوس ، « ركبوا بنيات الطريق » و « ترهات
البساسس » (٥) ، وأخيرا اخترعوا برقع الخوف ، وأجمعوا وعزموا على

(١) أصحاب الرعد والبرق هم جيش ايران الذي كان في مظهره مهيء ومجهز
بينما هو خالي من الشجاعة والجرأة .

(٢) كلمة قز لباس مكونة من مقطعين قزل بمعنى أحمر وباش بمعنى رأس أى أن
قز لباش تعنى الرأس الحمراء ، وهى قبائل تعاونت مع السلطان حيدر وابنه الشاه
اسماعيل الاول فى ترويع المذهب الشيعى وتأسيس الدولة الصفوية ، وقد أطلق عليهم
هذا اللقب لأنهم كانوا يرتدون قطنسات حمراء ، وقد شغلوا مناصب هامة وقيادية
خلال العصر الصفوى ، لكن الشاه عباس الاول كسر هذه القاعدة وجردهم من مناصبهم
العليا ، وانعدمت أهميتهم تدريجيا .

(٣) اسم مدينة تبعد عن أصفهان بثلاثة أميال .

(٤) من اشعار ابو بكر الخوارزمى فى نكبة المزنى .

(٥) يعنون المغاوزه ، جاء هذا المثل فى ذيل مثل جاء بالثره . محمد على الميداني ~

اصطحاب الأمير العظيم لنسب (طهما سب ميرزا) ، وعندما كان ينضم كل زمان - منذ عصر كسرى - للدولة الممتدة ، نصبوا بعزم أكيد الأمير لولاية العهد ، وأرسلوا لولاية «كاشان» (لاطلاعهم بذلك) ، «عسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده» ، هب في «أصفهان» - التي هي دائما بلاد العظمة - ربح البلاء ، وعز القوت وارتفعت الأسعار ، وتغلب الصعاليك وزاد المتطقلين ، أظهرت شدة الجوع آثار «لا يسمن ولا يغنى من جوع» ، وكان كل من يفقد قوت القوة يموت ، لم يستفد الأكل والمأكول من أكل المأكول الذي هو كليل ببقائهم ، كان جنود «أصفهان» الذين من أنعم عطايا الدولة الكريمة «وما لهم من دونه من وال» كان مطعمهم حسن المأكول والمطعم ، فقطعوا الطمع عن مرسوم الجيش .

ونار من ظلم الأعداء (أسم الله صداهم) (٦) بدلا من تسجاع الفواخت وصوت البوم ، على تلك المملكة الخربة ، غنى يوم شرفة القلعة والنافذة في قصور بلا حراسة ، وأبنية بلا سيادة بخطاب (أين بانوك ؟) ، ارتدى الغراب في الماتم السواد ، وبدأ بانشاد أغنية حزينة ، قال غراب البين للأقحوان تأوه بلحن «صوت العنقاء» (٧) .

يظل غرابها خدع شدة شج بخصومة الذئب الشنون ورحل أهل الديار عن ديارهم ، وعشش اليوم في مساكنهم ، وتفرقت طيور الفارغبالى ، خربان أرض صقرها أملت ، وأصبحت كل الأطعمة (أعز من عنقاء المغرب) ، وصل الأمر الى حد أنه يمكن القول أن الثلاثين يوم وهي أيام الشهر «سيمرغ» (٨) جبل «قاف» القحط ، وانتهى شدة البلاء الى حد يمكن معه التشميل بشأن أهل المدينة بمثل (طارت بهم العنقاء) و «كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين» ، وبيوت عالية حادية آثار «خاوية على عروشها» وصارت مرآة منازل المحبين من هذه الواقعة مظهرة معنى (واقعة على عرسها وعروسها) ووجدت تلك الساحة مليئة بصياح حكم وادى الموت «ضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان ، فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون» وامتلك الخونة منازل مثل الملوك ، بدأ الفلك الخائن بأسلوب (زال) ، جعل ملك الفلك البساط الذي من حيلة الفلك الشطرنجي والمتعرج وزين الدهر

(٦) وهو عبارة عن دعاء على الانسان بالموت .

(٧) أحد الألحان الموسيقية . محمد باد شاه .

(٨) سيمرغ اسم حكيم عظيم مشهور بين عامة الناس بأنه طائر عظيم كان يعيش في جبل قاف ولا يخلط بالناس ، وقدر بزال والد رستم ، وكان معلم وحامى رستم في حربه مع اسفنديار .

جفتك بالفيصل أسير الحيرة ، والفارس مترجل وفي الحقيقة من حسان
المولة ، توجهوا لمنزل (محمود) الذي كان قد وضع في ساحة الشطرنج
والوزير ، جعلوا لتجريك عسكرى الشطرنج بلا خوف رقعة شطرنج خصم
الجقاء المذهب في أول نديب الجلوس الصحيح ، انتزعوا يده النصر مثل
يد مسند السلطنة ، لم يجدوا مرادهم ، جعلوا أساس لغة سلطنة النديب
والعويل وانشدوا هذا البيت :

لئن كسفوني بلا علة وفازت قداهم بالظفر
فقد يكشف المرء من دونه كما يكشف الشمس جرم القمر

بعد ذلك دخل (محمود) بتاريخ ملىء بالمشقة - الرابع عشر من
المحرم الحرام سنة ١١٣٥ هـ - وضع مع قواد الأفغان القدم على كرسى
العرش ، رفع في هذا الدير الأزلى يده العدوان (كان عنزا فاستتبست)
و (كان كراعا فصار ذراعا) *

قالوا تصاهلت المحير فقلت اذ عدم السوابق

خلت الدسوت من الرجاج ففر زنت تلك البيادق

وجعل من هبوب رياح الظلم العاتية ، وريح الجفاء الشديدة ، رياض
جنة الأثر لايران صحراوية الأرض وقاع السهول التى بلا أعشاب ، وزين
ساحة « أصفهان » بالصفاء والنزاهة ، « لهدمت صوامع وبيع ومساجده
يذكر فيها اسم الله » ، أعطى من رداءة الذات وقذارة نفس الملك العادل
الرأى والحكم ، أورد تقلب زينة العصر الحزن من الأسرة ، أصبح بسوء
الطبع وحقارة الطوية مالك عرش (جمشيد) ومغتصب حق ملك العالم ،
حدث خلل فى نظم الجند والجيش ، وتعطلت رفاهية ورخاء مسيرة ملك
الملك وسلسلة البحر والسفن ، اختلت مكانة وعظمة المملكة المعظمة ،
وأهمل وتعطل استعداد وتهيب الجيش المظفر ، تكبر واغتر متقلده سلسلة
السلطنة ، والمتكفل بتنسيق وتنظيم المملكة ، من كلام (أردشير) أن
(أسوأ الأشياء رأس صار ذنبا ، وذنبا صار رأسا) *

وثب الصغير على الكبير وقد يطفىء التراب حرارة الجمر
لا تعجب فرب ساقية قد كدرت طرفا من البحر
هذا الحسام يفله حجر وبه قوام النهى والأمر

لم تقصر طاحونة السماء مثل دوران الفلك فى طحن عظام الأصلاب
وصدور العظام وأصلاب العظماء الدقيقة ، جلس الفقراء مكان الملوك ،
وقفز الفحامون والفخارون على فخامة الفخار الأعلى ، جعل « الأفغان » الذين
بدون لحية الشنب الذى مثل لحية (بو نجم الشهبلى) الكتلة شبكة

مضحكة ، وزينوا مجلس الشراب بالوجوه القبيحة ، كانوا يعتبروا البدناء مذمومى الخلق فخذ « بو سعد البوشهرى » مقياس يدخر هيكله الشخص ، ونهض لمجالسة الحسنات رقيقى الخصر جماعة مكروهة ذميمة الشكل . « كأنما اغشيت وجوههم قطعاً من الليل مظلماً ؟ » كانوا يلقوا من القاع بسوء المعاملة للتعساء الذين كانوا يفتحوا حوانيتهم للبيع من غمزة ، وكانوا عفاريت مخيفة وغبلان منفرة « اذا رأيتهم تعجبك أجسامهم » ، كان إبعاد الوجه عن الوجه الحقير بياض بشرة الجوارى اللواتى من خجل عين اللطافة ولطافة العين عين جارية بل حور عين جارية ، وناموا على فراش المصائب ، كان ينثر فستق الشسفاة الذى ثمر النقل من حسرة شفاهم الضاحكة نقل باكى ، وصاروا كالحوانات المستأنسة والمتوحشة فى منازل التقبيل ، كانت الحسنات اللواتى لو أن جزءاً من غمزة العين أغضبهم كن يرين الورقة ستار ثمر اللوز الرقيق القشرة ، زرعوا النقل بلا تألف ، كان اصطلياد ذى العيون الغزلانية التى مثل عيون الأسد البطل على أنه غزال خطأ وعيب ، وصار الصائدون مثل (كالبهاثم بل كلب هائم) ، وصار حسن نظرات اللواتى اخضرت من تأثير نظراتهم بقلة الغزال ، استراحوا مع (الأفغان) مثل الشوك والورد بغضن واحد ، سحبوا على الأرض سلسلة الشعر التى هى من الدلال ذؤابة ، نما كا كل للأبد ، جاءوا لحنى وضاحية ساحب الطرة ، تشابكت ذؤابة وطرة الحسنات باختيار اللواتى تشابهت ذقونهن ببرتقال شهر « مهر » (٩) ، أظهرن ثديهن بمفرق بستان الذؤابة ، تركوا وجه السلامة ، أراحت الشمس بال العذارى حيث أن شمس الحسن بدون زوالهم شعاع « ما لكم من زوال » ملقى ذلك الشعاع ، سقطوا مثل أشعة الشمس مشردين تائبين هائمين .

كانت الحجلة سعيدة مثل الطاووس الذى من خجل الطيور المقدسة صار بمقتضى الدهر ديكا ، ودوران القمر مثل القمري من جناح العشرة بجناح صعوبة طيران ساحة الموت وحمام برج الفناء ، مات ملك وجود حور اللقاء الذين كانوا يتخلصون من الصفة الملائكية فى سبيل حب الروح من الأنس والقلب ، عقدوا عقده ارتباط الأصل الذى من عرق وجه خجلهم اللؤلؤ الصافى لصدف الخجل خرزة سوداء كبيرة فى العقد ، كان قد صهر زمرد الحسنات البللورى الشكل الذى أمام در أسنانهم تشقق الماس النيرانى يياقوت شفاههم ياقوت رمانى (١٠) ، وجرحوا قساة القلوب بأحجار الجفاء ، كانوا يحتضون الحسنات الجميلات اللواتى فى الشهر والسنة مثل ظل نور نظرة الشمس ، وصار مجلس الأحضان والقبل

(٩) الشهر السابع من السنة الشمسية .

(١٠) نوع من أنواع الياقوت .

مجلس نواح وتأوه على مصيبة شراب الخمر ، وصار قمر الوجوه الذهبية-
التي شعاع جمالها موضع دهشة عين الشمس ، انشغلوا مع أهل السوء
باحتماء أقداح الخمر ، وسقطت الديوك بشراك الوحوش والحسنات.
بقبضة أولئك الأشرار ، اقترنت كل امرأة ببطل ، وجلس كل ملاك مع
شيطان ، هتك البنين والبنات زهرة الجبين حيث قفزت وجوه المحبين على
بدور الرفعة من تأثير النجوم والكواكب ، وصار الوجه مثل نور شمس
الحور ، صارت حلاوة الشفافة من سيل شفافة الآخرين قبيحى الطبع ،
ضربت شمس الظلم ، تفتحت أبكار زهر العذارى فى كل ورود الأرض من
تموج نسيم هواء العابدين شقائق النعمان ، قال الزمان أسرار الحرمان فى
أذان القلوب الجريحة ، صارت حديقة « إيران » من شوكة اقتدار الأعداء
مثل الشوك حقيرا وذليلا وضعيفا .

تساوت عروش ومساند السلطنة بالصحراء الجرداء ، وتفاضلت
المرتبة العليا على كومة التبن العالية ، وزلزل الدهر أساس قصر الجلال
السلطاني الذي هو قبلة أقبال أهل الدنيا، وصار مثل كعبة « نجران » (١١)،
وتداعت حوائط الأركان والشوكة المحكمة والدولة الثابتة المظفرة فيروزة
العرش .

– ذلك القصر الذى يطاول الفلك .

– وكان الملوك يتوجهون الى بلاطه .

– رأينا ان طائر القمرى جالسا على شرفته .

– وكان يقول أين أين ؟ أين أين ؟

نسى القائل كلمة الانبساط من الخاطر فى هذه السماء البعيدة.
البساط ، نست أسود ! لصولة من الثعلب صقر الفلك السنجابى ، وولى
الزمان الذى قال كبوده من (افراسياب) الذى كان ! وقال جاء الزمان
الذى فيه من بلا وطن حقير ، وقال متى كان (فريدون) ملكا ؟ آثار تأثير
دوران النجوم الثوابت والسيارة المصائب الشنعاء ، غربل تراب الخلدان
على رأس أهل « إيران » من قبور الأجداد ، (ان الدواهي فى الآفاق
تهترس) .

كان ظهور هذه الأمور أساس العمل وموجب خلل نظام الملك ، حيث
أن القواد من أئمة المجاهدين الذين هم رافعوا أعلام الجاه والدين ، وأخفوا
العين عن عين الجهل ، واعتبروا القواد المقاتلين مخلقات دورات المياه ، وسعى
الأبطال فى الفشل ، وسحبوا يد المحاربين من مقابض السيوف ، وحملوا

(١١) نجران أقدم بلاد اليمن ، وكانت لها كعبة يحج إليها الحجاج ، فخربت وصارت
مضربا للأمثال فى الخراب وزوال الدولة .

اليد لرقبة الحسنات هلايات الحواجب بدلا من السيف ، وذهب لأبسوا ،
الدروع بهوى العشق للدروع التى كانت تتزين بها الحسنات بدلا من
المغفر والخوذة ، كان العظماء والملوك الذين يعزفون على الربابة التى هى
خرطوم الأفيال ، وعزفوا على نغمة ربابة الشراب ، كن الأبطال ينظفون
بالسيخ فوهة المدفع والبندقية ، وارتدى المخادعون الثياب الحريرية .
وصار الزهاد والعباد جالبي العار من الزهد والعبادة ، وأظهروا آثار
« أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات » ، و « ما رعوها حق رعايتها » ، وصار
العلماء جهلة « يأكلون أموال الناس بالباطل » ، وصاروا رهبانا فى ترك
الصوم والصلاة ومضى خيل الرهان ، واتجهوا للبيع والصوامع « وما قدروا
الله حق قدرة » ، وأصبح الكاهن مثل الراهب صاحب النفس الشرسة ،
وتراجع المصلون عن رعاية الطرق الشريعة ، وصار القانتون وكل الأخيار
مفتنين ، وتقدموا لطريق الافساد والاجبار ، وذهب أهل اليقين « وقليل
ما هم » لودى الشك والريب والشبهة بلا شك ، عبد المصلون السجادة
الخصوص ، وعبد تارك الصلاة مائدة العصيان ، وعبروا من طريق الحق ،
وتألف أصحاب المعارف والأقلام بالطنبور والنأى ، وصاروا بالخمر والنمر
فى تعداد يأمرن بالمنكر وينهون عن المعروف ، أخذ شارب المفتى طريقة
الصفاء ، وصارت ذقن القاضى شبكة للرشاوى ، وتسابت محاسنه
بمساوئه ، وتزى لأبسو الخيش وأصحاب العمامة برداء (أبرق من رداء
الشجاع) (١٢) ، وفتح الخسيس والشرى أبواب خزائن المقايح بمفاتيح
هواجس الفكر ، واختار مشرق الوجه الفسق ، عشق المحاربون الغزاة
العاهرات الفاجرات ، وصار الأحرار رستم القلب مبتلين بمرض تورم
الرأس من شوق الذهب الأبيض ، وصاروا من غم الفضة والذهب شيوخا ،
وصار أحرار مذهب التجرد عبيد أحرار فى الاختيار ، وزينوا الجسد
بالحرير والكتان ، كان الصوفية الذين فى التجرد الثانى بانى مسجد
قباء (١٣) ، وتقدموا وظهروا فى لباس التلبيس ، كانوا يعتبرون الزاهد
العابد على مالك الدينار ، اختاروا وادى النار لحب الدينار ، واتجهوا
للحرام فى عشق الذهب ، (وللناس فيما يعشقون مذاهب) .

وبعد مضى فترة من الزمان صار الزهاد البسطاء المرشدين محبوبى
الوجه فنعمى النوم ، يموتون من حسرة الأمر ، كان فضلاء البلاد - من
الجهل - يعتبرون أن جماعة المسلمين (أذل من بيضة البلد) ، لم ينشغل

(١٢) ردائى الشجاع هو قشر الحية يضرب مثلا للرقبة .

(١٣) قباء بلدة تبعد عن المدينة بميلين ، وقد بنى فيها المهاجرون والانصار مسجدا
وقت هجرة النبي الى المدينة ، وقد بنى هذا المسجد على التقوى فى العام الاول
للهجرة .

«العارفون بأفكار أهل السوء ، حيث كان عملهم شرب الشراب الصافى ، ونسى الناس ذكر الله ، وجعلوا مطية الخلد بمظنة « أن ماله أخلده » ، فى الصحراء الشاسعة كانت طول الآمال محمولة بحب « أشر المال مال لا يزكى ولا يذكى » ، ونعموا فترة بنعم بلا غم ، ورأوا نعمة الله العظيم أمر من الآلا ، وبدلوا عين حلاوة سكر الشكر بشكر الكفر « ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون » ، صارت « ايران » من كثرة الفاسقين حقيرى الصنعة غابة « فاسقون » (١٤) ببلاد الأثرأك ، وقطعت بلطة الشقاء أساس مقذوف قلوب العظماء .

قطع سلك الملك قصة « وإن هذا لهو القصص الحق » ، بقتضاء الدهر الظالم المشؤوم وسوء سلوك الملوك ، وهاج وماج بحر الهوج والمرج ، وسقطت سفينة الملك من قمة موج المصائب بدوامة الفساد ، وخص الزمان الطيب والقبيح بالذم والمدح ، واقرن المنحوس بالبهجة والسرور ، وصارت الشريفة العفيفة من نصيب اللثام ، ومنح أرباب الحسد المقصود « فى جيدها حبل من مسد » بعطية (الدراهم مراهم لجروح الدهر) ، واختار العظام الكرام والعظماء ذوى الصفات الحميدة المأوى فى مقام اللادى .

وصار الاشراف كواكب المواكب أسرى شباك الشدائد والمصائب ، وجاء الصغير والكبير والأجير والحقير ، جمع كل خائن كاذب وجهول جبان الحظ الأوفى من عقارات وأطيان وزروع ومراعى ومواشى ، وجمع كل كاذب متزدد وشارد وهارب النصيب الأكبر من الأطايب والمستطاب والزخارف والمخارف والعطايا والمطايا ، اقتترنت سيدات العظمة والمجد - اللواتى هن بلا بخل منه يتابع ومنايع العطايا وألهبات - بالمحن المتواصلة وشدائد الدهر ، وجلس أرباب الحيل والمكر فى وكر المكر ، وأخذت الشدائد التى بلا عوائد أمنيتههم كاملة من عطايا الموائد ، ونشروا الحزن وسحب الغم فى التلال والسهول والجبال ، واستبدل الفرح والمرح بالتعب والممل، وغربلت المزارع (من زرع الأحن حصده المحن) سنابل وتراب الثأر من غربال الفلك الحقير « ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدي الناس » .

- ٣ -

جلوس الشاه « طهما سب ميرزا »

« ان الأرض لله يوارثها من يشاء » بعد انتشار خبر استيلاء « الأفغان » على « أصفهان » ، جلس الأمير العظيم الجاه (طهما سب ميرزا) في « قزوین » على عرش السلطنة في آخر شهر محرم الذي هو قرين الشباب ، كان عام ١١٤٥ هـ تاريخ جلوس عظمته المانوسة ، نهض « الأفغان » لدفعه ، فانسحب ناحية « تبريز » بكامل سرعة الحصان بمقتضى النشاط اللازم للشباب ، (وان سكر الشباب أشد من سكر الشراب) ، وقابلت أبواب التدبير أقفال الاغفال ، وظهر أول الأمر مع جماعة الثمالي بمصباح الهداية وزجاجة الخمر ، استهل الأمر بفتح زجاجة الخمر ، وأظهر الخمر المر من حدود « بلخ » حتى خط « بغداد » (١) في الكأس المطلق ، وضم ل « تبريز » ملك « ساغر » ومدينة « خمار » (٢) ، وأظهر آثار « وترى الناس سكارى » في جماعة الدنيا ، وانهال الزمان بالتوبيخ من كل جانب بطنين (ما شم خمارك) بقصر أذنه ، صارت الخمر في قصور الجنة خمر الشاربين وبصولة (منوشان) شارب خمر الكؤوس الصافية ، كان يظهروا بهذا النظم نظام العمل .

- ربما عندما نضج الكأس من النار

- يصبح أمرنا مفتضحاً من السدم

وأظهر من كف البللور مثل السقاة ياقوت الشفاة التبريزي بامتلاء الكأس مثل ياقوت أظهار معنى سفك الدماء ، وكانوا ينشدون هذا الشعر للمحبوب .

- عندما كان يمتلي الكأس بالخمر كان يبدو مثل البدر

- نتعقب الفيل بحربة واحدة .

(١) اسم الخط الثاني من كأس جمشيد .

(٢) اسم مدينة بمملكة الختن .

أحيانا يهتلى الكأس الهلالي من ضوء خمر الشمس المضيئة مثل
البدر ، كسروا كأس الشمس على رأس الفلك ، « وهم يحسبون أنهم
يحسنون صنعا » ، يشرب أحيانا « سرخاب » (٣) الشراب الأحمر مع
الغلمان ، كانوا يتذكرون بالنبيذ وجهه (سهراب) معظم القلب ،
(ويزعمون أنهم ملكوا النجد والصنعا) ، عزف الزمان بنشاط جميل
الأداء فى ركن الطرب على الربابة والعود ، وكانوا يفتحوا فى كل باب
العشرة ، وكانوا يلقوا أوانى الاستلذاذ على البط لصيد الصقر الحصاد
المخلب فى الحقيقة كانوا يفقدون صقر الدولة من الأيدي ، كانوا يتفاخرون
كل بكرة وعشيا من البكر ، وفاكهة لذة التفكير بالعيش الوافر مزيل الهم ،
كانوا يصنعون الخمر ويتجرعون الشراب صباحا ومساء من الكأس
الذهبي ، وأوصلوا بصحبة كأس الخمر صوت الشعر والنسأ نواحا فى
الصباح والغبوق لقمة كوكب « عيوق » (٤) ، ونشروا حب المحبة حبات
(أخلف من نار العجائب) بانسانية على أرض القلب ، حيث أنهم سحجوا
اليد مرة واحدة من المنثور « وهم فى غفلة معرضون » ، لووا لبلاب عشق
الغلام حناء مغلق فم المعشوق ، ولبلاب شوق الجوار وجدال المطربة الغائنة
(فحب الغواني كسير السواني) كذلك على القلوب والأرواح ، أن جعلوا
الندى شعار المملكة ، وتجنبوا بالهمة حماية الملك ، « ولهم أعمال من دون
ذلك هم لها عاملون » .

إذا كان رب البيت بالطبل ضاربا فلم تلم الصبيان فيه على الرقص
« بالحق والحق أقول » نجح فى ركوب الخيل السريع وكأس الخمر
ومداومة الياقوت المذاب ، ومنادمة الحسنات ذوات الشفاء الياقوتية ،
جعل للندى ثمل الشراب من وعاء القار (الزفت) أسفل وأعلى ، واستخدموا
الشرف بالافراط فى الشراب ، وصرفوا ثمن العقار على الشراب ، وزين
النبيذ الأحمر حدود المملكة ، فى النهاية ذهبت أراضى « إيران » أدراج
الرياح من النبيذ والكأس ، لم يبق أثر لهذا البلد الملىء بالفوضى والفساد ،
إلا آثار الحانات ، وعزل العمران عن العالم المخرب .

— لو يخرّب قصر الكون والفساد

— يصبح الريح حانة العمران

« وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون »

اتهام ذكر ما سبق

(٣) ابن رستم . كما كان معروف أيضا بسرخاب .

(٤) اسم نجم على ساعد ممسك الاعنة .

« هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق » عندما تفشيت هذه الأمور السيئة ،
بالإضافة الى الموبقات السابقة ، على كل حال فقد انتشرت المفاصد فى جميع
أرجاء المملكة ، وطرات على النفوس أمراض الجسد والحقد التى لا دواء
لها ، وشاع أثر الفساد فى مزاج الغنى والفقير والبخيل والكريم ، وشاع
اختلاف العقود وأنقاض العهود ، وحدثت أحداث مهلكة غير متوقعة بلا داع ،
« ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله » .

وصار من خمر شراب ساقى العصر وضيق كأس سكير الدهر ، صار
كل حقير ثمل من الحقد ، وأصبح كل فرد من الظلم (رستم دستان) ،
وتمرد فى جميع أنحاء البلاد متمرد قوى الشكيمة ثار مثل الشجر
للمشاجرة ، وجعل لحنه ونغمته (قل استنوق الجمل) .

مجمل ذلك أن (الملك محمود السجستانى) الذى كان من أولاد ملوك
« سجستان » ، تمتعت شمس اقباله منذ السطوع حتى الزوال أبا عن جد
من وجه التملق فى ظل قصر هذه الدولة الوارفة الظلال (أزمولة فى الملوك
المنع) (٥) ، جذب مقلب جواذب الحوادث من تلايب حاله الممنع فى
نهاية عهد الخاقان الشهيد « وانه على ذلك لشهيد » ، جعل خواتم اماره
ولاية « تون » (٦) فى الأصبع ، وبعده انتصار « الأفغان » جعل من ترتيب
بعض المقدمات غير مفيدة والقضايا المستحيلة بالتخيل ، فتلك القضايا
قياساتها معها ، هبى الخيال لاستنتاج التاج والعرش ، ومن عودة الحظ
اقترح بمنتهى الحب رئاسة طريقة قطاع الطرق ، وأسرع من قلعة (تون)
عن طريق الحق جاهلا وجاحدا الى « مشهد طوس » المقدسة ، وسلك مضيق
المعصية - على غير المتوقع - رويدا رويدا ، وأخرج رقبة العبودية من العقد
المفتول ، وقطع جبل الطاعة بلا سبب لانه « سجستانى » الأصل ، وجعل
لنفسه صفة الحجر بالحسب ، وأثار « التناثر » أيضا غبار الفتنة فى
(مروشاهجان) ، وداع العصاة للدولة الشاهشاهية ، وأخرج « تركمان »
الصحراء يد التطاول من الجيب ، واحتلوا من سوء السريرة ولاية (درون) ،
وزينوا عروس (نسا) بالعقد ، وقده اقترنت هذه المصائب وظهور تلك
الشدائد من جانب السلطان « اسكندر » شأن الروم بتمزيق جبال الموائيق
وقطع عقد العقود ، تحطمت وتهدمت سدود المعاهدات ، وتحرك القواد
« العثمانيين » بجنودهم تجاه « إيران » لاطهار الحملات القاهرة مثيرة الحمى
ومرجفة قلوب أهالى « تبريز » ، طووا الصحراء بسنابك خيول النصر

(٥) يضرب للمضعيف جاور القوى .

(٦) مدينة بخراسان تبعد ٤٢٦ كم عن مشهد و ٧٢ كم عن كنهاذ ويقال انها مقامة
على الطراز الصينى مستديرة وبقلعتين وخنق عميق .

لصحراء « آذربايجان » ، ووصل آئين أهالى « قراباغ » الى عنان السماء.
من استيلاء العصاة البغاة .

أسرع أعيان « ايران » الى قلعة « تن » وأخلوها من الأرواح ، لم يدرك
أهالى « آذربيل » و « طارم » من العضب ، وأوصلوا دخان التأوه للسماء
الرابعة ، فقدت « خلخال » التى كانت خلخال ساق حسناء الممالك ، فرغ
القدح الكبير والوعاء من الخمر والخل ، « زنجان » التى كنت ريحانة
حديقة البلاد قطفت ، وجدت حديقة الشوكة « سلطانية » خالية من الخضرة
والأزهار وقصبة سراب « كسراب بقیة يحسبه الظمان ماء » ، وصار متاح
« أهر » عرضة للسلب والنهب ، ضغط « أفشار أرومية » بيد المحن ،
تمرغت « مقدم » فى تراب اليأس ل « مرواغة » الشدائد ، ونصب
« الروس » الآثمون شرك الهلاك والخدع وحبال الاحتيال والفساد ،
أسرعوا بسفنتهم تجاه « رشت » و « كيلان » بنية ضعيفة وهمية فائرة
دنيئة ، جاءوا عن طريق البحر بمدافع نارية ، ووهبوا تراب « رشت »
و « لاهيجان » للرياح .

لم يتناول أحد على « العراق » ، لكن احتلوا ساحل بحر « دراز »
بسوء الأصل ، توقفوا بساحل البحر ، وأنزلوا سيوف القهر للمميناء .

صارت المملكة المحروسة قبيحة من قوة قبضة « الروس » الماكرين.
الطبع ، وصارت « كيلان » من كثرة الغبار تراب ، وجد فى أنحاء وأطراف
« لاهيجان » مادة بلا اثار ، ورأى الدم من عيون عظماء « كيلان » دشل.
عيون الجبل ، أسر أهل « ديلم » بالمحن ، وسقطوا فى بحيرات الحيرة ،
وصارت « دار المرز » دار ألم وشقاء .

خلاصة وملخص ذلك أن « الروس » ضموا توابع « مازندران » لملك
التملك .

لمح ورأى (طهماسب) طريقة « الروس » الواضحة والظاهرة
والظالمة واعتدائهم الصارخ ، ووقف على رأس سلسلة الجبل وحبال خيال
الجنون ، خالط تلك الجماعة الفاسدة الخادعة ، واحتار فى دائرة «
دائرة السوء » ، ودار حول عملهم مثل الفرجار ، وأسرع من « آذربايجان »
ل « مازندران » « لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا » .

- ٤ -

خاتمة أمر محمود وجلوس أشرف وقتل الخاقان الشهيد

« ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد »
أشاع (محمود الغليجاني) فى تلك الآونة آثار « ففى كالحجارة أو أشد قسوة » من قلب قاس ، فقد قطع رأس احدى وثلاثين من الأمراء كرام الأصل زمردى الجسد بملورى الأعناق ، عاد بمقتضى (كما تكيل تكال) جزاء وعداوة ، كانت مصائب هذا الظالم تظهر وتبرز أمره يوما فيوم ، قذفت أمطار وشدة هذه المصائب شدة الهزائم فى قصر رفعته ، وصار تتابع النواثب طبيعة حاله ، وانقلاب الزمان معانق الدولة التعيسة ، يعنى سقط سهم تأوه السحر موج الصانع ، فطار عليه جنون قوى ، هرب ذلك المجنون بالدعاء ليلا « فأخذه الله نكال الآخرة والأولى » ، ورفع ابن عمه (أشرف) (رماه الله بليلة لا أخت لها) ، وفى الحال علم الاستيلاء ، وتزوج المحتال خيلاء السلطنة (أسرع من نكاح أم خارقة) (الجبارى خالة الكروان) ، وجلس على عرش السلطنة فى ١٢ شعبان عام ١١٣٧ هـ .
« كذلك أورثناها قوما آخرين » .

أقول لدهر قد توالت صروفه أليس لهذا يا زمان زوال ؟
فقال اصطبر كم دولة قد تغيرت لكل زمان دولة ورجال

عندما راجت عملة شهر وای (١) الشاهية ، بدأ الحرب والقتال مع « العثمانيين » بأسطورة سيف المبارزة والعداوة ، وامتزج فى تضاعف هذا الحال خلال أحوال هذا الدهر الفاسد ، وتزوج أبو جهل الغفلة بأم رأسه ، وانشغل باحياء عادات ظلم قانون ابن العم ، يعنى جعل السواد على وجه الخاقان السعيد بالسيف الأخضر الوجه الأبيض أحمر .

- لو أن القصاب ذبح الهما -

- لحصل على ريشها لا على عظمتها .

(١) عملة ذهبية مغشوشة كان قد فرضها أحد الملوك الايرانيين بالقوة على شعبه وقد كانت غير متداولة فى غير ملكه .

عندما سحب الملك العادل المغفور له كأس الشهادة من يد ساقى
القضاء ، تبدل بساط العرش لنعش ، نقل القمر التام عمره لمنزل غفر
الغفران ، اكتسى الزمان العابس فى هذا المآتم بكساء العباسيين الأسود ،
صرخ لابسو زى الحلاقين ، وحكوا وجه النائحين ، وناحت منقبات مريم
السيرة بأمنية « ياليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا » ، شق الصبح
الحار الصدر ، وسالت قطرات الأنجم من العين « وابيضت عيناه من الحزن » ،
وكانت عين الشمس والقمر من الشفق والكواكب وقت السطوع تظهر آثار
الغروب « وترى أعينهم تفيض من الدمع » ، أثبتت هذه الأبيات بإنشاء
(ميرزا قوام الدين محمد انقروينى) قول القائل الالهام الغيبى :

أظلمت الأرض لقتل امرء احسانه قد ملأ الخافقين
الشاه سلطان حسين الذى قد جاوزت أعلامه الفرقدين
أنشاء فى تاريخه هاتف فقال تجديده لقتل الحسين
وأقبر المظلوم فى قم لدى أبائه الأطهار المجتبن
أسكنه الله بغفرانه فى جنة الخلد مع المصطفين

حقا عندما يحتقر نجم الطالع ، ينظر البدر الساطع للقمر بلا دهشة ،
ويبدأ الزمان العصيان حيث أن الفلك بلا شمس ، لم يضى كوكب الجوزاء
بصدق ، وعندما يجعل الفلك المقوس قوس الحقد وتر ، يصبح درع
(زره) (٢) فى حضن (سياوش) (٣) ، وعندما ينشغل الفلك المدرع
بالحماية ، يصبح فلك الدرع مصدعا من الطريق ، (اذا وقع سهم القضاء
نشرت حاق النثرة القضاء) *

(٢) اسم شخص من أقارب افراسياب الذين اشتركوا فى قتل سياوش .
(٣) هو سياوش ابن كيكاف ابن كيقباد ، من امراء الدولة الكيانية .

- ٥ -

بيان تدرج حال وترقى أحوال « نادر شاه » بتقدير الله القدوس

« فلا كفران لسعيه وأنا له لكاتبون » ، أثناء هذه الأحوال شاهدة
التقلبات المليئة بكثرة المفاصد المستترة تحت أفخم الملابس ، صار الزمن
المثير للغم موجب سعادة للمحبوب زعيم « الإيرانيين » ، حان وقت بزوغ
فجر الفرج وميعاد زوال أيام البؤس والشقاء كما قيل (عند انسداد الفرج
تبدو مطالع الفرج) ، ورغم أن المصائب لا تنتهي الا أنها انتهت ، وتبدل
النواح لأفراح ، فلاح الفلاح ، وتيسر يسر النجاة ، وتبشر بشر النجاح .

إذا بلغ الحوادث منتهاهها فرج بعيدها الفرج المظلي
فكم كرب تولى اذ تولى وكم خطب تجلى حين جلى

الشاهنشاه ملك القدر الذى كاسمه ندر ، وفى سماء السلطنة بدر ،
ملك « إيران » ومزين قوتها ، الذى كان فى ميدان حربه « باورد » أقل من
« نسا » ، الذى كتب فى عام ١١٣٦ هـ بالقلم الواسطى الفصيح نائر
الجواهر تاريخ دولة قبيلة (الأفشار) الجليلة ، كان من « درة جز » من
توابع « باورد » التى هى مسقط رأس سرور الزمان والذات التى بلا نظير ،
يوجد فيها دوما نزهة مجلس الصدر وسرو البستان ، عرج على مراقى
الغزو لحياء العالم الخامل وإعلان الامارة « فأحيينا به بلدة ميتا ، كذلك
الخروج » ، أظهر بقدّم الشجاعة الرأس بالسروور واليد للعدو الملقى « حتى
يميز الخبيث من الطيب » ، وصار من قبل الرجولة بالعلم لاكتساب
التأييد وبحد السيف لفتح البلاد ، وقاد جواد العظمة من كرم الأصل على
طريق العطاء ، سحب للاكتاف أسوء أراضى الأطراف ، وأحاط الأطراف
والجوانب ، وقطع أكتاف وأطراف أهمل الخلاف ، حزم السيف لقائد
الجيش وقائد العدو ، وبسط الساعد ، وفتح الشبكة ، وعلق يد الفتنة
على الظهر ، أوصل لأذانه حجاب الملكوت بشرى :

أرى النصر معقودا برايتك الصفراء فسر وأفتح الدنيا فانت به أخرى
يمينك فيه اليمن واليسرى اليسرى فبشرى لمن يرجو الندى بهما بشرى

والقى بخاطره الخطير ملهمى العالم الغيبى مفهوم :

فسد الزمان فلا يرى الا ذبابا أو ذنابا
فابسط حسامك فى الدنيا ب ولا تدع ظفرا ونايبا
واصلت على الذبسان من عذبات مقرعك العذابا

كان (نادر) حسن المظهر ، جميل ، مخلص ، أسد الصولة ، وسيم ، قوى الصوت ، امتلك مصيدة العدو لصيد الصقر ذو الشكيمة القوية ، سلوكه يوافق مسلك كل فرقة وطبقة (وافق شن وطبقة) ، ومحبيه سلسلة قلب الضعفاء والأقوياء (كان قلوب الناس فى حبه قلب) ذو وجهة وجهية ، يمتلك ذاكرة قوية ووجه واثق وبأس مهلك ، لم يستطع الفغفور(٤) أن يفرق أمام عقدة جبينه بين اليد والقدم والصواب والخطأ ، لم يستطع القواد فتح الفم ب لا ونعم من تعقد حاجبه بمفاد « لا يتكلمون الا من آذن له » ، لم يتألا الحق من صدف « درة جز » « درة نادرة » ، الا جوهرة نفيسة على بساط القدرة ، وجعل كوكب جناب الحياة المحفوظ بحسن التأييد مضى وثابت ، ورفع بريق علم ضيائه ، عندهما أضاءت الشمس الساطعة فى ساحة الآفاق من تنمر الطبع مع كمال التأسد ، لم يبسط ذات الأسد فرش البساط والسرير فى الفراش ، كان يبحث عن طعمة من رغبة النمر ورغيف من عرين الأسد أظهر بمساعدة المبعاد عرين مخلص ادراك (حظ جزيل بين شلقى ضيغم) كان يعمل مد لول (ارتفاع الأقدار باقتحام الأخطار) ، لم يكن لحظة بدون قتال ، لم يسترح سيفه الجاد لحظة فى منام الغلاف من سفك السماء ، كان يعمل من الفلق حتى الغسق مثل شمس الدنيا المضيئة من وجه الحب والرافة بجال البعيد والقريب ، كان يصل بنفسه الكريم الأصل بالثياب المزين ، ويلبى حاجات الفقراء المعدومين فردا فردا ، لم يكن يؤجل اليوم لغد :

ولم يعتمد دارا سوى خومة الوغى . ولا خدما الا القنا والقنايلا
ولا حاجبا الا حساما مهندا ولا عاملا الا سنانا وعاملا (٥) ،

منذ أن ألقى فى القصر المشيد دولة المسند ، واستقر عمله الصحيح ، استعلى بالتدرج والتدريج على مدارج العزة ، وانتصر على الأعداء ، حتى صار بموافقة القضاء ومواتاة القدر قدرة رفيع جدا وبلى السماء ، أصبح مفتاح ولاية « خراسان » أول مفتاح ملك يمينه وحوزة جمعه ، وضم سلطنته « الرى » و « شهربار » بعون ومساعدة البارى ، وقهر الأعداء

(٤) لقب ملوك الصين . وأصلها فغ بور أى أبن الصنم أو الإله .

(٥) من قصيدة لابی سعيد الرستى فى وصف الماء الجارى .

المقهورين من سطوة بطولة قهره ، صار قواد تلك الدولة العاجزة قواد
دولته الثابتة ، وعصاة تلك الناحية بلجام الحكم ، وطوقهم طوق جنابه
مثل الخيول المطيعة .

وبعد عدة أيام بسط باليد اليمنى الميمونة (حفه الله باليسار)
بساط التوسع على وجه الأرض ، وأظهر بالقوة قبضة الرجولة ، بسط
يد النعم رحمة على العباد ، ومنع أيادى الظلم والعناد عن البلاد ، أدرك
حجة « بل يده ميسوطتان » ، وسحب بالقلم سن خطى قلم النسخ على
نسخ أعمار خطاطى الأقاليم ، اقتطع أرض الفساد من الأرض المستوية ،
وعلق على رقبة الموجودين عديمى الأصل بضرب سيف كهدياء اللون قلاند
الياقوت ، وأضاء بضوء خنجر الشمس نور شمس الشعاع من مرآة حال
الدنيا من الدخان وربيع العالم من ظلام الظلم المبرق حافر حصانه ، وارتبط
العدو والاصديق معا (حتى يؤلف بين الضب والنون) (١) ، واختلطت
معا الفرق المختلفة مثل أضداد العناصر (حتى يجمع بين الثلج والبنار) ،
أصبح عصاة وطغاة الدنيا بضرب عصا تأديبه قليل وكثير (عبيد العصا) ،
« قالتا آتينا طائعين » ، وعلم عتاة وطغاة الدنيا بتعليم عصا التنبيه حده
ومقداره ، « قد علم كل اناس مشربهم » ، وكان بعون الله المعين والصحبة
الالعية اللامعة ، بوار مثير الممالك التى هى نموذج الجنة ، وأظهر البساتين
بصب ماء السماحة وقطرات سحب الرعاية للشيوخ والشباب ، وضارت
كنافذة البلاد سعة السعادة والخير ، وأصبحت الأطلال الخربة قصور ضيافة
وأسوار سرور ، وظهرت ساحات الأرض بالسيوف المهترزة وقطع لاقطاع
التمليك ، وأوصل لحدود العالم ديبب (بجدى علوت لا بجودى) .

وكاد يحكيه صوت الغيث منسكبا لو كان طلق المحيا يمطر الذهبا
والدهر لو لم يحن والشمس لو نطقت والليث لو لم يصد والبحر لو عذبا

- ٦ -

بيان تسخير « مشهد المقدسة »

« نحن نقص عليك أحسن القصص » عندما صنع الله القدوس جل شأنه ماضطة ظل ذلك العظيم ، صانه الله مما يضره ، مزين شرفة طرة اضطراب الأيام أولا بحكم :

سافر فان الليث لما غاب عن غاب حواه أشبع الاشبالا

كان قد ارتبط لآخاماد نار الأشرار الذين من العصا العليا والسفلى شرارة الأشرار ونار وحديد طلب الليل والنهار فى تراب « مرو » ، بكرة النار ، أسرع مع الجماعة الماثجة أسرع من الماء لتلك الناحية بفكرة (ان الفرص تمر من السحاب) • تصور (الملك محمود) وتخيل - نظرا لشدة اختلال أمور « مرو » - صورة انصراف موكب العظيم فى مرآة التمثيل (حتى يجيئ نشيط من مرو) ، ويظهر بساحة الأناية ، وطار حصان الشجاعة حتى قصبة « جوين » ، وعين حكاما على تلك المناطق ، ونفذ مثل (جدع جوين من سويق غيره) وعمل بمقاد (عاطف بغير نواط) ، أما الحضرة النادرية فقد قدرت بالسيف المشتعل أمور « مرو » بالقدر المقدور ، منع ودحر يمانع البذرة المروية حكمة عملية وبكمادات التدابير الماهرة بؤرة دماعل الفساد وبثور الهلاك من أبه ان الملك ، وجعل حصان شهاب السير « رجوما للشياطين » بجانب أرض الفلك مقترن بالعودة ، لم يجد (الملك محمود) فى « جوين » الفرع المقصود من جدول الوضوح ومنهل حدوث الرى ، ان رؤى وسمع خبر انصراف موكب العظيم من « مرو » ، اعتبر أن الزمان لا يجارى سير أحواله ، وإن الدولة بمخازى أعماله محاربة ، وأغار المسرعون من « جوين » ، (شر السير الحقيقة) حتى لا تسحب اللجام لـ « مشهد طوس » فمثله كمثيل صفوان عليه تراب فأصابه وإبل فتركه صليدا •

حضرة الشاه (طهماسب) انذى كان قد جعل - فى تلك الآونة - من « شاهرود » و « بسطام » مركزا للدائرة الملكية ، بعد سماع هذا الخبر نشط لتسخير « خراسان » ونشط عازفو الشاهرود ، واستعد بالقدر الكافى فى كافة أنحاء الولاية بمساعدة وقوة جيش جرار (أفرس من بسطام) ، أشعل بوادى المعركة بشعلة ذو العزم المتأجج وألجم الجمل

سالك الصحراء الملكية بلجام مزين بالمرجان ، ضرب بلابسى الدروع الفولاذية - الذين بلا حصر - بخيول طاوية الدنيا - مهما كانت - بحدوة العزيمة ، احتشدت أيضا فى حدود « جاجرم » الطوائف النخشمية والخراسانية ، ودار من طريق « اسفراين » مثل الشمس الخراسانية التى على مدارات فلك درع القاعدة ، أسرع ناحية مقصدة ، ودخل ملك البناء الجميل يعنى « خبوشان » (١) ، بعد ذلك وصل خبر توجه الشاه (طهماسب) ناحية الأراضى المقدسة بالعرض المقدس ، دخل حضرة الشاه بشكل عاجل مع المشاه والفرسان من « مرو » لـ « خبوشان » ، ونزل فى الموكب الملكى مع المحاربين والمقاتلين مثل سيل العرم والنمور الزائرة بقصد انتزاع الملك من الملك (محمود) ، جعل يرق العلم مثل اللواء المزين ، طال ريحة ناحية « مشهد طوس » ساحقة الفلك ، أصبح ذلك المتمرد ضالا ظالما يتحرى الظلم ، فتح باب النفاق وأغلق باب المدينة ونهض للمخالفة ، وجلس فى الديوان *

عصى السلطان فابتدرت اليه رجال يقطعون أبا قبيس
وصير طوس معلقه فصارت عليه طوس أشام من طويس (٢)

بالنسبة للأذكىاء فإن الطريق المستقيم مضيء ، أى نور يكون نصيب القمر النخشمى (٣) فى مقابل الليلة القمرية الرابعة عشر ؟ ماذا يفعل الخشب أمام السيف المصقول ؟ أى عظمة يظهرها العشب القصير أمام السرو المتشابك ؟ وماذا يصنع عقل ناقص مع رأى سديده ؟ (الحق ابلج والباطل لجلج) ، طالأت أيام الحصار ، حيث أن القمر - على اتساع سطح هذه السماء - ثلاث مرات فى ركن حاجب الهلال ، وملا ساقى الفلك الكأس ثلاث مرات من ذهب مثل الضياء ، وسقى المخمورون من نشوة عالم الامكان ، فى ليلة ١٨ من ربيع الأول عام ١١٣٩ هـ دخلت « مشهد طوس » بحوزة التسخير ، وهرب الملك (محمود) الضعيف ، فلو أنه ترك الحظ العائر وشجرة طالع النمو ثمر وورق ، فإن طريق النجاة يجب أن يكون قد فُتح فى وجهه ، ولم تصبح المصائب هدف السهام يظهر حفظ الشرف والعرض *

(١) بلدة بناحية بيشاور *

(٢) كان طويس يقول « ولدت يوم مات الرسول ، وفطمتنى أمى يوم مات أبو بكر. وبلغت الحلم يوم قتل عمر بن الخطاب ، وتزوجت يوم قتل عثمان ، وولد لى يوم قتل على لذا كان مضربا لامثال العرب فى الشؤم »
(٣) كان هناك شخصا يدعى عطاء الحكيم من مرو قد صنع شكلا قمريا من الذهب ، ووضعه على وجهه ، ثم يظهر للناس من بشر ويتحدث اليهم ، وكانوا يسمونه القمر المقنع النخشمى *

بعد هذا الفتح المبين ، أدى الخاقان الذى بلا نظير صلاة شكر لله ، ودخل مع الجيش المنتصر لأنحاء القلعة الأربع بقبضة الحصار ، فألقوا ضوضاء النشاط بجهات العالم الست ، وصاروا فى نفس الليلة فيوضات القبلة باب القبلة السابعة والكعبة الثامنة التى لباس نقابها حرير الفلك التاسع والخادم الكناس قى نقص العقل العاشر ، فى اليوم التالى هجموا على قمة الحصن ، كان يتصور مثل عرق البلاء فى سيف الجنود المنتصرين المرصع بمقاد « اذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه » أسرع الملك (محمود) لعبتة ملك حراس ملك الأنس والجن ، وتوسل بجانب خيمة العطف الملكى ، أضاعت شمس العفو على ربوة روحه ، لو أنه وجده فى هذه الساحة الجناح مرتفعا ومنخفضا بسبب نسبة تشييت سخاء عطاء الملك النسيب أيام قدرة بقاء النصيب ، لكن بناء على بعض البواعث الأخرى المكتوبة والمنحوتة بسيف القهر ، وكتب صحيفة عمره بقلم الفناء ، وبستر موضوع :

— لا يمكن الفوز بأماكن العظماء جذافا

— أعدت أسباب العظمة كلها ؟

فهم على الوجه البليغ ، وانشد قلم البلاغة :

يا ذا الذى ركب الفساد وعنده انى أسود اذا ركب فساد

أضللت رأيك عاندا أو ساهيا من هو الذى ركب الفساد فساد :

— ليس كل من أضاء وجهه يدرك الحب

— وليس كل يصنع كأس يعرف الانقلاب

— ليس كل من يعوج رأسه ويجلس متكبرا

— يعرف القلنسوة قانون عظمة الرئاسة .

« حبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون » (سحابة صيف عن قليل تقشع) (٤) بعد ذلك صار الجناب النادرى على الوجه المضى والعالى فاتح وفالق جميع المهمات والمصائب الملكية والملكية ، سعى فى حل أمور الممالك المعقدة بعقل ، استخدم الحكمة الصائبة فى اصلاح الملك السقيم ، وأعطى للعالم المضطرب ضمير الشمس المريحة ، بحيث أنه لا يمكن القول بأن ساحة الأرض فى عهده وآوانه مضطربة ، وزين ذلك العالم برأى

(٤) يضرب هذا المثل فى سرعة انقضاء الشئ الميدانى ، مجمع الأمثال ، ج ١ ،

العالم المحلى بالرأفة ، اذ لم يستطع أن يسمع فى محرابه بعد تكفل
الأمور الا خبر مرضى عن العالم :

يا من أعاد رميم الملك منشورا وضم بالراى أمرا كان منشورا
أنت الأمير وان لم يؤت منشورا والملك بعدك ان لم تؤتمن شورى

لم تمر الشمس فى تلك الآونة من طريق « خراسان » ، وأصبحت
هكذا مطابقة للأمنية الأمن ، ان السماء كانت تحمل كل يوم طبق ذهب ،
وتذهب من المشرق الى المغرب وكانت قافلة الفلك تسير كل ليلة منسجمة ،
وكان الخراج يحصل من صاحب القافلة الليلية ، وجعل الوشم من سيف
انتقامه (الأبدالى) مثل (الأبدال) ، وحرر (الغليجانية) الصدر من حقد
القلب وحب العصيان ، وطوق الرقبة بطوق الطاعة ، وطهر طغاة « لم »
من منبع العبث ، وصنع طغاة (الأكراد) خوذة المطلب ، وجلسوا فى ركن
الحرمان ، وحصنوا القلعة المحكمة من لصوص « خليج » ، وسحب قطاع
الطرق شاطئ الوجود لخليج الفساد .

أصبت العلا عطلا فخليت جيدها فغلنا العلاجيد وخلصناك عقدة
وما نلت به بشرى بما ستنا له اذا الصبح وافى كانت الشمس بعده

أما الحساد وأهل الفساد « أم يحسدون الناس على ما أتيهم الله
من فضله » كان يجعل من اعتلاء نجم حظ النصر النادرى - الذى كان يوما
بعد يوم - مثل شمس العالم المضيئة تنشر نور فتح العالم (بيضاء لا يدعى
سناها العظم) ، وكانوا يستدلون على هبوط كوكب طالهم ، كانوا يسعون
فى اذلال وتقليل أعوان (نادر) واستدلال واستقلال أعيان المملكة ، كانوا
يعرقلون تقدم أمور الدولة بأساة الصداقة من الجيران ، « وجادلوا بالباطل
ليدحضوا به الحق » .

من رام طمس الشمس جهلا أخطأ الشمس بالتطيين لا تغطى .

مع أنه كان من جانب ذلك الجنب الذى كان خمر الاخلاص الصافى
والمصفى ، الا أنه كان محددا للشاه (طهماسب) ، لكن كان يحدث من
حضرة الشاه التوجيه من قبل الأقل شأن ، لم تتجمع مرايا مزايا الألفة من
جرس فم المحبوب بلذة الصفاء لم يتجمل جمال شاهد الالتئام من التحمل
والحمول ، كانت سعاية السعاة ووشاية الوشاة سبب التجنب من
الجانبيين ، حرك الشاه (طهماسب) لحام الثورة ناحية « نيشابور » ،
مزق العبادة التى كان يرتديها ، وارتدى الدرع ذا الوجهين فى رداء
الاستتار ، لم يتركوا تلك الحضرة بمثل (ان دواء الشق أن تحوصه » ،

رفا سلسلة دقة الرأى وأبرة حسن الطبع ثياب طبيعة الالفه المزركش
كاشفة الأمور المستترة ، كانوا يحولون العداوة الى اختلاط والمخالفة الى
قسم والنفاق الى وفاق •

فى تلك الاثناء سارت جماعة من « الأفغان » ل « هرات » بقصد
الانغارة ، ثبتوا سروج الجلادة ، وأسرجوا الخيول الجامحة ، دخلوا أطراف
المملكة ، جعلوا تلك بتعقبهم مثل هجوم الخراف ، وعندما لم تر تلك
الفئة الماكرة سبيلا غير الفرار ، لم يغيروا ويهجموا وغنموا (السلامة احدى
الغنيمتين) ، (خيرها بشرها وشرها بخيرها) وأوصلوا أنفسهم للأمن
النجاة ، وسار الموكب المظفر قاصدا قلعة « سنكان » ، وتعاركوا هناك مع
« الأفغان » معركة عنيفة ، وطلوا أعلام النصر بدم الأعداء ، وأستولوا على
غنائم بلا حصر ، واتجهوا ناحية « مشهد المقدسة » •

- ٧ -

بيان تحرك رايات المباركة ناحية « هرات » خلد البنيان بهدف تأديب « الأفغان الأبدال »

« الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد » عندما نكت « الأفغان » الأبدال عهد الطاعة من قبل ، وكان أساسهم النفاق والعراك مع الدولة البهية الصفوية كانوا يخربون ويفسدون في أرجاء الأراضي المقدسة (أفسد من الأرض) ، لهذا فان نية تأديب تلك الجماعة تخمرت في خاطر الخطير ، في ١٤ من شوال سنة ١١٤٠ هـ جعل معدات الهجوم والسلب تتقدم الموكب المعظم بالعتاد والقادة المحنكين والجيش المظفر ، تحركت الأعداد الكثيرة بقصد تدمير الأعداء ، كان يلقي « مرج ياقوتى » الذى كانت خضرته الزمردية شعاع على الفلك الفيروزي ، وصار مضرب القباب المرصع بالجواهر ، سارت من هناك رايات النصر تطوى المسافات وتقطع المراحل وادى القهر والعداوة الحقد ، رحل أيضا « الله يارخان أفغان » حاكم « هرات » للانتقام برأى ناقص نافضا اللواء ، أعد معدات المواجهة والقتال ، واستعد فى مكان معروف بـ « كافر » بجيش مثل البحر الهائج للقتال والمكر ، بعد ذلك عزم جيش الأسود الرحيل من « قلعة كافر » فى ظلمة الليل ، وتبدل بأسه وهيبته الى يأس ومهانة ، عندما لم يجد الاستقرار أدار الوجه وأعطى الظهر ، وضغط قدم الصبر فى قمة جسر « شكيبان » (١) ، أسرع الشجعان ثعابين صولة الجيش النادرى مثل تنين الأنفاس « أسرع من السيل » ناحية مجرى الوادى ناحية نهر « هرى » عندما ألقى نور الفلك للعباب من الفم ، أثار سنجاب الفلق « قندر » الليل من الخيمة الرمادية .

— اذ ابوا الزنجفر على الأزرق —

— فتنبج عنه السمر الأسود للثعب الأصغر .

(١) جسر يقع بين تيريل وصوفيان بالقرب من هرات .

تنفس نفسا في النفير ، تخيل الأبطال النمر انها ضوضاء الحرب ،
وكانوا يجعلون طنين الذباب وأسنة سيوف الصيد للفهود والذئب .
أن الأسود أسود الغساب همتهما يوم الكريهة في المسلوب لا السلب

بصفة عامة فقد استعدت جميع الصفوف للمبارزات مثل النمر
الحيواني الشرس يقفز ويهجم ، مثل الفهد واللبوة المحاربة بقوة الأسد
وبعد النمل ، كل تمساح غزال أسفل صنم « كورسرين » ، السهام
الغولاذية سنن في المخلب مثل الذئب المتوحشة بساحة قتال الخنازير ،
سحق ثور الفلك وثور الأرض من صعود وهبوط قضيب « فريدون » عليهما
من الوسط والخلف ، تشابه حوت السماء بسماك البحر من ثورة غبار
الحرب « فتشابه الخلق عليهم » ، اعتاد « الأفغان » فعل الحقد المعيب الذي
هو من الأعمال غير اللائقة لايران واشتغلوا بشرب الخمر والتهديد ، كانوا
قد نسوا في أذن الفيل النائم أنربا وضربوا بيد « يلان » (٢) البطل ، مع
ذلك وضع اللجام على اللبوة ، وضع السرج على الثور ، « كأنهن حمر
مستنفرة فرت من قسورة » وأصبح من موقع القتال المزعج فاتح جرح
الطامع ، روى تراب « باد صبا » السيف نائر شر الحقد ، رفعوا راية
الاستقرار ، أقام جنود قيامة الأثر بأمر العظيم في حوالي ساعتين بمحاذاتهم
خيام الإقامة ، أظهروا براية الفتح علم لواء السماء السالح آثار « اقتربت
الساعة انشق القمر » ، وألقوا على قلوب المخالفين رعب « ان زلزلة الساعة
شيء عظيم » باعلان الغضب والقسوة ، بهجرد تحرك غبار الحرب هبت
رياح عاصفة وعواصف قاصفة ، أن اتخذ من شدة تلك الأرض الكروية
هيئة الغبار وأسفل وأعلى صفة « سواء العاكف فيه والباد » ، غطى السماء
من ظاهرة عيون الشمس والقمر بغطوة سوداء مظلمة ، تقارب نهر « هري »
ونهر « صرصر » من هبوب الرياح المخيفة ، حيث أن ذهبت كرة التراب
للرياح ونسى عالم الأماكن ثلاثة عناصر ، وغطى طرفى الليل والنهار من
كثرة الغبار ، وأخفت شدة الرياح العين عن القتال ، لم يستطع أحد أن
يبدأ القتال ، حتى تخرج رياح النخوة من رأس الفلك ، كان « الأفغان »
عند ملاقاتهم بالجيش المنصور مشل مقابلة الظلمة بالنور ، عند طريق
الخداع والتحايل سلكوا منهج الغدر والحيلة ، وبعد لحظة تهيئوا مرة
أخرى للهجوم ، تركوا السلام وركبوا فرس التبارز والتراشق ، وانشغلوا
بالعراك والنزال والقتال والمبارزة ، كان من هناك يد وساعد الدولة القوية
والحظ بقوة وقيادة الهمة الملكية ، بمجرد توجه الحصان ناطح السحاب ،

(٢) محارب توراني قتل على يد بيزن .

نقبت سدودهم المحكمة ، وتصدعت صفوفهم الثابتة ، شاهدوا في نفس الوقت المقدمات الأولى ، وصار العاجز طالبا لجوهر الأمان ، وتوجهوا جميعا لمنجم الرحمة الملكية ثم فرض ولاية « هرات » بالأمر السابق « لله يارخان » ، بميعاد « أن يوم الفصل كان ميعاتا » وأقام الحيام المحكمة وقوض الأستار الثابتة ، توجه من تلك النواحي المهدمة ، تحرك لواء النصر عائدا ناحية الأرض المقدسة .

هذى مخائل برق خلفه مطر جود وورى زناد خلفه لهب
وأزرق الفجر بيد وقبل أبيضه وأول الغيث قطر ثم ينسكب
اتمام حال « هرات » من بعد ، سيصبح تعويذة ساعد البيان ولؤلؤ
قلادة المقال « سأتلو عليكم منه ذكرا » .

- ٨ -

بيان تسخير « أصفهان » بعون الله سبحانه القدير

« ذلك هو الفضل الكبير » فى مدارج هذا العمل ، ومعارج هذا الأسلوب ، كان (أشرف الغليجاني) - الذى كان العدو اللدود للأسرة السلطانية ، وغلاف عداوة سيف الجند - « يحسب أن لن يقدر عليه أحد » ، انشغل الملك الأسدى الصولة بالحرب مع « الأبداليين » فى « هرات » ، وجد ساحات الممالك عرينا بلا أسد وبحيرة بلا تمساح وجبال بلا نمر بمضمون بيت :

- عندما تختفى الشمس المضيئة

- يصير الخفاش سيد الميدان •

طار مثل الخفاش عاليا فى غياب الشمس ذات الملك ، أمر بحشد الحشود وتقوية الجنود وجمع العرب والعجم ، وأرسال الخفاف والثقال ، واستعداد الفرسان والمشاة وركوب طالبي الشهرة والأبطال، واستحصال الخيول العربية والأعرابية ، واحضار الجمال والخيول ، وإعداد الخيول المعاندة والمشائق (زنخر بمنخره) ، وصل من « أصفهان » بصولة الأسد بالكثرة اللائقة وفدائية الجرأة التى لم يستطع أن يحصها حصباء الصحراء (كمبتغى الصيد فى عريسة الأسد) (١) ، صمم على التوجه لـ « خراسان » • إذا اعترضت كاعتراض الهرة أو شكت أن تسقط فى أفرة

عاد مقارن حركته من « أصفهان » عقاب النسر ين طائر لواء الملك أيضا من مصيدة أعداء « هرات » دخل الأرض المقدسة ، وأذنوا بعودة الكتائب الصامتة لـ « خراسان » الى الأوطان ، عندما شاع هذا الخبر الطيب الأثر قارع الأذان وهذه البشرى السائغة ، وصل لحضرة العظيم كان يرفع أعلام الحب لا إعلان بشرى التحرك •

وسامية الأعمال تلحظ دونها سنا النجم فى آفاقها متضائلا

(١) يضرب لمن طلب أمرا مستحيلا •

مرة أخرى أصدر الأوامر بالعظمة والتشريف لأنحاء الممالك وجوانب المسالك ، وحضر بهدف احضار القبائل الكبرى لدى حضرة ملك الملوك ، أسرع بالكميت المسرع للولايات ، عزم على الحرب بالصبر الثابت ، ألجم الكميت السريع الخفيف عظيم القيمة ،

وهطهم ما كنت أحسب قبله ان السروج على البوارق توضع وكأنما الجوزاء حين تصويت لبد عليه والثريا برقع

جعلوا للأفواج الثقيلة اللجام الخفيفة ، جهز كتابه وأبرز مضاربه وضرب سرادقه وعرض فيالقه ونشر بيارقه وحشر رواعده وبوارقه وأنفق خزائنه وأنفذ دفائنه وبذل في صون الملك ديناره ، وأشعل في حفظ ماء الملك على العدى ناره ، وبنيت القباب ، وطفأ على يم المعسكر من الخيم الخياب . بعد ذلك رفع العظماء بالعظمة والجاه في كل مكان قبة الخيمة على بيدر القمر ، كانوا يجعلون وجه الأرض من خيام الآفاق المضئئة شمس القباب وخيام نجم وجه مجرة الجبل المسحوب لحية معسكر النجوم الفلكية .

كنائس ناظت بالنجوم كواهلا وعادت فألقت بالنجوم كالأفلاك وفيحاء لو مرت صيا الريح بينها لضلت فظلمت تستنير الدلائل متى تراها خلت السماء سرادقا عليها وأعلام النجوم نمائلا ولو أصبحت دارا لك الأرض كلها لضاقبت بمن ينتاب بابك سائلا

ثم التقى الجمعان في منزل « مهما نموست » (نادر) و « الأفغان » ، رفع (أشرف) راية الجلادة بالقهر والسيلاح ، واشتعلت نار الحرب (جاء بالظلم والرم) ، لوصف هذا تقول لم يكن المدد وعدد العدو عدو لأهلهم ، زين أيضا الملك الموفق بالجيوش الشائرة والجنود المندفعة والجحافل المجتمعة والجماعات المقاتلة في ميدان التراشق والمبارزة وساحة الشدة والعداوة ، دعى الأظهار بدعاء الله معك ، وفتح الأبطال اليد بالأسنة والطنن .

في بداية الأمر كان المدفعية يثيرون البرق مثل الرعد مع مدافع راكبي الجمال بقذف المدافع ، أشعلوا الحرب في جزر القتال وغابة العراق بقذف المدفع والبنوقية ، وانسحب بمدفع الثعبان اللادغ في لحظة صاحب العلم مع عدة أشخاص من أبطاله مقدمة الجيش « الأفغاني » بالتأوه والألم ، ضربوا راية (أشرف) المنكسة (ضرب الجبابرة بالجاهض) « فلم تقتلوه ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى » ، صارت قلوب

الأعداء - عداء المذهب « تبالهم » - ضعيفة وعاجزة من قوة ضرب المدافع ،
 وخرب وأفسد حله السيف البتار أساس ثبات جمعهم « ان ينصرهم الله
 فلا غالب لكم » ، عندهما رأى « الأفغان » أن عراكمهم وقتالهم مع جنود
 صاحب العزة مثل لهو العصفور مع الصقر والشاهين ، وعراك صغير الحمل
 والغزال مع الأسد ، أمالوا اللجام لسلوك بداية طريق التقهقر ، وأجهوا
 حصان الجوزاء بلجام السرطان من برج الأسد ، بل ترجى الأسد أساس
 الهرب من القوة النادرية الى « درة خوا » ، وكانت المرة الثانية فى ذلك
 المكان الذى كان مضيق ضيقا جدا ، واستعدوا للحرب ، أنزلوا المعاداة
 بمكان ضيق بين جبلين ، « بل لجوا فى عتو ونفور » وأصبح بين الجبلين
 ملتقى الجيش الغازى ، كان الملك الذى بلا نظير فى ساحة القتال والقيادة
 جبل راسخ (أثبت من أصم رواسى) اعتبر « غرر بين الصدفين » ، ولؤلؤ
 بين الصدف ، جعل بعون الله خالق الجبال العظيمة بالجند العظيم . فى
 بادئ الأمر أنه من عين التهور استثناف القتال فى جانبى الجبل ، أظهروا
 من حله السيف البتار وحله الريح الدامى مدلول « هذا عارض ممطرنا » على
 وجه الصحراء والطرق الجبلية ، بعد ذلك أظهر المشاه عزم الجبال بمضمون
 (همة الرجال تقلع الجبال) ، جعلوا نقل مقدمة الجيش الثقيلة لطريق
 قمة الجبل إيقاد نار الحرب ، وصارت القمة المجرمة من فم النار المضيفة
 لقاذفى بطل كرة النار ، وصار تراب الأرض الواقعة بين الجبلين بالسيف
 الريحاني بستان وحديقة ، هلك جمع كثير من الأعداء فى ذلك الجبل كثير
 المهالك من دخان المدفع الذى مثل الزهرة فى الفلك الأزرق ومثل طرة
 الشعر الأسود والدؤبة، تواجه جسده التمثال فى جوانب الجبال من صدمات
 جبل القاء الشدائد بأرض الصحراء بعد اضرام نار المبارزة والمنازلة ،
 وتأججت نار القتال والعراك ، رأى (أشرف) مع ياجوع صفات « الأفغان »
 مثل السيف الفولاذى جسده الملك الذى بلا نظير (حافظ النفائس) ثابت
 ثبات سد (الاسكندر) ، وجده أن قوة المقاومة والمواجهة وقدرة البارزة
 والنزاع من المستحيالات ، ظهر أعلى الجبال منكس العلم ، ترك الخيل
 والخدم والكبرياء ، أسرع ناحية « أصفهان » مضطربا ومتهاكبا وخاسرا
 ومغبونا وخائنا وخائفا (ذهبوا اخول اخول) ، ذبحوا جماعة من الفرسان
 والمشاة والأشراف فى الحال مثل الخراف البرية ، ومزقوا بالخناخر الحلق
 الممزق للمناخر وحناجر أصحاب المتاجر والعظماء فى أطراف المملكة ، كان
 قله شاهد هذه المرة معركة المدفعية التى دارت فى (مهما نفوس) من
 الملك حبيب الله ، طلب أن يبدأ بالمناوشة والقتال وينشغل بساحة الحرب
 والمواجهة والتحريك والنزال ، وأقبل فى النهاية بمعدات القتال ، وانشغل
 بإشعال نيران الحقد ، وتوجه بالثبسات والنصر الى أرض المعركة ، كانوا
 يحكيون بالجيوش النائرة البسة كثيرة من النمل والجراد حتى (مورجه)

خورت) ، حيث أن درع الجراد في ظلمة الليل بأسنة السهام الجارحة للقلوب ، كانوا يتعلمون بنجم سماك الرامح والأشعة البيضاء آداب الضرب بالسهام والمبارزة بالسيف ، تقدموا بهدف القتال ، جعل بحر النار - أى المدافع - التي كانت أمهاتها الفلك الأزرق عنيد (كالحلقة المفرغة) محيط ذلك البحر الدامى ، وأستعد للحرب والقتال ، سيمتلك الغافل عن لهييب المدافع والمنجنيق الصاعق بالسيف والسنان أبطال حكم مضاهاة النار بالماء ، أسنة سهام جلادته مع صلابة أفواج العدو مدمرة ، فما فعل وتأثير الزجاج فى الصخور الصلبة ؟ « كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله » ، بعد ذلك ظهر ملك بحر القلب الوهاب بقلب سعيد ، وحزم اقتداء التسنن بطرق وأساليب أهل اليقين والتحلى بأسلوب أصحاب التوكل ، وأظهر البعض والكل من وجه المعرفة وظاب النصره من الخالق ، وأصبح أهل الكر والفر فى كمال الشوكه والعظمة بالجلال والترتيب برتبة الاسد والشعبان فى جملة المهاجمين ، وألقت صلصلة السيوف وخلخلت الصفوف نواحا على الفلك الأعلى وزلزلة على جسد التنين ، أظهرت هجمات أبطال الاغارة زلزلة فى أرجاء الأرض ، بدأ هجوم الجماعات وتصاعد غبار وتراب قيام الساعة وساعة القيام مظهرا (القيام قائم فى قائم سيفهم) ، كان الملك السعيد الوجه المؤيد اليد مثل (فريدون) العظمة و (هوشنك) العقل ، أحاط جيشه الشجاع العظيم (بيزن) المنتصر دافع العدو مثل (سيناوش) المحاط أيضا بأسنة رماح (زرة) ، وكان أبطال زحل محارب (كيو) القدرة ويطل (اكوان) المهابة البطل العاقل الذى كل فرد يعد (جهن) العالم وزعيم الاكوان ، وألقوا بأسنة رماح (زوبين) فى قصر (روين) ، وظهر من ضوء المدافع حسناوات محترقات فى أجساد أقوياء كالأجرام الفلكية ، وسالت الدماء الغزيرة من سباحة المسامات ، وتنفس من كثرة طعن وضرب أسنة الرماح بالانوف الدامية من المصادقة ، وأبتليت الأرض من الثورة الدامية بمرض الطاعون ، وضرب ودق رقاب الرؤساء والقواد العظام بالسيوف المسلوكة والأعمدة الثقيلة ، وقد تجذرت أرض « مورجة خورت » من صدمات قوائم الخيول السريعة وضوضاء الأبطال الكثيرين ، وزاد النيبض من كثرة الدخان ، وفى النهاية أسرع الجنود جميعا السير لردع مادة الفساد ب « جنه بيد ستر » ، سبكت حركة العدو المشلول باقبال ملك المشرق والمغرب ، وطوى (العدو) رايته المنكسبة من الانطواء على نفسه ، عندما ارتدع (أشرف) أسوار وشواطئ الاقبال ، وأصبح طريق النجاة مسدودا وهقلوا من بأس الأسود الكاسرة ، أسال فى لحظة دما أحمر من خيانة الدولة الفانية على الوجه الخاسر ، وعاد مرة أخرى فى كمال الأدبار على ظهر جمل قوى دخل « أصفهان » ركابا مقيدا وقت العشاء فى ظلمة الليل ، ظهر فى ظلمة الليل أصبح الكوكب شرارة (أخبط من

خاطب الليل) ، أخذ الأصيل والمختار المال الحديث والقديم من الاشراف
معدن جواهر الحقيق الوقح المختفى فى الكنوز والمستور فى الارحاء وحمل
مع الألعوان الأشرار الرأس على سرير الاختيار ، وملاً من غم التيجان العاجزة
والمشوشة يد الحسرة على قساة القلوب من الألم ، ولطخ الوجه بالدمع
الدائم :

كمثل حمار كان للقرن طالباً فآب بلا أذن وليس له قرن
هرب ناحية « فارس » ، وأهال تراب الخذلان على مفرق العزة
والشرف .

خنازير ناموا عن المكرهات فنبههم زمن لم ينهم
فياقبحهم فى الذى خولوا ويا حسنهم فى زوال النعم

بعد ذلك ظهر الملك على القدر مثل البدر وسط المدينة ، وانعم
بالشكر على هذا النصر بالذهب والفضة مع هناء العيش للأمنار الكرام
ولكل أبطال الجيش وهمة منعم نعمة الأنعام لطيفة ، وصار كل بطل من
الأبطال « طوس » (طوس نوذر) (٢) من الفضة والذهب ، و (زراسب)
من الذهب والخيول ، وصار كل مروض خيل (أفراسياب) (٣) ، وكل
فارس صاحب عزة وكرامة صاحب خيمة وواسع الثراء .

الحاصل أنه فى السفر وزع على الجنود الأموال والغنائم التى غنمها ،
وشرب أبطال النصر نخب التوفيق مع أسد العظمة ، وفى العظم والحقيق
نصيبه كاملاً ، وجاء مجمل نصيب المقتنيات والغنائم أعني من التقات الملك
مالك الرقاب (أغنى من التقات عن الرفات) وصاروا سعداء وموفورى المال
هنيئاً العيش ، ثم أصدر أوامر منشورة وفرمانات مبشرة بشأن الفتوحات
الميسرة لأخبار وسرور العلماء والعظماء ، وكان من جراء هذه البشرى المميته
للقلوب عمر مخضر وعيش سعيد ، ودخلت عروس « اصفان » من بين
صفوف اللطف ، وزال الدهر الذى كان ينتظر ذلك اليوم الأبيض ، طوى
العصاة أقوياء اليد القلم لطرف الثوب ، وسحب الطغاة والعنات المتخمين
بالأذى الكافى رغبة الكراهية والحقد ، وتطيببت الأفواه من فوائح ذكر
محامده ، وسرت الأرواح من روائح رياح نشر مدائح السارة .

(٢) اسم ابن منوچهر الذى أسر على يد أفراسياب وقتل مع معظم قواد الجيش .

(٣) ابن نوذر وهو صهر كيكائوس ، كما أنه اسم مبارز ايرانى .

(٤) وردت فى مجمع الأمثال (أغنى عنه من التقة من الرقة) التقة هو السبع
الذى يسمى عناق الأبرص ، والرقة التبن ، ويضرب هذا المثل للذى نشأ فى نعمة هاذى
وقع فى شدة لم يصبر عليها .

- ٩ -

بيان استئصال « أشرف الأفغانى » بقهر القادر القدوس

« وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون » بعده أربعين يوماً كانت « أصفهان » مقر جيش النصر ، وصل خبر انطفاء مصباح بصيرة (أشرف) ، ونسى نتائج الحرب هذه المرة بمصداق « استحوذ عليهم الشيطان فأنسيتهم ذكر الله » ، وأشعل مرة أخرى مشعل الجلادة بهدف التلافي والتلاقى فى « شیراز » ، انشغل بالثورة وجمع جيش المرتزقة والجنود الأشرار ، تحرك الملك الفاتح من بشرى هذه الغنيمة المريخة ، تجمد من شدة البرد حيث أن شدة برودة الشتاء نارى المزاج للمخمورين ، ونسج نساج الدهر لونيّن بسلسلة مطر أمطار الثورة المنسوج .

ويوم برد صد أنفاسه تعبس الأوجه من قرصها
يوم تود الشمس من برده لو جرت النار الى قرصها
ابتليت الدنيا فى عالم البرد بكابوس من الثلج ، كان يظهر خطوط
أرض حدود بلاد الثلج .

امتنع الماء من المس وأمكن الجمر من الجس
فلا يرى غير ذوى رعدة أو مسلم يسجد للشمس
أظهر من كرة الثلج شكل برج الأسد نموذج الأسد الثلجى ، وحوصلة
العالم معترفة بقلّة الأوانى .

وشتاء يخنق الكلب فلا يعلوا هريره كلما رام هريرا زم فاه زمهريره
فى يوم يحمد جمره ويحمد خمره ، صار البرد القارس مع جماعة
الفرسان مثل « أفرس من تميم الفرسان » (١) بهدف تسخير « فارس » ،
أصبح الفارس فرس الفراسة والذكاء ، وجعل نعمة افتراس فرائسه
بسطوة الأسد المفترس ، ودخل « زرقان شیراز » .

(١) وردت فى مجمع الامثال (أفرس من سم الفرسان) وتميم هو عتبة بن الحارث
ابن شهاب فارس تميم .

فى يوم آخر ظهر (منوجهر) جنة أصل الشمس على عرش (جمشيد)
 الفاك ، جعل (الأفغان) « شيراز » - أشرزهم الله - لتشجيع الحاقات
 الحديدية والاستعداد للصراع الجديد ، وأظهروا خيل الشجاعة بهدف
 التصارع والمقتال وركوب الفرسان ، تعلّقوا بأمر ملك الفرسان العبرى
 والبطل الشجاع لتلك الطائفة بالسهم السمهرى والسيف السريجى والرمح
 الردينى والسهم الغيداقى والقرس الجاجى والخيل الختلى ، فاحت وراحت
 من زهور أسنة سهام ذلك الجيش الظالم الشجاع رائحة النصر ، وفاحت
 من الورود النارية لسيف الجيش المنتصر رائحة الفتح وناقة النصر ، وطلت
 السماء الحمراء الأجساد البيضاء فى ساحة « زرقان » الحمراء ، ومن سهم
 الأبطال الأصفر أخضر الوجه مثل لون الكهربا والبرقانى بصنع الصانع
 الذى أشاره كاهن ونونه من عين قدرة مبدع قاف حتى جبل « قاف » العالم ،
 كان يفنح بتأييد آل (طه) و (يس) الذى وجودهم علة انشاء « نون والقلم » ،
 فى حرب ذلك اليوم كل ريش العقاب من منحني دائرة القوس ، كان يجعل
 قامة العدو بشكل الدال ، كان يسحب كل همزة الخنجر التى هى قلم بنان
 المقاتلين ، كان يلقي بجمانج رؤوس العصاة المكسورة بخجل بجبل « قاف »
 مثل كاف النسيج فى كل شق ، كانت أسنة السهام تمتص دم المخالفين
 من العطش ، كان يظهر سعة جروح قلوب الأعداء أضيق من حلقة الميم ،
 كانت قامة الطغاة مثل الألف الكوفية معوجة من طعنات السهام الواسطية ،
 حك قفا رقب البغاة حصاد موقعة الشجاعة بسيف ملامة طول الدهر ، أخذ
 السهم القاتل صادق الهدف مثل التالف مع عين الأعداء ، قلب راية العدو
 المنكسة ، صار ضعيف الرأى فى ساحة قيامة الزاى « كمن باء بسخط من
 الله » من حملات الأبطال بصورة الباء ، صار حاجب عين العدو من امتزاج
 الدماء الغالية ساكبا للدمع ، انحنى القمر تحت أقلام أسنة الرماح وقوائم
 المراكب بشكل دائرة النون حتى غروب الشمس المنيرة بدون كلام « ومن
 الناس من يعبد الله على حرف » ، كانت كلمة الحرب والمقتال بحمد السيف
 العاذ الذى فى الوسط .

حروف هجاء الناس فيه ثلاثة جواد ورمح ذابل وحسام

كان يترك البراهين القاطعة والحجج الساطعة فى ابطال وجود الأعداء
 بالمحاجة من حله السيف وفوهة المدفع وطرف السنان الحاد ، أصبح صوت
 القلم سريع الكتابة لرشق ورماية الأبطال فى ساحة التدريب الميدانى ،
 كان يسمع لأول مرة روح الأعداء من صوت قلم السهم وساعى سيوف
 الكلام ، وكان يكتب بحمد السيف القاطع يده وساعده السعداء ، وكتب لوح
 طالع كل انسان تجاه العلم .

عندما رأى الأفغان أن التبن لا يمكن أن يعلق على طريق الماء الجاري وبخيال عصا مسقط الشمس ، هزموا من حملات ربة المريح مثل رمي (آرش) (٢) وأسلوب (كسعى) (٣) ، ومن المتمكنين من رمه جعبة (شغاد) (٤) وفن (أهوز) (٥) مهارة الوجه مثل الشيطان مضىء القلب محترق الروح من ضرب ورجم الشهب اللامعة ، عادوا هاربين بالثناء مع الفئة الباقية ، ودخلوا « شيراز » ، ثم ظهر (أشرف) من شرفة التدبير ، وتقدم من تلك الورطة الهائلة لطريق الخداع « يريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا » .

أسرع (ملا صديق) و (ملا زعفران) للعبة (النارية) لطلب النجاة والعفو من الزلات المبادرة منهما ، تحصنا بحصن الامان ، كانا يقولان كيف حالك فى ظلمة المساء ؟ وقت انسداد ستار سواد الليل يكون غراب اللوم حالك السواد ، جعل طائر العهد المرفرف يطير ، فقال غراب البين لهما الدولة (ركب جناحى الطائر) ، هرب أول الليل مغنى الانحاء ، فى نفس ظلمة الليل (أجبن من نهار) لم ينشغل بحمل الاحمال ، نشر بلا تحمل وسائل التجميل ، ودع الجنون بجيش الملاية ، واتباع واشباع بلا روح وعقل وحب وامنية السرور من ناحية الألم والجراح ، هاجم الحمار هجمته (وهو أشأم من حميره) ناحية الفرار ، هرب من طريق « نسا » (رجع على حافرتة) .

أدرك حراس القلاع والقواد (أبصر من زرقاء اليمامة) (٦) وعقاب الملاع هزيمة « الأفغان » ، وأوصلوا طبيعة الموقف لمسامح العظيم ، بعد ذلك أظهر (ميا صديق) (٧) الصبح الصادق بطريقة الهنود من شفق الزعفران على الجبين الصندلى ذو اللون ، الأسود .

كان موكب الملك فى بداية بزوغ الشمس ، وظهر نور الصباح مثل سيل الأمواج والبحر العجاج وصوت السحب والرياح المتهدجة والمتعاقبة ، عندما وصلت الروائح الطيبة لدهنهم والمسك الشؤم لأنوفهم ، ضغط (ملا محمد مياجيو) بجماعة « الأفغان » الأبطال فى جسر « نسا » بقدم

(٢) اسم رامى سهام إيرانى أسطورى ، حيث قيل انه قذف رمحا من آمل فوصل حتى سارى لتحديد حدود ايران وتوران .

(٣) اسم محارب من بنى كسح .

(٤) اسم شقيق رستم بن زال .

(٥) اسم رامى سهام عاش فى عهد نو شيروان .

(٦) زرقاء اليمامة من قبيلة جديس ، وكانت تبصر الشيء من مسيرة ثلاثة ايام

(٧) وردت فى النسخة الاصلية (ميا صديق) ويبدو ان اصلها مياسين وهى جمع

ميسان بمعنى النجم المضىء ، وقد ارسله اشرف الافغانى محملا بالهدايا لتأثر شاه .

الثبات بمفاد (أشدد حظي قوسك) (٨) ضرب إله على جعبة الجلادة ،
عندما كان السهم الفائق مشغولا بالدفاع بساق سريعة (أصدر من السهم) ،
وأصبح مثل قوس الظهر للعدو في ضوء القتال ، تزين المقاتلون الأشداء
بالسيف البتار والسنان المصقولة للضرب والنزال ، وأظهروا فزع اليوم
الأكبر قتل عدد كبير من جنود الأعداء وانسحب بساقي الجيش من فرط
الخوف الى النهر بمدلول « فخشفنا به وبداره الأرض » ، وظلوا في الوحل
مثل الحمير ، وقتل البعض بحمد السيف البتار ، وقلة تأخر أجلهم حيث
أنهم نجوا من الطين والوحل وحده السيف ، وفروا من معركة الحسرة ،
وهلك الجميع من فتيات وجواري وغنائم حتى الأطفال الرضع والكهول في
تلك الكارثة المخيفة الطافحة بالماء والتراب والذل ومساقط الهلاك ، اقترن
أبطال السرو جكل العال بالطين والوحل ، وأصبح النساء العجائز بمضاجع
(رودة) ، فهم الأبتكار نموذج الضربة القاتلة ، تصادف أن يكون كل
أثنى للذكر الذي كان متذكرا لتهديد « فهل من مدكر » ، كان يخبر كل
حسنة في غمرات الهلاك أن مضمون « بثس الورد المورد » ظهر بموضع
« ان الله مبتليكم بنهر » ، كان قد أسقط لفافات حريرية أصلب من الصلب
في ساحة القتال « فأهلكوا بالطاغية » ، واختلطت أثواب حرير جسده
الشريفات مثل الحصى بتراب الصحراء « فهل ترى لهم من باقية » ،
وارتبط بالحسرة على المتاع والأصدقاء صياح وعويل « الأفغن » بالفلك
الدائر ، بسط قديسو الفلك - فلك الحامدين والراقصين - بساط النشاط
وفراش الانبساط ، وفي ذلك اليوم انطلقا نار عمر (مياجيو) الذي كان على
الحصان ذي الحافر الناري في ساحة صحراء « آذربرزين » بنار معبده
« آذر مهربرزين » في تراب الهلاك بحمد السيف ، أسرع (أشرف) الشرير
من طريق « كوير » (أنزى من ظبي) ناحية « سجستان » ، آمال العنان من
هذه الرجاء والخوف لأطراف وأنحاء « خاران » و « رخشان » من توابع
« بلوستان » ، أرخى لجام الخيل ، وأسرع الى ذلك الاتجاه خائبا ومجرما ،
سار في آواخر شهر جمادى الثاني عام ١١٤٢ هـ لحدود « كرمسير »
بحالة سيئة تجاه « بثس المصير » ، أحس أن الموت من سيف جماعة
(البلوج) واضحا مثل السكر الأبيض ، أوصل الى الثريا من التراب
أغنية (العجب كل العجب بين جماد ورجب) ، وظهر بشأه وبشأن أعوانه
صورة بمصدوق « تلك أمة خلت » « ولولا دفع الله للناس بعضهم ببعض
لفسدت الأرض » .

(٨) يضرب عند الأمر بتهيئة الأمر والاستعداد .

وازاء هذه الخدمة أضاء صبيح اقبال (البليوج) ، وصار طالع أهل
« خاران » و « رخشان » من شعاع شمس عناية الملك الراعى ، كان قد
نظم فى ذلك التاريخ - تاريخ قتل (أشرف) - الفاضل النحرير (ميرزا
قوام الدين محمد القزوينى) ، كان ينسلك فى هذا البيت المنشور :
الأشرف سل سيف بغى وسرف واشتدت به المحنة فى كل طرف
لما أفضت المدة لم يستأخر أرخت هلاكه ب « قتل أشرف » (٩)
- الساقى يملأ منها الانحاء

• - يفرغ المملوء ويلئ الفارغ •

بعد ذلك وجه أن نسخة نشر أوضاع « شيراز » محبوبكة النظم ،
فسار ناحية « شوشتر » لاعلاء لواء البطولة للدولة العظمى ، نظرا لهجوم
العرب على بلاد العجم ، فقد اتجه أبطال تلك الطائفة من « هويزة » الى
ضواحي « خراسان » •

(٩) عام قتل اشرف الافغانى بحساب الجمل ١١٤٢ هـ •

- ١٠ -

بيان فتح أروميه وتبريز

« لينصرن الله من ينصره ان الله قوى عزيز » ، لما كانت « نهاوند » مجمع جماعة من العظماء والأعداء الأتراك ، بعد دخول حدود « بروجرد » ، جعلوا أساس موكب الهمة الخيول الهوجاء ذو العقل المدرك فى صحراء العزيمة ، عندما عاد طائر الشمس الذهبى لوكره من فضاء الدنيا ملون الوجه ، وأحضر غراب الغرب ضياء الشمس تحت الجناح ، ظهرت صغار الأنجم فى جناح الليل بجناح الظلام وأجنحة العقاب بهدف معاينة الأعداء ، بسط ظل ملك القال جناح علم الهمة والأبطال العظام الذين ضيأوهم ألمع من الكواكب فى ظلمة الليالى ، وجعلوا ركض الخيل برق اليمين ورياح الشمال .

تسرع حتى قال من شهد الوغى لقاء أعساد أم لقاء حبايب ؟
عندما امتزجت رائحة مسك « والليل اذا عسعس » برائحة كافور
« والصبح اذا تنفس » :

سل سيف الفجر عن غمد الدجى وتعزى الصبح من ثوب الغلس
وانجلى فى حلال فضيصة ما لها من ظلمة الليل دنس
وهرب جيش ليل الظلمة وجيش سواد الليل ناحية الاختفاء .

كان سواد الليل زنج بداهم من الصبح ترك فاستكانوا الى الهرب

وصلوا لحدود « نهاوند » ، ونفخوا فى النفير ، وتركوا بوصة السهم الآزنى للعزف على الناي الرومى ، ورفعوا يده الانتقام ، ومشقوا السيف اليمانى بالصلوة والعظمة انتشر « الأتراك » بمجرد تحرك خيول الأبطال « كرهاد اشتعلت به الريح فى يوم عاصف » ، واختار ترك الصبر والسكينة (والقيام بحملة لمحو عار الفرار) ، وبالهجوم أصاب الجميع عار الفرار ، وأداروا الوجه لوادى التوارى والبادى ، وأصبحت « نهاوند » و « همدان » فى حوزة حدود الاقتدار ، واختير لتسيخير « كرمان » جماعة أبطال من « همدان » الذين كانوا يعتبرون ماء نهر السيف فى حلق الحقد نهر ماء

صاف ، رغم أنه لم يظهر وفقا لتقدير إقبال المعين ، لكنهم تغلبوا آخر الأمر بيمين الدولة العلية .

بعد عدة أيام وصل لمسامع الاقبال أن الجيش « العثماني » جعل « مياندواب » - التي كانت مسكن الطائفة الأفشارية - مرتعا للمواب ، ونصبوا فيها معسكر اقامة الفرسان والمشاة ، وأصبح المهدم مثل غراب الليل وقت ظهور القمر بفحوى (سر ولك قمر) (١) (أغشم من السيل) و (أسرع من فريق الخيل) ، توجهوا لقطع الوادى المقصود « بقطع من الليل » منحوا بسوط الهمة خيل العزم وومض البرق وحركة ريح الصبا ، فقال الزمان :

أبدر ترائى فى دجى الليل طالع أم الشمس أم نور لروضة ساطع

عندما ظهر صياح ديك السحر من دجاجة الليل الداجى ، ألقى دابة عقاب الجسد ظل الوصول على أنحاء « مياندواب » ، وأصبحت تلك الناحية مركز مراقبة مقبلة الجيش المنصور ، عندما رأى جواسيس الجيش « العثماني » عرفوا ذلك الغبار ، وأدركوا دخول جماعات الغزو ، بدأ « العثمانيون » القتال بصورة جماعية وبسيوف مسلولة وبتارة ، فلما فجر الفجر أنهار النهار ، ونفر نفي غراب الغبار ، وظهر فى الصديق الصدمع ، وانكشف قناع النقع ، ووفد وفود الطليعة على القود والطلع ، فيومئذ وقعت الواقعة والواقعة فى الوقع ، وتيقظت عيون الجعاب من تغيظ الأوتار ، ورنّت المرنان ، وغنت الأوتار ، ورقصت مران المراد كجلاد عرايس الجلال ، وبرزت حدود البيض كالخودود البيض من ملائها فى الملاء عارية ، ورتعت السمر فى كلاء الكلى راغية وراعية ، فلما سل غرار السيوف سلب قرار الصفوف ، وكلما ساروا وشدوا وأسروا وشدوا وذلوا وخاروا وضلوا وحاروا وناشبهم الشباب ، فعادت أسودهم قنafd ، وضيقهم السهام فوسعت فهيم الخرق النافذ فحسف بدورهم وحصر صدورهم ، وأحيط بهم من حوالهم بمن حولهم ، ودارت دائرة الدوائر عليهم بحيث ما دبت منهم نملة ولا ذبت عنهم حملة .

ضرب الجنود « العثمانيون » بسيوفهم العجمى على الماء الصافى من الخوف ، بلغ للبعض سيل الماء من الرقبة العابرة ، وجاء للبعض قطر ماء تار السيف من الرأس العابرة للرقبة ، لم ينطفىء جريان السيف الذى هو بادرة الشر الا بذلك ، جرى نهر الدم ، زين حوض الدم بالسيف الوضاح ،

(١) يضرب فى اغتنام الفرص ، الميدانى ، مجمع الامثال ، ١٦ ، ص ٣٣٥ .

أسرع الفارون من الموت تجاه « تبريز » ، عاونت الخيول العربية كثير من « العثمانيين » ، حيث أن الخيل السريع استطاع أن يوصل القلم لنهاية صحراء حكمته ، خدع (فرخ خان مكرى) طائفة « مكرى » ، وأظهر فجأة مراده من الظلم الباطن ، حيث ظهرت (آثار غش القلوب يظهر فى فلتات اللسان وصفحات الوجوه) ، كما قال الزهير :

متى تك من صديق أو عدو يخبرك الوجوه عن القلوب.

ظهرت ناصية أمرهم فى مثل (عينه غلبه فراره) ، لكن ظهر فى مدارج ذلك الحال صحف مبنية على النفاق ومظهره للشقاق ، أعطوه فى الحضرة الملكية « اقرأ كتابك » عندما لم يستطع انكار ذلك الأمر – رغم أن المترجم لم يظهر العجز عن الترجمة لحياتته وجرمه – صان دمه من اثم الاراقة ، لكن عندما رأى أن قلع عينه واجب فرض ، فضل العين المبصرة على صرة الذهب ، جعل الناس يبصرون ببصرتهم لحظة اراقة الدم ، مال فى لحظة ميل نفاق عين مقصده ، ونال وجه مراده بأمنية نيل المرام ، توجه فى اليوم التالى الى « تبريز » بهدف قتال « العثمانيين » الذين كانوا فى « دهخوارقان » :

ان المديخ لجاذر متوحش يخشى ويهرب كل جبل ابلق

بمجرد أن تحرك الخيل الأبلق ، كان الفرسان يلقون الشباك ، حيث أن كل فارس منهم (أشهر من الفارس الأبلق) ، سحبوا أنفسهم لجبل « مرجان » ، نشروا بالسيف أجزاء من زمرد الجسد بطرف حافة المرجان. لسطح جبل « المرجان » ، وسال من يواقيت أسنة السهام اليماقوت. السيلانى ، وارتفع ثمن العقيق الجكرى فى سفح الجبل ، كان يسير كل سائر (سام) الفارس أحقر من (زال) من خيل الوجود ، كان يأسر كل شجاع وحقود (كالجمال الأنف) ، لم يدرك « العثمانيون » أن نهاية قوة السيف نار مضررة ل (يلان) ، وهزموا ، وصارت حدود « تبريز » محط خيمة العز والشان ، وفوض ولاية ذلك المكان ل (بيستون خان) الذى كان من قواد « الأفشار » ، بملول (اذا تولى عقد شىء أحكمة) ، انشغل بفهم واستقصاء الأمور ، وقضاء وانهاء مصالح الجماهير ، وتجميل الأبرار وتجميل الأشرار ، ورفع الأجمال والأوزار ، والجماع الأشخاص الطامحين ، وتحميل النفوس الجامعة ، وتقصير الأيادى المتطاولة ، وتطويل الأيادى المنعمة ، وتخويل وتفويض ذهب الجيش المهزوم ل (بيستون خان) ، وتوزيع غنائم « العثمانيين » على جيش الركاب ، كما ذهبت بقية الأمتعة والأموال – التى من اسقاط الفئات فى أطراف المجتمع للخزائن الملكية – ل (بيستون خان) .

في ظاهرة هذه الأمور ومصادر هذه الشئون ، جاء (أحمد باشا)
والى « بغداد » لـ « كرمان شاه » بالمدد والجند لاغاثة « العثمانيين » ،
تزعزع من سماع خبر الجيش الجرار من مقام الإقامة (أسرع من الزرع) ،
أنشد بحال مضطرب وبأل خائف ووروع مشتت وقلب عاجز حزين نادم ،
وبأنفاس باردة ، ودموع ساخنة أغنية (العود أحمد) ، عندما رأى أنه
بعد عن جده وجهده المقصود ، أسرع ناحية « بغداد » .

كان نجم قصد تسخير « إيروان » قد ظهر في أفق ضمير الملك البارع ،
بعد عدة أيام أصبح خبر الحادث المؤسف والواقعة السوداء لـ « خراسان »
قارعة قاع مقارع الأسماع ، وباعثة على الفزع والجزع ، وتعين وجوب
عودة اللجام وإياب موكب النصر .

بيان حرب « ابراهيم خان » مع الأفغان وهزيمته من تلك الطائفة اللثيمة

« ذلك تقدير العزيز العليم » ، رغم أن (ابراهيم خان) كان شقيق
الخاقان السخى ، إلا أنه لم يكن له حظ فى أمر القتال .

ليس قدامى النسر كالخوافى ولا توالى الخيل كالهوادر

وفى المثل (ليس قطا مثل قطى) ، نصف ذلك فنقول : تغاضى
الملك الفاتح فى عام سابق عن أفعال « الأفغان » العصاة ، عاهد الجميع
بالحسنة ، وأحمد لهيب الجدل والقتال ، كان قد أعاد وفقا للمهود
والمواثيق زمام شئون « هرات » لـ (لله يارخان) غير أن هذا الجمع الماكر
أسر العداوة والبغضاء فى القلب بمؤدى « بل بدا لهم ما كانوا يخفون من
قبل ، ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه » بخداع « يعدهم ويمنيههم وما يعدهم
الشیطان الا غرورا » ، وأصبح مصدر مدلول « ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم
من ضر للجو فى طغيانهم يعمهون » على خلاف انهاء « لا تتخذوا أيمانكم دخلا
بينكم » آثار « وما وجدنا لاكثرهم من عهد » ، وأظهروا مع الجميع وقح
أقسام القسم ونقض الايمان من نقص الايمان « يحلفون بالله انهم لمنكم
وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون » ، واتجه فى نفس العام بقصد مهاجمة
« خراسان » ، وسل السيف المؤذى وبسط ايوان دولة الفلك البساط
القالى « ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر » لم يتفق ويتعاون
(الله يارخان) مع هذا المكر « قال انى لعمركم من القالين » « وما آمن معه
الا قليل » ، فأخرجه « الأفغان » من الولاية ، وأحضروا (ذو الفقار خان)
من « فراه » ، ونصبوه على رأس حكومة القسرة ، وصار وسط الناس
صاحب العزة ، « واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون » ، وصل لأذن
(ذو الفقار خان) صوت بوق « وجعلناكم أكثر نفيرا » دوى مثل طببل
الريخ ، وعزف نغیر المناقرة وطبل المناقرة ، وتجرا سيف العداوة القديم
بيد « الأفغان » ، وتحركت سلسلة الرغبة لديهم لغزو الاراضى المقدسة ،
وأظهر « الأفغان » بشرى « ان جندنا لهم الغالبون » .

« الأفغان » أيضا « فالوا أثن لنا لأجرا ان كنا نحن الغالبين » ، بعد ذلك جمع (ذو الفقار) جمعا غفيرا « ضاقت عليهم الأرض بما رحبت » من سوء النية نزل في ناحية مزار « خواجه ربيع » الذى يبعد فرسخا عن المدينة ، قيده ناقة العزم بقيد التوقف ، وألقى المدينة بمضيق الحصار ، تطاول وهاجم بأماكن خارج المدينة جميع قرى وضواحي مجال خيل التطاول والقهر ، وأغاروا في الدير والدار والكهف والغار بجيش مهلهل ، وأشاعوا الوقاحة والشناعة للنساء والأطفال المسلمين السبايا والمولودين ، وأشعلوا شرارة الشر ، واحترقت الأنفس والبيوت من اشتداد لهيب الحقد ، وجرت أنهار من الدماء ، واحمرت الناحية من دماء الزراع والفلاحين ، وأشعر ذلك على فحوى « من أصوافها وأوبارها وأشعارها » ، وصار نهبا للأحداث ، وأصبحت جميع المزارع والبساتين « من جنات وعيون وزروع ومقام كريم » مهداس أقدام خيول البغاة ، ودخل الأبرار تحت وطأة الأشرار ، وسقطت بنور الحبوب من الأرض ، خطف وسرق قطع الغنم والخيول (كلابر متها) .

النتائج من هجوم تلك الجماعة أن اتصفت أطراف المدينة بصفة أرض جرداء ، لم تخضر من سلاميات خيولهم قطعة الأرض بسلام ، وكان يختفى كل يوم بنفس الطريقة في مكان الضرب والصيد ، وكسبوا الغنم والغنائم ، وأثاروا الشر في ناحية الوادى وجوانب من الوجه الوقح بحرى الخيول ، كان يظهر دائما في سهل وجبل الفساد والمكر والنهب والقتل من مشاة وفرسان تلك الجماعة الماكرة ، رغم أن (ابراهيم خان) قد سمع أنفا عن قمة سماء ضمير الهام قبول الطاعة الملكية بشأن المواجهة خطاب « يا ابراهيم أعرض عن هذا » ، كان قد أمر بأخبار العارف العقل الملكى عن انتهاء المنازعة ، ولاحظ حكم (أن المحاجزة قبل المناجزة) ، فى اشهار السيف احتياط ، وصار وحفظ أصل المدينة ، كان يتعامل مع تلك الجماعة بمضمون « فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذى كانوا يوعدون » ، سيجعل ساحة « خراسان » عما قريب مخيم سراق الجلال ، (لتجدنى بقرن الكلا) ، وسيتموا قصر الدولة المكافأة اللائقة « سيجزون بما كانوا يقترفون » .

— كانت العديديات غمزة ودلال سهمى القد

— تأتى بجلال سرو الصنبور تنبختر .

سأغسل عنى العار بالسيف جالبا على فضاء الله ما كان جالبا
ويصغر فى عينى تلادى اذا انشئت يمينى بادراك الذى كنت طالبا

لكن (ابراهيم خان) بمضمون « لا ينفعكم نصحي ان اردت أن
أنصح لكم » كان يعتبر أمر العظيم في مذاق الحقيقة (أحل من الناصح)
كان (أمر من وعظ الناصح) كان يلزم لآلئ سلك هذه النصائح (أحسن
من شنف الأنضر) التي قرط حافة الأذنين والقلب وحلقة القلب ، صنع
خلق أذن النسيان ، بل بعد ذلك ألقى بالأذن ولم ينشغل بالمتاع ، رفع
في أنحاء « كوه سنكين » راية النزال والمبارزة كل من هو فهد في البر
وتمساح في البحر ، ونمر في الجبل ، وأسده في الغابة ، وثعبان في الغار ،
وسمندر في النار ، وعنقاء في جبل قياف ، كان خائف من بأس أبطال
« خراسان » مثل شعاع الشمس ، لكن عندما كان مقدرا في تلك المعركة
أدى الغزاة ، لم يرض البعض في مقام فداء نقد العمر بلا بدل البذل بحقارة
الفرار من ساحة القتال الذي هو أسلوب أنذل النداء ، وصاروا من بحر
حسين النية جالب عقد اللؤلؤ (التجلد لا التبلد) و (والمنية لا الدنية) ،
وألقي البعض من الخوف الحرية المشبعة بالماء لرأسها بجوف قناة الماء ،
وأغرقوا مكتسب الشهرة والشرف ، وجرى بدلا من الماء دم الجناة المحقراء
من مدخل القناة ، ونظم عقد وقنوات الخراب والعمران بلآلئ الأبدان
المستديرة ، وشاع من المضاربة الضارة جدا هذا العراك في ناحية « خواجه
ربيع » بيع جنس الروح من سيف جيش العدو ، وسقط من تجارة
يلا تجارب هذه الحرب تقود الأعمار من عملة الاعتبار ، وأصبحت في طريق
الفناء صرف مصارف الصروف ، تنازلت مخازن الوجود للشباب والعجوز
وحبات الحياة الصغيرة والكبيرة باشعال نار حرب الأسعار ، وأوصل
المساكين من ثمل الحقد صياح العويل والأنين للفلك ، وفتحت الأرامل
الصائحات من حوادث الزمان اللسان المشيع بالسب واللعن وفم الملامة
غير الملائم (قد ذل من بالث عليه الثعالب) .

- ١٢ -

بيان انصراف الموكب النادري ناحية « خراسان » بهدف الاقتصاص من الخصوم شديدي الخصام

« والله عزيز ذوانتقام » عندما كان فواد « خراسان » الذين اشتهروا بالمبارزة مثل الشمس في الآفاق ، كانوا يخافون من جواب هذه الغفلة البصاء من اللوم المشرف ، جعلوا الأمير (رضا قلى ميرزا) واسطة العرض ، فى أوائل شهر صفر وصل هذا الخبر بأن خيول الأمير تتقدم تجاه الملك ذو الطالع الحسن ، عادوا بهدف المكافأة على تأديب هذا الفوج المعاند ، ساروا بجيش نافر وجأش ثابت وقلب دائم ورأى ثاقب وحزم شاءخ وعزم راسخ .

عزمت برصد منها رضوى ويكاد الوليد منها يشيب
فلشمس النهار منها وجوب ولقلب الزمان منها وجيب

شقوا الراية السعيدة وسلخوا مرحلة وادى « فانا منهم منتقمون » ، سلك بدر لواء محطم الفلك بحكم « سيروا فيها ليالى وأياماً آمنين » للمدن . مثل القمر المنير للدنيا « غدوها شهر ورواحها شهر » برسم الاسراء والتعريس والتأديب والتغليس ، جعلوا فى أواخر شهر ربيع الثانى التقدم الى « مشهد المقدسة » بالطلعة البهية ثانى الربيع السعيد ، تبخثروا للناس الدولة ، بعد ذلك اهتموا باصلاح مصائب الأهالى وابهاج قلوب الصعاليك والاشراف ، ونظم سلسلة « أنشائية » « آذر بايجان » و « خراسان » و احياء قبائل الأطراف والبنواحى ، ومن هذا القبيل القبائل والطوائف على الوجه الكامل ، عاش من لطف شهرته اسم عشائر « العرب » و « العجم » ، وطوى من كف يدى جواده عادة (حاتم الطائى) ، ومر كل رئيس من رؤساء العشائر من أعلى الأسفل وفقاً لعادة دستور من النظر مثل الشمس ، وانسلك جمع كثير منهم فى سلك ملازمى الركاب ، وحلوا وعانوا بقية الأماكن التى وصلت اليها الشمس والتى لم تصل اليها والأماكن المشمسة والمصيف والمشاة والمراعى والسدود والعلقة والمعلوفة والمعالف والمراعى « ولهم فيها منافع ومشارب » ومواضع « رحلة الشتاء والصيف » ، « وبروة ذات قرار ومعين » فى الوادى وسفح الجبل .

إذا حضر الشتاء فانت شمس وان حضر الصيف فانت ظل .

- ١٣ -

بيان عرس رضا قلى ميرزا بلطف الله جل شأنه

« وان علينا بيانہ » عندما كانت درة العظمة جواهر صدف السلطنة وابنة عطار منظر أسرة العصمة والعفة ، شقيقة قدسى الحضرة (الشام طهماسب) ، خطيبة الأمير (رضا قلى ميرزا) ، تدلت فى شدة برودة الشتاء زينة عقد اللؤلؤ البلورى على قامة الصنوبر والبلوط وهياكل الورود (وما أحسن شمائلها وكلاهما) ، تزين وجه الأرض ببياض ماء البرد ، وأحاط كوشة العالم بمرآة الأسر .

الثلج على ذوائب الأغصان قد قرطها قلائد المرجسان
ان مر بها الصبا تهاوى بددا كالنور تساقطت على الأفنان .

زحف من شدة البرودة العرش تحت الكرسى ، وسحب الفلك السنجابى صوف القاقم على الرأس ، ونهض المحكومون بحكم العظيم لاعداد طعام العرس ، وزينوا مجالس الضيافة المليئة بما لذ وطاب من أنواع الوسائل التى تطلبها القلوب فى كمال الحسن والكمال ، وتيسر فى محفل هذه الدنيا الطرب وعيش « الأتراك » و « الأوربيين » بلا مشقة وعناء ، ورأى (ابن طباطبا) (١) - القائل فى الأيام السالفة - ليلة ليالى هذا العرس فى مرآة الاستقبال ، وإظهاره بهذه الإشعار وصف حال :

واليسلة أطرب ابنى جنحها فخلتبنى فى عرش الزننج
كأنما الجوزاء فى جنح الدجى طبالة تضرب بالصننج
قائمة قد حررت قصفها مائلة الرأس من الغنج (٢) .

اقترن فى ليلة أجمل من نهار الربيع وأكثر جاذبية من صباح العيد وجمال العيد من يوم ربيع جميل وأحب من صباح العيد الجميل الرقيق ، وزمان مقترن بالفرح ، وساعة منزهة عن الضيق والغم ، اقترن برج

(١) ابن طباطبا العلوى أبو الحسن محمد بن أحمد ، من نسل الحسين بن على ، ابن أبى طالب ، ولد فى أصفهان وأخذ العلم عن أئمتها وتوفى بها عام ٣٢٢ هـ .
(٢) هذه الأبيات من أشعار ابن طباطبا العلوى ، يصف فيها ليلة ممثلة .

السعادة بالزهرة الزهراء • تمت هذه الزهجة فى ليلة الحادى عشر من رجب ، حيث سارت عروس « الصين » الجميلة بالبركة والشرف ناحية (رضا قلى ميرزا) ، ازاح الدهر العابس ثانيا الجبين عن ذلك العيش المحبوب •

قد طلع البدر من الزهرة فى دولة موقنة الزهرة
فأضحت الحرة مقرونة بالحر فى دولته الحرة
لا عقباً من فرحة قرحة كلا ولا من حيرة عبرة

كان قلم المؤلف قد أنشأ خطبة فى هذا الموضوع ، وجاء انشاؤه لائقاً بهذا المقام ، وهذه هى : تظهر حمرة الحمد حيث تكون عذار العذراء للورق بأجمل وجه ملون ، وتترزين حمرة الشكر على وجه العروس المحبوبة بأجمل صورة ، الجمال الجميل لائقاً بحضرة ذو الجلال الذى تصبح السماوات السبع فى حرم حريم صنعتها شاهدة كل زينة من قمره وشمسه حتى ذهبى فى الجبين ، وشرف شمسها فى الرأس ، والبدر المضى فى خلوة قدرته محبوب قمرى الطلعة ، يكون الليل المظهر للنجوم والفلك المكوكب مثل النسيم الحريرى المتموج بالألوان خيوطه الذهبية فى صدر طرة ظلمة الليل من العبير المنثور مزين صنع لأمثال له ، كان يظهر حمرة الشفق وياض الصبح من وجه صورة شمس عذار النهار من مسك صنع زينة لطفه الدائم ، ومزين عنايته لعروس الشمس الجديدة ، فى منظر فلك الرواق العالى يطل كل صباح على رأس وعاء الأفق الفضى ، كان ينشر مزين الكوشة مرحمته كل ليلة من نجوم السماء وكواكبها مثل الدرر والجواهر على هيئة الشوباش على رأس الكواكب الأتراب ، وكان يصب على رأس خليط لبن وسكر الفجر من ضوء شعاع الشمس ، وتشر على طرف الخدود عظمة وشأن الفلك من سلك ثريا العقل المتدلى صورة زينة ابداعه حلوة ذهبية من النور والعبير المسكى من الليل المظلم بجملة ذؤابة المحبوب فاتن العالم ، وضج زينة ابداعه من كأس الشمس الذهبى على حاجب سلمى الهلال ، وجعل الشمس المنيرة فى محفل قدرته وميض النور من ظلمة الليل الكحل كحل بعين المعشوقات ، جعل شاهد الديباج والحرير وزهر جبين القمر فى مجلس شهود آثار جلاله ، زين كف الخضيب من لون هبة حناء عاطفته دائماً فى خضاب ومزين مكرمه فى قبة فلك الشمس رسام قبضة الشمس زواج الأبناء العلويين (٣) بالأمهات السفلية (٤) من نتائج

(٣) كناية عن الكواكب السبع ، وهى زحل والمشتري ، والمريخ ، الشمس ، عطارد ، القمر ويعتقد القدماء أن لها تأثير فى مصير الانسان •
(٤) العناصر الأربع هى الماء ، الريح ، التراب ، النار •

حكمته البالغة ، والأطفال المواليد من رحم العدم وليد صنعته الكاملة مصورا
صنع بديعة بمصداق « وصوركم فأحسن صوركم » وصور مادية الذكور
والأنثى ونقاش فيضه المنيع برقع كشف خفاء وجوه عرش العدم « الذى
يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق فى ظلمات ثلاث » فى قصور
بلا قصور وجود طالع المولود جسم بلا روح عقد الارتباط فن ، وفى غرفات
مناظر الوجود أخلاط أربع حسن الاختلاط منه ، ومن لطفه الجسيم آنسة
نبات كل عشب معروف لتراب الأرض ، ومن فضله العميم ابنة كل شجرة
تحمل ثمر حمل فاكهة حلوة ، وقوائم جميلة للأشجار زينة الجمال والخضرة
فى الحضن وبرعم شفاء الثمار والأزهار خيمة بيضاء عصمة منه فى الرأس .

– القى نحو البحر قطرة من السحاب

– قذف من خلفه نقطة فى البطن

– ليجعل من تلك القطرة لؤلؤة امتلا لنا

– ومن هذه الصورة سورا باسقا .

– وليمنح النطفة صورة ملائكية من قد شكل الماء .

« سبحانه الذى خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم
ومما لا يعلمون » زينة صور وكتف انسان الفكر وحلية رقبة وأذن غوانى
المعاني البكر حلية ظاهرة للعظيم وأصل نادر الوصف ومنقبة الجنب
العالي النسب ، الأسمى الملقب ، الذى تحمر وجه الكونين بحمرة زينة شفاعته ،
وتكون العالم وولد بنى آدم من بطن العدم بطفيل الحضرة المفترض اطاعته .

– لو لم تكن ذاته الطاهرة سببا للخلق

– لكانت للأبد حواء عاقر وآدم أعزب .

أعنى النور الطاهر والضياء المنير ، أفضل أبناء أم التراب ، وعظيم
سليل أسرة الأفلاك ، سيد ولد آدم وأصبع النبوة ، أشرف خاتم (خاتم
الأنبياء وسيد الأصفياء عليه من الصلاة أذكاهها ومن التحيات أنماها ما دام
الأئنان زوجا والنيران يدوران حضيضا وأوجا) وتحف تحيات صديق
الانتماء ودرر ثناء مظهر الدرر ونائر بلاط درر أربعة فلك الخلافة (٦) والذرية
الطيبة الأصلاب رسالة الريح ، أن عرائس العزة والجاء تدوم ذاتهن المقدسة

(٥) الموليد الثلاثة هى الحيوان ، النبات ، المعادن .

(٦) المقصود هنا الخلقاء الأربع .

فى العقد ، مفرح الدنيا ضوء قمر فى جناح حرم جلالهم عيب الجارية الجميلة المشهورة ، لم يسمع حجاب قصور الملكوت عن قصورهم فى آداء خدمتهم فى حجاب كوشة الخجل ، رجال الطريق الأصرار عقيدتهم تستوجب تزوجهم من حور العين ، العجوز القبيح التى هى أم الفساد مثيرة الفتن ، القبيحة تخمن وجود الزوج ، نفوسهن المقدسة مطلقاً بثلاث طلاقات ، وبيمن ايجاد وجود جوادهم العنبرية وحلية جوهر رسم الليل ، ومراة الصبح البللورية ، وسوار القمر الفضى ، وطرق الشمس الذهبى ، وتاج المشتري الذهبى ، وبرج وسور فلك الأفلاك ، وجارية و غلام الزهرة وبهرام حق الصداق لأمهات العنصر ، وبعد الغرض من رسم هذه اللوحة الجميلة ، وإيضاح زينة هذه الصورة السارة ، أنه من حسن معنى طعن لوح لجبين الفضى للحسنات الجميلات ، ومن نقط وحروف غرور أمر خط وخال وجه الحواري الملائكيات الوجه ، تلك التى مثل وحدانية مختص ذات الله الصمد ، وفردية تناسب وحدانية بلا زوج ولا ولد « الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد » ، وقوام سلسلة الوجود المتعلقة بالزواج ، وانعقاد سلك البقاء مرتبط بالتزاوج ، لذلك فان الآباء والأمهات ، الأفراد والأزواج ، ايجاب وقبول ، العلة والمعلول (٧) موجب حدوث عقد الزواج ، وتنتائج صور المواليد الثلاثة فى تولد المزاج بقابلية المادة (٨) والمادة القابلة للمساعدة ، لو لم تصبح القوة الباصرة فى مراة بيت العين خلف النقاب الزجاجى معانق العدسة ، لم تضى العين برؤية قرة عينه ، وحتى لا تقترب الحورية المسكية النقاب ليلا فى هذا القصر العتيق بنظام حديث باحتضان القمر ، لا يحتضن خلف الصدق الصبح الصادق (٩) ، ما دامت قطرات السحاب النيسمانى لا تستقر فى قلب طبق الصدف ، فان البحر لن يخرج الدرر النفيسة ، حتى أن شمس العالم الظاهرة لا تضى من أوج السماء بالصخرة السماء ، يتدحرج الجواهر من صلب المنجم ، ولا يولد الياقوت المتلألأ من بد خشان ، ويتعلق الفصن الجديد بالتقديم ، لا يمكن لثمرة الفؤاد أن تحتضن الفؤاد اللطيفة ، وبدون القوة النامية لا تظهر بشائر الحبوب من باطن الأرض لساحة النمو والظهور ، بناء على كل هذه المعانى فى حالة أن شاهد كل ذلك الحسن ذائب مضيئة من زلف الليل متدليلة على وجه شمس العالم المضيئة ، خلطت الحسناء جميلة الوجه

(٧) الايجاب والعلية من أوصاف الآباء والقبول العلوية من صفة الامهات ونتيجة هذا التأثير والتأثر يظهر فى المواليد الثلاثة وهى الحيوان والنبات والمعادن .

(٨) المادة التى هى قابلة للصورة .

(٩) المقصود من الصبح الصادق اقتران الليل وقمر النهار وظهور النهار من الليل وهذا التعبير شائع فى اقوال الشعراء والادباء .

الصباح بحلاوة الابتسامة الصغيرة يخلط السكر باللبن الأبيض الليل المضيء مثل يوم شاب مقترن بالسعادة ، ويوم سعادته مثل ليل وصل الحسنات يسعادة المتهج ، السماء كانت مظلة زينة خجل الطاووس ، كانت الأرض الغبراء مثيرة غيرة كوشة العرس ، شمس رب البيت ، وقمر صاحب المنزل والزهرة الزهراء مشغولة بالجنك والجفانة ، طالع من المناجس والمناقص البعيدة كانت تدور الأوتاد الأربع (١٠) أوتاد طنبور السرور دوران القمر من البيدر ، أمستك عطارد بالقلم وكتب خطبة ، كان يغنى لحن ناهيد ، كان يستحسن أثناء الطرب الحاد وكان لاثقا ، كانت تتبدل صورة (بهرام) بصورة غلمان الخدمة ، وأخذ مكانه ، تزين المشتري بالعمامة الذهبية ، القرط العباءة منيرة الرأس ومزينة الصدر صدر المجلس ، ألقى زحل متاع الإقامة في ركن قبة الفلك من أجل الناظرين ، استعد الفلك من منطقة الجوزاء لاعداد وسائل الاحتفال بالعرس ، وضع قيقاوس (١١) التاج الذهبي على الرأس لمزيد من الزينة ، ووقف جبار العصا (١٢) باليد لمحف الزينة ، حمل الدلفين (١٣) كيسا على الكتف ، كان الفلك يشرب من ماء النيل ، ربطت الكواكب السحابية (١٤) كعب السحاب على الوسط ، كان يسقى ظمأى المجلس بكأس الشفق من وعاء الفلك الأزرق ، كانت « عوا » (١٥) تصيح صياح السرور لسكان العرش ، كان لسان زبانا (١٦) يغنى ، كان يدمر رأس (١٧) القمة على السماء ، كان يفك الذنب (١٨) العقدة من القلب ، فقد قلب القلب ، ويقف المقدم والمؤخر (١٩) من هجوم المنجمين الأوائل والأواخر ، كان يضرب نهر رود ، وكانت مجرة العود تحرق الكف الخفيف ، وحرك الجناح الربابة الرومية ، ووقع النسر الطائر (٢٠) في موقع فراغ الببال ، ورفعت السفينة شراع النشاط ، وانشغل الغراب من وجه خفض التواضع بسرعة الخدمة ، كان يرقص

(١٠) الطالع والغارب ووسط السماء ووتد الأرض

(١١) الصورة الرابعة من الصور الشمالية وهو على هيئة رجل مرتدى قبعة

(١٢) الصورة الثانية من الصور الجنوبية وهو على هيئة رجل متمنطق بسيفه ويده

عصا

(١٣) الصورة الرابعة عشر من الصور الشمالية

(١٤) خمس كواكب من طرف بحرة مثل جزء من السحاب

(١٥) الصورة الخامسة من الصور الشمالية

(١٦) المنزل السادس عشر من منازل القمر

(١٧) نقطة التقاطع الشمالية للفلك المائل من سطح منطقة البروج وذيل نقطة

التقاطع الجنوبية لهما

(١٨) القدم والمؤخر فرغ أول والعروة العليا الفرغ الثانى أو العروة السفلى

وهما المنزل السادس والعشرين والسابع والعشرين من منازل القمر

(٢٠) من الكواكب الثانية

البراقص ، كان الجاني على ركبتيه يدق القدم ، كانت بنات النعش تنتعش ، كانت قصعة المساكين تخدد اللطف والنعمة على قبة الفلك الذهبية ، كان يصنع كأس الشراب ، كان يعلق ثريا العقد ، كان يذبح بنفسه الشاه المذبح ، كان الأسد ينظر من جبهة المشتاق جدا ، كان السهم رغم ذلك سهم وجه اهتزاز أضواء الفلك ، كان يجعل من حسرة التطلع الى سهم الآله حامل رأس الغول مع رأس الخدمة ، كان يقرأ آية الكرسي وذات الكرسي لدفع ضرر عين الكمال ، ألقى المرأة المسلسلة السلسلة لحمل الصليب من لطف الحبل الذهبى ، فقد ممسك الأمانة الصبر والقدرة ، رجب سهيل بأهل المجلس .

وشاعت من كثرة الخلط الأضداد ، صنع القمر خيط كتان (٢١) فرش عمارة الفلك ، وصار من كثرة نزهة قصر الفلك لائقا للنزهة ، ومال أيضا الحجاب للثنين (٢٢) ، ألقى البرقع من قلب العقرب (٢٣) ، كانت تسير الثوابت معا ، ومجت السيارات الرؤية ، وكانت تثبت فى مقام الحيرة ، أصبح الفلك من الكواكب بالآلاف العيون لطريق التنزه ، كانت الشمس الأشرفية تثير الشاهجاني ، كان قد احتضن فى الحضن الضيق القمر من الاتصال بطريقة الزهرة ، لو أن يتحدد القمر لا يخلو الحضن ، كانت الزهرة تنظر بحرارة لوجه المحبوب ، انه لو مر عام لم يرفع نظره عن المحبوب فقد أظهرت السماء مقلب الشمس فورا من تنور الأفق ، أعد طعام الافطار ، نثر الفلك بذور كواكب اللآلى الجميلة ، كان يلقي الشهاب الصاعقة للفلك الصغير ، كان يشعل ضياء القمر ، عقد مجلس زينة العصر على قبة ظهور أطباق السماوات من نجوم الفرع ، « ولقد زينا السماء بمصابيح » كانت تشتعل من أنجم المصابيح ، كان لاعب الدنيا يلعب خلف ستار الليل طائر الليل من وجه قمر لعبة الأطفال ، كان البدر يظهر هندی الملاعب من بياض الصبح طائر نار نور الشمس ، كان الفجر يوصل الشمس للنهاية مثل جبل لعبة خطوط المدارات ، كان يتجه للباب من طوق الفلك ، كان يفقد المشعوذ ساحر الفجر مثل البساط الظاهر فلك الشموس الفضية النجوم ، كانت النار المحرقة والجمر المشتعل تظهر حرارة الشمس من تحت الثياب ، أحيانا كان يسلم ذهب الشمس لعشاء المغرب ، كان يخرج الأفق من جيب المصرى ، كان الزمان يلقي فى السماء والفلك الدائر الأطفال ذوى العيون الباسمة للنجوم ، صب فى روضة التراب أيضا ريح منعشة ماء على نار القلوب ، يختلط أحيانا نسيم سحر

(٢١) برج الحوت وهو البرج الثانى عشر .

(٢٢) الصورة الثالثة من الصور الشمالية .

(٢٣) المنزل الثامن عشر من منازل القمر .

رائحة الروح والريحان برائحة أهل الدنيا ، لم يدخل الرقبة في القميص من الانبساط ، لم يظهر قم البرعم من الضحك ، لم تنم عين النرجس من السعادة ، وافترش ورد المخمل في جميع أرجاء الأرض ، وجلس الزنبق ذو الرأس الطرية ، اتكا بنفسج بالساعد من التدل ، وألقى الياسمين من القلب ، ونام الورد على الغضن من اللطف ، وقالت السوسن قصة بمائة لغة ، وكانت البراعم تتفتح ورده ورده ، كان يثقب الندى عقد وجه ورد الدر (٢٤) ، حسن يوسف (٢٥) مثل حسن يوسف العزيز ، وزلف عروسان مثل ذوائب العرائس الجميلة ، فقدم الصنوبر القلب ، وقفت شجرة الحرية بعبودية ، كان العرعر شمشاد عازف الحفل الخاص ، وعزف السرو بصول الفاخنة ، نهض رقاص الجنار راقصاً باليد الثائرة ، وزين الصنصاف نفسه مثل مجنون ليلى بالطرة المعطرة ، كانت ريح الصبا تدق ، كان النسيم ينقل أوراق الشجر المثمر ، كان يقطف عنقود العنب من فرع كل نبات في مجمع البستان ، كان يهوى شجر الورد من أوراق الشمندر ، كانت الزهور بطهى الطعام ، كان القمري يعلو طعام (كوكو) ، كان طائر السحر يعلو وجبة العشاء ، كان الفاخنة (٢٦) يلقي الملاح من جناحه الفاخترى ، كان الطاووس يرفع الخيمة من ريشه الملمع ، كان الببغاء يعزف على الطوطك (٢٧) ، كان البلبل يغنى بشفاة الناي ، كان صوت كل بط عود جميل اللحن ، كانت نغمة كل طائر عنقائي الصوت ، كان السار (٢٨) مسرور ، كان الحباري سعيد ، كان الديك يصيح ، والحجل (٢٩) ينغم بنغمة ولحن جميل مستمر ، صوت الغراب كله موسيقى ، كان يجعل جكاوك (٣٠) فائن ساحة البستان ، وكان تسجاع البلابل يزيل الهموم ، كان صوت العندليب يزيل غناء القلب ، كان صوت عوادي القمارى يلقي شعلة نار في روح عوادي القمارى ، كان مينا يلقي ضوضاء الصباح على الفلك الأزرق ، كان البوم يظهر في لباس الهمما من فرط السعادة ، ويحتضن اقبال ملك الهمما قميص شديدي السعادة ، كانت الدمية تتوكل على وسادة من الريش مثل عرائس التتار ، وقال الكروان بصوت بش « لك الحمد » ، وأطال القسم للراحة ، كان الكبك الدرى يغنى (٣١) على الفلك باللغة

-
- (٢٤) كفاية عن قطرات الندى
 - (٢٥) عشب مائل للصبرة طعمه بىء
 - (٢٦) طائر جميل الصوت لذيد الطعام
 - (٢٧) يطلق على آلة الأرغون أو الناي
 - (٢٨) طائر أسود اللون جميل الصوت
 - (٢٩) طائر جميل الصوت يكله الهنود
 - (٣٠) طائر جميل الصوت
 - (٣١) نوع من انواع الحجل كبير الحجم

الدرية ، وكان الهدهد يلقي بقبعة النشاط في الهواء ، وحسن جبل قباء
الرخامي ، ودق الطرف على الوسط يكمال العظمة والبشموخ ، وكان يصنع
سيف اللهو ، وأخفى نبع ثياب الموج الأزرق ، كان يعزف على رود (٣٢)
من الشلال ، وكان ينشد ما وراء النهر (٣٣) ، وضع قانون السعادة في
أركان العالم الأربع ، كان في خمس أماكن الجهات الست سبع أقليم ،
كان الحزين يعزف من قمة السعادة في عرش خسرو بروجيز قانون العالم
الجمشيدى واللحن الخسروانى (٣٤) ، كانت نغمة رهاوى تخلص عشرات
القلوب من نقرات الغم ، وعلو فرح الشام والحجاز (٣٥) والعراق (٣٦)
نوروز العرب والعجم ، كان المخالفين غير متألفين في أشكار ونهفت ، مغلوب
آنين الليل وتأوه السحر ، وخارج ألحان مقام راستى الباكين في دائرة
الحيرة المحيرة للصغير والكبير ، كانت صفاهان (٣٧) وتاجيك وترك
نیشابور بياتا ونهارا من اليوم المبارك على شهناز (٣٨) وفراغ عقل الرأس
الصلبة مثل الطنبور بأظافر الحسرة ضارب المخلب في صدر المحنة ، عزف
عازف القمة والقاع أسفل وأعلى ، رأى مقلب النشاط حجاب في حزن
منعزلى فيل ونهاوند مثل عشاق الوصال ، موسيقار زمزمة السرور
وزنكولة (٣٩) بنده ان زابل ونيريز من دولة رغبة الملك الخسروانى المقام
في رفقة البهجة والحبور من شور (٤٠) سماع سامعه في قلعة أذن الموله
بالسمع والوجد ووجدى سامعى منشدين حب الرقص قلوب ليلي وشان
بسته نكار (٤١) وادى الحجاز (٤٢) ونجده نغمة سلمك بسماك وبرج
الحوت وأغنية ماهور (٤٣) وكردونية لشمس الفلك ، لم يسمع عشر چا
عشير ذلك الوقت ومقام عشيرة ذلك الوقت في دوكة (٤٤) الأزل والأبد
أذن الزمان .

-
- (٣٢) آلة موسيقية إيرانية من ذات الاوتار .
 - (٣٣) آلة موسيقية مثل آلة السنطور ، ويعزف عليها بالضرب على اوتارها .
 - (٣٤) نوع من الانشاد المسجع الذى كان يقوله بابد في مجلس خسرو بروجيز .
 - (٣٥) اسم نوع من النغمات الايرانية .
 - (٣٦) اسم مقام موسيقى ينشد وقت الغداء .
 - (٣٧) اسم آلة موسيقية يعزف بها آخر الليل .
 - (٣٨) نغمة موسيقية إيرانية .
 - (٣٩) اسم نغمة موسيقية .
 - (٤٠) اسم نغمة موسيقية .
 - (٤١) نوع من الموسيقى .
 - (٤٢) اسم نوع من النغمات الايرانية .
 - (٤٣) اسم لحن موسيقى إيراني .
 - (٤٤) اسم نغمة موسيقية .

- كان الدم يغلي في عرق الكرم
- واحتضن كأس الشراب وفقد الكأس وتدهرج الكأس
للرأس .
- من تلاطم السعادة التي كانت في الدنيا .
- كان للأرض تفاخر على السماء
- ارتبط في سلك الزواج ، انخرط في فرع عقد الدوام فلان بالقباه
وفلانة بالقباه .

بيان تسخير « هرات » قرينة النزهة ، وقلع « الأفغان » الأبدال من ذلك الاقليم

« كذلك يفعل الله بالظالمين » بعد النوروز لعام ١١٤٣ هـ بثلاثة أيام ، جمع بطل الطبيعة بقصد تسخير حدود البلاد ، انحدر المقاتلون ذو القرون لكسر فرع شيخ الشيوخ سابقى التهديد ، واحتضن الشباب المعربد الربيع المنير على الرأس ، وأخذوا من الثلاثة السريج والندرع والسيف ومن الخضرة النامية للسيف والخنجر ، انتشت الهامة المرفوعة كالسرو من قصف سن قلم العدو ، ورفعوا الراية عالية فى ساحة الرياض ، وأسعرت القوة النامية بمعارضة المخالفين بنصل رماح شجر « البید » ، كان المفيدون الأشرار مثيرى الزوابع الذين نشروا الشوك لا يذء الجيش على الطريق ، أبادوا البلد من الوجود ، وحطم عظمة (فريدون) ، وألقى (فرورد ابن بهمن) ، كان عصاة شمباط (١) الذين فى ساحة البستان قد تزينوا من شوك الشوكة بفرك ورق الأشجار ، تعطرت كل ورقة ورد برائحة المسك مثل عرق الرقبة ، أشهر الزمان سيف الملك الهلال على أعداء الهلال (شهرا ربيع كجماد البوس) (٢) •

أظهر الله شمس التاج بمقتضى القوة الغاضبة والملكة (٣) الحمية والعصبية من شدة الغيظ والقهر هدد تسخير « هرات » ، برق فى ١٥ رمضان من الفلك فيضان شق رايات الشمس ، دخل (أبو طالب خان الألوئى) (جام) (٤) بجحافل غفيرة مع أخيه (عبد المطلب خان) حاكم « تون » وفى أطراف المملكة كانت نسخة سوء العقيدة تماثل المتون ، عندما عاد الحظ المجهول وهلاً الكأس ، تجرعوا فى « جام » كأس الهلاك من سيف

(١) اسم آخر شهور الشتاء •

(٢) يضرب لمن يشكو حثاله فى جميع الاوقات أخصب ام أجذب •

(٣) الطبيعة النفسية التى تظهر فى النفس وهى ترسخ فيها نتيجة للممارسة ولا يمكن أن تمحى بسرعة •

(٤) من توابع نيسابور سابقا ، وهى الآن إحدى مدن مشهد ، وهى تقع فى طريق مشهد على حدود إيران وأفغانستان •

القصاص ، بدل طائر « دودران » (٥) جسد هذين الشقيقتين صيد صقر
الأجل وعشب ذلك الوادي من دهم بدم الأخوين (٦) (ان الهزيل اذا شبع
مات) (٧) ، وفي الرابع من شوال صار المكان المعروف بـ « نقرة » (٨)
مثل الفلك الفضي مقر الأفواج الذهبية الخضر ، وضربت تجاويف رقاب
العصاة بسيوف المسلمين بلا رحمة ، وأصبح الأعداء من كل صوب في
الفضاء الفضي مثل صغار الحيوانات طعمة للأسود . خفق قلب « الأفغان »
من نار حدة السهم والسنان وبرق السيوف القاتلة ، وأصبحت ساحة
الصحراء الشاسعة الواسعة من وجود المقاتلين والأعداء محط الصقور
والنسور ، وأسرع برج الثور في مرتع خضرة الفلك بسرعة من سطوة
الأبطال ، وهرب الخروف السريع قائلاً لبرج الجدى (أترقى وميشى) (٩) ،
وأخذت ساحة الصحراء الواسعة صفة (وشيعة فيها ذئاب ونقد) (١٠) ،
وصارت الصحراء من كثرة غنائم الأغنام مليئة بأصوات الخراف ، واستغرق
العالم في سواد البقرة مثل النور في ظلمة العين ، واحترق فلك بخور
النجم على خراف ذلك الحى ، وزينوا اليوم الثلاثين بأمر قائد الجيوش
الأعظم بدرع لباس حصان جميل السير ، حزم الحزام على الصدر ، أظهر
(ذوالفقار خان الأبدالي) والى « هرات » جوهر الجلادة من الغلاف بميدان
القتال ، (جاء بشر وعمر وبالقض والقضيض) ، ظهرت قوارع المدافع
من قوارع فرقان الحرب بقرع الحرب ، في بداية الأمر قرأ آخز سورة
القارعة على الأعداء بصوت عال ، وصاحت المدافع النارية بآية « انا اعتدنا
للظالمين نارا » وتقدمت قدم البطولة خلف الأبطال ، فأشعلوا نار الحرب
بشعلة السيف والسنان الحادة ، واداروا رحى الحرب بطاحونة الدم ،
وجماوا للنسيم من رائحة طرة الذؤابة المجعدة للرمح والطرة الملتوية علم
للسهم صانع عبير ميدان القتال ، كان القوس يوصل لأذن الأعداء بلغة سفير
قوة القنبلة رسالة الأجل من كل مكان ، لم يترك السهم الجارح في القلب
المضطرب يد الحكيم على صدر البعيد والقريب ، لم يسرع السهم العالى
في الطعن لقلعة الغرض ، كانت أفواه المدافع تلقى تراباً من طلقاتها على وجه
العدو ناقض العهد ، كان حله السيف البتار يقطع العهد بحدة عقاباً للأعداء ،
وانشغل الأبطال السفاكون بالقتال مع تلك الجماعة الغادرة (أشأم من
قدار) حتى وقت العشاء ، عندما اتجهت شمس المشرق نحو المغرب ،

-
- (٥) طائر صيد أصغر من العقاب .
 - (٦) صبغ أحمر مائل للون البنفسجى .
 - (٧) يضرب لمن استغنى فتجبر على الناس .
 - (٨) مكان في أفغانستان قرب (تخت صفر) .
 - (٩) مثل يضرب للخلط في القول .
 - (١٠) يضرب لمكان فيه الظلمة والضعف .

تصدعت حلة سيوف المقاتلين من الطعن والضرب ، فرفعوا راية الانسحاب ، وكانت قد حدثت اتفاقيات برجية في طريق النهر خارج المعسكر بحكم المعلى ، بعد وصول تلك الحضرة لمعسكر الفلك ، ظهرت جماعة لتفقد معسكر ذلك البرج العالى الأساس ، فوجدته صلبا ، فجعلوه نموذجا لبرج الأسد ، وانكشف حجاب عين أولو الأبصار بعد غشاوة العشاء ، مضى جزء من الليل ، وقده جعلت تلك الطائفة الشريرة المحتلة في تلك الليلة لزوم الموت للنفس العزم على الهجوم ليلا ، ظهوروا من وسط النهر الضعيف - الذى كان قد ارتبط بمعسكر فلك العظيمة - بفتائل النار المنشور مثل خيل النجوم من هجرة كهكشان ، حاصرت جماعة منهم البرج مظهرين الشجاعة فى البداية ، غير أن الملك الشجاع - الذى هو أسد الفلك فى برج السماء وكانت الزهرة تدور من مهابته - أحضر جماعة من الخواص - الذين كانوا فى ذلك الوقت فى الخدمة - فانشغلوا بالدفاع ، وانقلبوا من بوارق السيف ومدفع ذلك الحصن الترابى للبرج النارى ، وأحضر حراس زحل الشكل وحراس من ينج الفعل صمدور تلك الجماعة بالسيف فى ظلام أيام متعاقبة ، ومزقوا فى منتصف تلك الليلة بالسيف القلب الممزق ويرمى الزهرة المحطم للأكثرية من وسط الصدر حتى الوسط ، رأوا تلك الفرقة القوية - التى أقوى فرق الأعداء - مصفرة مثل جبين الحظ ، وقدم القدرة مسلوب من يد التملك ، فاضطربوا وعجزوا وأداروا الوجه (ان أخا الخياط أعشى بالليل) (١١) ، كان المقصود بذلك المكان أن كانت هوة السماء وسعت بتضييق حال سكان القلعة .

بعد عدة أيام أمرت جماعة من الأبطال بحراسة ناحية « نقرة » ، وسلك موكب العظيم تجاه جسر « مالان » بخفة ونشاط ، وعندما طغى نهر « هرى » أمر بالجنوح ناحية « زنده جان » ، ولم يبقوا على حياة أحد من « الأفغان » هناك ، وابتعد جمع من قادة « زنده » عن مرحلة الحياة ، وأصبحت « ده نو » المكان القديم منزل الأبطال الجدد ، وظهر « الأفغان » السود للجيش مثل الكحل للعين ، وتصوروا من عين الجهل أنهم جماعة القواد ، وزينوا المقدمة للقيادة والسقاة للمؤخرة والجيش للقلب ، ظهر الملك عالى الشأن فى الحال بحسن الطالع السعيد على مائدة خيل طهر الخيل المسرج ، وصاروا بالسيف البراق مثل نور النجم صاعق قلوب الأعداء ، صنعوا من العون الآلهى على الحصان الفولاذى الحافر خيل المعركة السريع ، وبدأ الحرب على الأعداء بالقاء سهم سوء القصد ، وجرح بضرب السيوف وآلات الفناء سلك واوتار وشرايين العدو شربير النزعة ، وحملوا السيوف الأعوج والسهم المستقيم للمخالفين وأصبح طرف الصحراء مهلك روضة

(١١) مثل يضرب للمريب الخائن .

الشفائق بالسهم والسنان ، وعبر صوت الطبل الفخارى الكبير من ثنائيا وجه الفلك ، وهزم المخالفون بقليل من الكر والفر ، وألقى من سهم عطارده ثلاثه ريشات أصابت المهزوم بسوء الحظ والخزي والنداءة ، وفروا عابرين الصحارى بلا سيف ولا درع ، وامتلا الوجه وتلطف بالدماء ، وألقوا بأنفسهم قى الأنهار الجارية خوفا من السيوف المسلولة .

أسرعت طائفة من هؤلاء الأذلة نحو الماء أسرع من الريح ناحيه النار ، أحبت النار جريان الماء ، وطفئوا شموع أعمازهم من السيول الصغيرة ، وصمت الجميع بالصمت الساطع من أسنة الرياح والحد القاطع من أطراف السهام والسيوف المهنددة من ادعاء الوجود سحب المخاربون اليه خلف الحصن وأسفل القلعة لقطع الرأس ، وطهروا الدم للطريق من الخنجر الحاد مثل العرق المقطوع ، يحتمل أن تكون قد فتحت باب القلعة وأسفل الحصن بحد سنيوف عرق الحياة وعرق القدم ، وضرب من الأعداء خبيثي الأصل من بقى فأله مخذولا ، وفتحوا بطبيعة انسان العين من عين الحسرة « ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل » .

فى يوم آخر أمر الملك (فريدون) بتحريك رآيات النصر ، وانزال الأحمال فى قرية « ناكهان » بالعظام والصعاليك ، وانشغلوا من ناحية الاحتياط بحصار واحتلال « قلعة كيان » ، وطوقوا « الأفغان » بالهجرة من الجهات الأربع ، وسدوا عليهم طريق المؤن والذخيرة « وحبل بينهم وبين ما يشتهون » ، ضعفت همة (ذو الفقار خسان) من شدة الحذر بفحوى « لا يقاتلوكم جميعا الا فى قرى وحصنة أو من وراء جدر » ، ولم يجرؤ على النزال والقتال ، وسد ثغور المدينة وأنحاء الموانع بأسلحة الحرب ، ولم يعارض غبار الميدان ، كان يوميا يركب جمع من الأبطال على ظهور الخيول للقتال ودفع الأعداء الظالمين « والعاذيات ضنحنا » ، وكسبوا من مقادح أقدام الخيل « فالموريات قدحنا » بايقاد عداوة الانتقام ، وأظهروا بتجوال « فالغيرات صبحنا » آثار « فآثرن نقعا » ، وكانوا يلوحون ويظهرون لأفواج الأعداء من طعنات الرماح الواسطية مفاد « فوسطن به جمعا » ، قسبم « الأفغان » الذين ينطبق عليهم مضمون « ان الانسان لربه لكنود » هدية مساعدة ذلك السرور لعصاة « وانه على ذلك شهيد » ، سعى (ذو الفقار خان) فى التناوب على حراسة « وانه لحب الخير لشديد » ، ذلك الذى كان مدفونا من عظمة المكيدة الرميم فى قبور قلوبهم المليئة بالكره ، كانوا يظهرون « أفلا يعلم اذا بعث ما فى القبور » كل لون من ألوان البغضاء التى من الهواجس الفاسدة فى خاطر عداوة سوء التكرير المضمر ، كانوا يوصلوا للصدور « وحصل ما فى الصدور » ، واعتقلهم العاقل فى مضيق المعقل ، ورفيق تدبير « ان ربهم بهم يؤمن لخبير » ، فى نفس الوقت كان

القائد - الذى كان مأمورا بغزو ناحية « فراه » - يتنازع من ناحية الذكاء والعظمة وربط الجأش فى ولاية « خاش » مع « الأفغان » الأندال الذين كانوا يحبون (ذو الفقار خان) نفسه ، وتعاركت طائفة منهم مع قائد تلك الجماعة ، واحتلوا قلعة « خاش » ، وهكذا أمرت جماعة من الجند المنصور بغزو « كرشك » التى كانت مركز البلدة وجعلوا باقسال ملك الأرض العادل غياب قمر كثير من « الأفغان » الأعداء المقترن بظلمة آخر ليلة فى الشهر فى أنحاء قلعة « بسبت » ، ودخلت « كرشك » و « زمين داور » بحوزة التسخير .

فى نفس الوقت الذى رأى فيه (حسين خان الغليجائى) والى « قندهار » أن سفينته أسيرة موج الهلاك ، أراد أن يسحب تمساح الشكر بكذب الشرك التآلف ، تخلص زورق الأحوال من ذلك أليم الملى بالفتن والشرور ، وتحركت صورة الحيلة من النفوس المترددة وللخداع فريقان « فريق فى الجنة وفريق فى السعير » وأصبح عاملا بمدلول « وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا انا معكم » ، وأرسل جماعة من خواص حاشيته بأسلوب خدمة التفكير للبلاط العالى ، وأرسل (سيد آل) - الذى كان قائد الجيش الأفغانى - بناء على حيل الطبيعة بخيل (أشام من الأخيل) لمساعدة الطائفة الأبدالية ، بعد ذلك بفترة لوت يه القوة والعظمة النادرية يد سيطرة « الأفغان » العصاة ، وسلب القوة والقدرة منهم ، واقتلعت تلك العظمة (ذو الفقار خان) من « هرات » ، وطرده ناحية « فراه » استندى (الله يار خان) للحضور لحضرة العظيم، وتعهد بتسليم القلعة « ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات » بل (اتخذوا حمار الحاجات) ، يأس (سيد آل) مما رآه من تخاذل وهوان أهل القلعة ، فأنس للوحشة ، وخرج مع جيشه وجنده فى ظلمة الليل من مضيق الهلاك بمركب النجاة ، وأسرع من ناحية المكر بلا تكلف ولا تحمل ناحية « قندهار » ، بناء على طلب البغاة أصبحت قلعة الولاية والولاية غاية (الله يارخان) (ناركى خيلت نارشيئى) ، تركزت فى طبيعته حيلة الطبع ، اعتنى (الله يارخان) مرة أخرى بفتح باب حاكم القلعة ، وسحب القدم من العتبة واليد من الكم ، وانشغل ببسط بساط الاحتلال والطفيان وقبض مقابض سيوف العصيان ، أصبح بضياح الحظ العائر متحصنا بقوة برج القلعة ، ورجال الخيل مرتان ومال ناحية البعد .

عندما امتدت حدود « هرات » وضاق حصار الحصن (قد بلغ الشباط الوركين) (جاوز الحزام الطيبين) ، وتجهل التخليط والتغليط حتى غرة شهر رمضان وعمل بمثل (يدخل شعبان فى رمضان) ، فى بداية شهر الصيام أظهر محافظ قلعة الفلك الأعلى براعة الاستهلال بشأن

فتح أبواب القلعة طوعا أو كرها من مفتاح الهلال ، رأى الأعداء نجم الطالع
مثل قمر « سيام » (١٢) المعتم ، ودخل « الأفغان » « فراة » أيضا من باب
الطاعة ، وصارت « فراة » و « هرات » بفضل الهمم الباهرة من جملة
الممالك المحروسة .

عندما رأى (الله يارخان) طريق النجاة مغلقا ، وجبل الحيل
مقطوعا ، وتعلق من ناحية الذل بأسفل ذيل الخلاص والتحصن ، وأظهر من
موقف الحسن والبشرى بجمال إشارة « فالיום ننجيك ببلدك » ، وحصل
على اذن الذهاب لـ « مولتان » .

(١٢) يقال أن قمر سيام يطلق على القمر المقتنع الذي صنع بالشعوذة في مخشب
وسيام اسم جبل بنخشب .

بيان توجه حضرة الشاه « طهاسب » ناحية « ايروان » وعودة نجم اقباله من تلك اترحلة

« انما يوجهه لآيات بخير » بعد ذلك جعل الملك على الشأن بالعزم الأكيد لتحطيم وقطع دابر المخالفين ، وفتسح « العراق العجمي » و « آذربايجان » ، وجعل دفع فتنة « الأفغان » نصب عين الهمة ، وجعل آيات الشوكة والوية النصر منتصبية تجاه « جراسان » ، وأصبح مكنون ضمير أعيان دولة حضرة الشاه (طهاسب) أيضا قبضة شوق الانتزاع وارتجاع قلعة « ايران » المفتصبة وادعاء الملك ربطوا حزام الاجتهاد على الوسط مقلدين الجناح النادرى (هيهات هيهات الجناح الأخضر) ، واجتمع الأبطال العراقيين النجباء ومحاربى « آذربايجان » أفوياء العزم والرأى بعدد لا حصر له ومعدات وفيرة .

فى شهر جمادى الآخر عام ١١٤٣ هـ ارتفعت راية النهضة تجاه المقصد ظهر (على باشا) قائده جند العثمانيين من القلعة حيث صدرت له الأوامر من الدولة العثمانية بالحفاظ على « ايروان » ، فأغلق جانب نهر « كرنى » بسد حديدى من الجنود فولاذى الجسد ، وجلس ينتظر الجماعة الملكية ، وعبر الجنود الملكيون من النهر (أسرع من السيل) ومال الجيش ناحية ذلك البحر ، فانقلبت وغلبت الصفوف المسدة والألوف المسودة والجيوش العثمانية المجهزة بالمعدات والكثرة بضربات ، وسلب الثبات من جماعة « العثمانيين » بوثبات جلادة الأبطال ، واستولوا على مدافعهم وعتادهم وخيامهم وسلاحهم ، واداروا العنان تجاه القلعة ، بعد ذلك تجاوز الموكب الملكى خارج القلعة بالجمهرة والضوضاء والصياح والعيول ، وثبتوا فى جانب القلعة العربى حبال العتية بأوتاد القلك المليئى بالكواكب ، عندما كان للجنود خيل ذو طبع جامح وعارض ، اشتاق شوقهم لرغبة فتح القلعة ، بعد عدة أيام - بلا حذر وتردد على خلاف طريق الرأى والعقل - ساقوا الخيل الشجاع لميدان الحرب حتى استعادوا زمام القلعة ، حارب أيضا « العثمانيون » من أعلى الحصن وخارج القلعة بالمدافع والمنجنيق ، أظهروا العداوة وبوادر النصر ، فأوسع « القزلباشية » مضيق اليأس ،

وأداروا عين الحظ الملاصق لعين الوجه ، وعاد صقر المراد الملكي حزينا من مصيد العدو صائدا مثل القفاز بلا يد .

مكث العثمانيون هناك فترة من الزمان وأنزلوا اناء حقدهم الذي كان يغلي بالنار المبتدئة بادامة ماء القلب باردة من الغليان ، وصار حشوت القحط وشيوع الشدة علة ذهيمية ، ورجح تحرك اللواء واهتزاز راية العظيم على التوقف ، حيث أنهم توجهوا ل « تبريز » عن طريق « دوقوزيولوم » .

علم (أحمد باشا) والى « بغداد » بالتحرك الملكي ، وتلألاً نجم مقصده من مطلع الفرص ، فتحرك بالجماعة المجتمعة والسيوف المجردة والخيول السريعة العدو ، وكان الموكب الملكي قد توجه ناحية « زنجان » و « سلطانية » بسبب تشتت الجند وتبدد العسكر ، بعد دخول « أبهر » التحق (محمد على خان) حاكم « فارس » بفرسان تلك الديار والجماعة المهيئة .

من هذا المعنى حدث للشاه والجيش سلوة الصدر وقوة الظهر وشدة الأزر ، وحضرت الجيوش المشتتة والحشود المتفرقة ومتفرقو الفرق والمقيمون في المدينة من الممالك القريبة ، وساروا بالرايات المرفوعة من « أبهر » ناحية « همدان » ، وأعدوا في منزل « كرد جان همدان » حراب العراق وعدة التراشق المهلكة ، وزينوا أرض المعركة ومعارك الخصومة .

أولاً ظهر (محمد خان بلوج) بين الجنود الملكية لظهور جوهره الظاهر حكم السيوف بجلاء ، وأظهر بجماعته بداية التصادم والعراك ، وجد بمحض الصدفة والتزاحف المضاعف للضعف والشعر المزاحف للزحف صدى الأبيات الثابتة واجتثاث نظم القول الذي كان بحر الهزج ، (رب عجلة تهب ريثا ورب فروقة يدعى ليثا) .

عندما رأى (الشاه طهاسب) صفوفه المنتظمة متناثرة وهالكة ، وعقوده المنضودة متفرقة ومقطوعة ، دخل « أصفهان » بقلب متفحص للمحن وطبع مغموم وقلب محزون وحال منفعل وخاطر مهموم وروح متحسرة وضمير مضطرب وباطن نائر وصدر حزين وفي الداخل ألم فياض ، ورغم هذا لم يجد أمور الممالك منتظمة وجروح القلوب غير ملتئمة ، وأصبح هذا الضعف بالاضافة للعدل السابقة يد توبيخ جديدة على الرؤوس المحطمة (هو يقرع سن النادم) .

عندما ذاع صيت الشوكة النادرية ، آثار شوك طريق التفكير ، كان أعيان الدولة « العثمانية » يبحثون بارشاد الفكر الصحيح من الجموح الجانح بملاذ التصالح والتنصح ، وفتحوا أبواب الكلام من القيل والقال ، وأبعدوا العداوة العمياء بأظهار التصالح ، بعد ذهاب وإياب السفراء وتحادث وتناقش الباشوات وأمراء الولايات التي كانت مطوية وموطأ مطايا الموكب

النادري ، واستقروا بالدولة البهية الصفوية ، تعلقت قلاع الجانب الغربي لنهر « أرس » بالدولة العثمانية ، وانفلق صبح السلام والصلح بين الدولتين ، بعد انطفاء نار العداوة وانعقاد أمر الصلح ، أرسل حضرة (الشاه طهماسب) صورة كتاب الصلح مصحوبة بعدة أشخاص من الأعيان البارزين للبلاط النادري ، وأطلعته على طبيعة الموقف ، وفي أثناء الاستيلاء على « هرات » التي كانت أعمالها في شرف الانمام ، أظهر سفراء المملكة ادراك الشرف من تقبيل بلاط زحل الأمان .

نظرا لأن هذا الصلح في الحقيقة (أغرب من السراب) بل جسر طرف النهر ، لم يجهده في صدر مجلس الضمير النادري رونق الرضاء ، ولم تضى لذلك النتائج غيره القبول ، نصيح رسل المملكة بترك السلام والمحبة ، وجاء أيضا سفير من جانب وزير « العثمانيين » الأعظم ووالى « بغداد » للصلح ، توقف في الأراضي المقدسة ، أمره بالعودة والاياب بخطاب « أرجع اليهم فلنأنينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجهم منها أذلة » (١) ، أوقفوا حركة الرايات المنصورة وجعلوا مقصود الضمير خاطر الانصراف بهذه الكيفية من الكلام العدائي المقنوت أن فعلكم مد الظل ، وشأنكم شتان وغل ، وصلاحكم فساد وخطل ، وسلمكم جهام غير وابل بل هو أمر لا يبرك عليه الا بل ، ولا يترك هذا النزاع الا بلبس اللبوس والدروع وقبض السيف وبسط الذرع ويحصل بها المطلوب ، ولك وعد غير مكذوب .

بعد ذلك أسرعوا لا بلاغ هذا الخبر للسفير المذكور بجانب « بغداد » وسفراء الملك ببلاط فلك المماس (انما يجزى الفتى ليس الجمل) ، رغم أن عزيمة تسخير « قندهار » رسخت في الضمير المنير لكن بحكم « ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون » ، جعلوا عاقبة ذلك الأمر رهينة « الأمور مرهونة بأوقاتها » ، أعلم وأشار ل « حسين خان الغاجائي » أيضا بمفهوم « انك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم » ، كتب في الرسالة عبارة بمفاد « شحمتى في قلعي » عندها كانت الخيل الضامرة تنوى السفر الى « العراق » ، كان في ميدان ضمير السعادة مضمير الناشط الأبهة بمفاد « شوال عين يغلب الضمار » ، في يوم عيد الفطر الميمون ترك فلك الصولجان الفضة الخالصة مثل هلال شوال لقبة الشمس الذهبية ، وجعل نافة الشمس الأصلية بداية مرحلة سلوك منازل البروج .

لقد عاد عيد والهلال تهللا وبدر الأمانى قد تبليج وإنجلي

تحركت رايات النصر المزركشة ناحية فلك « طوس » ، وفي منتصف الشهر وفي الساعة التي كانت تجعل من نعمة سعادته التامة هلال شوال

اقتباس السرور والعالم من وجهى اكتساب الشرف والحبور ، ودخل
الارض الواسعة والفيضة بالروضة المباركة ، عندما تعرف الملك الهمام
بالهمم العالية على أحوال كل الولايات التابعة لآيران ، حيث أن « تركيا »
و « روسيا » فى ساحة الحراسة ، صمم فى خاطره العظيم القصد وعزم
فى صميم القلب ، فأرسل سفيرا ل « روسيا » لطلب ولايات « دار المرز »
التي كان يخبر فى ذلك العهد عن حالهم (أى الروس) بمملول « انى
وجدت امرأة تملكهم » ، اقترن وصول موكب العظيم للأراضى المقدسة وحول
عريضة السفراء ان سلموا ولاية « استارا » و « كيان » ، وزينوا وكلاء
الدولة الروسية بحلية الجلال والرحيل ، وسلكوا طريق الصلح لكن
امتلكوا « دربند » وباقى ممالك الناحية الشمالية لنهر « كر » وجعلوا
« قلعة آيروان » فى قيد التسخير .

- ١٦ -

بيان تحرك الموكب النادري ناحية بغداد خلد النظام

« والله يدعو الى دار السلام » بعد ذلك بمصداق (الروم اذا لم تغز غزت) ، أعدم عدة السفر ناحية الغرب ، وتوكل بفضل حصن الله « ومن يتوكل على الله فهو حسبه » ، توجه من مقام العزة « لعراق العرب » ، فى السابع من محرم الحرام ١١٤٥ هـ ، تحرك من الأراضى المقدسة لواء نصر البيرق ، توجه من طريق « نيسابور » الى « عراق العجم » وعرش جهم ، وجعلوا صوت حركة الرايات الملكية مثيرة ضوضاء ملك « العراق » و « العجاز » بعد أن استقر الملك بعد هزيمة العثمانيين ، كان يغنى فى العلى والخفاء مع الصعلوك والعظيم لا سيما مع الملك الذى بلا نظير فى اللحن النشاز بحركات خارج اللحن المخالف ، أنزوى (الشاه طهماسب) فى « أصفهان » وأجاسوا الأمير الحسينى النسب (عباس ميرزا) ابنه الذى كان فى المهد صبيا ، وهاد الصبى بحكم و « آئيناه الحكم صبيا » - على عرش السلطنة ، وأسسوا فى أواسط الجدى ناحية « بغداد » شق لواء النصر ، وتركوا الأحمال الزائفة فى « كرمانشاه » ، وجعلوا من ذلك المكان الصحراوى « ماهيد شت » منزل القمر شكل القمر وبرج الحوت فى الدلو ، « أن هذا لشيء عجاب » مقام نير الأعظم ، قسراً الشجاع من الدهشة « انى نسييت الحوت » من خلال منازل البروج ، ونسى أسد الفلك من صولة الأسود شدة حربه ، عندما تقصى الجواسيس « أعدى من الظليم » مسير الجماعة ونعل الأعداء ، عادوا « ركب جناحى نعمة » ، أخبروا أن جماعة منهم فى طريق « طارق كرا » الذى كان قد اختاره العابرون فقاموا لمراقبة هذا بمدلول « من اشتاق أدلج » ومضمون « شمر ذيل وأدرع ليلا » ، وجاء وقت العشاء حيث راج العالم روائح من المسك المسحوق العنبرى الأسود ، ظهر على جبهة سهيل جبهة مثل القمر بمنزل الجبهة ، أسرع فى الليل الخيول كالنجوم المضيئة والخيول السعيدة سالكة صحراء مجرة السعادة (أجود من الجواد المبر) وذهب من خلاف المسير والطريق ناحية « ذهاب » فى تلك الليلة المظلمة أثار العالم من برق بزيق السيف والسنان وغيرة جبل الطور ، وهى ليلة ذات أهوال مظلمة مدلهمة كافرة مكفهرة باردة مقشعرة ، أنوارها بائدة ، أنوارها جائدة ، وذقها لحي ، وجنحها دجوجى ،

وسخها سحج ، وأقطارها دهم ، وصيرها حبيب ، وصيرها مشيب ، لا تفرق
فيها السماء من الأرض « ظلمات بعضها فوق بعض » .

عندما وجد الحافر مثل البدر وسنبك جدوة الخيول الفضية النعل
في أرض الصحراء ذلك الجبل من سعى وجهه وسرعة وخفة ماهية القمر
الجديد ، وانضم ظلام « والليل اذا سجي » بغشاء « اذا يغشيكم النعاس
آمنة منه » ، وهلك أكثر الأبطال مثل أعياد الجاهلية التي بلا أصل ،
وتفرقوا مثل مجموعة النجوم ، وسقطوا على أودية « يجلد في الأرض مراغما
كثيرة » ، « ذهبوا تحت كل كوكب » ظهرت بقية الجيش في ظلمة الليل
وبلا حدود للطريق بارشاد « والله جعل لكم الأرض لتسلكوا منها سبلا
فجاجة » ، وظهرت شعلة « وجعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا » ،
بعد أن وطأ عدد من جنود طليعة الجيش الهضاب والسهول في ضوء الصبح
وطلوع الفجر وصلوا ل « ذهاب » في وضوح النهار ، حيث أن الشمس
كالذهب من بريق السيف البتار ، وامتشبقوا السيف الحاد ، وكروا على
الجش « العثماني » ، وتلازمت أشعة شمس وجودهم مع أشعة السيف
اليمني ، وجعلوا « ذهاب » لارواء السيف الظمآن من بحر الدم ، أظهروا
الأنجم والكواكب في ظلمة التراب والغبار من أثر الطلقات النارية (أراهم
من الصبح الكواكب مظهرا) وحلم كثير من المخالفين بكابوس الحظ ، وأسرعوا
للنوم الذي لم يكن له استيقاظ ، مضوا اليهم الناس ركود والأنفاس خمود
والحراس جمود « وتحسبهم أيقاظا وهم رقود » والسيف أسرار أضمرتها
الغمود ، والرؤوس راقدت على الظهر متكئات على العمود ، أجفان البواتر
نيام في الغلاف والبواتر في الأجفان ، كاشحات عن المصاف والمصاف ،
فقصروا عن الامتناع ، ولم يقدرروا على الدفاع ، وارتجزت رواعه الأبطال ،
وانتجزت مواعده الآجال ، وجالت في مضامير الضمائر ضوامر الأوجال ،
وهالت النوازل بتوازي الأحوال ، وضاقهم الرعب وضاق بهم الرحب ،
المثل السائر أن (من نام عن عدوه نبهته المكائنه) اعتقلوا وأسروا (أحمد
بيك باجلان) حاكم « ذهاب » مع الأصدقاء ، كما قيل (صواب الرأي
بالدول يبقى ببقائها ويذهب بذهابها) بعد ذلك دخل أنحاء « بغداد »
الملك العظيم الأصل . بعد السير لذلك المكان اختار المكان المعروف ب « سيران
تبه » ليكون مقر المعسكر الملكي ، ومستقر القواد ذوى الأساس العالي ،
رفعوا هناك سرادق فلك القباب على قباب الفلك ، عندها تجاوز « العثمانيون »
شط الظلم والوقاحة ، خطر على خاطر الخطير فكرة العبور من « دجلة »
المليئة بالمخاطر ، وقطعوا من أرض نخيل « بغداد » النخيل قطعاً قطعاً ، بعد
انقضاء جزء من الليل جعلوا حمل جمال الناقة لحبل السفينة سير قوى
الخلقة - ومظاهر بدائع « أفلا ينظرون الى الإبل كيف خلقت » عبروا من

أنهار عميقة ، ووصلوا ناحية « ايروان » ، كانوا قد بحثوا طلب السفير
الأجنبي الذي كان يسعى في تلك الأونة لدخول معسكر السماء ، (وهو
يرقم في الماء ويشهد القنطرة بلا أوتاد على الهواء) ، وارتبطوا معا في عرض
يوم واحد .

كانت القرب الكثيرة التي كان تتضارب قرينة برأس غرور المتكبرين ،
وابتلوا بالاستسقاء الزقى عليهم السطح المغلق ، يعنى سحبا بالآلات
الخشبية الماء على الوجه بعرق التعب ، وثبتوا على الأرض من كلا الطرفين
بأوتاد متينة .

بعد ذلك وجدت تلك الحضرة امكانية العبور بأربعة آلاف من الأبطال
رجال المشاة والفرسان ، وقطعت رقبة الشموخ المفقودة جسر مقصود
الاستقرار تحت قدم الأبطال ، وخلط مقارنة تلك الحجر الناعم بزلط
الشفق الأحمر ، يعنى جعل سواد مدينة الشام الظاهر وخاجز طريق عبور
الجنود ، لم يفكر الملك الماهر من قلة الجنود (انه لربط الجأش على
الأغباش) ، انحدر بالأبطال الشجعان ناحية « بغداد » القديمة ، بعد مضي
جزء من الليل ظهرت الأفواج فولاذية الدروع الباسلة حادة الخاطر في درع
جيد ثورته بالصراخ والصياح ، وأقاموا في «ارومية» حيث أن جماعة منهم
في فناء وحظيرة حضرة الكاظمين عليهما السلام ، والبعض في معسكر نصرت
الاحتشام بجانب الشط بغرض حفظ المقام ، وثارت الخيول في المقام الذي
كانت ترى فيها المشاهد الشريفة من كلا الجانبين في تلك المظلمة .

كأن الدجى هيجاء حرب نجومه أسننتها والبرق فيها حسامها
كأن النجوم الهاديان فوارس تساقط ما بين الأسنة هاهنا
كأن سنا المريخ شعبة قابس تلوح على بعد فتخفى ضرامها .

أشعلوا مشاعل الحرب ، تبدل اشعال نيران سيف وسمان الليلة
الظلماء بالنهار المنير ، جعل وقت انغلاق الصبح حيث صياح وصهيل الخيول
ذو الجبين الأبيض شدة ضرب الحرب لا سماع مسامع القلاع ، وظهر الجيش
العثماني بالمدافع ، واستعد للدفاع ، واستقرت صفوف الحرب بالمشاة
والفرسان ، رغم هذا كان الجنود البواسل آيات « بغداد » أكثر من تعداد
تلك القرون ، سحب الملك الشجاع بالقلة القليلة يده الشجاعة من الكم ، ورأى
مصدق « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة » ، وقرأ بسيوف السحاب
المعلم :

بيض تصافح بالأيدى مقابضها وحدها صافح الأعناق والقمصا
ضحكن من خلل الأغمداد مصلمته حتى اذا اختلفت ضربا بكين ما
وبسها م دثل النيازك :

منقفات سابن الروم زرقتهما والعرب سمرتها والعاشق القضا
ما ان رأيت سواما قبلها هملا يرعى فتهدى اليها رعية عجفا

انشغلوا بالقتال والعراك ، وسال من مجرى السيف الدامى نهر دم
مئل « جيحون » فى شاطيء « دجلة » ، جرى الدم من السيف ، وصار خارج
« بغداد » الدم مثل الصبغة الحمراء التى تجرى بدل « نيل مصر » ، وظهر
« نهر دجلة » آخر من السيف فى فضاء الصحراء ، تحصن (أحمد باشا)
والى « بغداد » بعد حدوث هذه المصيبة المنكرة بالقلعة المحكمة ، وجعل القلعة
ملجأ وملاذ العافية ، وقطع جسر الجسارة ، واستولى الجيش النادرى على
توابع « بغداد » وربوع « كربلاء » الأئمة السبع عليهم ألف التحية فكانوا
كالجنان الشمانية تحت السماء التاسعة ، كانت من معارك الحرب وهياج
الجمال السريعة سناهى الريح السريعة أثر الجمال المهرية شمس الفلك وحظ
الفلك الحامل حامل بجانب هيكلمهم ، كل الفلك العظيم وجبل الأسنام وكل
جانب سنم وجبل ضخم روح نموذج الجسر والشط الجارى ، كل واحد
تحت سرج الجمل نموذج من حصن القلعة ، كانت تأتى أجسادهم السبعة
مقترنة بالنجوم السيارة السبع ، صارت ساحة السلب والأموال المنهوبة
والسفن المحملة بالتمر التى كانت تأتى من أرض نخيل « البصرة » ،
كذخيرة لأهل القلعة من ناحية « شط ذخار » ، واختلسوا مذاق الرغبة
واغتنموا فئات المذيق (أصاب تمر الغراب) ، وتسلبوا على جميع الحدائق
والبساتين « مما تنبت الأرض بقلها وقتائها وفومها وعدسها وبصلها » مثل
جماعة الجراد ، وأظهر الجميع الخراب والهلاك وعلامات « واد غير ذى زرع » ،
نهبوا عقارهم فى عقر دارهم ، وضعوا ضياعهم فى بحبوحة قرارهم ،
وارتعوا زرعهم ، وضاقوا ذرعهم ، وأهلكوا حرثهم ، أجففوا غرسهم وخلوا
من كل نبات ، وفرغوها من جميع أقوات - قوات حتى خلالها من البخل
والخمر وجلا جلالها على الزبيب والتمر وما بقى من حمزة الأقصنة فى أفواه
زيد وعمرو ولا جسر فى تربها ولا عجم فى عربها ولا جسر فى الرمي
ولا شلجم للرمق .

وأعدوا بأمر العظيم فى أيام قليلة جسرا ممدودا على « دجلة » ، عبرت
جماعة من الأنجم الكثيرة من الجسر ، وجعلوا مخيم المعسكر المنصور بجوار
الامامين الهاميين ، وحدث فى « بغداد » زمن من الحصار الطويل والقحط
الشديد ، وانتهى احتياطي الغلة والحبوب ، واستحكمت فبدة القحط وقلة

الغلة على أهل القلعة ، واشتد أساس اليأس ، وانسد طريق الرخاء والرخص ، عادت لطمة عسر وجه حسن المعيشة والحياة ، كأن الأهالي في فصل الصيف الدائم والشتاء يتغذون ويعيشون على دم القلب ، وكانوا يشقون الصدر مثل القمح من أجل قرص الشعير ، وأظهروا من الداخل الحار آثار « وفار التنور » ، كانوا يفتنمون أمل خبز قرصى حار وبارد للشمس والقمر ، كانوا يحصون الأيام والليالي ، كانوا يصلون النهار بالليل للحصول على الغذاء ، كانوا يخلون القلب من فقدان حبة البلح الأحمر ، كانوا يكبرون أربع تكبيرات في حب بلح الفرض وبلح السنة والواجب والمستحب ، كانوا يتمنون لقمة طعام الأسد الأحمر ، وكانوا يطبخون خيالات فجة برغبات الطعام النيني ، كانوا يأكلون بالتخيل اللحم المقدود ، وكانوا يتسمعون في طلب الجزر من حصاد مزارع (تسألني براميتين شلجما) ، وكان قوتهم اليومي حساء وحشيش جاف ، كانوا يجدون من شدة الجوع في طلب الطعام ولو بقطعة طوب ، كانوا يصنعون سبه الحنك الذ من حلوى الخشت ، كانوا يبحثون من شدة الجوع حتى ولو من حجر ، صنعوا عصا الفقر ، وجعلوا حجر القنائة لمعدة الطمع ، كانوا يرددون باشتياق أنواع لغلة في شط التعب بعدة حيل ، كانوا يخسرون منازلهم في خانة شطرنج الغم (المحل العيش ومورث الموت) ، كانت قبضة الحبوب التي تأتي لأيديهم – يخفوها في الجيوب – أغلى من حبات اللآلئ ، كانوا يجعلوها حارسا لحياتهم (ان الجوع مانع الهجوع وموت الفوات) .

كان محاربو « بغداد » – الذين هم (أجراً من الماشي بترج) من شوق الحبة الغالية طالبين أرض « ارزنة الروم » ، وصاروا من شدة التوحش متوحشين ، وظهروا مع (أحمد باشا) بصدد الفساد والاعاقة ، وكانوا يشبهون (يضرب الماش بالدرماش) وصاروا في طلب الحمص – ليس هم فقط بل أعزة الملك – (أذل من قيس بحمص) ، وجاءت كل حبة علف في غلائها أغلى من حب العدس الغالي ، وبقيت فتحة الطاحونة مغمومة كالحبة اليابسة ، وسقط الوعاء من القدر ، ووضع الوعاء في حسرة الديك ، وشجع الصدر على النار مشعل القبائل التي كان لسان نيرانها يصل الى زبانا (كثير الرماد) ، وجلس بغم الصمت والحزن (هذا أمر لا يفى له قدرى) وجد دم وجه الوجوه من غم ماء الشعير وجز الشعير والردة ، يعني لم يجد خبز الشعير حبة من نفس النوع ، لا يمكن القول بأن كل طائر وحسن ، وسقطت بيضته بالمقدار الذي يمكن سماع صوت الصباح والديك من الدجاجة (أخرجوا بيضتهم) ، واختار قدم العدو من المضغ والقضم الى حد القشل ، ألقت جماعة يومية بصورة الفقر طريق الهروب رويدا رويدا عدم قدرة المفلس في طريق الله القائل لهم من حض الخروج ، دخلوا

وعسكر البصر أثر « وفي ذى مسغبة » من موائد (ألد من السلوى) بدون
 من التوفيق والحظ ، اختار كل واحد طريقه « يتيهون في الأرض » ، وكانوا
 يفرون (أجري من السيل تحت الليل) ، كانوا يلتقمون لفم الحلق
 المحترق من الرصاص المذاب « لا يأكله الا الخاطئون » ، كانوا يشبعون من
 الحياة (رب أكلة منعبت أكلات) ، الحاصل أن أهل قلعة « بغداد » الحربة
 - أفسد الخراب حالهم - (أرعن من هواء البصرة) ، وصاروا في هم شديد
 صباحا ومساء نقص القوت الغذاء ومات بعض أهل دار السلام من شدة
 الجود بذل أساس الحياة ، وكتبوا (أهل السلام مرد) بهذا على لوح
 التصريح ، وعد (أحمد باشا) المسكين في تفويض ذلك المعقل فلك الأساس
 حتى آخر شهر صفر « وها نحن مؤخر الصفر موعدا السحر » •

- ١٧ -

بيان الحرب مع توبال عثمان باشا قائد الجند وحدوث خلل في الجيش بعد الفتح بتقدير الله القدير

وانكشاف مدلول « غلبت الروم في أدنى الأرض ، وهم من بعد غلبهم سيغلبون » عن دولة فلك صولة « العثمانيون » ، اشتهر (عثمان باشا) الصدر الأعظم السابق الذي اصيب برصاصة في حرب الفرنجة بسبب ثباته ، بـ « توبال » أى الأعرج ، كان قد أمر بقيادة الجيش تجاه « بغداد » في أثناء هذا المقال وظاهر هذه الأقوال ، وصل خبر وصول الباشا المذكور من ناحية « الموصل » المتواصل ، وحدث لقلوب أهل القلعة الخائفين من هذه البشرية المرغوبة سكون وهدوء ، وأظهروا وفاء العهد لرئيس من رؤساء التمرد ، كان يسير (عثمان باشا) على ساحل الشط مثل الطرة المجمعة ، كان يريخ القلوب الواجلة ، كان يسلك طريق الاستبطاء بقدم (يقدم رجلا ويؤخر أخرى) .

تبختن اخفاء لما فيه من عرج وليس له فيما تكلفه فرج
في وقت العشاء ظهر بجيش مرتفع المعنويات ، راغبين في القتال لمقابلة طليعة جيش الملك كريم الأصل (وفي الظهر جاء بالعصر) حيث أن أفواج الأبطال تصادمت وتقابلت وتلاقت والتحمت ، كالوحوش الكاسرة .
صقور على اثباج جرد عوابس وأسد اذا ما كان يوما نزولها
بدأوا الحرب على نغمة حرب مخلب ويله الاقتحام والخطاطيف البراقة الحادة ، كان نفس اليوم الذي هو السادس من شهر صفر بشاطئ نهر « بـط » (كصقر صاقر يلاقى البط) وطاروا بمخالب الهمة وأسنة مخالب الجلادة ، فرقوا جماعات ومقدمة الجيش « العثماني » ، وحطموا الأعناق والقلب والجناح والأطراف والريش والمكانة والعضد « وكل انسان الزمناه طائره في عنقه » .

وتدرى سباع الطير أن كماته اذا لقيت صيده الكماء سباع
تطير جياعا فوقها وتردها طباة الى الأوكار وهي شباع

آمنت الجماعة التي هي في صحراء الحرب من يد أمير القهر ، وبدأوا
الهرب من نفس دار القتال بالنعم والحزن ، وهرب جميع القواد «العثمانيين»
لطريق (الأوب أوب نعام) ، جزم قائد الجند عندما التقى الفريقان كسر
طائر الأقبال ، وعلم علامات الجين والخسة من جبين جيش الخنس ، كانوا
قد وافقوا بقايا طلائع الجيش ومتمردى السرايا الذين كانوا في موقف
المساندة في الحرب ، وأنزل الخيام بنفس المكان المتصل بالشط ،
وارتبطت أطراف معسكره بأبطال القنص والمدفعجية الشجعان ، بعد ذلك
انشغل الجناب مع جماعة المشاه الذين اعتادوا على شرب الدم انشغلوا
بالنزال والمبارزة ، امتد وقت الحرب وزمن الطعن من العشاء حتى العصر ،
واشتدت الحرارة في هذه الصحراء المقفرة الى ما يفوق الحد ، بحيث أن
استوى الحوت في الشمس ، وعين الشور ظمأى من رغبة أسود غابة
الحرب .

وهاجرة حرها واقصد تصيب لحاجبها حاجبي
تلوذ من الشمس اطلائها لواء العزيم من الطالسب

جعل ضياء الشمس صاقل مرآة الدنيا كذلك صوت الحرازة ، ان لم
يتصور من ملابس الحرب الجسد العنصرى والقالب المادى للأبطال الا صورة
الموت ، وجعل الشمس القاسية من نفس نوع الجود وكبد السماء بالنار
الساخنة ، حيث أنه لم يظهر حجر تحت سنابك الخيل ذهبية النعل
الا الفضة المذابة والمصبوبة ، كان يبرد سهام أشعة الشمس في ذلك
الهواء الساخن حديد ساخن في صدر الأبطال ، كانت تستخدم أسنة
السهام الحمراء في الأجساد البيضاء للسياح لعل حلقات الدروع ، كان
يظهر للوجه من لوائح السموم المتعاقبة حرورة «انها لظى نزاعة للشوى» ،
كان يتحدث عن هواء المياوى وماهية صحراء الهاوية .

« وما أدراك ما هي نار حامية » ، كانت تهدأ برودة ذلك الشخص
الذى كان في تلك المعركة في ظل حائط العدم ، هنيئاً للمبارز الذى يتطهر
في ذلك الوادى من الماء الجارى .

- تصبح الشمس يا قوتية من نور ضيائها
- ويصبح قرن غزال الصحراء مثل الخلخال النارى
- لا توجد سفينة الماء من هواء نار الطبع
- صار جلد السمك الناعم في مسام سمك دال .

فى عين اهتزاز الهواء الحار وحرارة الصيف الشديدة التى لم نجد الماء الا فى حد السيف انتهت طاقة الأبطال مثل عطشهم ، بل لم يبق ماء فى عين الشمس ، وجف اللسان فى فم الخيول الراكضة وصار مثل السنان ، وتخلفت عن العمل قبضة المحاربين الياقوتية عن استعمال سيفها شبيها بالماس بلون قبضة المرجان ، ذاب الدرع القصير فى الجسد والترس فى البدن من شدة القيلولة والهواء الحار ، وأصبح ذلك الجيش الثائر مثل القلب الظامى من آفة أشعة الشمس المضطربة ، ووضع الأبطال القاب على الموت من كثرة اضطراب ميدان القتال ، وأصبح الأبطال الذين كانوا من سيفهم اللامع رغبة العدو المشبع بالماء من جفاف الحياة المنفرة ، الأبطال الذين كان يذوب السم فى أبدان الأوباش المقهورين من هيئة هيبتهم ، كان خيال الشيخ والشباب يتضاءل ، كان العطاش يشربون من ماء الحلاقة والسيف البتار (سقوا بكأس حلاق) ، واضطرم نار جماعة ومحترق القلب من شدة العطش بضوضائهم بذلك الخضم ، وشبعوا من نهر السيف البتار ، وسقطت جماعة الظمأى والعطش مثل السمك فى الشبك ضعفاء (أعطش من حوت) ، اتجهوا مثل الماء ناحية نهر « دجلة » ، اشتعلت واضطربت نيران العراك والقتال فى ساحة الالتحام والصلام وحومة الاضطراب والاضرام ، وانقطعت حبال تثبيت الصبر ، واشتعل وارتفع الغليان فى الصدر والقلب ، وتحدث الحرير والنسيج تحت درع الحديد من الكرة الحديدية .

رب يوم هوأوه يتلظى فيحاكى فيؤاد حب متميم
قلت اذ صك حره حر وجهي ربنا اصرف عنا عذاب جهنم

كلام مختصر بمدلوك « كل شرب محتضر » ، أحياناً كان الإبطال يحتضرون من حد السيف الحاد ، وأحياناً يطلبون من السيف البتار شربة ماء ، كانوا يعتبرون العرق الذى يسيل من عروق الخيل ماء حياة ، وجعلوه أساس الروح ، وكانوا يبللون الحلق من الماء الذى فى سن الخنجر الحاد المقوس ، كانوا يخافون من غم عطش ستقف الخلق ، ظهر فى ذلك اليوم الشديدة الحرارة آية « يشوى الوجوه » من جبين عظماء الجيش : وماتت جماعة منهم فى أماكنهم من شدة الرياح الساخنة ، « فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم » ، وانتهى عمر الساقى فى مجلس ذلك الهواء الحار ، كان يحدث شدة حرارة شراب الموت ، حتى سقطت جماعة الثمل فى التراب (وردوا مياه عطيش وحياض غثيم) .

كلمتا جاء السهم الصلب وطالع الخوف المغتنم ومرامى المراد وأمل
 « العثمانيين » أولا على الأرض (فاز بالسهم الأخيب) ، صار مثل السهم
 الزاحف والجابى بشدة القاء الفلك ، ضعف ظهر القوسين ضارب (رمية
 من غير رام) حيث أن (مع الخواطيء سهم صائب) ، كان يفوق سهم عمل
 الأبطال المخيف الذى فى قوس التفوق (هو أعلاها ذا فوق) ، وصار
 القوس المنطلق وعين مقصد الجيش المنتصر ذو الأظافر ، كما قيل (أهل
 الحرب والجدل بين الحرب والجدل) ، وصار ظهور هذا الحال فى سياق
 وثاق رباط سباق مضمار الجلالة (شخب فى الاناء وشخب فى الأرض) ،
 وبمضمون (الحرب سجال) اشتغل بعض أسود الصولة فى ارض الحرب
 الواسعة بالمواجهة والقتال ، انشغلوا بالاستطلاع ، وانتقل البعض من
 المواجهة للالتحام والقتال ، وفى الحرب كتب الأبطال على صحيفة الوجود
 كتاب الهزيمة بضر باتهم ، وقال القضاء على حال الأبطال مفاد « لقد جئتم
 شيئا اذا » ، وخلال ذلك الكر والفر فترت الهمة الفريدونية ، وألقى على
 حكم تقدير خيل درع اللباس الملكى الذى من الركاب المحكم لحام الشمس
 الذهبية على صهوة جواد الفلك على سبيل الزينة ، وتقابل (نادر شاه)
 بشخص ضخم من المشاه « العثماني » العصاة ، فسقط تحت قدم الملك
 القدير ذو الدراية السكندرية (ان الجواد قد يكبو) ، وهبط جنباه على
 الأرض من السماء ، ونزل من لحام الخيل الملىء بالجواهر جبل ضخم ،
 وعاتب الفلك المزركش على هذا الغرور الوافز ، وكان يلمس التاج مثل
 الشمس من فرق الفرقدن الذى وضع التاج بدلا من القلنسوة ، قبل شفاه
 الأرض ووشاح ترايب أتراب التراب ، الغلمان الذين كانوا مثل السعادة
 والاقبال صاروا حلقة بأذن الركاب ، ووضعوا القلنسوة والتاج على رأس
 ذلك السرور ، كان الجواد الخاص يتقدم مع الجياد التابعة الأخرى ، تلك
 الحضرة التى كانت ذكاء حائر من حقارة الفلك ، وظهر مرة أخرى بحراسة
 الاقبال على ظهر خيل جبل الهيئة ، وواجه الخصم ، وانطلقت عليهم
 الأفواج الخيرة بالسيوف المجردة ، وقتلوا عدة أشخاص من « العثمانيين »
 بأسنة السهام وحده السيوف القاطع وبنبال الأبطال الملقاة فى ميدان القتال
 « فراغ عليهم باليمين » ، وسار بالحصان السريع أخف من رياح الشمال ،
 وأخلى الوجد من العيش الهانئ والخيول ، أصبح الزمان الذى فيه جماعة
 سلطان العصر يعنى الشمس قريبة الافول وسيف الأبطال الفولاذى مفلول
 من الحرب والضرب ، وهزم الجيش الذى أغلبه أسود الصولة ، وقصت
 ذؤابة العزم وانعطف عنان الخيل من ساحة الحرب ، واتجه ناحية « بهريز »
 مثل الماء الجارى (أب وقصح الفوزة المنيح) *

لاخير فى الغازى اذا أب سالما الى الحى لم يخرج ولم يتجدد

رحل أهل المعسكر أيضا من جانبي الشط ، وانضموا لموكب العظيم ،
 رأوا وقت السحر أن « عثمانى » « بغداد » مستعدون بالسهم والعداء فى
 « بهريز » ، فأعتدل مزاجهم وصاروا مثل فوج الذباب الذى أسرع تجاه
 العسل أو مثل الخيل الذى أسرع هاجما على وعاء اللبن ، وفرحوا من
 التقاط الحب والسنبيل والغلة والزاد المتبقى على الأرض من معسكر الملك ،
 وانشغلوا بالحمد والثناء « الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف » (اذا
 أخضب الزمان جاء الغاوى والهاوى) .

(١٨)

بيان توجه الموكب النادرى للمرة الثانية ناحية « العثمانيين » وقتل (عثمان باشا)

« ان فى ذلك لعبرة لمن يخشى » ، بعد ذلك قدم شتات الجيش الشجاع الشكر الجميل ، وجاء جمع الأثنيات والمتفرقين « من كل فج عميق » ، والتحقوا بركاب العظيم ، وحفل زحف النصر بالخائفين والمستئين والمضطربين (من كل حذب ينسلون » ، وظهروا بإشارة « وشاورهم فى الأمر » فى منزل « مندليج » للهجوم والقتال بقله كلام المشاورة وحسن الحديث ، وعقدوا مجلس مناقشة وتفاوض وجلسة تباحث وتشاور ، وفتحوا أبواب الأمل أمام الأبطال بمفتاح بشرى « فأتاكم غما بغم كيل تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم » .

وليس الفرار اليوم عارا على الفتى اذا عرفت منه الشجاعة بالأمس

رأوا شمة وجد الجيش وطلب تقوية الجند الطموح ، ورأوا لو أن الحصان السريع لطم الدولة على الوجنتين ، يصبح موجب تفتيت وتحطيم الجنود القاهرة ، وانكسار وتصدع الشوكة الباهرة ، وسقط باعث الهبوط من قمة العظمة من فوق الحصان الضخم وصارت دواب وأموال الجنود فى ميدان الحرب والقتال عرضة للسلب والنهب والضرب والطعن ، لكن بتأييد الله القيوم كان عوضه بأضعاف مضاعفة (ان ذهب غير فعير فى الرباط) .

فيوم علينا ويوم لنا ويوم نساء ويوم نسر

أوصل القواد الشجعان للحبيب والصدى عرض :

لك الخير أبدا الدهر ما قد علمته	ومالك فيه والتوغل فى الغم
تهاد بما تهدى وبت متسليبا	فقد طرق السراء فى ليلة الهم
مكانك ما تدريه من أنق العلى	فخذ مأخذ الأقمار فى النقض والتم
فما أعقب السبك النضار مهانة	ولا حظ ميل النجم عن شرف النجم

حيثما ضرب الملك مزين الدهر غزاة الممالك كانوا يحضرون خيلا من الحدود الأربعة لآفاق الأقاليم السبعة ، صار بصحبة التوكل لجام الهمة على ظهر مركب الفرس الشره والسيف الحاد على مفرق الغنيمية غير الطاهرة من المنتصف .

السيف والخنجر ريحاننا أف على النرجس والآسى
شربنا من دم أعدائنا وكأسنا جمجمة الرأس .

بعد دحر الفتنة والثورة ، وإزالة آثار الوحشية من الجيش ، قوى الجأش بغرض القتال والعراك ، صارت (همدان) فى ٢٢ صفر مقر الموكب المنصور ، وصدرت الأوامر المطاعة بناء على حكم « أعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل » ، ومشتملة على أمر « انفروا خفافا وثقالا » ، ومنطوية على قول (هذا آوان الشد فاشتدى زيم) ، أشار الى أن من الولايات الواسعة ركبت مدافع فلك العظمة على مركب رقبة الفارس ، وحمل بقدر الكفاف البارود على ظهر الناقة وأوصلوه لـ « همدان » ، أمر بجمع العساكر الكاسرة والقساور القاسرة ، والبواتر الواطرة ، وتعتيد البيارق البوارق والفيالق الفوالق ، والمخاريق الفوالق ، والفوارس الفوالق ، والأفراس السوابق وآلات الرواعد والصواعق ، والمدافع الحواريق ، والمناسف الخواريق ، والمقاليع السواحق والمقاريق والمطارق والمقامع والمحاق .

بعد أن احشد جماعة أسود الصولة وخاصتهم بهدف دفع العدو الملتوى الأفعال ، واتجمع فى ذلك المكان الصبحية والجمع من ليوث العربى وأعمدة القتال ، وحرص على التألف وجمع الأبطال الشجعان واختيار أفضل الجياد والاجناد ، وتحديد وجمع الجماعة المجتمعة والاستعداد بأبهة لا تحصى ، فى ٢٢ ربيع الثانى يوم السبت بعون الأحمد الذى بلا شريك ، رأوا بجيش شجاع الجماعة من صوت الخيل السريح حدة عنان آثار الدهشة على قلب الشاب والشيخ .

خميس لشرق الأرض والغرب زحفه وفى أذن الجوزاء منه زمائم

تحركت جماعة المتلازمة بالنصر بعزم حازم ورأى جازم ناحية « كركوك » ، قد حرك أبطاله وطلابه ، وسحب على وجه الأرض سمحابه ، ونقل من الثرى الى الثرى ترابه ، وأطار الى النسر الواقع من الغبار غرابه ، وقد فض فضاض الجبال من تصادم جنه المقدام ، ومن سطوع القتام اشتبه على الناس انه قسام يوم القيامة وشدة الشدائد كتبت الكتب على حمام

الحمام ، وحننت ضلوع الحنايا من الأحنة ، بإصابة صوائب السهام فصار
اليوم كالليل عجابا والليل كالיום ابتلاجا • وكان لسان الدهر يقول •

ضاق الزمان ووجه الأرض عن ملك ملء الزمان وملء السهل والجبل
معطى الكواكب والبيض القراضب وال جرد السلاهب والعسالة الذبل
فنهض فى جندل الروم فى وجسل والبر فى شغل والبحر فى خجل

جعل قائد الجند بحسن حصافة الحس اصرار فى المقاومة ، ودارت
آلة الحرب خارج دائرة « كركوك » بهدف آخر ، يعنى أعطى الظهر للعائط،
أرسل الفوج الذى كان فى مقدمة المعركة وخلف قوة الجيش لمعركة الحرب
والقتال •

خرج من البلد رجال الى الموت عجال ، فتلاقوا يسلام السلام ،
وكلام الكلام ، وتصافحوا بالصفاح ، وصفحوا الكفاح ، وتواصلوا بالقواطع ،
وتعانقوا بالمقامع ، وتسارعوا الى المواقع ، وتصارعوا فى المصارع ، تنازحوا
وتنافحوا ، وتكادحوا ، وتكافحوا ، وتواقحوا ، وتقارعوا ، وتقادعوا ،
وتناجزوا ، وتناحروا ، وتعاقروا ، وتنافروا ، وتناصلوا وتناضلوا ،
وتجالوا ، وتجلدوا ، وتجلدوا ، والبيض نقد ، والرماح تخللت ،
والقلوب تمللت ، والصدور تقلقلت ، والآكباد تملدلت ، والأحشاء
تجلجلت ، والأجسام تخلخلت ، والطعنات تكاثفت ، والصفوف تخلخلت
والمنصل الصادى يصد وبالدم يروى ، ومقداح الحرب فى قدح حزب الخصم
يقدح ويورى •

فى النهاية انعكست فى مرآة السيف العروق المفتوحة بصورة
الشاهد المطلوب لقائد الجند فى مرآة الحصول على صورة ، يعنى جاء
أبطال ساحة القتال بمساعدة الاقبال بضربات العقل المشوش ، سحق
المحاربين الأعداء فى ساحة القتال ، تعرضت جماعة من العثمانيين لسيف
عدم الأيسف ، وسحبت بقية الخيول لساحة الفرار •

اغتنم قائد الجند جوهرة الحياة الغالية ، تدهثر برداء التفكير ،
وتحصن بحرز الأمان ، انثنى عن عزمه بصوت تحذير (اياك وصحراء
الاهالة) وبمضمون « وأوجس فى نفسه خيفة » ، ذهب بالرائى الضعيف
ناحية الخوف ، أصبحت صلابة نخوته مقترنة بالضعف والقذارة ، سحب
الرأس لجيب الاجتناب ، ذهب للقلعة ثم كتب رسالة مثل الثعبان الأرقم
كلها سم باسم قائد الجند الذى ظهر من خطوط حركته رسم (جاء بالرقم
الرقماء) ، أمر بأن يصل ذلك الحكم رسالة واحد الأسرى بحكم « أذهب

يكتأبى هذا فألقه اليهم » ، دعى قائده الجند لميدان القتال ، وأشاروا لهذا الموضوع فى مضمون رسالة •

فان باشر الأصبجار فالبيض والقنا قراه وأحواض المنايا مناهله
وان يبنى حيطانا عليه فانما أولئك عقالاته لا معاقله

حدث وقت العشاء أن ترك ضياء مقدمة الجيش بياض خوذة القتال.
وساحة الفلك ، موضع سيف الشمع فى غمسه ، وأصبح الملك حسن
العاقبة مثل أسد الغابة المنحدر للأدغال بمنطوق « جعل لكم الليل لتسكنوا
فيه » ، كانوا قد تنعموا بالحياة المرفهة ، « ولا تمار فيها » ، استقلوا
واستقروا مثل الجبل الصغير الذى خارج قلعة « كركوك » ، ذات يوم وجد
كتف فضة الفلك الأعلى البيضاء تزينت بسرج الشمس الذهبية الساطعة ،
ظهر بجماعة (بهرام) وصوله الأسد على ظهر الحصان العنبرى السرج ،
ونشرت قلوب الأعداء مع السهام العابرة مسك الجراح ، وجعلوا يوم
المعركة عليهم ليلة مظلمة ، ولم يكن فى وجه أمر قائده الجند مثل الصفاء ،
لم يجيبه بملء الأحواض المليئة بالماء ، وطبق مثل (لا أفعل ما غرد راكب)
من ضعف القوات من القوة ، الملك مقيد العدو قاتح الممالك بعد ظهور هذا
الحال أسر رقبة أسود ساحة الوغى بسلسلة المنع عن الاغارة ، هاجم عدة
آلاف من قبيلة « بيات » بالبنين والبنات الذين كانوا يسكنون ويقيمون
فى تلك النواحي ، وأظهروا فحواى « وكم من قرية أهلكتها فجاءها بأسنا
بياتا » ، بعد ذلك استيقظ العدو بقلب يقظ بإرشاد العقل المحكم من
ناحية « سور داش » التى كانت تتميز بكثرة الغلة والحشم ، لم يكن نجوم
الفلك المقيمون فى الخيمة السوداء فى تعداد عشر عشير عشيرته ، تقدم
طريق الانهزام ، سخر قلعة « سور داش » ، وصارت قلعة « جولان »
منتزه خيل الجيش الفيروزي الأثر ، وخزنت غلال تلك الأرض فى طريق
« بغداد » ، وظهرت جماعة من أبطال ساحة الشناب بهدف الاغارة على
الأنحاء والجوانب على كتف خيل الجلادة ، وأغاروا بالخييل والجمال من
الأطراف ، وأصبحت كل أطراف تلك الحدود عرضة للنهب ، ودخلت جمال
كثيرة وأغنام وفيرة من سفوح الجبال وأواسط القرى بحوزة الاستيلاء ،
لبس أكراد « بلباس » لباس الطاعة ، وأطاعوا ، أمر الفلك المطاع ، أثناء
هذه الأحوال وصل لمسامع معتكفى بيت الله الحرام حلال وصفاء مدخرى
مروة الجلال ، وبطن ظهور الفتور فى هذه الناحية تقدم وظهر الخيل
الأصيل النشيط فى ميدان حربه ، أسرع عشرون ألفا من الجيش الجرار
بقيادة « ممش باشا » على التوالى بصورة فرق ودوريات للعراك والمواجهة ،
وجاءت تلك الجماعة فى مكان معروف بـ « آق در بند » - الذى يقع فيما بين

جبلين شامخين - ، واستقروا على قمم الجبال ، وانشغلوا فى الكمال من
جهة الأمن والاطمئنان بالتجسس ، جعل الملك المنصور النهار فى منتصف
الليل المظلم مع جماعة من الأبطال المهرة من سرعة طبقات الخيل طبق
« والقمر اذا اتسق لتركبن طبقا عن طبق » ، أضاء قمر لواء شمس ساحة
ضياء الفلك المطبق ، وصاروا بصحبة ركاب البخت العالى بالنصر وحسن
القال على الخيول المسرعة بجمال وجه عفرته المهابة (انه لحديث التوالى) ،
وصار الراكب على جناح السرعة سالك طريق وادى الحرب والقتال ،
ارتفعت من خيول مراكب النيران الملتهبة السنة نيران جبال وفضاء العالم ،
تراكم اللهب بحده فائق بحيث أنه كانت ترى النجوم المشهبة فى تلك
الليلة مثل الكحل من عين الظلمة الناعسة والمكتحلة .

كان نجوم الليل خافت مفارة خمدت عليها من عجاجته حجبا
وارتفعت من أقدام خيول القواد البواسل أعناق ريح الغبار على
السما ، كان يجد للظلمة الملونة بمائة لون من ثقب عين الانطباع ، كانت
تشبه جبل المسبحة .

تسبجت حوافرها سماء فوقها جعلت أسنتها نجوم سمائها .
إذا لم تمنع أشعة سنان المحاربين سمعا أمام طريق المجرة ، لما حملوا
أثر كواكب السحب المقطرة لمنزل الأفق حتى صبح الأبد .

عم السماء النقع حتى كأنها دخان وأطراف الرماح شرار
ولو لم يشعل مشعل بروق السيوف البراقة فى ساحة الدنيا
لما خرجت خيل الكواكب من تيه الوله حتى يوم القيامة .

فكنت سماء والعجاج سحائبها وخيلك أبراجا وجيشك أنجما

مع أنه جعل مكان وزمان سواد الجيش المنصور مكان ظلمة الليل
الداجى ، لكن هاجمت عدة ألوف من الشموس والأقمار المضيفة من صورة
الدروع المتلألأة على ساحة الأرض وساحة الأفلاك .

وقد أطفأوا شمس النهار وأقدوا نجوم العوالى فى سماء عجاج

عندما قبل من آثار غبار الخيول السريعة عين النجوم أضواء فلك
الغبار ، لكن رأى غبار تلك الأرض بتأثير قدوم الملك فى الأنظار حكم كحل
التراب .

أما الغبار فانه مما أثارته السنايك والجومنه مظلم لكن أنارته السنايك الذى حدث فى تلك الليلة أن خيول الأبطال كانت تسلك مصباح الصدق من شدة الظلمة ، كان يصنع خاطر المحاربين برغبة الشمع من حجاب القلب فانوس الخيال ، بعد انغلاق الصباح وانبلاج ضوء الصباح ، وصل المحاربون الأبطال بعظمة تامة لبلاد « آق دربند » ، وسار المدفعجية مثل المريخ مرتدى الحرير المدبج ومطلق الملابس حديد كسوة « كركين » حقد وحيد القرن على الديك وأرسلوا من كلا الطرفين الجبال العالية والوعرة وأعالى الجبال ، أظهر الفرسان الحديد والملباس ما ضغى الغولاذ فحوا « زبر الحديد » ، وأظهروا أحكام الأطراف واحاطة الجبال وقممها ، وحاصروا « آق دربند » ، فى نفس الوقت أنارت الشمس الباهرة الساطعة من تلك العظمة من أعلى جبل كوه الأفق وتلال التراب وهوة الأرض ، أضاء أيضا نور لواء الشمس المضيئة فى بدء السطوع وظهرت أشعة الشمس ، ولعت شمس عالم ضياء الطلعة الملكية أعلى الجبل والفضاء ، واستيقظ « العثمانيون » من ثبات الغرور ، ورأوا الأجل وسادة والنهار السعيد مقترنا بظلمة الليل ، فلما رأى الشمس بازغة « رأى الكواكب ظهرا » ، لاجرم اتجهوا من ناحية سرعة المصارعة ، واستعدوا للمعركة والقتال ، لكن قائد الجيش لم يتخيل بعد ارسال تلك الجماعة أن الملك حسن الخصال وقت الانتصار يرمى بالسهم والسيف الحاد وخطف الخصل من عظماء العالم وهرب ، وفر (ممش باشا) نادما ، وانشغل مع فوج أبطاله من ناحية التكبر بسن السنان واصلاح للرماح واحماء السهام وسن السيوف الحادة بهدف أهلاك وقتال عدو طريق الخصومة باقدام (نزيق الحقائق) (أسرع من البراق) ، وتحدث لسان حاله فى ميدان الشرف للحرب والجندال بمقال :

إذا ما غدونا قال ولدان أهلكنا تعالوا الى أن يأتينا الصيد يخطب

جلس على جواد العزم المهيى وفيل الحرب ذو العاهات ، وأصدر (ممش باشا) أمرا بالقتال ، وأغار بجيش به القوى والضعيف ، وكان رسول « آق » قد ذهب هامينا فى أذن الأجل :

الى حتفى سعى قدمى أرى قدمى أراق دمي

وفى أثناء الأخذ والرد ، ظهرت مقدمة الجيش (النادري) من ناحية « كركوك » ، وآثار هجوم جماعة (بهرام) الحرب غبارا كثيفا على الفلك ، ولم يفقد أبطال العصر الاستقرار فوق العنان ، وأظهروا الثبات فى الحرب

(رباعى الابل لا ترتاع من الجرس) ، ورأى جنده (ممش باشا) أنفسهم فى مهبط الاضجملال ، فلم يجدوا بمكان المجالدة والحرب فرصة للمحاولة والمنورة ، وتحركوا لحدود وسهول وتلال الفرار ، وفروا ناحية الهزيمة من بأس الأبطال أسود الصولة ، وفقدوا الزمام ، وأداروا الوجه من ساحة القتال ، ذهل قائده الجند من مفهوم « لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت رعبا » ، فسند الظهر على وسادة الاطمئنان فأسرع للعرش .

عندما رأى الحصان الحاد القدم « شبرنك » (١) والجواد الأبيض العاصى هذا الحال المتقلب لأيام هادى الطبع صاحب ربابة النصر ، وجد اليد والقدم عرجاء وعرجاء والصحرء مليئة بالأفاسى ، اقترح على الجيش المذكور والجنود المصفوفة الانسحاب والعودة ، وجرى بسرعة الروح من العرش ، وانتسب لثقل (الفرار بقراب أكيس) وبذيل .

أقاتل حتى لا أرى لى مقاتلا وأنجوا اذا لم ينجوا الا المكيس .
هرب على عجلة بسرعة الخيل السريع ، لكن قيدت عقله الغفلة عمله ، أمسكت قبضة القضاء عنانه ، وحدث مصداق « اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة » . يعنى وصل اليه فى نفس الأرض الموحشة (الله يار) البطل المشهور من قبيلة « كرايلى » ، بسط اليد العليا ونزل من فوق حصانه (أخذه أخذ سبعة) ، وجعل رأسه على قائده السنان مظهر معنى القيادة ، وبهذه الجلادة رفع رأسه عاليا وسط الزملاء كما قيل (عند الأوجال تتفاضل الرجال) ، وأسرع لدار الفناء عشرون ألف جندى من الجيش البعثمانى من حد السيف البتار ، وخلا ميدان القتال من وجوه أبطال العدو ، (يوم بيوم الخفض المجور) ، بعد ثلاثة أيام تحرك لواء فاتح العالم من ذلك المكان قاصدا نواحي « كركوك » وأمر جماعة بالاتجاه لتأديب عصاة المعازل ، وهاجموا كل خراف وعنز ونعاج ونوق وعجاج تلك الناحية ، وجعلوا ضياع وعقارات تلك المملكة عرضة للنهب ، والأهالى آكلة الكلاب العاقرة والضبايع ، انقلعت كل قلاع تلك الناحية واقتلعت وسائل تلك القلاع .

ووصل فى ذلك المسير بالسرى ، وسال بسببول خيوله رمال الوهاد والذرى ، وسرى ، السرية وأمرها بالغارة على الغرة ، فغلوا الجمع ، وجمعوا الفل ، وحلوا العقد ، وعقدوا الحل ، وحملوا على القلاع ما اقتلع من القلاع ، ورجعوا منصورين الى حضرة السلطان المطاع ، بعد الاغارة على « كركوك » مرة أخرى ، حرضوا الهمة مرة أخرى ناحية « بغداد » ، وألقوا القلعة بمضيق الحصار ، ودخل (أجمه باشا) من باب المعذرة ، صار متكفل

(١) اسم حصان سياوش .

تفويض الولاية المتنازع فيها ، أظهر بقانون الدولة العثمانية أوامر مزينة بالخاتم السلطاني ، واصطحب ثقاته لدى الباشوات طالبا أن يجعل «العثمانيون» عاجلا لا آجلا ، وإخلاء القلاع وتسليمها لمدوبى دولة العظم مظهرا .

من الحق أن يجتابها مستحقها وينزعها مرد ودة مستعيرها إذا ملك الحسنة من ليس كفورها أشار عليه بالطلاق مشيرها

فى سلالم هذا التسليم وصحارى هذه المحادثة حدثت قضية (محمد خان بلوچ) ، صار مانعا لطريق الطلب وحائلا لحصول المطلب .

(١٩)

بيان طغیان (محمد خان بلوچ) وخاتمة أمر ذلك المغرور سيء الحظ

« ان الله لا يحب كل خوان كفور » كان (محمد خان) المذكور وسط قوم (البلوچ) (١) منذ بداية الحال قد أظهر سوء آية وخال وجه الغواية ، فى نفس وقت استيلاء « أشرف » ، ارتقى بواسطة مساعدته لمراقى الدولة ، وذهب من جانبه بهدف السفارة لبلاط شوكة المدار العثمانى ، بعد اعتلاء راية الدولة النادرية وتسخير « أصفهان » ، عندما لم يتمكن من سلوك الطريق ، أدار وجه الالتجاء والملاذ لهذا البلاط ، تطيب من رائحة الاحسان الملكى الطبية التى تطيب مشام الأمانى ، كان يظهر فى الظاهر مظاهر المحبة والمودة ، لكن فى الباطن كان يبطن الحقد والعداوة ، حيث كان معروفا ومميزا بعلماء سوء الخلقة والطبيعة ، كان يتحرى طريق المخالفة ، مثل الحمار الذى كان يفضل شم رائحة الفضلات والروث ، فى نفس الوقت الذى توجهت فيه ألوية الجنود ناحية « بغداد » ، أصبح حاكما لـ « كوه كيلويه » (٢) ، مسكا بزمام الحكم ، بعد ذلك وصلت لمسامع العظيم خبر احتشاد الجيش « العثمانى » ، صار (محمد خان بلوچ) مع جيش عظيم الشأن من « كوه كيلويه » ملتحقا بالركاب الفلكى ، فى الوقت الذى كان متجها لمعسكر الملك ، علم أن الجند المنصور تعثر فى « جايدر فيل » (٣) ، احتل مكانا فى مصيد الأسود الضعيفة ، وصار من فرط نشوة العقل الخاطف خمر الغرور والبنخوة والاعتقاد السىء مظهر طريقة (أول الدين دردى) ، تقدم دور الكأس الثانى ، وأخرج من صميم القلب المجروح والطبيعة الجريحة ماء أول البثر المالح والشنؤم والشر سر) اتق شر من أحسنت اليه) ، وخلاف صديق قصة (من استرع الذئب فقد ظلم) واخضر الكفر فى قاع الصفصاف بلا حيلة للوجه المظلم ، وطبخ عن طريق

(١) طائفة تقطن فيما بين كرمان وسستان ويطلق على المنطقة المقيمين فيها بلوچستان كما يقيمون أيضا فى ملك كج ومكران ومكس وقلات وبامبيور ويجوار بحر السند وهم عبارة عن قطاع طرق .

(٢) أحد أقسام بهبهان .

(٣) قرية من القرى الجبلية بمدينة حرم آباد .

سوء الحظ دموع الحساء المعروفة والعداوة في اناء داخل الخيال النىء ، جعل دلالة الخائنين حكام مائدة مليحة للافطار على مائدة الضلال ، وأظهر مظاهر العداوة والعصيان بلا سبب ، وأبطن حسم النية ، وصبح أسباب الخلاف مع ذوى التفكير الأعوج ، وسلك طريق العداوة والمكر ، ومال إلى سواد القلب وقبح النفس وسوء الخلق وشتامة الخلق وجبرأة النفس وشراسة الطبع ، انحرف رأس الحصان للوجهة الصحيحة تجاه وادى الضلال ، لم يلاحظ بالعين المجردة للمحافظة على القسم الغليظ وبال العقاب ، عندما تراجع حظه أظهر من التفاخر والشجاعة جمع الجماعات والفرادى بسوط جلادة انزلاق خيل المبارزة والقتال والعراك ، كانت جماعة من سكان العرب أيضا ساكنى البنادر قد سحبت من الرقبة مثل الكلب المجنون بحب شدة النزال وغرور القيد ، ثار بالمناعة والنجاح وجعل فى ناحية « بهبهان » والبنادر لنادر العصر بداية العصيان وبوادر الطفغان ، ورفع لواء المخالفة (لوى عنه عذاره) بعد ظهور هذا الحال تحرك ملك الأنجم بجيش فلك الآية من أجل قهر وهزيمة ذلك الحقير المعتوه ، وجعل حدود « شوشتر » داخل دائرة الدولة ، وعندما شرب أهل « شوشتر » كأس خمر العصيان ، وسبعوا لموافقة (محمد خان) فى مخالفة هذه الدولة ، روجوا البضائع الكاسدة ، ومزقوا ناقة الفساد « انهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله وهم يخسبون انهم مهتمون » ، ذلك الملك المحبوب الذى كان أصل « خوزستان » عندما أظهر مصحفه مكان الظلم جعل دار النعمة مدينة السلب ، (من يمشى على أثر الغراب سيرجم إلى الخراب) ، بناء على ذلك غشى سك دراهم الاخلاص ، أظهر أهل « حوزة » - الذين كانوا يسكنون فى دار السك السكة المحمدية من بوتقة القلب المغشوش - ولاء (محمد خان) ، عطف عنان الخيل ناحية « حوزة » ، وأظهر الصفاء لحوزة ذلك الملك الطاهر وتوجه ناحية « بهبهان » (٤) - سقط (محمد خان) من تحسن هذا الحال بسجن الحيرة ، « فبهت الذى كفر » وسقط فى قيد « شولستان » بهدف التراشق بالسهام ، وصعد جنوده فى علياء الجبل والقمم وبين شعب الجبال وتذرعوا بسلاح الحرب ، وجعل كتيبة نكبة الأثر تكتب (نعوذ بالله من تلعب يتليت) ، وهكذا هزم الأبطال المنصرين بالضرب والحرب أولئك المجانين المهزومين بالوشب والقفز ، انحدرت تلك الفرقة على الفور من أعالي الجبال وأغمدوا فيهم سيوفهم :

تفرقت الطباء على خراش فما يدرى خراس ما يصيده

(٤) اسم مدينة من بلاد فارس بالقرب من بلاد العرب وهى تقع بالقرب من نهر خير

آباد .

وحجم أهمل البغضاء البدون بعضاً دون بعض على خيول الغزو،
وهربوا من تلك المعركة المهلكة ناحية « بر » ، وسقطت واهتزت جماعة
فوق غابة الحرب من حوكة أسنة السهام مثل الورق ، وأصبح البقية أسرى
جبال الجيش ذو الجأش كما سار في المثل (عاد الحيس بهاس) ، ذلك
اللسان القبيح الوقح الذي كان قد أشعل الحرب ، حمل القدم للهروب
وإماتلك أطراف الأودية ، هرب ناحية « هرمز » بالجمع القليل والسيف
القليل .

بعد ذلك دخل موكب العظيم « شيراز » بجماعة الأسود ذو الهجوم
ألوحش الذين كانت تموت الأسود من هيبتهم « غلاظ شداد لا يعصون الله
ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون » فوض قيادة الجيش لـ « طهماسب خان
وكيل الجلائر » لتعقب ذلك الذي بلا عاقبة ، وكل معاقبته وتقيدته وزجره
للموكيل « والله على ما نقول وكيل » ، سار بتأكيدات أكيدة وأوامر مشددة،
حتى يدفع مكره ويرفع فتنته ، أصبح « بندر هرمز » من هجوم حامل
كثافة السهام المخيف جزيرة « كيش » ، كان موجود مصب البحر أمام
أشهب سربح الجرى رماة جلادة الجعبة من البقر والثيران والجمال القوية
والعجماء والبهائم والخيول الأصيلة التي في عتبات العرب وخدمة العجم ،
خطف اللقمة وانتزع الطعام القليل ، وحصل على أسرى وخيل وجمال
بلا حصر ، وصارت جميع مساكن تلك الجماعة المعيوبية (أخل من جوف
الحمار) ، رأى (محمد خان) بخار بحار المصائب متصاعدا وغبار العناء
متراكما ، ونامت عين الحظ ، وصنع بكاء (أعجز من هلباجة) (٥) حكاية
(فروا من المطر الى الميزاب) ، وجعل أعراب « هوله » (٦) بالهيل والنهاول
والاخافة يرفعون الأحوال ويحولون الأحوال ، فعاونوه ، وتمكن من دخول
جزيرة « قيس » ، حيث أنه يجب فك العقدة بأظافر صداقتهم ، صان فلك
قساة القلوب من سهام الأقواس ، وساق ناقة الوجود الى بادية النجاة ،
وحملوا الأحمال لسهول وسواحل الخلاص (نشب في جبل غي) (٧) صار
الأبطال (اليس من اليس من حيث اليس ويس) في طلبه (أسرع من
الغيث القطر) لكن لم يعرف له علامة ولا أثر .

عندما كان قد أصدر مقدما أحكاما مطاعة - حيث أرسل حكام البنادر
تلك الزيادة قليلة الحظ وضعيفة الرأي ذو القلب القاسى لكل مكان تابع

(٥) هلباجة هو النؤوم الكسول .

(٦) اسم طائفة من العرب الذين يقيمون في جزيرة « كيش » وكانت سابقا تسمى
جزيرة « قيس » . وهي تقع جنوب إيران وقد أطلق عليها اسم الهولة أى المتحولة والمتنقلة
من مكانها .

(٧) يعنى أن وقع شخص في مكروه لا مفر له منه .

لبلاط العظيم ، جعل فى واسط البحر « شيخ علاق هوله » لسلب قلائد
 التقصيرات السابقة من رقبة ذلك الخائن الهالك وسيلة عفو البوادر ،
 أرسل مكبلا لدى الوكيل ، كان من سكان البنادر شريك شر واحد منهم ،
 كانوا قد جعلوا أسير شراك مائة نوع للبلاء ، وأظهرت أحد السواحل
 والمعابر مظاهر العصيان وأعلنت أمور خلاف الأوامر ، ابتلو بدوامه هلاك
 مايتهم حسرة « ياليتنى لم أتخذ فلانا خليلا » وندم (هذا جزاء من اتخذ
 الغربا دليلا) « مثلهم كمثل الذى استوقد نارا فلما أضئت ما حوله ذهب
 الله بنورهم » ، أشار من موقف القوة بقلع عين ذلك البصير الذى
 بلا بصيرة ، رأى برأى العين مدلول « من كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة
 أعمى » ، بعد عدة أيام ربط متاع السفر ناحية نار سقر بفحوا (من طلب
 ما لا يعنيه فات عنه ما لا يعنيه) ، ذهب بعينة تعبئة فى عمله ، كان قد
 صار من مدينة الفساد فوجد العوض فى مدينة الجحيم ، تبدل بياض عيونه
 فى انتظار العظمة لسواد بلا فائدة (أفرخ قيض بيضها المنقاض) ،
 (الشيخ علاق) الذى كان من الواجب اطلاق حر زفرة قيظ الغيظ
 والغضب ، صار بذريعة هذه الخدمة بتوفيق النعم السابقة ، فاض الغيظ
 من فيض العناية على أحواله ، وفاز بالجوائز .

(٢٠)

بيان توجه (نادر) ناحية « العثمانيين »

للمرة الثالثة ، وقتل عبد الله باشا

« ان الله يفعل ما يشاء » عندما عصى باشوات الأتراك عظيمى الشأن الأوامر بسبب انتشار خبر طغيان وتمرد (محمد خان بلوچ) ، وعودة الموكب المبارك وانصراف المغسکر المنصور ، اختفى وجه شمس الطاعة بغير المنع والرد بعودة التمرد ، لم يوقع ويقبل التوقيعات القيصريّة وفاق التوقع الموقع ، كانوا قد تحولوا من جموح الطبع لانتقطاع العمل بالسيف وأسنة رماح الاضطراب ، وانسلال السيف ، وانفساخ ميدان القتال ، اتجه الملك المؤيد بعد القضاء على (محمد خان) لانتزاع الممالك ، وصارت يد وساعد الهمة العالية بصحبة ركاب النصر وموكب الاقبال « وحسن أولئك رفيقا » ، اتجه من « شيراز » مثل الأسد الجسور والنمر الغيور من جهة الادراك من أجل تأديب العدو الهالك ، وجاء الى « اردبيل » (١) و « مغانات » (٢) ، فى نفس الوقت أسرع ناحية « شيروان » كوكب الملك (نوشيروان) الروح ، فر (سرخاب خان الكزى) الى ذلك المكان ناحية « غازى قموق » (٣) التى كانت نهاية بلاد « داغستان » ، واحتل قلعة « شماخى » بدون بذل أى مشقة أو جهد ، وبعد عدة أيام أضاء لواء الشمس اللامع (لازال مضيئاً فى فلك المعامع) ، ألقى الشعاع بأنحاء « غازى قموق » ، فلم تتحرك جماعة « اللكزيين » من أماكنها بحركة الجماعة المنصورة ، ولم يهربوا ، جمعوا من الغنائم والأغنام مال الغنيمة لتأديب (سرخاب خان) ، فجاء أحمر الوجه مثل سيفه ، أعطى العظيم بيادرهم لريح الفناء « كمثل زبح فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا » ، حصدوا المزارع والمراعى بمنجل التطاول ، وسحقت الحيوول وقائع الدهر ، (ان استوى فسكين وان اعوج فمنجل) ، هناك أيضا انكشف سر (سرخاى خان) « الخائن خائف » ، وانحرفت مع اللكزيّة المناكب المتعبة لطريق ضلال العودة ، وصارت

(١) تقع شرق آذربايجان ، وهى عبارة عن مدينة صحراوية .

(٢) إحدى قرى مدينة « اردبيل » وتقع شمالها .

(٣) اسم ناحية بجهته الشمالية شرير والغربة قيطاق ، ومعظم أهلها روس .

بالنكبة والادبار مدحورة ومدبورة بركاب الريح المنحرفة والمخالفة ، صبار
ريش جناح حمام البهائم المخفية ملك قبضة اقتدار الأبطال ، واستولى على
الكتوز والدفائن المخفية فى باطن الأرض ، وانكشف فحوى « وقد خاب
من دساها » بشأن ذلك المغلوب نوم الغفلة ، بعد الاغارة واحراق (قموق)
أداروا العنان لطريق « البرزكوه » ، وجعلوا محال (قبله) (٤) بنزول
الموكب المقدس قبلة العالم وقبلة العالمين ، ومن هناك تعب قدم جواد الفلك
المتبخر لتسخير مدينة « كنج » ، وصارت سطح أرض « كنيسة كندى »
مقر سقوف خيام بلاط سماء الجاه ، أدار الأبطال الأقوياء بالفؤوس والباطل
الوجه من أطراف قلعة « بيرون سيبا » و (ان تحت طريقك لعنادة) (٥) ،
واشغل ثقابين (فرهاد الفن) والفلاحين بكسر الحجارة بمناكير الكنك
ومناكير الغراب والفأس لاجراج عقول حواصل ذلك الحصن الحصين ،
رفعوا من ناحية واحدة منجنيق سماء الدرجات على درجات السماء ،
وجعلوا بطلقات المدفع الضخم الهتك والقذائف شديدة الفتك داخل الجدران
الحكمة مشقق مثل خارجها .

أقاموا عليها مجانيق مجت نيقها ، ورجت شيقها ، وفرجت بالأحجار
طريقها ، ووسعت بالتضييق ضيقها ، وهيجت بالهيجاء صيقها ، وخففت
بالشهوq شهوقها ، وأزهنت بالتوثيق وثاقها ووثوقها ، وأخبت بالرعود
بروقها ، وسوت بالخرق تلالها وخروقها ، وبست بالتفريق فروقها ، فكان
المجانيق مجانين يرمون ولا يرمون ، وإذا انكشف ضميرهم بأن منهم
البون (٦) ، جبال تجرها جبال ورجال يتخذها رجال ، امهات البلايا
وحوامل المنايا مهاب لهابطها ، مفرقات للحشم والجسم ، ومشتتات لأهل
البغض والحسد « فى جيلها جبل من مسد » ، صدعت اذا صدعت ، وتبت
وبشت اذا وثبت كسرت اذا نصبت معطوفا على المحل ، وفتحت اذا رفعت
مجرورا بالعمل ، سحاب برد برده صخور صماء ، وسماء أمطرت على عداوة
الأرض حجارة من السماء ، اللآلئ اللآلى لا حجر منها فى حجر ، ولا آمن
عندها من حجر من صعود عجاجها ، بصر الشمس قمر ، وعند نزول
صلادها تترس الفلك ، واحتجر القمر ، وحسر النقاب فحسر النقاب ، وقلع
فصيل القلعة كأنه قلعة ونسيلا ، وما كان لأهلها حام ولا وصيلة ولا مناص
ولا وسيلا ، اذ لا يهتدون سبيلا ولا يستطيعون حيلة ، وصعد العلق على
السور ، ولقوهم بالعلق المائور ، وعلقوهم بالعلق والشبور ، وتخرفت
ستورها الحاذرة بالحصار ، وتخومت أسودها الحاذرة من الأصحار ،

(٤) مكان قديم لمدينة قرب « دربند » .

(٥) أى ان فى انقياده بعض العسر .

(٦) يعنى البعد .

وظنوا ما لهم من محيص ، وتيقنوا بحلول البلاء وحلولهم عن المحض
الرصيص .

وأشعل ضارب المدفع نار البلاء على الفلك الرصاصى ، لم يستطع
أن يصبح من شدة لهب المدافع والقذائف القريبة والبعيدة أن يكون قريبا
وبعيدا عن السور ، وأظهروا من صب نيران المدافع - لعدة أيام - على
القلعة يوما مليئا بالشدائد ، وأظهروا من صب الشرر واثارة ظلمة الفلك
الآلات حارقة السماء « قلعة ستاره » على أهل « كنج » ، كانوا يظهرون
ساعة بساعة مصداق « اذا السماء انفطرت واذا الكواكب انتثرت » ، كانوا
يثبتون كل لحظة آية « فأتى لله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من
فوقهم » فى سقف منزل بيوت النقش ، كانوا يفتحون فتحات وثقوب فى
حائط الحصن من صدمات مدافع ليس لها دافع ، كانوا يستحققون أهل
القلعة تباعا عند سقوط قذائف وأحجار المجانيق (ان الجبان حتفه من
فوقه) (٧) ، جعلوا الثقوب مثقبة بالبارود ، وجعلوا الأساس مربع الأركان
ذو البروج لذلك الحصن الحصين شبيه الفلك ثمانى اثنين المثلث
النارى (٨) .

وهكذا كانوا يثقبون السد السديد الذى متن متانتته فى حاشية
القلعة من مجرة السماء ، كانوا يستعدون من جانب الحصن والبرج
الجنوبى ، وانقلبوا بجريان الماء لهم للبرج المائى (٩) ، ووقعوا فى ورطة
« شفا جرف هار فانهار به » ، وسقط باب وحائط تلك الجهة كلها مثل
حجرة طاقة أهل القلعة ، فنطق الأهالى بمقولة :

أين المفر ولا مفر لنا ؟ لنا المحيطان الشرى والماء

سقطوا مثل النمل بطشت الشدة وطاسة الوحشة والدهشة ،
وأصبحوا كموج البحر الهادر وكالبخور غير المستقرة « فمنهم من أرسلنا
عليه حاصبا ، ومنهم من أخذته الصيحة ، ومنهم من خسفنا به الأرض ،
ومنهم من أغرقنا » ، وفتح برج المشتري عين تعجب الحراس من ثقوب
القاء الأبحار ، وعض اليوم المضرس يد البحيرة من علم الحراس ، وصاروا
بمضمون « مهطعين مقنعي رؤوسهم » مطأطين رؤوس خجل حوائط فلك
الأساس مثل الفلك ، ووضعوا الجبين الساقط على الأرض بفحوا « يخزون
للأذقان سجدا » ، وصارت شرفات الحصن مثل الشخص الجبان ، وظهر

(٧) مثل يضرب فى الجين .

(٨) فى اصطلاح المنجمين أبراج الحمل والاسد والقوس .

(٩) فى اصطلاح المنجمين أبراج السرطان والعقرب والحوث .

من أثر نيران المدافع والقذائف دخان من داخل الحصن ، وعمى يوم القلعة من شدة رائحة الدخان ، وصار الخندق من الخوف ماء في العين ، طار اللون من وجه حراس البرج مثل حمام البرج ، وأدرك السكان سكتة الحيرة ، وصل الخبر المقارن لهذا الحال بأن (عبد الله باشا كوبريلي زاده) (١٠) أسرع مثل الفيل الطليق بجيش يفوق الحصر من ديار « وان » ، وعسكر في مدينة « قارص » (١١) ، وبناء عليه فقد أمر جماعة من جيشه بحصار وتطويق قلعة « كنج » ، وفي يوم ١٣ من ذي الحجة عام ١١٤٧ هـ عندما ساق فارس القضاء حصان الليل والفارس الأبيض للممر بسوط الصباح من الميدان ، سحب الصبح تحت سرج الشمس الذهبية ، وتحوّلت الخيول سالكة الصحراء أسرع من الماء ومثل شعلة النار - في نفس الوقت قارس البرودة - تجاه « قارص » الحارة بارادة ثابتة وسيف مصمم ، وظهرت آثار الجلادة في ظاهر القلعة ، ونصب جند النصر معسكرهم في نفس المكان ، وآثار جنود الاقبال شرارة النار من اصطكاك ودق سنابك الخيول الفضية الحافر حتى حدود « ارزنة الروم » (١٢) .

عندما لم يظهر قائد الجند الرأس من فتحة ثوب قلعة « قارص » ، وجه القدم ناحية التحمل ، وبعد عدة أيام تحرك موكب الكواكب مسرعا بجند النصر تجاه « ايروان » (١٣) ، فلاح لقائد الجند أن بلوح جبينه خطة خطيرة ونقش (في رأسه خطة) (١٤) ، فارتبط بحكم سائق القضاء المشتاق للحرب ، ومن رأس قائد الجند السابق من فرط الغرور ، فعمد الى جمع البعث ، ورم الشعب ، واستجمع جموع الجنود المنفتحة واستجمع جميع الجماعات المشتتة « كأنما يساقون الى الموت » ، وانشغل باقتفاء وتتبع معسكر الملك ، ظهر - في الوقت الذي تحرك فيه الى « أوج كليسا » (١٥) - برقع بلاط الملك البطل على قمة الشمس والقمر ، ووقف لاطلاع الجواسيس على العاقب والتتابع ، وتحرك لواء النصر من مسكن الخلد لمسافة أربع فراسخ تجاه « ايروان » في المكان المعروف الآن بـ « مراد تبه » (١٦) جعل اقامة الخيام في مواجهة الخصم قبل القتال ،

(١٠) عالم واديب عثمانى ، وقد انشد أشعارا بالعربية ، كما أنه كان قائد الجيش العثماني في حرب ضد نادر شاه .

- (١١) اسم ناحية شمال ايران وجنوب أردهان .
- (١٢) مدينة تتبع مدينة ايران ، بناها المتوكل عام ٢٤٠ هـ .
- (١٣) تعرف باسم قاليقلا وهي تبعد ثمان فراسخ عن قلعة أونيك .
- (١٤) مثل يضرب لمن في نفسه حاجة قد عزم عليها .
- (١٥) اسم كنيسة موجودة في ايروان ويرجع بنائها لعام ٣٠٣ م .
- (١٦) حدود مينورسك مكانها في غرب ايروان .

واستراح الجند عن أكتاف الخيول في ظل الخيام ، ورفعوا الأسحار التي ملك شمس الضياء ، وطردت أفواج السماء النجوم بمعمود الصبح من معركة الفلك ، وأظهر قائد الجند في الحال بالفرسان والمشاة شد الرحال والهجوم على قلعة « ايروان » ، ان استظهار الظهر للحائط يفيد في دفع وتصريف الحوادث بفائدة صرف الهمة ، فلم يتج الملك الذي بلا نظير الفرصة التي يمكن أن يغتنمها ، فركب مع الأبطال الأسود شديدي البأس المفترسون على خيول بيضاء كثيرة وخيول سوداء كاسود الغابة ، أصبحوا مثل سيل الربيع الذي ينحدر من الجبل ، وصاروا في نهاية الطريق الضيق المتعرج كاللأود المفترسة لقائده الجند المهيأ للحرب ، فتساقط دم الجرح على الفلك المحدث من حود البلطة وسهم القوس ، وتحطم فرع وتاج السعداء المختارين ، وتفرق المقاتلون ذهبية التاج من الشومة والبلطة ، امتلئت رؤوس الأبطال قوة في خوذتهم من أسنة رماح ريش طائر السيف ، الحاد من فحيح الأفاعي ، وجذب قوس حرب طيور الأرواح كل فوج وسرية خارجة من فخ شبكة الأبدان .

— امتلأ الجو بالنحل سريع الحركة

— خشبي الجسم ، حديدى الموضع .

والجو ثوب بالنسور مطير والأرض فرش بالجياد مخيل

تمزقت قلوب الأبطال اربا اربا من صوت مبارزة السيوف الحادة ، وطلبت ساحة الأرض من روح الذهب ، وأضاعت بضعة آلاف من النجوم .

— كان السيف يضرب العدو ، لكن الحديد يدق الوقح .

ظهرت آثار القيامة من الجانبين لمدة ثلاث ساعات ، وامتلأ (نادر شاه) ميادين المبارزة والرمي والسعة .

تجرى الجياد من القتلى على جبل ومن دمائهم يمحض في وحل
ومن جماجمهم يصعدون في كثر ومن ذوائبهم يقمصن في شكل

في النهاية صار قلب الأتراك مثل قلب النمل مضطرب من سطوة جنود نمل العدة السليمانية ، فاجتث أساس صولتهم ، واقتلع جذر شأنهم ، قتل (عبد الله باشا) مع الأتباع والأشباع ، اشعلت واضمرت بروق السيف البتار ، وتم اصطياد الفوج المدرب ، وقطع وقصم جبل

حياتهم ، وذهب بقية الجيش متفرقين لكل ناحية بذثر (تفرقوا شذر مذر) ، أرسلت جماعة من الجند لتعقب الفارين الذين انخرط كثير منهم في معابر مائية ومغارات ومخابئ وكهوف بسلك « فشمه الوثاق » ، ربطوا به رابط الاكتساب دواب كثيرة وخيول حديدية الحوافر وأفراس محكمة القوائم وجمال ثابتة المناسم وجمال ثابتة المناسم وجمال ضخمة الحوافر والمخالب .

ركب باشوات « كنجه » و « تغليس » حمار مركب الطالع ، وأوا أنفسهم من قوة الحراسة في حد التغليس ، وجعلوا من اضطرار « لا يستطيعون حياة ولا يهتدون سبيلا » بدون اعتداء وقتال اظهار الاعتذار ورقة الطبع ، ودقوا الأبواب لطلب الأمان ، فتحوا أبواب القلاع وأبواب الحصون ، تمسك حاكم « ايروان » بحكم القلعة ، وجعل شراب الصبوح قرين الغبوق ، وتقدم للطاعة بلا عائق بمقاد (أحق من الخيل بالركض المعار) (١٧) ، وسام القلعة بعد نجاح سبل الخلاص ، واستنذن لسلك الطريق ، وطلب مرشد الطريق « فاعترفنا بذنوبهم فهل الى خروج من سبيل » ، وأصبح منتهى سعادته تقبيل عتبة صاحب النفع الشريف ، طالبنا مطر اللطف الجزيل ، وأصبح غبارهم وهفواتهم على سحب مكرمة تهدئة الغبار والانعام والمقرر المناسب والرتبة المرتبة والمحكمة ، كانت جماعة من رماثهم وفرسانهم - الذين في ميدان القتال - قد أصبحوا مقيدين بسلاسل الأسر ، ومأسورين بأساور الخسارة ، وأدركوا أن تحرك الأعناق من مصائب الأسر .

أصبحت مقدمة جيش الرحمة أمام الملاطفة الملكية المحفوفة بالسلامة والمحاطة بالعافية مع حسن الخاتمة وكشف الكرب حامدة وشاكرة ذات الله الطاهرة جل شأنه خالق الورى ، فصارى الأسارى الاشارى جدوا كأنه انقلب من الشباك عصابة من الحبارى ، « فباى آلاء ربك تتمارى » ، ووصل حتى حد نهر (آريه جابى) (١٨) لزينة التاج المتوج ، وهكذا صارت تلك الممالك منزوعة بلا نزاع وبدون معركة انتزع مضافة للولايات المحروسة .

قد رجع الحق الى نصابه وأنت من كل الورى أولى به
ما كنت الا السيف سلته يد ثم أعادته الى قرابه

(١٧) أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، الحيوان .

(١٨) اسم نهر على حدود تركيا وروسيا وقرب قارص .

غزا العالم ونهب أمواله ، وكسب قلوب الأصدقاء ، وحرق قلوب الأعداء ، رفع ونشر لواء الاستيلاء ووجه بالاستعلاء ، بسط وحمل مجلس زينة الفلك حتى بساط النشاط ، حتى مصباح السعادة أشعله وحمله ، بعد أن استرد القلاع بعون الله ، كان الأهالي خلال هذه الأحداث - بناء على ضعف القوة وكثرة المشاق - قد تركوا الزروع والسواقي ، وجلوا عن الأوطان والديار بسبب انتصار « العثمانيين » ، فأمر (نادر شاه) بحضورهم - أهالي « إيروان » - للحصول على مؤنة المعونة « أنشأكم في الأرض واستعمركم فيها » للإعانة والرعاية ، ولبذل عطايا الاغاثة والحماية ، فسعوا غاية السعي لاكثار الزراعات وتوفير المساكن وزيادة المراعى ، وجرت مجارى الأنهار المطمورة - ماء على وجه العمل وماء من النهر - وأعادوها مرة أخرى للنهر ، وبصداق « قآنشرنا به بلدة ميتا » جعلوا من ينباع همة أحياء واصلاح الأراضي البور (أخذت الأرض زخاريها) (١٩) ، عندما كانت صحراء « مغان » (٢٠) مرعى محبب للقلب ، صارت مرعى للخيول المنقوطة مثل السحاب المقطر ، فى التاسع من رمضان أمر بأن يكون ذلك المكان المليء بالفيضان مقام جماعة العز والشأن .

(١٩) يضرب مثلا لكل شيء تم وكمل .

(٢٠) تقع هذه القرية داخل نطاق مدينة أربيل .

(٢١)

بيان جلوس الملك الأوحى بتأييد مالك الملك مالك الخلق

« وانه لحسرة على الكافرين » ، عندها أصبحت صفحة الدولة الدولة الصفوية العظيمة المنسوخة بقلم السعى عدة مرات خطأ قديما ، لم يقرؤوا الا آية الحرمان من كتابة أهرامات رواقه ، وانتقال السلطنة من تلك الأسرة العظيمة بمدلول كان قد حرر بقلم التقدير « ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها » ، تلك الحضرة (النادرية) التي وكلت برعاية العباد وإزالة كل العوائق ، أشاح وجه التعفف عن مسند الملك ، ولم يحن الرأس لتساج السرور ، فحضر من طريق إيمان النظر وتحكيم المصلحة ، فدعى عظماء الأعيان وقواد الجيش ورؤوس وأذئاب الممالك وبدو المسالك والعظماء والأصدقاء والأمراء والحشم ذوى الرتب العليا « أولئك لهم الدرجات العلى » وعقلاء المعامل ورؤساء العشائر وأصحاب المجالس وأرباب المزارع وقواد الجند وكافة أئمة العلماء وعمد القرى ورعاة الرعية والصالحين من الخلق لعتبة قرين الفلك ، (لازالت سدة سبته السنينة مستخدمة للسلطان) ، وصار فى باب سلطنة « إيران » وأمرهم شورى بينهم « مزين مجلس المصلحة الكبرى ، ومستفدح زناد الأراء ، وكاشف أسرار السرائر ، ومستنطق الأكابر والأصاغر ، صاروا جميعا متفقين فى القول متحدين فى القلب ، ان طاعتك من نجوم السماء حتى حدود الأرض على الجميع فرض ، ونعمتك على الجميع قرض .

— طالما سيكون الاسم والسمعة من الحانة والخمر .

— ستكون رؤوسنا تراب لطريق « دغان » .

(انفلقت بيضة القوم عن هذا الرأى) ، بعد انعقاد عقود العقائد ، وانطباق واتفاق القواد والعظماء ، انتظر عيد جلوسه القاصى والدانى ، وصار عظماء الطوائف والمشايخ مثل صائى رمضان يحصون الأيام فى انتظار هلال شوال ، حتى يوم ٢٥ شوال عام ١١٤٨ هـ زين المجلس

السعيد الأساس « ذلك يوم مجموع له الناس » ، بعد انقضاء ثمان ساعات وعشرين دقيقة تتوج بطالع أسد فرق فرقدان عظمة القدر وابتهاج ميمنة النتاج مثل الشمس ، وصارت رأس ورقبة والعرش وفرش العرش ملك حضرته .

جلس سلطان السلاطين - بسط الله يده - على الدست اليميني محفوفا باليمين ويمينه باليسار ، وهو جالس على هيئة التواضع وهيبة الوقار ، واصطف خلصاؤه الأنبياء والأمراء الكبار ، وقاموا على مكانتهم ، وصموا وتكلموا بقدر حاجتهم ، ووجه السلطان بغير البشر سافر ، وأمنه بعز النجح ظافر ، وباب الاحسان مفتوح ، ورغد العيش ممنوح ، وحجابه مرفوع ، وخطابه مسموع ، وبساطه مقبل ، ونشاطه مقبل ، وهجابه يلوح ، ورباه يفوح ، ومحبته يروق ، ومهابته يزوغ ، وأفاهه فى الآفاق تضئى ، والأخلاق تضوع ، يده مبسوطة لفيض أموال العطاء ، وكفه مقبوضة لفيض أفواه العناء ، ظاهرها قبلة القبل ، وباطنها كعبة الأمل ، قد جال له جولة الطفر ، وكان سريره هالة القمر ، والأعلام تبرز لتنشر ، والأعلام تزبر لتبشر .

تفتحت ورود الربيع الضاحك فى رياض قلوب الاصاغر والعظام الصنوبر يرية ، سحب عرعر العيش وشمشاد السعادة الرأس للسعادة ، كانت شواهد الأقاليم السبع التى قله أخفت - من حوادث الدهر - الوجه فى نقاب الألوان السبع تزينت بزينة هذه الدولة مزينة العالم العظيم بكل وسائل الزينة السبع ، وتشبع حاضرى مجالس الحضور المبارك من « مبارك » لطفه وصنائع احسنائه ، ارتدى الصبائيك والعظماء دن لباس الانعام العام ومجمع عطايه وكرمه ، وشربوا الشراب ، وحفل مجلس الملة النبوية برائحة المسك الخالص ورائحة روح اثاره صيانتها العطر المعطر ، ووصلت شمس الدنيا المصطفوية فى « فروردين » (١) بدولة ثباته لمحاذاة خط الاستواء ، افتتح المذايحون العهد السعيد بلسان تهينة التهينة بشكل جميل ، وبارك الدهر النصر على نصيب وحظ الملك الزبرجدى العرش نائر الجواهر ، قال فى صنعة خيفا (٢) .

بختك معلى ، عرشك مههد مجلسك مروح ، جيشك مؤكد

جعل الزمان من وجه الترحيب والتعظيم على جيب وفتحة ثياب الملائكة المقرين من الذكر والبيان دعاء دولته ، فاحت رائحة العنبر وراحت

(١) اسم الشهر الاول من السنة الشمسية الايرانية .

(٢) اسم صناعة لفظية وهى عبارة عن كلمة منقولة واخرى غير منقولة .

رائحة المسك النفاذة ، ورفع قوس قزح من جسم عظمته درجة العرش
الملى بالنعم ، وأخذ عرش أربع درجات من نبات النعش الملى بالزمرد
والسماوات السبع مرآة درجة اتفاه ، تحدثت الألسن القريبة والبعيدة
بمدائح عظمته ، أنبت عظماء « العثمانيين » و « التاجيك » بأنعام بلا حصر
واحسان عام كثير من حصاه صاحب الجاه من أنث بيت ضمير (ميرزا
قوام الدين محمد القزويني) هذا البيت •

— اسكندر الشأن بالنصر والتأييد والظفر

— صار على عرش جـ م باسط العدل

— تأريخ جلوسه السبعين المائوس

— ذو القرنين (٣) تاج الاقبال بالرأس

وأرخ أيضا (الخير فيما وقع) (٤) ، وزينوا ساحة المجلس الملكي
عدة أيام متتالية بالشراب الحسرواني والنفحات الحسروائية (٥) ، اختاروا
الشراب والطعام ، وطووا فراش الغم ، وطاقوا بقمة وكتف الخيمة مثل
هالة القمر في أطراف المجلس بالدف والنأي ، وتقدمت المحبوبات الحسناوات
جوزاء الوسط لبرج التبرج ، ونغموا تنغيمات جميلة ورقصوا رقصات
بديعة ، وصاحب المطربون إلحن بنغمة وترنيمه ، وصاحب صوت كؤوس
الشراب آلة البلبان (٦) بصوت البلبل ، ولزم صوت صب الشراب من
الابريق والقنينة صوت الفاخنة ، انشغلت شفاة سقاة الشفاة « وسقاهم
ربهم شرابا طهورا »

ويح جسمي من غزال شفتاه شفتاه وهوان جاد بلثم شفتاه شفتاه (٧)

اعتنى بالشفاء واسقاء الأرواح ، غنى ألحان السعادة كبير منشدى
الغزل والشعر ، (أشاد الله أصواتهم) وغنت فأغنت عن المحسنين وارتج
المجلس من شدهاء ، غنت القلوب المخالفة والمتألفة بلطف ، وأعطى صوت
المنشد والمطرب الاحساس بأيام الطرب والسرور ، وفك ظافر عزف الآلات
عقدة من عمل اذلال العالم ، أظهر محتسى الخمر اليد البيضاء بدوران بدور
الأقداح من كف الشمس ، وألقى العازفون والملاحنون بشعلة صوت عاشق

(٣) تحسب ذو القرنين بحساب الجمل ١١٤٨ هـ •

(٤) حسابها بحساب الجمل : ١١٤٨ هـ •

(٥) اسم لحن من مصنفات ياريد •

(٦) اسم آلة موسيقية يعزف عليها بالشفاء •

(٧) من أشعار عبيد الله بن أحمد ميكالى •

النار في قالب الصبر والقرار ، ظهر الغلمان ، وشقوا درع شراب الشفاة
للكأس الأول والثاني أمراض شدة العطش من مزاج الجالسين ، حدد سقاة
شراب النبيذ شهد فضة اللغلة الشراب المسكى للكأس الملىء بشراب
الأصدقاء ، صب كأس الفلك الدائر من خمر النشاط ، ومر اللحن
« الأورنكي » (٨) من العرش الملكي ، اهتزت مرآة الشمس الذهبية من
جمال وجه الحسنات الفضى مثل الزئبق ، قلت قيمة الضياء من شعاع
وجه مشترى الوجوه في دكان الدهر ، وأنشد المنشدون نغمة « درغم » (٩)
العذبة لاسعاد القلوب الحزينة ، وحرر محتسى الخمر أهل الدنيا من
دوران الخمر العتيق من الغم الدائر ، أخذ ساقى الشراب كأس العين
للممش ، وصار المحبوب مثلاً حلاوة الشفاة مثل الخمر ، حيث أن ورد
نارى الوجه مزين عالم الزينة من الشراب ، وحمل وجه الشمس ضياءه
من القلب بنار حرارة شعاعه ، كان يملأ الكأس بذكر « بغداد » حتى حدود
« البصرة » (١٠) ، أدى المطرب (رامين) برابطة « نكيسا » ونغمة
« باربد » (١١) ، وغنى (بامشاد) (١٢) ، وأدى (سرکش) (١٣) ألحان
« سلات » (١٤) ، أصم صوت محبوبه دقات طبل شهرة « كوسان » (١٥) ،
وحطم صوت طنبوره الكأس على رأس « كاسه كر » (١٦) ، كان يلقي
الزهرة في فلك السماء ، كان النبيذ في الكأس البللورى ياقوت الروح
أو قوة الروح ، كان مطربو الشمس يشبهوا جسد مطرب المجلس ، أو كان
مريح الروح طرة الفاتنات المجعدة شبكة قلب الجور أو مهلكة راحة القلب ،
وكان الخيال الأزرق على الوجه مثل النصار أو الياسمين في البستان
أو السمندر في النار ، كان يحضر المجوس في صحراء « مغان » موج شراب
الكأس حتى الرقبة ، كان يلقي للعشاق عناقيد العنب الطازجة من القدم
وخلصة الخمر اللذيذة ، كان يسحب رغبة قوس قزح ، كان يضىء القلح
شعاع سيف (افراسياب) من الوسط .

وأعطى الكأس ماء من أبارقة فأنبت الدر في أرض من الذهب
وسبح القوم لما أن رأوا عجبا نور من الماء أم نارا من العنب

-
- (٨) اسم آلة موسيقية واسم اللحن الثلاثون من ألحان باربد .
(٩) اسم نغمة موسيقية الذى يسمعها يزول الهم من قلبه .
(١٠) اسم الخط الثالث من خطوط جمشيد السبعة وخط بغداد الثانى .
(١١) مطرب خسرو پرويز .
(١٢) اسم مطرب يضارع باربد .
(١٣) اسم طائر جميل الصوت .
(١٤) اسم آلة موسيقية .
(١٥) اسم عازف ناي مشهور .
(١٦) اسم مطرب .

استنقر النصر زماننا في هذه الدولة ، وفرح الزمان المغنوم رغما عن
الأعادي ، وجدد عيد الربيع الجميل من عادة العدل والقسطاس ، أظهر
الطنبور كوكب السماع والرقص وقت الربيع من القوة الطبيعية بالأزهار
والغصون ، نثر على رأس وجه عرائس الشجر المغروس بالبستان والغصون
الرقيقة أفرع أشجار البستان من الأوراق الرقيقة المناسبة ، وشمر فراش
النفوس النامية ذيله بظهور خضرة الأرض ، وفرش وجه الأرض النباتات
المفروش بالمخمل ، وفتحت المواليمة الحديثة المركبات من دكانهم الجديده
مزين أسواق العالم الأربع ، ظهر ريحان بلا رائحة ، وقت جلوس ملكهم
ظهر كل واحد بلون .

سلطان الربيع جاء بالشوك والشجر وفي موكبه أفواج النور (١٧)
والزهر من بدائع آثاره بهر البهار (١٨) ، وغرد في كل دوحه ألف من
الهزار ، شيوخ السنابل والرياحين شبوا ، وآمارد الأغصان والآمارد
شاخوا ، وآب النماء من ماء السماء الى المشرة والمسرة بالمسرة ، وأشرف
التفاح من أطراف السيب كزهرة النجوم من شاطئ مجرى المجرة ، وأثار
الزمان من الأوراق الخضراء بصنع الله « الذي جعل لكم من الشجر
الأخضر نارا » .

ورد الربيع فمرحبا بوروده وبنور بهجته ونور وروده
والورد في أعلى الغصون كأنه ملك تحف به سرة جنوده
صار اعتدال شهر اردى بهشت (١٩) مثل برودة الشتاء ، وكتب
كاتب القوة النامية تفتح الريحان بقلم السنبل على أوراق البستان ، أظهرت
الرياح المتحركة - على الرغم من هواء الخريف الذي مثل الصباغ أنار
« ومن أحسن من الله صبغة » في ألوان الرهاحين ولون شجر العنب ،
استخدم سبائك الربيع شبائك الأشجار لصنع صبغة عمل المنبت ، أحضر
من البرعم والنسرين فضة خالصة من بوتقة الفرع .

ذهب حيث ما ذهبنا ودر حيث ما درنا وفضة في الفضاء
جعل القوة المغذية والسحب الغادية من الورد المشبع لخزانة الحديقة
نموذج كنز « شاد ورد » (٢٠) ، صار نسيم الربيع من نثر براعم ورد

(١٧) البراعم

(١٨) الضياء

(١٩) الشهر الثاني من السنة الشمسية الإيرانية ويقابله نيسان وآيار . د. محمد

التونجي

(٢٠) كنز خسرو برويز السابع من كنوزه الثامن

ساحة الحديقة قرين كنز « بباد آور » (٢١) ، وظهر من شمال الريح فروردين (الربيع) المعتدل في الأغصان الملتوية أنواع حركة الأعصان ، تبدل من صفاء ثمرة تمر النخل العالى وأزهار الأقحوان المتناسق هواء الكافور الناضج المزاج كافور الخلد ، وزين من خلط لون القوى النبتية الرقيقة فرعه بالقباء الملون ، ونهضت فروع الأشجار للرقص شوقا بالهواء فى الصنحراء والربا مغنية فائنة ، بدأ العندليب والبلبل الغناء من تصفيق الأشجار المورقة المتمايلة ، تبسم الغصن الحديث جميل الخميطة ، والبرعم الحديث فى الروضة وحضن البستان ، ربيب الأشجار رضيع ، ومصنوع الورد المصبوغ سنيح (٢٢) ، وأريج الريح فى شفاء عليل الجو مديح ، وماء الورد الطرى فى إسقاء غليل الجو شفيح ، والأطلال من الطلال غضير (٢٣) ، وحباب الحبوب من الخضرة نضير ، والأشجار من الشيخ شاب ، والشعاب تترقرق من الأعشاب ، وحدود الشقائق محمرة ، وتغور الأقاحى مفترة ، وعميون النرجس مصفرة ، وشفاة المنابع مخضرة ، بل هى لمياء الطلال من الخضرة ، وأحداق الحدائق الناضرة ناظرة ، ووجنات الزاهية زاهرة ، وغدبات المنابت متوجة ، وهامات الغصون متوجة ، وحافات المناهل متديجة ، وجباه الغدران متغصنة ، وجفون النوار متوسنة ، وشارب المنبت قد طر ، وهارب البرد قد فر ، والدهر قد ثمل وأفاق ، والزهر قد شمل الأفاق .

أصبحت أيام الربيع من بهاء الورد الأحمر كتاب « زنه » (٢٤) وبلبل معبد « نوبهار » (٢٥) ، وبدأ البلبل القصة بألف أسطورة ونغمة بستان الروضة ونرجس الحدائق مع غائيات المنافسة ، تمايلت صغار الأشجار من نسيم السحر ، انشغلت أمطار شهر آذار بتجميع وأنبات الأغصان ، ورفعت الورود المشبعة والشجر الأخضر القائمة الجميلة ، ومزج الندى - الذى يشبه رائحة الزمان - بعرق الربيع ، أظهرت ساحة البستان من ظهور الأزهير المتلاذلة لون من كل طرف « ألم تر أن الله يزعج سبحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الورد يخرج من خلاله » جل جلاله .

(٢١) كنز خسرو برويز الثانى من الكنوز الثامن

(٢٢) الجميل

(٢٣) الأخضر والناعم اللين

(٢٤) كتاب زردشت الذى فيه أحكام وقواعد الحياة

(٢٥) معبد عظيم بناه سلاطين العجم فى مدينة بلخ وهو مزين بأجمل النقوش والرسوم والصور والألوان

شموس وأقمار من الزهر طلع لنرى اللهو في أكنافها متمتع
 كن عليها في مجابه زهرها لآلى الا أنهسا منه ألمع
 نشاوى تشيها الرياح فتتننى فيلثم بعض بعضها ثم يرجع

كان مزاح فرع الارجوان من الشاب والعجوز قلوب صنوبرية
 الصدر ، امتلئت أنوف الفوج بعير الأفيحوان رغم أنف شهر « دى » (٢٦)،
 اختلط الأنف والخيشوم بعطر العبير ، وجعل روائح ورود طبقات الجبال
 من الروائح العنبرية رائحة عنبر كوه عنبر مطلق ، وزينت قطرات الندى
 حدود الورد الطرى بحيث كانت أجمل من درر البحور على نحور الحور ،
 وآثار الفرح من رقص الأشجار المخضرة فى تلك الأحيان فى الجبال
 والصحراء قلب الجماعة الرعادية ، حيث أنه كان يصدر تلقائيا من الصدور
 آثار الوجد والطرب ، وأصبحت - من نكهة رائحة الزهر والسنبيل كومة
 الأرض مثل المسك ، كانت قافلة النسيم تحمل من بلاد السنبيل والرياحين
 مطر « الصين » « فانظروا الى آثار رحمة الله كيف يحيى الأرض بعد موتها »

والغيم بين ممسك ومعتبر والماء بين مضلال ومكفر
 والروض بين مدملج ومتوج والورد بين مدرهم ومدنر
 والأرض قد لبست قميصا أخضرا تختال فيه بطيلسان أحمر
 وتروقنا بلطائف وظرائف من حسن منظرها وطيب المخبر
 سبجان محى الأرض بعد مماتها وكذاك يحيى الخلق يوم المحشر

- ٢٢ -

بيان تسخير « قندهار » وقلع « الأفغان » بتأييد رب العالمين

« فأنظر كيف كان عاقبة المفسدين » ، بعد التنعيم بالوسادة الناعمة وشراب المجلس ، والحصول على الروائح وسعادة الروح ، وجلب النوق الظاهرة ، وجلب لبن النعمة ، انقضى عيد الربيع بالعظمة والنصر واليمن والبركة ويحدث الآمال وتوفر البهجة ، رسم رساموا القضاء والقدر بقلم الشوق صورة تسخير « قندهار » جميلة وجذابة على لوح ضميره (نادر شاه) المقدس ، وبمقاد (مرة عيش ومرة جينش) تحركت أعلام أحلام العالم المضيفة بصيحة مقاتلو الحرب وحرقة العدو للجانب المقصود ، وطار نسر النسرين الهية ، نسرين النكهة الراية الملكية لقمة دفع العدو ، وفي عرض الطريق وصل خبر يفيد بأن « البختيارين » قلدوا رغبة مراد (على مراد) قلادة التمرد والعصيان ، وحيث أنه لا يليق إرسال طيور الصيد لمطاردة الطائر الضعيف كسير الجناح ، لكن عندما استل سلطان عالم المحبة سيف الاستيلاء ، لم يجد اختلافاً في مفرق رأس فرق الأنجاد والأغوار ، ولم يميز شيخاً عن شاب ولا حقيراً عن عظيم ، بعد دخول أنحاء « بزورود » قاموا لتأديب تلك الطائفة التي في الجبال العالية مثل الغلظة في القلوب القاسية .

تقدمت خيول الهمة تجاه « زردكوه » ، فلما علم الطغاة عن وصول تلك الصاعقة المفاجأة ، لم يجدوا بداً ولا مفراً من سوء الحظ المخالف للزمان ، ووضعوا الروح والمال والدار والمتاع في معرض عوارض النظر ، فتنفروا وتشتتوا لقمم وشعب الجبال ، وأصبح رماة السهام مثل أشعة الشمس (ذهبوا شعاعاً) على أطراف الجبل والصحراء مهتدين ومستبدلين بوجود أهل الفتن ، واستعمل المشاة أقوياء القلب مثل الجبل ، وطلبوا غيلان وادى الشياطين في الأغوار والجحور والأودية الصخرية ، لم تكن تلك الجماعة من سوء الحظ الذي في حجم الحجر الأحجر وصخر ، أسروا الأفواج وأطلقوهم ، جاءت سفينة حال (على مراد) من لطمات أمواج الأفواج المنتصرة في مواجهة موجة الحيرة مقطوعة الشراع محطمة الجدران على صخرة سوء الحظ ، أسر حيا ، وصار بأمر العظيم مقطوع اليدين مهتور

القدمين ، قضى يومين فى الجبل ، (كذماء المذبوح وارتكاض المجروح) ، كان ضعيفاً بدون يده وقدم ، حتى ترك الرأس المليئة بالشر على قمة العصيان ، التحق بمطمورة العدم ، وأضاء (نادر شاه) هناك بشوكة وكأس شمس السعادة على ساحة حال جمهور « أصفهان » (وصفها لاينم بالقلم) ، وجعل تلك الولاية مركز خزائن الشوكة والعظمة ، واختار الراحة فى منزل السلاح والصحراء فى منازل مليئة بالزينة الذهبية ، ومنح من تراب العبير المنحول للفرس المتجول وغبار برق شمس مصباح فاتح العالم ، وصار تراب ذلك الوادى فى أنظار أولى الأبصار مكتسب خاصية الكحل الأصفهاني .

وكانما نقشت حوافر خيله للناظرين أهله فى الجلمد
وكان طرف الشمس مطروف وقد جعل الغبار لعينها كالأنمد

بعد أربعين يوماً وجهوا القصد مع جماعة أسود البأس (التركمان) والأفواج القوية لطريق « كرمان » (١) وصنحراء « كرك » ، وفى التاسع من ذى الحجة عام ١١٤٩ هـ اتجهوا للناحية الشرقية من « قندهار » لمكان معروف بـ « سرخ شير » حيث جعلوه محط خيام نظير الفلك ومكان الأبطال وكثرة الرماح والسنان مثل عرين الأسد ، استولى عليها (نادر شاه) بمهندس العزم الثابت الأساس لاقامة مدينة فلك الاستيناس وتشبيد الحصون والقلاع القوية لفلك المماس الذى قد سحق أساس ملك الصولة ، استحسن الأسواق المشتتة الحوانيت والذكاكين والمحتوية على حمائم ومنازل والقوافل المشيدة والمحكمة والثابتة والراسخة ، اهتم باتمام ذات الحصن الحصين وأنهاه فى شهر كامل ، فعندما اكتمل القمر تمت تلك المدينة ، وأقام فى أطراف قلعة « قندهار » فى مكان بمساحة فرسخ قلاعاً عالية متينة وحصون محكمة وأبراجاً قوية ، واستقر فى كل قلعة وحصن جنود شجعان ومحاربون بتأييد القيوم بالراية العالية بحكم « خذوهم واقعدوا لهم كل مرصد » ، وطأوا القلعة قدماً قدماً لاشتمالها واحتوائها .

مضى عام على هذا الحال من التطويق والحصار ببطش وبأس الأبطال « اذا بطشتم بطشتهم جبارين » حتى انتهى العام ، تم العمل باذنه عن طريق ذلك التمساح الشكل ، التينى الفم ، القوى الجسد ، الحديدى الروح ، النارى الأذن ، الحاد الذكاء ، البرقى النغمة ، الرغدى الصيحة ، المظلم من الداخل ، القاسى القلب ، المحطم للصف ، القاطع للجماعة ، المحكم للقلعة ، المحاصر للمدينة ، الراسخ العزم ، الثابت بساحة الحرب ، لبس هيئة

(١) ولاية مشهورة تقع بين ولايات فارس ومكران وسجستان وخوسان .

الخصم ، أحرق مزاج العدو الناري وصوب القالب « وأسلنا له عين القطر » ، الذي كان أساسه من النحاس ، ونحاسه من الصفر « ترمى بشرر كالقصر كأنه جمالة صفر » ، المقاتل أمام حرب ميدان القتال في أعلى مقعد صفوف « أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار » عيسى فلك مقعد الحرب ، الدجال الذي عينه مليئة بالمكر والحيلة ، التمساح الذي طعاهه رصاص مذاب ، التنين الذي دمه ساخن كسموم العذاب من مفاد « تلفح وجوههم النار » ، سمع الأخبار بأذنه صاح من حرقه الداخل ، وعندما وصلت رائحة الفتيل لأنفه من أمارات « يومهم على النار يفتنون » كان يغلي من القلب المضيق بلا اشتعال ، إذا عوى من القلب المظلم ظننته (معاوية) أم (أبو لهب) « أمه هاوية » ، كلا بل « عاملة ناصبة تصلي نارا حامية » ، الناظرون لكل منها « يقولون انه لمجنون » إذا الأ غلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون « في مقابل الخصم يلهب « عليهم نار موصدة » وفي مياهد الحرب يحكى من « نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة » « نهم فيها زفير وشهيق » وفي المجاهرة بصوت جهورى يصيح « ذوقوا عذاب الحريق » « يغلي في البطون كغلي الحميم » ، وإذا حر من الغليظ لا يعرف الحر من العبد والعدو من الحميم ، شوى الحرق وقوى الخرق « فيه طلمات ورعد وبرق » مسعر يسعر السعير على الخصوم بسباره ، ويرتجز في المارك أنا الذي لا يصطلي بناره ، بارقة يرتعد القلوب لصواعق وميضها ولوامع آثارها ولا أنسبها لأن بخارها نارها • يعنى أصبح المدفع منوطا ومعلقا ، سحبوا المدافع لأعلى الجبل لفتح القلعة - حيث أنه كان يجب أن يكون ثور عربتهم ، دكوا البرج المعروف بـ « برج دوده » بقذائف الرعد مثل قلب المحنة ، صارت بيوت الأهالي من طلقات المدفع والزنبور مثل بيوت النحل ، وأصبحت أحوال أهالي القلعة من الخوف شاملة مضمون . يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت •

بعد ذلك تسلق وقفز الملك المنتصر في ليلة الخميس (الثاني والعشرين من ذي القعدة) مع جماعة من الأبطال البواسل سوار الحصن ، واستقروا جانب جبل « جهل زينة » ، في مكان كمين ، عندما سمع الأبطال أذان الفجر رسموا خطة الهجوم صفا صفا باذن الملك ، وكبروا بهدف تسخير القلعة ، وتوجهوا ناحية « برج دوده » ، في بداية هذه الصلاة قامت جماعة من المصلين المحاربين في محراب الحرب من تتابع سهام الشجاعة المتتالية والقذائف الحارقة للروح على هيئة الركوع والسجود •

إذا ركع القنا الخطى صلوا صلوه جل واجبها السجود

لكن لم تؤد المقصود بحكم القضاء (باتت بليلة حرة) ، وحلت في المرة الثانية عقدة من عقد القلعة (باتت بليلة شيباء) .

توضيح هذا المقال انه في ليلة الثاني من ذي الحجة سنة ١١٥٠ هـ ، حيث كان قد مضى ثلاثة أيام من نوروز عام الثعبان ، صارت من كل فرقة جماعة ومن كل بحر موجة لتحريض الطائفة (البختيارية) المشهورة لآمر الهجوم ، اختاروا الاختباء والاختفاء في أركان ومخابئ الجبل وخفايا الحصن (قرع للأمر ظنبوية) ، في أول الظهر كان أعداء عصر الدولة بلا زوال وقت زوال ورواح العصر ، أظهر القادمون شجاعة باقدام اظهار الشجاعة بتقديم الأمر ، عندما ظهر الملك السليمان العظيمة بعزم الهجوم وهو على سرج مثل جبل الجسد ومثل الشمس على قمة الجبل ، همل الفرسان من أطراف الحصن الله أكبر ، أما الطائفة (البختيارية) فقد ساعدها الحظ ، فقد وضعوا القدم على أعلى ذلك حصن فلك المشاهد بسرعة التبختر من ناحية (برج دوده) بمضمون « دخل المدينة على حين غفلة من أهلها » ، وارتفع جنود الاستيلاء على قمة البرج مثل السماء « ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها » ، وثارت بضوضاء البشارة الولولة والحسرة من قلب (الأفغان) ، وارتبط فلك الأثير من صوت بوق النفير من روح أهالي القلعة - وألقت الطلبة السعيدة بنقرة « اذا نقر في الناقور » حرب في قلوب الأعداء ، وأظهر بوق الفتح من الصوت العالي المحبب آية « يوم ينفخ في الصور » وأهوال وأحوال يوم القيامة للأعداء .

بعد ذلك استقرت جماعة من الرجال استمدادا « من الله ذي المعارج » . حراسة المرتبة العالية للمرتبة بدون تفكير وحذر على سطوح الحوائط وشرفات الحصن ، وجعلوا بالرجولة والشجاعة به السعادة بحائط الحصن ، وفتحوا البوابة والبروج ، وجعلوا جيشا كثيرة من أعداء سور القلعة طعمة للسنور الذين كانوا يتفاخرون (هو في شيء لا يطير غرابه) ، وصار كل مال القلعة عرضة السلب وعلف النهب ، « والله أركسهم بما كسبوا » ، نهض (حسين خان) من مشاهدة هذا الحال دح الأطفال والنساء ثملا بخمر الحيرة وخراب خمر الجنون من رأس المال والمتاع ، واختفوا بقلعة « قيتول » .

عندما كان سيف المبارزين بمفرق وقمة رأس العظماء حتى الرقبة يجري حكم « فيها يفرق كل أمر حكيم » ، تركوا العصيان ، قفز مع البقية ، تشنف بحلق العبودية ، وتقرط بقرط الطاعة ، في يوم آخر جاء مع بقية الرسل وأعيان الحصن لبلاط الفلك الدائر ، اشتعل مصباح أمله من قبس المصباح المشتعل من دولة مضيء الدنيا ، تساوى بالنصرة. الرقية اقبال الطوائف « الغلجائية » ، سلك جمع منهم في سلك ملتزمي.

الركاب الفلكي ، وامتد من ظل المختارين لقصر الدولة ، أظهر بشرى « فمن
 اتبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون » ، وكسبوا من العطايا
 « انما لموفوهم نصيبهم غير منقوص » ، هاجر البقية « قال أنتم شر مكانا » ،
 واستقروا فى « نيشابور » ساكنى « ولكن فى الأرض مستقر » ، ظهر فى
 شأنهم منطوق « ولقد مكناكم فى الأرض وجعلنا لكم فيها معايش »
 « ويحسبون انما نسئ لهم به من مال وبنين نسارع لهم فى الخيرات
 بل لا يشعرون » حمل (حسين خان) ماله ومتاعه بالمدينة ، واستقر
 واستوطن فى « مازندران » ، وبى منزل حظه الجديد ، حيث كان ذلك
 البناء الجميل فى العمران والتشييد تاج هامة كل البلدان ، أسماها
 بـ « نادر آباد » واختص بتمكن واستقرار العمارة الأبدالية ، خرب وهدم
 قلعة « قندهار » القديمة ، وفتح أكثر من ذى قبل بمشرط بشارة هذا
 الفتح المحبوب عرق روح الأعداء ، كان يتنفس أكثر قبيل هذه البشرى
 الباعثة على البهجة حيث أن للأصدقاء روح على هيئة أمل ويفسح ميدان
 السعادة .

بيان فتح « بلخ » وتدمير الأعداء العصاة

« ما هي من الظالمين ببعيد » كانت تتحرى وتهتز في ذلك الحين رايات تنين الجسد بهدف مضايقة وإخافة وتأديب فراغنة « أفغان » قندهار « تهتز كأنها جان » ، أمر الأمير (رضا قلي ميرزا) بتسخير « بلخ » ، و (طهما سب خان وكيل الجلائر) الذي كان يعتمد عليه في موكب الأمير لقيادة وتنظيم مهمات الجيش ، رغم أن الأمير كان بطبيعته ينفر من (طهما سب خان) ، إلا أنه لم يكن يملك سوى إطاعة أمر الوالد العظيم ، ودفع الخيانة بأى شكل .

ان البعير يبغض الخشاشا لكنه في أنفه ما عاشا

أظهر الأمير بموجب أمر القضاء الاستعداد للحرب بعتاد السهام ووسائل الحرب ، وتوجه بجمع من المسلمين ناحية قبة الاسلام « بلخ » (١) ، أظهر والى « بلخ » أيضا التحزم بحزم ونية القتال ، واستعد على بعد ست فراسخ من المدينة في مواقع الحرب وأماكن القتال ، بمجرد هجوم القبائل الكثيرة ذو الصولة الجمشيدية ، صار أساس قرار (الأوزبك) قرين الخراب والدمار ، وهزم وقهر الوالى مع الموالى سالكى الصحراء المقفرة ، نكس أولئك الأوغاد لواء اعتلاء ، كان الخيال الفاسد قد استولى على رأس الوالى ، أزيل من آلة سيف وسنان الأبطال ، عندهما رأى الوالى هلال شهر دولته مقترن بالزوال ، وهناء العيش في الرغبة الموافقة لاثارة الزمان العابس ، واجه الدهر القبيح الكريه بغاية المرارة ، ترك « بلخ » بسون عظمة ، تسمر حصان القوة بمسمار الضراعة ، وشمر ذيل الاطاعة على وسط الروح ، واستند اشفاق الأمير الكريم .

بعد ذلك عرضت هذه البشارة السارة على العتبة العليا ، أصدر الملك حكما لاحضار الوالى ، وأصبح الوالى المشار اليه مع طبقات الأشراف طائفا بلاط سبدر المطاف وموضع العطف والطف ، وادخر مرعى آمالهم

(١) من أقدم مدن خراسان توابعها سنكان ، بغلان ، طالقان ، اند خود ، فارياب ، باميان ، غزنة ، كابل .

من أمطار تربية النضاره ، ومن أمطار جود سعة النعمة (ان المقدرة تذهب الحفيظة) ، وسخر جميع ممالك الضلع حتى نهاية « قنسوز » (٢) و « بغلان » (٣) و « بدخشان » (٤) بصحبة «السيف اللامع وقبضة نادر الذهب » والأرض جميعا قبضته » .

بعد ذلك تلازم أمر « بلخ » بالمشيئة الآلهية ، حرك الأمير لجام ظفر الببيان لتسخير « بخارا » انزعج واضطرب (أبو الفيض خسان) والى « بخارا » من ارادة الأمير الحرة ، وطلب المدد من (ايلبارس خان) والى « خوارزم » بقلب منقبض ومحترق ، (لان الحبارى سلاحها سلاحها) ، أظهر الخان المذكور أيضا البطولة من طريق الباطل ، تحرك جمع كبير من « الأوزبك » ضيقى الأفق لقهر النمر « وأن الظالمين بعضهم أولياء بعض » بغرض معاونته من مكان بعيد بقبج وضعف ، وقف الأمير من مضمون « ان الشياطين ليروحون الى أوليائهم ليجادلوكم » ، امتلك شوكتة يحكم الدخان بهدف محاربة كل من الخائنين اللذين كانا بجانب نار العدو حرقا ، قعبروا من نهر « آمويه » (٥) مثل الريح ، وظهر في الأرض التراب من غبار وتراب موكب قرين الفلك آثار « يوم تأتي السماء بدخان مبين » ، بمجرد أن تحقق (ايلبارس خان) من خبر تحرك الأمير ، فقد عنان التماسك بدون حرب أو قتال ، رأى الأجدى ارسال وفده الخلاص مع وفود حافظة الفؤاد وجماعة حاكمة ، نكس راية العزم وقلب راية الصولة ، ودق بسرعة بلا تباطأ بطبول الرحيل بالخيل والفرسان ، أدار العنان ناحية خيبة الأمل ، « فلما تراءت الفئتان تكص على عقبيه وقال انى برى منكم » وقرأ حال الزمان واصفا حال الأمير :

ان لم تكن لاقيت أبطالها كنت باقربالك كاللاقي
والشمس لا يمنعها بعدها عن شيمتى ضوء واحراق

تحصن (أبو الفيض خان) بقلعة « قرشى » ، واحتل الأمير قلعة « شلوك » التي تقع في أنحاء « قرشى » ، وقتل وأهلك الأهالى الذين كانوا متجهين الى « قرشى » ، الذين كان ينطبق عليهم حكم ملك العزة والصولة ، حيث أن الأمير وقف يلاحظ رسم جدية الاتجاه ناحية « توران » ، وانعطف لجام الحركة والتحرك من أنحاء « بخارا » وجعل الأمير حسب المقرر لتلك الناحية بجناح السرعة ، (كانخطاف الخفافش واستلاب الحداة) نعمة الاختلاس ولقمة النهب ، أسرع بالاسلاب والغنائم والأمتعة .

-
- (٢) مدينة من بلاد التتار ، جنوبها أفغانستان وغربها بخارا .
(٣) من توابع بلخ .
(٤) ولاية شرق طخارستان .
(٥) هو نهر جيحون وتحيط به ولاية بدخشان من ثلاث نواحي .

بيان تسخير « الهند » بتقدير خالق الظلمة والنور جل شأنه

« وان ذلك لمن عزم الأمور » « الهند » مملكة واسعة وعريضة ،
وهوؤها في مزاج المضطربين (١) الجبسى الذى يجبر بها المبيض ، شجرها
عرعر وحجرها مرمر وقراها مثيرة خجل ملك البربر ، طيورها متطايرة
الألوان متغايرة الطباع ، فى الطيران العالى مع الطيور « أولى أجنحة مثنى
وثلاث ورباع » متفاوتين وأهلها طوال القامة ، وأنواعهم متباينة فى حسن
خلقة المظهر ، « ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه » منزل ومكان
فلك شأنه حيرة نصيب قلوب أهل المعرفة والعقل ، والهضاب والسهول
والجبال مثل السماء السابعة نموذج « ومن الجبال جدد يبيض وحمر
مختلف ألوانها » ، بله ملء بالفوائد والمنافع والمدينة فيها طباع محبوبة ،
كل طين أرضها عبارة عن براءم ورد الأرض الطيبة الأخضر من الورد وكل
برعم زهرها من بوتقة صائغ الفضة الأذق ، لزهورها العباسية عملة ملكية
تحت فص الخاتم ، وأوراق أشجارها علم قرطاس فى كم كل وردة تمتلك
علو الشان ، ولم يجد كل فرع صاحب ورق وثمر ومتاع مرعى مضى
منزله فى كل الجنات الأربع جنات ثمان ، وفضاؤها من الريحان الأحمر
والأصفر حريم جميل ذهبي ، خاصة دار الملك « كابل » التى هواؤها
طبيعة الروح وماؤها شراب نبذ ، ووردها جمال البدر المكتمل ، ولشوكها
نضارة الورد ، ماذا يكون الجبل وتكون الصحراء من كأس زهر مجلس
الشراب الأحمر ؟ وماذا يكون البستان ؟ ويكون المرج من النرجس
والشقائق عين ومصباح لجنة الخلد ؟ .

من كثرة الرياحين المختلفة الألوان اغتباط معبد « الصين » ، لم
أخطأ فى أن الجنة هى وجه الأرض (أمرع واديه وأجنى حلبه) ، حبذا
المدينة التى لو أن نسيم من نفحة الروح الواهبة تهب بالبستان ، يحمل
كل برعم ورد مريم المسيح .

(١) المضطربين الذين فروا للهند من اضطهاد العصر الصفوى .

لو تصل للمجلس رائحة من بستانه ، يأخذ برعم الصوفى الكليم رائحة الورد الأبريشمى ، عندما تلقى خضرة الزبرجد بالنهر صورة مثلها ، تظهر من النهر حصى الزمرد البللورية ، وعندما يمر ذكر حلاوة مائة فى مدرسة حديقة الثدى على لسان الطفل الصغير ، تظهر أوراق الكتاب النباتية « للكلستان » الحلو .

مرض البلبل واعتل السمندر من حرقه عشق وردها النارى ، امتلأ طائر التصوير بنغمات أكثر من رطوبة هوائها المنعش للروح .

هواؤها من البلاء جنبة كأنها من نغمات الجنة

تصنع الفتاة الصغيرة الذؤابة المضيئة البنفسجية فى نشاط ، يرى فى العين جرأة النرجس مع جمال وجه الورد الناظر لوجه المحبوب ، لو يتحدث من نكهة سنبله فى قصر الحريم ، يمكن أن تقطر الرائحة من شعلة شمع وردة الليل ، لو يظهر الربيع من نهره ولونه فى معبد « نوبهار » ، يمكن أن يسمع من الباب والحائط خطاب « يانار كوني بردا وسلاما » ، يتدحرج خيط النظر الذى يندى بستانه مظهرا سلك الجوهر الرطب ، ويسقط شعاع البصر الذى على ساحة روضته مقطرا عرق الياقوت ، من سعادة بستانه لعين النزهة من كل أطراف مدينة « سبز » فى « مدنظر » ، ومن لون وروده الياقوتية لأهل البصيرة من خلف سبيع حجب ياقوت أمام النظر ، الخليل من سلوك وادى شوق وردة النارى ، والخضرة من بدو هواء مرجه المحبوب ، السرو الحر عبد غصن بستانه ، الشمشاد المخضر فيض نهره ، من حلاوة أمر مشروع حداثته ، كان « فرهاد » يحك رأسه من الخجل بحد البلطة ، وكان يعتبر من ظهور ليلي وشأن زهوره الصحراوية للصفصاف المجنون مجنون البادية ، وخلص جمال سروه القلب من الصنوبر ، قال السرور شمشاده (صدره وطوبى صدره طوبى له) ، وسمع صفاء صنوبره والصفوف العالية من متدينى العالم من منشأ هبوب ترابه كل وردة مائة ورقة مثل بلبل العشق الثمل ، وجناره من كل ورق شجرة النسب « أصلها ثابت وفرعها فى السماء » زين الجنار حداثته من ورد حرير مصنع الحرير المزركش ، وصنار بستانه من الزهور المتفتحة مجلس اللعب بالنار ، هجم لطافة زنبقة الحوائط ، وكان شوك قدم المسافرين يد ورد مخضر البساتين سعد من قمة سعادة شلاله للجبل ، تارت الطراوة حتى الوسط ، ومن موج صفاء ترابه أصبح الحجر الصلب غريق الجوهر .

الخضرة المحببة ناحية نهره الأخضر الذى جلس باللباس الأخضر على حافة ماء الحياة ، وحطم كل قرع شجرتة الجريئة التى تحطم بحركات

حلاوة الرونى لفرع النبات من خضرة لسرو الثلاثية اللباس ، الفاخته فى صدر القمرى مع جناح البيغاء الملون ، ومن علو الأشجار أنشد مطربى المينا والبلبل مع كروان الفلك الأزرق نفس اللحن ، أقمار سروه مع ملاكه السماوى كاتم سره ، طارت طواويس بستانه مع طائر الشمس الذهبى. نفس الطيران ، خردة فى الذهب السماء الرابعة - يعنى أشعة الشمس - مزيف أمام عيار الورد ، وحديقة النجوم الذهبية الخضراء - يعنى للسماء - ممزق غصن الشعر حتى صدره الفستقى من نار العشق بشبكة القميص الفستقى - وألقى مع شبكته شبكة ذؤابة الأعناب المجعدة خضب العناب أطراف الأصابع مع الفستق فى التقبيل ، وأفنان الزهور مع ورق سحب الربيع بالتفنن فى باقة ورد حمل البرقوق والكرز الأحمر .

فدبت بنفسك نفسى ومالى ولا آلمك الا ما أطيق

فى البلاغة وضحك شفاه الفستق من البرقوق :

كأن النجوم الزهر زهر لخوخه ولم أر مثلى شبه الزهر بالزهر
فى خطف قبلة لطافة المشمش المتأنقة سوق نور القمر مضى العالم ،
وأمام صفائه وسعاده حبة المشمش حوض بلا ماء .

بدا مشمش الأشجار فيها كأنه يلوح فى خضرة الغضون الموائل
قباب بمخضر الرياحين اغشيت وقله زينت فى مسجد بجلجل

التفاح الملى بفائدة الكأس العقيقى المملوء من خمر الشفاة الحلوة
بالجبة الياقوتية المملوءة بالعنب الصافى ، فرع الأشجار الثمرة قرنية
السدره والطوبى المحكمة ، وفى جانب جمال لغد كل تفاحة وصف تفاح
لغد حسناوات تافة .

كأنما التفاح لما بدا يرفل فى أثوابه الخمر
شهد بماء الورد مستودع فى آكر من جامد الخمر
كأنما حين يخبى به نستنشق الند من الجمر (٢)
من نسبة اسم الزجاجاة المنقوشة الوردية ، مثل علبة الكهريا (٣)
الجميلة المشابهة لكأس النبيذ الأصفر .

(٢) هذه الأبيات من احدى قصائد ابن المعتز فى وصف التفاح .

(٣) نوع من الخرز يجذب القش والورق وذلك بعد حكه بشعر الرأس .

ذهبي الجبلد فضى الحشيشا فلكى العجرم مسكى النسم
ككرات من أديم أصفر أو ثدى لا ترى فيها حلم

وصفى صفاء العنب (أصفى من الدمعة) ، قال تطهرت عين حور
العين من الحجاب العنبي ، ومزج يد القضاء حالوته بلنة الروح ، لو ذهب
عنقود الثريا للسماء لما استطاع الوصول لعقود أغصان ذهبه ، وسحب
من الحلق سلاسل جوهر رقبة الحسنات ان لم تستطع أن تصبح مثل
شجرة العنب .

ورازقى مخطف الخصور كأنه مخازن البلور
قد ضمنت مسكا الى الشطور وفى الأعلى ماء ورد جور (٤)
لم يبق وهج الحرور الا ضياء فى ظروف النور

حصلت نار تلك الديار على ميزة كبرى تميزت بها على نيران جميع
البلدان ، وتشابهت كل حياته فى الصفاء واللون مع الياقوت الرمانى
(فى كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار) .

ورمان رقيق القشر يحكى ثدى الغيد فى أثواب لاذ
إذا قشرته طلعت علينا فصوص من عقيق أو بجاذ

لما كانت ولايتنا « غزني » و « كابل » تعبدان فى سالف الدهور
الغابرة من أمهات ممالك « خراسان » ، أصدر فى بداية الدخول لـ « قندهار »
أسراراً مع الخواص « بأيدى سفرة كرام برة » لتقرير أساس الحب
المصاحب للسفير البليغ الحديث جهة حضرة (محمد شاه) ملك « الهند » ،
وكتب فى ذيل الرسالة الاسم بالكنية والتصريح وأظهروا لهذا الحرف
عمق الخبرة ، ومحك الحكايات ، ومجال التجربة ، وحجر الاختبار ودلو
التجربة ، ومهد فى طلب الملك والمملكة بحسن ارسال الرسائل والسفراء
بلا تحكيم وتحكم وظلم وتهكم ، وأكد المبالغة بإبلاغ « لا تحسبوه شراً
لكم بل هو خير لكم » ، رغم هذا فان كان سلاطين سليمان خاتم ممالك
« الهند » منذ قدم ملوك « إيران » و (ان بينهم عيبة مكفوفة) ، قرأ (محمد
شاه) من مصحف تغيير الخلافة يعنى صديق آية « أنا أكثر منك مالا وأعز

(٤) جور مدينة من توابع فيروز آباد وماء ومدها مشهور .

نفرا » ، مال ناحية التطرف والظرف وطريق عظمة الطبع ، وغفل عن
مضمون « فسيعلمون من أضعف ناصرا وأقل عددا » ومفهوم .

لا تستتب ابدا ما لا تقوم به ولا تهيجن في العربية الاسدا
ان الزناير ان حركتها سفها من كورها أوجعت من لسعها الجسدا

وقدم كمال التكبر وكثرة الطلب والتراجع والانكار ، سد زجاجة
الاجابة بسدادة عنق الزجاجة ، سد الأذن وأسكت اللسان عن الاصغاء
للموضوع ورد جواب « اذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها » ،
واحتجز السفير المذكور لمدة عام ، لم يكن فى بنود الصلح ، وظن أن هذه
المراسلة ناشئة عن التكبر ، وظهر أن الظاهر فى الصلح لم يكن الا اشغال
موقف الشرر والتقاعد عن عقد الصلح لا تظهر الا باثارة غبار المحنة .

ان الخلاف كالخلاف تشابها وكلاهما فى الاختيار ذميم
لو كان خير فى الخلاف لكان ذا ثمر ولكن الخلاف عقيم

عندما أدرك الملك من صفحة حال (محمد شاه) مضمون (ييخل
بالورق فكيف بالورق) ، ورأى الحمادة الورقاء حاملة رسالة (أبطاء من
غراب نوح) ، وصار هذا المعنى موجب انقباض خاطر العظيم ، وتحركت
سلسلة الغضب وغضب طبع الملك وتجردت سيوف القتال ، استعدت
الكتائب المستعدة والجيوش المجتمعة والجنود المجندة والسيوف المهندة
والحاددة والسهام التى فى الجعبة والخيول السريعة ، والجياد المصاحبة
للموكب والخيول المحجلة والموريات المتعجلة الزائدة عن العدد والحصر ،
وبدأ الأمر سريعا ، شحن الرسالة بالتنميق والآداب ، ونقشها بأثار هذا
المضمون للملك العظيم الجاه . اننا وفقنا العام المنصرم الى ارسال الرسل
ورسائل عقد قيد الحلق ، لم ير وجه شاهه المراد من نقاب الارتقاب ،
ولم يجب من جانب ذلك الجنب المبهج « فاتخذتموهم سخريا حتى
أنسوكم ذكري » .

كتبت اليك استهدى وصالا فعللنى بوعد فى الجواب
الاليت الجواب يكون خيرا فيطفىء ما أحاط من الجوى بى

عندما اختلط منبع العظيم المنبع بتراب وطن النفاق ، وثارت جنود
الوهم والتشكيك من بلاد الخاطر ، مال لقطع وفصل العمل مع ذلك
العجوز الأصل الذى صاحب توسط السعداء بواسطة ظهوره ، وضع
المرشد صاب النفس الذى مثل الهلال مفتاح فتح المدن فى قبضة بالوضع
المنحنى ، لم يتحدث فى وجه الخصم الا بالصدق ، ولم يتعامل بالسفك

الكامل عند ملاقاته العدو الا بالشفقة ، يعنى كان السيف الجاد والجسام
مهريق دم احواله ، كان المضيف ينتظر ورود موكب القيامة المثير ، ليجعل
السيف ذا الحدين يعمل عمل الحد الواحد .

السيف أصدق أنباء من الكتب فى حده الحد بين الجد واللعب
بيض الصفائح لا يبيض الصحايف فى متونهن جلاء الشك والريب
والعلم فى شهب الأرماع لامة بين الخمسين لافى السبعة الشهية
وكان ينشد لسان الحال على حال (محمد شاه) .

هيجت قمقاما من القوم بطل لىث ليوث واذا هم فعل
لا يهرب الجن ولا انس أجل وكثرة المنطق فى الجرب فشل
فى عام ١١٥١ هـ فى غرة شهر صفر كان يعتزم السفر شرقا ، كان
يلجم الخيل السريعة رياح اليمين برق الطبع الذى كان يضرب برق الشمال
على نسيم جنوب الطعن (هو عندى بالشمال) ، وامتلك من طريق « قلات »
« قندهار » ناحية « الهند » صفة « واذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا »
جعل اعلاء راية دولة النصر آية النصر السعيد ، وأسرع الجيش الباسل
من جميع أنحاء العالم .

على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتى على قدر الكرام المكارم
وتعظم فى عين الصغير صغارها وتصغر فى عين العظيم العظائم
ويطلب عند الناس ما عند نفسه وذلك ما لا تدعيه الضراغم

أصبح تسخير « غزنين » بداية الفتوحات ، تطوق أهالى البلاد بطوق
الآمل ، واعتنقوا برغبة الطاعة ، احتل (نادر شاه) القلعة والمدينة بجندر
لكن أهل « كابل » (كابل مائة لا تجده فيها راحلة) اكتسوا بحلة السلامة
من نفس النزاع وبكساء الحماية والملاذ (أكسى من البصل) ، وأظهروا
مفاد « وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم » بإحكام الجدران واستحكام القلعة
وحصانة الجدر ، وانشغلوا بتحصين المدينة ، وسلكوا طريق الحرب ،
وسدوا طريق الطاعة ، وشددوا حبل المخالفة ، بأمر الملك انقسمت جماعة
من المتعجلين و « أكراد خراسان » - الذين كانوا صخرة صلبة ثقيلة -
بالسيف البتار ، كانوا يعتبرون (زال الزابلى) (٥) و (مهراب الكابلى) (٦) ،

(٥) البطل المشهور .

(٦) ملك كابل وجد رستم دستان .

عجوز وعبد تافه ، استقروا فى مكمن الكمين ومكان حصين ، ثارت الأسحار
التي حطمت درع الفلك - لدفع سواد الظلمة عن رأس حرب خيل
الشمس لساحة الأفق ، ظهرت جماعة منهم بأطراف القلعة ، وصاروا بشكل
خداع مزين المعركة منار النزاع والصراع ، كما أصبح أهالى القلعة
مستعدين أيضا للقتال « يحسبون أنهم على شيء » ، ركبوا خيل الجلادة ،
وعقبوا فى الحرب بالشجاعة وتجريد السيف ، وتذكر الأبطال المهرة
الخالق ، تحركت الخيول من مكان الكمين عندما ثار غبار أبطال « كردان » ،
أصبحت تلك الجهة سقف الفلك الدائر ، تفرقت هذه الجماعة (الأكراد)
مضطربة وأجلة من مقام الاستقرار « ان يريدون الا فرارا » صاندو الأسود
العجم الذين يجعلون عظماء العرب بالهجوم صيد مصيدة الجلادة ، وانفضوا
يوجه كالح مثل العقاب الكاسر الجائع والظامى من موضع الكمين ، حطموا
جمعهم ، وجعلوا جماعة منهم أسرى مخلب الشهامة ، وأكلوا من لحم أفواج
« كابل » ، وعاد البقية مثل الصيد الجريح متفرقين مشتتين ، بداوا يفرون
مثل الطير السريع بلا مفر ، وعادوا الى « كابل » بالهم والغم المقترن
بالويل والأسى .

فى اليوم التالى أصدر الملك (بهرام) القوة أمرا باحاطة حدود
المدينة ، أظهر الأبطال البواسل لأهالى القلعة « وأحاطت به خطيئته » ،
وجعلوا جلادة الكنائس من سحب وتر القوس بصاعقة أمطار الندى أسنة
رماح لمدينة « كابل » ماء الأمطار ، بعد ذلك كانت المدافع مثيرة غبار قيامة
الثورة تضرب على قمة جبل « عقابين » (٧) .

ونجم فى سحب ، وهامة لها الغمامة عمامة ، وأنملة اذا خضبتها
والشفق كان الهلال لها قلامة كانه وكر العنقاء ومنزل العواء وبرج فى
السماء .

كان ظهور الصهباء النارية ملتوية الحافة قبة مينا الفلك مليئة من
قطرات شراره ، حطموا بيوت القلعة مثل ثمال حانة الثمل والخراب ،
كانوا يحاصرون بالنقل الكركى الذى مهارة الجنود الرماة والمدفعجية من
حقرة الطلقة فى أمر الاستقرار ، أظهروا القلعة من الوجهة بالفلك ، ودحرجوا
أبنيتها على وجهها كالسكير ، وبدأوا الحصار بالاعتقال والأسر ، عندما رأى
أهالى القاعة أنفسهم فى ورطة الهلاك ومصيب البلاء « ويقذفون من كل
جانب دحورا ولهم عذاب واصب » ، طلبوا من وجودهم الفانى نهاية
جانب العافية ، وأودعوا خاتم اختيار دار الملك « كابل » فى خنصر عبيد
هذه الدولة ، فتح ذلك الضلع بأقاليد السيوف ومقاليده قضبات الرماح

(٧) جبل بناحية كابل ويطل على أربع جهات .

للمدن البعيدة والقريبة ، وصارت من هناك ولاية « بهار » من توابع « جلال آباد » (٨) من نزول موكب جلال حسد الربيع ونصيب ساعات الليل والنهار ، حضر الأمير (رضا قلي ميرزا) من « بلخ » بموجب أمر الملك ، اقترن ذلك المنزل بالبهجة الظاهرة والتبرك ببركة تقبيل اليمين الميمون. والتشرف بشرف تقبيل بساط السعادة .

فى غرة شعبان فى ساعة بعيدة عن العار والزبال ، وزمن مبرأ من عيوب عين الكمال صارت نيابة « ايران » المحظوظة للأمير (نصر الله ميرزا) . بعباء جوهري صورة اعلاء الرأس عاليا ، الخان العظيم الأصل لذللك السعيدين ولا هما ولاية العهد ، ضرب باليد المباركة التاج للجهة اليسرى ، (رضا قلي ميرزا) جهة « ايران » ، وجعل (نصر الله ميرزا) ملتزم ركاب النصر ، واتجهوا ناحية « بيشاور » (٩) ، اتجه (ناصر خان) ناحية « كابل » فى حدود « بيشاور » من الطرق الجبلية وشعب الجبال وجبل تجمع المتفرقين وتحريض القبيلة الكبيرة ، أصبح فى « جمروود » من كمال وحشة ودهشة الاستعداد للحرب ، عندما كان جبل « خيبر » - الذى يقرن بالكذب - مع الفلك الدائر ، كان مسكن (الأفغان) على شكل الثعبان الأسود ، الملك الذى بلا نظير أعد وهيب بارشاد الضمير الخبير الهجوم الليلى ، مال عن ذلك الطريق ، وانصرف ناحية الجبل المعروف بـ « سه جوبه » الذى كان من كومتته الفلك الأعلى جبل أحذب ، وسلك من سبيل حسن الحال ومعرفة مدى صلاحية المرور وليلة الهجوم والجبال العالية مقام العنقا وموطا الخيول السريعة ، صعد بصعوبة على قمة ذلك الجبل ، أحاط « جمروود » بذلك البحر الدامى مثل المحيط ، ورأى (ناصر خان) امارات « فما له من قوة ولا ناصر » مكتوبة فى جبين الحال ، وأسرج الخيول السريعة ، علق حمل الهروب ، وجلس على ظهر الخيل ، وتعلق الأبطال المهرة بذلك الفوج المضطرب ، أعتقل (ناصر خان) مع أربعين فرد من الرؤساء الجهلة وفوج من جنود « برشاوور » فى هضاب وثلال أسر القيود ، قال البقية من خوف روح المحتضر (ذل لواجه ناصر) ، سحبوا أنفسهم لأركان الجبال وقممها ، أصبحت الساحة مع سعة « برشاوور » مقر سلطنة النبل وحدود مدينة الجلال .

بعد عدة أيام أصبح فجأة وبلا توقع خبر تمرد (لكزيه داغستان) (١٠) بؤسا وتؤسا لهم ، ونعى (ابراهيم خان) طيب الله ترابه وعفى عنه صار ادراك الملك العظيم الجوهر فى مسامع الجميع يحكى .

(٨) بلدة من بلاد أفغانستان بالقرب من نهر كابل .

(٩) بيشاور من مناطق البنجاب وهو من ولايات أفغانستان .

(١٠) اسم طائفة من سكان القوقاز من أهالى داغستان .

عن مضمون « ولقد جاءهم من الأنبياء ما فيه مزدجر » صارت عقدة عقد النشباط ، أظهرت حجب الملل في صدر وشدة العورة في الظاهرة كل الجماعات ، واختلط مشرب المسرة بطين بلاء هذه المصيبة ، واختفت شمس السعادة بسحاب خفي الجمال ، (وأي نعيم لا يكدره الدهر) .

تفصيل هذا الاجمال انه في الأيام التي كان يحتل فيها الخاقان المغفور له ملك « آذر بايجان » ، كان « لكزيه جبار » - حيث ولاية « شيروان » - بمصداق « والجار الجنب والصاحب بالجنب » تحرك أشرار « داغستان » بالذهب والسلب وسفك الدماء وسبي الأماء ، كانوا يحرصون ، باصرار على اضرار النفوس ، « وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم » عزم الخان المذكور المسير بجيش جرار ، يطفىء نيران الفتن الثائرة بماء مدافع مواسير الرماح وغمام السيوف البائرة ، وقتل في أرض القتال ومعركة الصراع على يد (اللكزين) ، وسلك طريق البقاء بحكم القضاء ، الملك الذي بلا نظير كلما وجد وجه شمس المراد كلما اغتم قلب العدو البائس ، وترددوا في بداية الأمر بشأن العودة والذهاب لسلوك طريق الصحراء ، لكن عندما كان تسخير دار الخلافة (دهل) هدف العزم وغاية الهمة ، لم تعد هذه القضايا باعثة على نقص زينة مزين العالم الملكي .

غلبت عزيمة تحرك الراية وانتقال الجيش على العودة والتغير ، وجلب قائده التوفيق زمام التوجه في كل حال ناحية المقصد ، وأصبح - بمضمون « لكل نباء مستقر » وإشارة « إنما علمها عنده ربي لا يجلبها لوقتها الا هو » تدمير وإهلاك تلك الجماعة متوقف عليها انتهاء أمر « الهند » (من قصبة البجن استقل السواقيا) ، بحكم « واصبر وما صبرك الا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون » ، بخسة وضعف العزم والنية ألجم الحصان الأشقر بلجام (أشدد حيازيمك لذلك الأمر) ، بسرعة أمر عبيد من عظماء الجيش الأبطال البواسل بقيادة الجيش الى « آذربايجان » و « كرجستان » ، وأن ينتقلوا في تلك الأنحاء بأسنة الرماح العالية لمحو ظلام الشدائد والضلال ، ويجعلون بسيف مثل أظافر الأسد أفواج الأعداء فرائس أسود النقرة ، حتى تستطع شمس موكب النصر من أفق هند الطالع وكوكب جماعة العالم المضيء حديقنا من ناحية الشرق .

أرسل عليهم لهذه المعارضة عرضاً عريضاً كعارض ثجاج وبحر عجاج ويم موج وبالصواهل والمناصل ذى أمواج وفي ضحوة النهار ليل داج وفي غيبه الليل نجم وسراج ، بعد ذلك كان مع أفواج « كلاهور » (١١)

(١١) اسم جنى مازندرانى حارب رستم .

القوة بعزم تسخير دار الملك « لاهور » (١٢) من أنهار « البنجاب » التي كل منها بحر زخار عميق وبحر دامي هميقي ، كان يمر الماء من سرج اللجام بل من قرط الأذن ، عبروا بأشعة السفن وقوائم الخيول « كسفن هزت من الصوافن » ، كانت ساحة « لاهور » من شعاع قمر لواء النصر الذي كان ينير وجه الأرض والسماء وضوء القمر مضى القرون والدهور ، صارت مزار حقه منزل الشمس ، لم يتقاعس (زكريا خان) حاكم تلك الناحية عن تجهيز المؤن ، وإعداد أماكن الإقامة ، وإظهار فروض الطاعة ، أسرع بلا حذر خادها لبلالظ فلك المشال ، أضاءت شمس مضى العالم بالاشفاق الملكي على ساحة حاله ، وكسب نيل المرام من تقبيل عتبة العظيم ، وتحولت إليه زلاية « لاهور » مرة أخرى ، وامتلك بالخيال والعبيد المشاعر الملكية ، توقف (فخر الدولة خان) الناظم السابق لـ « كشمير » في « لاهور » وأسرع ناحية ولايته بأوامر الحكومة .

بعد دخول المركب المسعود لحدود « الهند » ، أظهر الجواسيس علم « فجاسوا خلال الديار » حيث أصدر حضرة (محمد شاه) أمر سامي معلن عن مضمون (أن أمامي ما لا أسامي) بأسماء حكام أصحاب رأى الأقطار والنواحي ، وولاة زينة الآفاق والضواحي ، حضر الجميع من أقصى المملكة بجند لا حصر له ولا عدد ، أحموا سيف العزم ، وأشدحوا سيف المعركة ، وأعدوا الجند المتعطين ، وتهيئوا الجيش المائح ، جمع أيضا (نظام الملك) من ملك « الدكن » الفوج الذي كان في مصيدة العدو صائده أسرع من عقبان قمة الجبال ، ومن برق الدرع البراق ألمع من النجوم في الليل المظلم ، وفي « كرنال » رفعوا الملجأ المنيع والمقل الحصين ، أعد وجهز وهيا ثلاثمائة ألف فارس من قلاع المملكة بأسلحة القتال وعتاد الصدام والحرب وآلات العراك والقتال ، وثلاثة آلاف مدفع قارع راعده ، وألفي فيل .

عندما سمع الملك عظيم الجاه خبر تحرك ذلك الملك على الشبان (محمد شاه) للاقائه ، فرح وانشغل بمباركة الحظ السعيد ، وأظهر « ذلك ما كنا نبغ » ، ومقارن هذا الحال « جاء من أقصى المدينة رجل يسعى » وقال يا أيها الناس قد جاءكم برهان ، يعني عاد الجاسوس السامعي (أسرع من المسح) كأن قد ذهب للتجسس وجمع الأخبار من الأنحاء ، كما جمع (برهان الملك) أيضا من الحشم المحترمين جمعا كثيرا بلا عدد ، وجهز جماعة بالعتاد ، وقلعهم إلى « بانى بت » - التي تبعد عشر فراسخ عن « كرنال » - بمقدمة الجيش وآلاف الجنود .

وهم كالأسود في حومة الوغى وفرسهم فيها القنا والقنايل

رفعت جماعة من الأبطال الرأس عاليا ، ونفذوا خطة القتال بمعدات الحرب وعتاد القتال ، وأنشدوا فى كمال الشوق والعشق والفتنة والسعادة بالسنّة الأسنة بنغمة « هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين » ، وبدأوا بالغضب والشدة والهجوم السريع ، تقدموا بالصبر المتأنى لـ « بانى بت » بمقدمة خيول فاتح العانم ، وبرهنوا لـ (برهان الملك) بالبرهان القاطع للسيف البتار من شبهة الوجود ، وأخذوا برهان ضرب السيف الخفيس مزين جوهر الحياة بالأسف منه ، خاف (برهان الملك) من استيلاء خوف الحواس أكثر من ذى قبل ، فعمد الى جمع مزيد من المعلومات عن جيش « ايران » وفحص الأماكن والاستعداد ، كان يظن أن دجال المقاومة مستحيل ، أسرع حتى وصل للأفواج القاهرة بدون تردد وخوف من القتل وبصحبته جيشه الزاحف المرتجف فى جوف الليل ، فى ليل يحول بين الكلب وهريره ، والأسد وزئيره ، والماء وخريره ، والطير وصفيره ، والباب وصريره ، وكان قد ارتبط فى « كرنال » (١٣) بهيئة مثل الناي ، وكانت جماعة من أتباعه قد أسرت أناء سيرها .

بعد ذلك عبر موكب العظيم فى اليوم الرابع عشر من ذى القعدة من جسر « نهر فيض » واتجهوا بعزم ثابت بمحاذاة « كرنال » ناحية « بانى بت » التى تقع فيما بين « كرنال » و « شاهجهان آباد » ، رغم أنهم عرفوا أن الأسرى فى عداد المخالفين « سبها بغير علم » ، لكن عندما كانوا (أكذب من أخيد الجيش) ، لم يبال الملك حسن السيرة ، كان يفحوى (ليس الخبر كالمعاينة) أرسل عدة أشخاص من الغزاة الأبطال - الذين كل واحد منهم فاتن العالم ومثير فتنتها - لمعسكر (دحمه شاه) واطلعوا برأى العين على الأطلال ، وعلموا مكان النزول ومقام النزول ، وعادوا لمعسكر العظيم ، وفى صباح يوم من ذات الأيام حيث كان الملك الأصيل يتبختر بهزم رفع ظلام أفواج الهنود متمنطقا بالسيف ذهبى الغلاف ، ذلك الملك الشجاع الذى كان بحرا لجلادة الجواهر النفيسة « حفظا من كل شيطان مارد » ، جعل الخوذة من فوق عظمة وجوده مثل الفرقه ، وجعل من جسده العظيم درعا عريضا مثل نثره ، جلس على الخيل الهادى ذى الجبهه البيضاء مجرة عنان الثريا ، أثر هلال حافر جوزهر ذنب جوزاء خجل سماء الطراز ، أسرع من حسام (حميه) (١٤) ، وأنهض من براق كأس الفلك ، أقفز من حواد (ابن العرقه) ، أظير من طائر (قتادة) (١٥) ، ومثل أحجار الحمام الغضوب ، ومثل غزالة (١٦) مخطم السريع ، ومثل الحصان العاصى

(١٣) منطقة شمال دهلى ومساحتها ٢٣٥٠ ميل مربع .

(١٤) فرس حميد بن حميد الكلبى .

(١٥) طائر فرس قتادة بن جرير .

(١٦) فرس عظم بن الأرقم الخولانى ، أبو عبد الله محمد الاعرابى .

المتجول في أنحاء العالم ، وبلون نور الشمس طاوى الفلك ، الذى فى حلبة
الرهان أكسب من يحموم (النعمان) (١٧) ، ويعبد سرحان (عمارة) ،
بالنسبة له ثعلب أعرج ، ويمرض أمامه صحيح (أسد الطائى) (١٨) ،
ويسبق لاحق (غنى) (١٩) ، ويصحح وجهة أعرج (بنى هلال) (٢٠) ،
ويطير أعلى من دراج (عامر) •

الا انما الخطى فى متن كفه كرقشاء فى انيابها السم الناقع
كان نثار النقع عند اشتداده وهندية كالبراق فى الليل لامع

أصبح مقر الجيش الباسل ، ومخيم الحشم المحتشم فيما بين
« كرنال » و « بانى بت » ، واتجه فى الحال (برهان الملك) و (صمصام
الدولة) « قالوا من أشد منا قوة » بجيش جرار كثير الصولة بالاشتياق
للتقدم وقيادة مقامة ميدان الكر والفر فى ذلك الوادى دأبوا على ترتيبه
صفوف الجند استعدادا للمعركة ، وأرسل لهم (محمد شاه) الخيول
الباسلة الأصيلية لمساعدتهم مع الأمراء الهنود ذوى الخبرة ، كان الجيش
عظيما طوله « كعرض السماء والأرض » ، ظهر عرضه خارج عن حيز الوهم
والخيال بمعرض الظهور ، وتثبت الجيش بالأبطال البواسل والقبيلة الشملة
المقتضبة ، كان أبطال الحربة الهندية غافلين عن تجنب الغرور بجانب
السيف المصرى ، وأن يقبلوا بضرب يد الأبطال السريعة حربى وسيف
اليد المشلولة الضعيفة ، حيث أن اللهو ليس فى قمة المصادمة وهجوم
الغراب مقابل سنقر وصقر القدرة ، وظهر فى مطار المطاردة تطاول الصعرة
على طغول وشاهين القدرة على الطيران •

وافق الملك حاكم الدنيا (نادر شاه) أفواج الأبطال على الخيول
السائرة مباركة اليسار ميمونة اليمين التى تهب مع ريج الصبا ، امتطى
بالغرور من العنق والعضد والكتف على جواد الفلك الأبيض ، انشغل عن
الميمنة والمؤخرة والميسرة والفوج الأول بصف الصفوف وترتيب الجموع
والألوف ، فأضرم نارا القتال ، وأشعل نيران الحرب ، واستقر الأمير
(نصر الله ميرزا) تحت ظل راية الشمس المضيئة نائرة الدر مع المحاربين
الذين هم مثل التنين ، استقامت واستقرت الميمنة قرينة السعادة والميسرة ،
أساس السرور أيضا بوجود اقواد عظماء اللواء •

(١٧) اليحموم فرس النعمان بن المنذر •

(١٨) هو أسد بن رهيض الطائى •

(١٩) اسم فرس غنى بن الأعصر •

(٢٠) اسم فرس بن هلال •

رتب العسكر ترتيباً ، وبوبه تبويهاً ، وعبأه بعيداً وقريباً ، وقرر لكل أمير أمراً ، ولكل مقدم مقاماً ، ولكل موفق موقفاً ، ولكل ممكن مكاناً ، ولكل قرين قراناً ، ولكل زئيد مورياً ، ولكل حشد مهمياً ، ولكل قضية حكماً ، ولكل حنية سهماً ، ولكل يمان مقبضاً ، ولكل ضامر مضماراً ، ولكل مغوار مغاراً ، ولكل رام مرتماً ، ولكل نام منتمياً ، ولكل اسم مسمى ، والجد يحرضهم ، والجد يستنهضهم ، والظفر يدركهم ، والقدح يحركهم .

بعد استملت أفواج الجانبين بتكبر طرف -تربة الحرب حيث أن كل فوج معه تنين الدهاء والحكمة ، وهجم النمر على النمس ، وتوجهوا للمواجهة والمنازلة والتراشق والقتال ، جعلوا البداية القتال والأساس التصادم والمبارزة .

وتوجه الأبطال الشجعان تماسيح الهيكل من جهة التهور وعدم المبالاة لهتك أستار الصفوف .

أثار حافر مثل بدر هجوم النجباء غبار الأرض على حاجب هلال السماء ، وانسدت عين الشمس من مرض ورم العين ، وضاق الميدان الواسع على عظمة الخيول واسعة الخطوة ، خاف الحقيز والعظيم في الحرب من صولة أبطال عطار ، وجاء مبارزو فلك القوس المدور والشمس بالسماء دائرة ، وارتفع غبار الصحراء من سرادق الفلك ، ووقع زلزال في طبل الحرب وفي منزل الدهر ، أظهر صوت طبل الفلزات السبع في عصا الطبل المعقوفة تسع حجرات العالم الفاني آثار « يوم ترجف الراجفة » ، أصم صوت الطبول أذن الخصم المحارب ، وأخبر صوت الطبل والبوق مصداق « قدمدم عليهم ربهم بذنبهم » عن هلاك وفناء الأعداء ، كان يسمع صوت الطبول للكبار والصغار وكبار الخلق صوت الفتحة ، وأوصل صوت الناي نغمة « اللهم انصرنا » بأذن الفدائيين المخلصين ، كان يجعل مدافع تنين الجسد فلك الوطن مثل الأسد المفترس ضوضاء وغوغاء ، جعلت البندقية والمدفع روح العدو القاسى مثل عش النمل ونخل العسل ، كان يعلم أن السيوف المعوجة في منحني ويمين الأبطال ساء الخلق من الهلال والمجرة ، كان خنجر الذنب يفك عقدة جسد الأبطال بالمجاسدة (٢١) من عقدة الرأس ، كان الشمس تلمع خوفاً من السيف البتار ، كان يسحب الدرع على الرأس من الفلك المترس ، احترقت الأجساد من برق الحسام ، سقط النار بكومة السنبلة والمجرة ، كانت تضيء من شعاعه ولباس الحرب أشعة شمس القيامة ، كان يحرق ويمزق من لمعان السيف المحرق أبدان

(٢١) اجتماع كوكبان في برج واحد .

المحاربين الشراعية فى ساحة سى وتجريد السيف ، كانت تفتتح فى ساحة المعركة بساتين من حد السيف لحظة بلحظة من الدم ، كانوا يظهرُونَ بستان روضة الأرواح أنواع الشقائق من كل ناحية فى كل طرفة عين .

لم يبق فى ذلك اليوم قدرة لباس الحرب لاي شخص ، لم يقرأ هاتف انقضاء على فوج الأعداء جزاء العداوة والخصومة لا آية « لا عاصم اليوم من أمر الله » ، طار عقاب عطار حاد الريش من كل صوب تجاه القلوب المتطيرة ، مزق خنجر الشجاع للأبطال فى تلك المعركة الصدر والبدن ، كان يستخدم ضربة البلطة المقاتلين من التحطيم والفصل الذى فى الخوذة والمفرق ، كن يجعل رغبة روح العدو الأحرق المتذوق لذة السكر الأبيض ، كان تفتح سيل نبال المحاربين من ورود الجروح التى بقطرات ندى أسنة الجهاد القتال ، كان يلقي بالتعجب لأفواج الهنود « كمثل غيث أعجب الكفار نباته » ، أصبح الشجعان المحاربون بكل جانب مهاجمين ، كانوا ينشرون مثل الأسد الغاضب من السيف الحاد الدم شديد الحمرة ، كان الأبطال المقاتلون يتوجهون لكل صوب ، كانوا يدحرجون بالسيوف المهندة رؤوس الهنود فى الصحراء مثل ثمار الحنظل (أكثر من الدبا) ، كانوا يشعلون نيران العداوة من تعاقب السيوف الباترة والسهم ، كانوا يقطعون ويخيطون على قوام بلا زينة وهيكل بدون جسم الأعداء بسيف وسهم قباء الغناء .

وارتبط من نيران الحرب ألسنة النار على الشمس والقمر ، وتخضب من دم لون الشفق الشيخ والشاب قبضة الشمس فى الفلك المعمر ، صار جواد أبطال (تهمتن) الجسد من سن رمح وحربة القنفذ ، وتلون حصان ملك العظمة من جرح السيف والسنان ، كانت الكرة الأرضية كرة مستديرة ، مرت فى منحني الصولجان قوائم الخيول ، وصارت سماء بخارى فتنة المترجل والراكب فى ذلك البحر الثائر أمواج دماء من رأس عظماء راس ورقبة أعلى ، سال من حد البلطة والفأس دم عنايب اللون على أبطال فهد المخلب .

تربصوا وتصبروا ، وتترسوا وتستمروا ، ووقروا وقرروا ، ووفروا وفروا ، ناهبوا وتأهبوا ، وتوثبوا ، تأشبوا ، وناشبوا ، وتناشبوا ، وتهامشوا وتهامشوا ، ومرغوا وتراوغوا ، وأخلصوا وتخالسوا ، وأحربوا واحتربوا ، وأسهلوا واحتزنوا ، وأهربوا ، وأكربوا ، والعبوا والغبوا وأحصروا وأصحروا ، وأخسروا وأذهبوا وأهذبوا ، وأبرزوا وأنفذوا ، ويقدوا وأنفذوا ، وشردوا وطردهوا وبأحوا ، وتلحوا وحاصروا وصاحوا وطبوا وشابوا وخبوا وخابوا وجبوا وحابوا ، وأبسلوا وأيسلوا ، وأعولوا مما عليه عولوا فلم يسمع الا أنين الحنية لجنين المنية ، وهفيف السهم لدفيف اللهام ، وصليل بنات الغمود من غليل أبناء الحقود ، وقرع الطببات

بالظلمات ، ووقع الشبابة على الشبابة ، وضجة الحديد بالحديد ، وعجة الشديد من الشديد ، وجعجة رحاء الحرب ، وعججة أصحاب طعن وضرب وهدير حمام الحمام ، وزجرة قدوم الأقدام ، وهرير ريح البأس ، وهزيم رعد المراسي ، ووعوة ذئاب الجدل ، وعففة أجمل الأجل ، ودعوة الموت بالعجل ، ودعدة صاع المصاع ، وهوهة سباع القراع ، وزفزة الأفواج الهائلة ، وزقزقة المجارف الثاقبة ، ورفرة المريشات الراشقة ، وهينة الطعنات الفاهقة ، ورغاء ذبان النصال ، ومعمعة لهيب الوغاء والنصال ، وبربرة الببور الباسلة ، وخرخرة النمر السالبة ، وجرجرة أفراد الرجال ، وفشقة أوفاد الآجال ، وزمجرة الخيول الفحول ، وشعشة الرميح المصقول ، وطنونة أفواج البلاء ، وطبطبة أمواج السماء ، وشخشخة الجند الطعاش ، ختخشة دروع الحشخاش ، وقضضة الأجسام الجسام وكسكة عظام العظام ، وصلصلة الصمصام الصمصم ، وصمصمة الصم الصلاد ، وطحطحة الكعاب والكعابر ، ونسنسة طيور المطاحر ونشنسة جلود أهل الجلال ، وقعقة أداة الطعان والطراد ، وهيقة هدام البداد ، وخججة الجهاد في مداخل الجهاد ، وزهزة نار الهيجاء وحسيس لهبات اللظى ، ونضضة أفاعي العاراص ، وغيطلة فرسان العراس ، وكشيش أفعوان المران ، وأهيج الشجعان الشجعان ، وحضب أقواس الرماة ، وقرقرة يوم الكماة ، وصرصة بزاة الغزاة ، وجهجة الجنود الرجاجة ، وهيقة الأسود العجاجة ، وزهزة الجيوش الجرارة ، وهزهزة الذبل العسالة ، وهرهرة الهنادك ، ودققة السنايك ، وبدبة الأطاميم ، وكهكة الأقدام ، وفققة الضياع ، وجمجمة الجماجم ، وجمجمة الأخيال ، وهممة الأبطال ، وعممة الأفيال ، وصيء الأفيال ، وهلهلة الزبر ، ولولة الزمر ، وعللة المهورين ، وقلقلة المتنمرين ، وهسهسة الدروع وهشهسة الجموع ، وجكجة المناصل وقهقهة الفوارس ، وهقهقة القناعس ، وعططة المواكب ، وهططة المراكب ، وقبقة القباب ، وصلقة (٢٢) الأنبياء ، ونعير الغالبين ، وصخب السالبيين ، ولجب الجالبيين ، ونهيب الأسود ، وقصيف الرعود ، وحشرة المطعونين ، وخنخنة (٢٣) المغبونين ، وهيعة الصاخبين ، وصيحة النافخين ، وزعقة المستفزين ، ونعقة المستنزعين ، وهتاف المجروحين ، وعطيط المدبوحين ، وبعد بذل المجهود حصل المقصود ، وكمل المراد وكلم المراد ، وسلب عن الخصم قوة الأقدام ، وأخذوا بالنواصي والأقدام .

(٢٢) قرع الأنبياء .

(٢٣) صوت يصدر من الأنف .

— يوم حربك يصبح أحمر وأسود من الدم والغبار

— ويصبح موج بحر المحيط وقمة الفلك الأعلى •

على هذا المنوال هلك ثلاثون ألف جندي من الجيش الهندي في نفس واحد بالسيف البتار مشعل النار بالرأس المليئة بالهواء ، وقتل (صمصام الدولة) مع ابنه وأخيه وأتباعه ساء الحظ ، كما أسر (برهان الملك) مع جموع من خلاصة الأمراء •

قد يحقر المرء ما يهوى فيركبه حتى يكون الى توريثه سببا

وانهزم بقية ذلك الجيش الشجاع ، واحضرت ألف فيل سعيد الحظ من تلك الأفيال المهزومة للمرابطة ، وصار كل فيل بلون السماء ، وأشبعة الشمس ، سرج السحاب ، وأجراس البدر ، وعين السها ، وخرطوم المجرة ، ومنحنى الهلال ، وهودج الفلك ، فلك فلکهم ، نعرته (أى الفيل الهندي الأسير) رعد زائر ، مرآته برق لامع ، جسده جبل متحرك ، أنيابه سيف قاطع ، في صلابة الأمد المفترس ، في تبحر « بيل مرغ » (٢٤) ، جسمه الممتلئ قافز على الفلك اللطيف ، ومع الصبا المهاجم اسم العظيم عقد من ذلك الحي ، يقال أن فيل الفلك يتعارض معه في كل ميدان ، الذي قيد من مرآة أشعة الشمس ، رفع مهندس القضاء من قوائم تلك الأفيال أعمدة سقوف القبة الزرقاء والرمادية ، حيث أرسى أساس هذه الدنيا ، من الأعمدة الأربع يمكن القول أنها حجرات مدينة رواق السماء ، يمكن للبدوى الذي على ربوة ظهره سماع زمزمة مسبحى الملأ الأعلى ، السحاب الكثيف أمام هيكله الضخم مثل قطرة المطر في مقابل الفيل ، ونهر النيل أمام جسده الضخم مثل بركة المياه بجوار نهر النيل ، خرطومه مسيل جبل « البرز » (٢٥) حوضه المذهب ضامن وسط الجالسين بساحة القتال •

ولم يعد ملوك الأرض سورا يساورهم عدا يوما كفيل

— هيكله صحراء البرز

— روحه ييستون (٢٦) الأعمدة الأربع •

• (٢٤) اللديك الهندي

• (٢٥) جبل بمانندران

• (٢٦) جبل قرب كرمانشاه

تحلى الأفاصى والأداني ببيوت الآمال المليئة بالأموال الوفيرة وأعناق
أمل الشيخ والشباب من البدر الجميل والحلى والزينة ، وصارت مطايا أماني
الجنود الثائرين مليئة بالمتاع والغنائم والأموال ، فى لحظة جمعوا من كل
طرف مال نادر وآوانى بديعة وحلى ذهبية وفضية مرصعة بجواهر ثمينة
لا يوجد لها شبيهه فى أى عرف زمان وأوان ، ابتلى الفلك الفيروزى بجنون
عارض تحت أطباق انفلك « والسماوات طباقا » ومن غيره ذلك الصحن
الغورى ، أفسد الخجل الفرش الكشميرية التى تبدو عظمتها ورونقها فى
فصل الربيع كخضرة الجبل والصحراء ، وتلون بستان الخلد من الخجل
أمام الورد والخضرة ، كان ورده اليانبع يعتبر فى عداد شوك براءمه ،
يل انه انقلب من الانفعال ، كان يعتبر نقش القالى (أذل من البساط) ،
كان المخمل لاينام من حسده ، والقالى من غمه فى حمى وحرارة ، وصلت
لساحة الحصول باقى النفائس بلا حصر .

أعد الهنود الأقطار بكافة أنواعه لأولئك الضيوف المنزلين مثل
الكوارث السماوية ، استضافوا أولئك الضيوف .

أتجه (محمد شاه) من ساحة القتال للخشنة ، وفر لمعقل «كرنال» ،
وحصن نفسه وسط القلعة (أقصر لما أبصر) ، كانت عدة آلاف بأمر العظيم
كالأسود المعريدة - الذى هم سوار ساعد الجلادة وثمل خمر الشجاعة -
قد احتلوا أسوار وجوانب المعسكر ، وحاصروه مثل أهلب العين من عين
الحزم باحاطة وحاصرة أنجاء معسكره .

عندما ارتوت شجرة الدولة النادرية المخضرة وحديثتها الخضراء من
جدول النصر ، بعد أن شاهد الملك العظيم الشأن هذا النصر ، ظهرت الحضرة
النادرية العلية من باب التحصن ، وحضر (نظام الملك) - الذى كان عليهما
بأمور « الهند » - لخدمة الملك الأقدس ، حيث أظهر صورة الاخلاص من
وجه الطاعة ، وسلك طريق العهد ، أدرك (نظام الملك) بسرعة شرف
التعظيم ، اقترنت شفاعته بالقبول وامتن من المثن المستمرة ، وجد غصن
حاله من مناهل شارب احسان الشراب والشبوع بلا حصر ، وقدم وفاء العهد
وحفظ الوعد وقواعده القسم وشروط الخلافة ، أحكم مع الدولة المباركة
وقف القتال ورتب مراسم التفاهم والتعاون ، عاود بعد حصر بنود المعاهدة
وتقصير وتطهير أذيال العداوة ، تحصن (محمد شاه) أيضا من بواقى
المصائب بحماية ألطاف الملك الموقى ، ترك الكذب والعداوة ، ذات يوم قرر
برسم الامداد مع عظماء الدولة الكوركانية الاتجاه الى عتبة أبواب السماء ،
انشغلوا وقت مجيء حضرته ملك الشمس التاج درى العرش حتى البلاط
من غاية الرعاية بزيادة الاحترام بقدمه ، اقترن بعد المجالسة من ناحية

المصادقة والمصادفة وباللطف الوافر من علاء النية العلانية لذلك الجنب بجانب السرير المليء بالجواهر ، وأظهروا مدلول « ذى قوة عند ذى العرش مكين » ، فتح بالمفتاح ذى الأسنان الثلاثة مثل حرف سين السماحة أبواب الرغبة من كل باب على وجه خاطر نوره ، ومنح رياض الحب الروحاني من ربح شهر « مهر » بخضرة « اردبيشهيت » (٢٧) النضرة ، أهملت الدولة الكوركانية بمدح الاقبال النادرى من قطع ذهب وفضة الشعر « أخنس ابن شهاب » هذا الشعر (أطوع من ثواب) .

وكنت الدهر لست أطيع انثى فصرت اليوم أطوع من ثواب

وبهذه الطريقة تم اغماد سيوف العداوة من الجانبين ، وتطهر هراء الحب من غبار الحرب ، وقطعت وحلت عقود الحقد ، وأنجلت مرآة الطباع من انطباع لون الخوف وصداً التكدر ، وتبدل الهروب الى استقرار ، والقطيعة الى صداقة ، والعداوة لمحبة ، والبعد لواصل ، والشر لخير ، واطهار العدو لاطهار الحب ، والعداوة لتراحم ، والتخاصم لتصالح ، والتشاحن لرحمة ، والقسوة لرأفة ، والخوف لطمأنينة ، وانقباض القلب للحب ، والهجوم لحسن العشرة ، والمبارزة للاختلاط ، والحرب الى تحادث ، والعدوان لصداقة ، والهجاء الى رقة ، والنفور الى منادة ، والمبارزة الى عفو وصفح ، وتقدم الزمان وفق أمانى الرفق والليونة ، وهذا غبار العداوة والخصومة بماء الوصل والحب ، وأثمر غصن قنف السهام بشمار نيل الأمانى ، (هذا التصافى لا تصافى المحلب) ، وفى غرة شهر ذى الحجة سنة ١١٥١ هـ رفع الملك راية لواء شمس الآية تجاه « شاه جهان آباد » ، فى التاسع من الشهر المذكور أصبحت دار الخلافة المصانة مقر كوكبة الجيش المهاجم . فقدم مبارك القدم ، متدارك النعم ، على الهمم ، غالى القيم ، بشارة وبشارة وراية وآية ، وهيئة وهيبة ، وهزة وعزة ، وعدة وعدة ، وجدة وجدة ، وشدة وشدة ، وروعة وضوعة ، ونخوة وسطوة ، وجول وجولة ، وبأس وصولة وصيت ، وشهب وكمت ، ودهم ودهم ، وبهم وسهم ، وصلات وصلاد ، وأنجاب وانجاد ، ولجب وجلب ، وبيض وثلب ، وبيض وسود ، وأسود وأسود ، ومساعير ومغاوير ، ومغاليب ومصاليب ، وحد لا يكل ، وجد لا يمل .

وفى يوم دخول دار الخلافة تزين مجلس المجالسة بخوذة التفخر وزين مجلس الشراب برفع الانزواء ، كان (محمد شاه) الذى بدعوى « وان من شئ الا عندنا خزائنه » كان يرفع رقبة التباهى ، نثر وأثار درهم

(٢٧) يقابل هذا الشهر نيسان وأيار .

ودينار الحاجة ، عرض على شكل هدايا جميع خزائن ودفائن السلاطين والعظماء التى كانت تشتمل أوائل النفائس وحائزة أواخر المحاسن وحاولية فواخر الذخائر وجامعة العجائب وكنوز البلاد ومملوءة بذخائر سعى الأجداد وباعتذار « وجئنا ببضاعة مزجاة » .

هديثى تقصر عن همتى وهمتى تقصر عن مالى
فخالص الود ومحض الخلوص أفضل ما تهديه أمثالى

تسلم مفاتيح المخازن ، كان يسحق عوالى عروش أصل الصورة التى أساسها على العرش الأعلى ، كان يدق الأرض من زينتهم ويهاهم على كرسى فلك الطعن (ثل عرشه) يظهر الهدية لا سيما « تخت طاووس » الذى كان من الدرر المتلافة .

مظهر تكبر الفلك الأبنوسى ثمن (٨) قيمة تلك الكنوز القارونية والدقيمانوسية (٢٨) ويضرب كل حقير من الآله على جوهر منقار الأكاسرة منقار النزاع ، ودرتى البحر والجبل التى كانت أنفوس نفائس الخلفاء العباسيين لا تسأى بشيزى (٢٩) وسخر فرائده فريديته خاتم الملك ، كان يتخيل الشاه جواهر (خسرو) ودرة يتيمة الأكاسرة « يتيما ذا مقربة أو مسكينا ذا مقربة » ، كان تسبيح سبحة زيدان بمائة لسان السبحة الدائرة تذكرهم ، كان يصقل جوهر الخلافة من حقله الصدر على حجر الحسرة ، (كرسى تفألت منه انى رأيت مقلوبه يسرك) ، والمجلوبات كثيرة ، والنفائس عديدة ، والتحف كثيرة ، والأبسطة والملابس والفرش ناعمة ، والأنواب مدبجة والبرود مخططة بالخطوط الحمراء ، والملابس غالية القيمة ، والثياب الجميلة والأقمشة الرومية المخططة ، والملابس اليمنية ، والثياب الصينية المزركشة ، والملابس الختانية المزينة بالحريز ، والملابس الهندية المنسوجة ، ونفائس الكنوز ، والخلع اللطيفة ، والتيجان المرصعة بالجواهر ، وعقود اللآلى ، ونفائس الأموال ، وأجمل الألوان ، والخيول المزينة ، والجمال المزركشة بالحريز ، والخيول لامعة الجبابة ، والنوق رائعة الجمال ، والبغال ذهبية النعال ، والنوق الحمر ، والخراف البيضاء ، والفيل أبيض الشعر بكيس الفضة ، وكنوز ، وقناطير جواهر ، والآلى البراقة ، والدرر كثيرة التلا ، حيث كان قرطى (ماريية) غلام حلقه بأذنهم ، كان يقرض كل حبة منها بدر أصل الليل شديد الضياء « ما لا عين

(٢٨) نسبة الى دقيانوس الامبراطور الرومانى الذى أراد أن يرجع اصحاب الكهف عن دينهم . وكان ذلك فى الهجرة الثالث الميلادى .
(٢٩) عملة نحاسية كانت متداولة فى ايران .

رأت ولا أدن سمعت » (٣٠) وظهرت مائة ألف قطعة من الذهب الخالص ،
ولفائف المتاع النفيس ، ولفائف الحرير المزركش ذو الألوان السبعة ،
ودخلت باقى النفائس من سرير وعتبة الملك وخلم ونساء وعبيده كثيرين
بحيطه الاختيار والاعتنام ، واستقام حساب تلك النعم بلا حصر بعقود أنامل
اليد اليسرى ، وقد وجد حصرها الى يوم القيامة فى عقد البيان وعقد البنان
مظهر صورة الامكان ، كما أنه يمكن الكتابة بامداد المداد الأسود للأيام
وسحب طول الأعوام « ولو أن ما فى الأرض من شجرة أقلام » على كتاب
حساب الأفهام ، أو أن مساح الفكر استطاع حصر مساحة (من ملك
استأثر) •

نتيجة لهذا كله أنه عندما ظهر للناس من رؤية الذهب أن ذهب
اندهاش العين وحدث للأشخاص من تلالاً اللآلىء والغرر شخوص البصر ،
وظهر نقش « وأتيناه من الكنوز ما ان مفاتيحه لتنوء بالعصبة أولى القوة » ،
لم يمتلك القائل حقيقة مفاد « أم عندهم خزائن ربك » الا هذا اللون •

(٣٠) حديث قدسى عن رب العزة ، واصل الحديث « أعددت لعبادى الصالحين ما
لا عين رأت ولا أدن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، فاقروا ان شتهم » فلا تعلم نفس
ما أخصى لها من قرة أعين » •

بيان القتل العام ب « شاه جهان آباد » وتأديب الجهلاء الدون

« ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون » ليلة السبت العاشر من شهر ذى الحجة عام ١١٥١ هـ ، حمل الملك ذهبى القلنسوة الشمس للمقصر الخاص ، ودخل وحوله كوكبة الجلال ، ووافق ذلك عيذى الأضحى والنوروز - اللذان فى الحقيقة أعواد نار انارة العالم المحترق - فى يوم واحد ، تزين الحمل بحركات المذبوح ، وأظهر الثور قرن سرى جدا ، تقيدت الجوزاء من المنطقة بانقلاب الوسط ، تقدم السرطان العاصى ، واستل الأسد مخلب وقبضة العداوة ، نثرت السنبله بذور الثورة ، بدلا الميزان من قلة الحجر خفيفا ، تصرف العقرب بمقتضى الطبيعة ، صنع السهم قوس الحقد ، أصبح الجدى عنزة أمام عزم الفساد ، تعلق الدلو بحبل مجرة البئر محسرك الفلك ، تعارك الحوت مع الشمس ، أى أنه فى ليلة الأحد الحادى عشر وقت العشاء حيث كان سواد ظلمته خال وجه الشؤم ، ومشيمة الشؤم والدة صبحه حاملة فتنة يوم القيامة ، وقع فيما بين جماعة من أهالى « الهند » والقوات الايرانية (ولكل جيش عبرة وعرام) على قمة تمهيط ومطلع النزال والعراك ، ووصلت الألفة لنفاق ، وسحبت السكين والخنجر للعمل ، وأثمرت شجرة المشاجرة وفرع الحرب فاكهة الفساد (ان أول الشجرة النواة) ، « شاهجهان آباد » التى كانت معمورة العالم صارت الى حدود « بهار » و « فتن » من تفتح براعم ثورة ربيع الفتن (نطف وقطن أسرع احتراقا) قررت جماعة من المشاة المسرعين على أنفسهم الخسارة للجسارة ، وارتكبوا من أمر « واتقوا فتنة لا تصيبن الذين الذين ظلموا منكم خاصة » جميع أعين التفكير المقيد .

امور يضحك السفهاء منها ويبكى من عواقبها اللبيب

وتخطوا حدود الأدب بخطوات خاطئة ، وركب معهم فوج من جنود « الهند » فى مراكب الجهل المركب (ولكل غنائية هند) ، توجه الأبطال المغاوير (الهند) من سوء الرأى للقتال ، ومنحوا هبة الحرب ، ودخلوا من باب الاحتقار والتطاول ، وتعلقوا بالنزال والعراك ، وتغير جمع من

اولئك الصعاليك ، وظهر اقبال من طريق ضعف الرأى بمنزلة الفيل ،
وحملوا الأفيال للخاص (ان الخصاص يرى فى جوفها الرقم) •

عندما حدث هذا التطاول - الذى بلا أساس - من الهنود ، ولممارسة
مراسم السيادة على « الهند » ، لذلك كان تأديب ذلك الجمع من لوازم فتح
البلاد ، وفى نفس الليلة دار قواد زحل الصلابة وهجاري مريخ المهابة بأمر
بطل العالم معلقين السيف المهيّب ومنفذين خنجر (كيوان) المخيف ، صاروا
مثل مجموعة الكواكب ينتظرون ظهور الفجر ونشروا نور الصباح حيث
شمس فاتح العالم من شفق الدم ، وصل لجنود « الهند » أصل الليل
وقت « ان موعدهم الصبح » ، وارتفعت بنفس النسيم « والصبح اذا تنفس »
نار فتنة الشمس حتى فلك العظيم ، ألقى الفلك الحقد فى الشمس من
القلب ، ظهر الملك (فريدون) العظمة مثل ملك المشرق على صهوة الجواد
سالك الآفاق ، وأشار بالأسر والسبي ونهب الكنوز ونشتيت المفسدين
(كأيوس سباً) ، وهتف هاتف بلا صوت « وامتازوا اليوم أيها المجردون » ،
وأوصل نقيب الجيش فى الاغارة من صياح الشهاب مرشد تدير رياح
« فساء صباح المنذرين » بتأخر نوم منام الغفلة ، اتجهت أفواج تلو الأفواج
مثل سيل لتخريب متاع وأبنية المدينة ، وأضرموا نار الغناء بدون تمييز
بين الطائع والمتمرّد والضار والمسعود « فأى الفريقين أحق بالأمن » •

ذهبوا متوشحين بوشاح الوشاح (١) ونهبوا كل ساحة وقاحة
بالوقاحة ، ومن صار من نزاع أقواس النزاع سهام الطغاة الا السهام ، ومن
ترك السلم حظوظهم الا السلام •

صارت دار الخلافة مدخل الأفة ومدار الخوف ، وصار منزل السعادة
الملى بأنواع المذات المستطبة وفنون الأجمال الناعمة المرغوبة دائمة نهب ،
زين انفسان يد الفتح بأساور النساء « أساور من ذهب ولؤلؤ » ، جعل
المشاة الدكاكين بمدكة القهر بمصداق « اذا دكت الأرض دكا دكا » ، وقيدوا
ذكور واناث العائلات مثل حلقات السلاسل ، وارتبط الصعلوك والعظيم
معا « غلبت أيديهم » والعليل والظالم فى حارة البلاء ، اقترن الأبناء الأفاضل
- الذين كانوا أبناء المعالي - بحوادث الزمان ، وتساوت أذيات المكارم
- اللأئى فى العشق على الجناح الأعلى - بحسنات « بربر » ، رأوا على
صدورهن سوطا بدلا من الدرر ، وأصبحوا مشتمزين من سوء المعاملة
« آلا فى الفتنة سقطوا » ، هرب التجار من ربح التجارة ليلا « فما ربحت
تجارتهم » ، وأخذ الأبطال الراكضون ملابس منسوجة وذهباً خالصاً من
دكاكين أسواق الساحة ، احتضن فهود الطبائع الأقوياء والمحاربون الأشداء

(١) السيف •

« حسناوات » (٢) بالسلب من النقاب والحجاب ، سحب صناعوا الحجاب المحجبات من ستار العفاف وركن المحارم ، وكتب أفراد الوجود بقلم السهام والسنان ، قطعت المحصنات الحسنات حبل العصمة ، وأظهرت المنقبات الحسنات شق بل هتك غطاء الحياء ، ظهرت المستترات اللاتى فى حجاب اللال ، اختارت العاهرات مكانا فى خلوة الحظن ، كافوا يلومون الشباب الذين من القامة الموزونة على السرو الكاشميرى والمحجوب الكاشميرى والمعشوق الغاتفرى ، واقتلعوهم من الأساس بسيف الجفاء مثل الشجرة العمرة ، أظهر وجه القمر الذى من وجه حسنهم آية « ولقد نصركم الله ببدر » أخذوا الخال السميك بلطمة ظلم مثل البدر ، وكان شمس الوجه - الذى شمس وجهه فى البرقع أكثر شعاعا من الشمس - فى السماء الرابعة ، ورأوا آثار « وخسف القمر » على منصة الحال وناصية الأحوال ، وامتلكوا الحسنات حيث آلاف البلابل العاشقة فى روضة الحسن . صاروا مثل خضرة سحق الحوادث ، لم يحضر (يوسف) الصفات قيمه حيث بجانب جيب الجنة الزائحة لم يخرج عزيز « دهر » الرأس من فتحة الثوب ، وصاروا ممسكو عقد النوائب ، وارتبطت رنات ربات النقاب بالسماء ، وقيد صعود أفواج التأوه وأنين الضعفاء الطريق على نزول جنود رحمة الله ، وصل من النغم سلاسل الدخان من كرات النار ، وسحب شرارة هذا الشر لهيب نار زبانا ، خرق زبانية جهنم أهل المدينة بنهار « ذوقوا فتنتكم » وأنشد الصغار والكبار من كل ركن أنين « أفتهلكنا بما فعل المبطلون » ، بالإضافة الى هذا القتل الزائد عن الحد كان السبعمائة والسبعون شخصا قد ذهبوا أيضا على قمة دار الفناء ، وسقط الجميع من فداحة الأمر بورطة القتل والفناء ، وصاروا من هذا الجنون مثل فرع الصفصاف معلق السياسة ، وفى النهاية احترقت تلك الجماعة الظلمة بنارها مثل شجرة الكافور ، وأمضوا يوما فى الحياة نهاره كظلمة الليل ، (من شب نار الفتنة كان وقودا لها) ، وسحقوا جميع وسائل وأثاث البيوت من « سرر مرفوعة وأكواب موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابى مبثوثة » ، حتى الأمتعة والأشياء القديمة والمكانس والتراب المكنوس وحبات القمح والزبالة وقش القمح رغوة فوران اللبن المنثورات والحبال وقطع الذهب والفضة والمجروش والكناسة وقطع اللحم كلها صارت فى يد سحق الاختطاف وعروضة الساب ، وصار من فرائد الحلقان حتى نوادر الأثاث ومن ذوات الجفون كالجمعات وقلوب قاسيات حتى « جفان كالجواب وقدر راسيات » ملك الاقتضاى والاقتضاى ، وأسر الانتهاك والاغارة .

(٧) إحدى مدن التركستان ، وهى مشهورة بالحسناوات .

كان (محمد شاه) قد جمع آلاف القطع من الذهب والفضة ومئات ألوف من الدرر والجواهر التي صارت بتوالي الشهور فى سعة قصر القدرة وسعة النعمة ، وصار بالملابس الرثة وهندام الفقراء واللبس والأجولة القديمة المغزولة من وبر الجمال ، وظهرت لطائف الأمور فى هجوم حوادث الدهر واستتال سيوف صروف الدهر بمعرض الفناء ، ووجد أرض ذلك الوطن وجمال تفحص بلطف حرص الناهبين صورة « وإذا الأرض مدت وألقت ما فيها وتخلت » ، دكت جميع الأبنية وكنست القصور (بحيث لا يوجد فى سمائها هلال ولا فى خلالها خلال) ، وكثرت الأسلحة حيث كان يستخدم خشب الصندل بدلا من الخشب وخشب العود من الحطب ، ووصلت كثرة النهب الى حد أن كان يكتسى عابر السبيل بأقل من المتاع الفانى والقماش من القصر والحي « وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون » وظهر جنود « إيران » مع الهنود مثل الليل والنهار ، ذلك النهار حتى ليل اشعال الحرب « حتى توارت بالحجاب » ، وقاوموا بلا مقاومة نهب النفائس وأسر النفوس والتهتك والفتك ، والنفش والنقش ، والمحش والنهش ، والنبس والنتش ، والفصل والقصل ، والكسج والكشج ، والحرق والخرق ، والهشم والردم ، والهزم والجزم ، والخشم والخضم ، واللحم واللم ، والحطم واللطم ، والرتم والرتيم ، والهشم والهشم ، والهضم والهضم ، وظهرت الآية الكريمة باهرة الأدلة « ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة » ، وجدت القصة القصيرة عدة أماكن بالمدينة من مرور هذا السيل المخيف ولطومات هذا البحر الرهيب صفة « عاليها سافلها » ، كان قد أسرع كثير من الأشراف والصعاليك جريا لصحراء العدم ، غير أن ركن الدولة الكوركانية بأشارة من الملك العظيم سد طريق الظلمين ووقف على أعتاب بلاط جناب ملك الملوك معفر الجباه ، ملثم الشفاه ، مرغم الأنوف ، مكحل العيون ، مترب الخدود ، مقبل المقبل ، مسح جبين الحاجة بأداء « يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر » ، فضرب (نادر شاه) بطرف الأمان مخلب الاحتماء ، وأهلك لسان الضراعة بتكرار « اتهلكنا بما فعل السفهاء منا » بمؤدى « انا كنا عن هذا غافلين » عندما تجاوزت مناقشتهم والجاحهم حد الاعتدال ، جاء سهم مراد تلك الجماعة المضطربة على الهدف ، وزادت عليهم حدة القهر والبطش ، وأعطوا بأشارة :

خذ العفو وأمر بعرف كما أمرت وأعرض عن الجاهلين

ولن فى الكلام لكل الأنعام فمستحسن من ذوى الجاه لين

بشارة « لا تثريب عليكم اليوم » ، وأبقوا السعادة على باقى النفوس
الحساسة ، وفتحوا أبواب بشاره « أولئك لهم الأمن » على ناحية المملكة
بمضمون :

— ان صدر من ذؤابتك المسكينة خطأ جائز

— وان وقع الجفاء من عينيك علينا جائز

أمروا بتعزية وتهدة قلوبهم ، وتوفى (برهان الملك) فى نفس الوقت
نتيجة لغلبة أمراض الأغراض وأعراض الأمراض ، (لقى هند الخامس) (٣) ،
ثم اتجه المحصلون من ضباط الديوان بموجب حكم العظيم ناحية « لكهنو »
و « اود » ، فجعلوا آلاف النقود التى من ماله (برهان الملك) فى تلك
الناحية مع جواهر زاهرة وأفخر الكنوز منقولة للخزانة العامة ، وتقرر
رأى الأقدس فى ثنايا هذه الأحوال ومقامات هذه الأطوار بتزيين — مع
الأسرة الكوركانية — شاهه الحب بحمائل عقده الارتباط ، فخطب وتزوج
السيدة (كتيون) (٤) القدر ، (ارزيتون) (٥) القدرة ، (ناهيد) (٦)
الطبيعة ، (جهرزاد) (٧) الأصل ، (هماى) (٨) الهمة ، (كلشهر) (٩)
الشهرة (منيجه) (١٠) النجابة ، (ارنواز) (١١) المدلال ، (فرانك) (١٢)
العظيمة ، (فرهنك) (١٣) العادة ، (فرنكيس) (١٤) النواوبة ،
(رودابه) (١٥) الرأى ، (روشنك) (١٦) الروح ، (بورك) (١٧)
الركاب ، (سودابه) (١٨) النشاط ، (نوشابه) (١٩) الشأن ، (خسرو

-
- (٣) الاحماس بمعنى الموت
 - (٤) ابنة قيصر الروم وزوجته كشتاسب
 - (٥) ابنة ملك من ملوك المغرب ، وزوجة بهرام كور
 - (٦) اسم والدة الاسكندر ذو القرنين
 - (٧) ابنة بهمن ، وقد حكمت ايران فترة من الزمان
 - (٨) اسم ابنة بهمن التى تزوجت أبيها وفقا لشريعة زردشت ، وانجبت منه داراسب
 - (٩) اسم زوجة بيران وقائد أفراسياب
 - (١٠) ابنة أفراسياب وعشيقة بيزن بن كيو
 - (١١) شقيقة جمشيد التى سبها الضحاك مع أخريات ثم انتقلن الى فريدون
 - (١٢) والدة فريدون ، وقد أخفته فى مازندار
 - (١٣) والدة كيكافوس بن كيقباد • محمد حسين بن خلف القبريزى
 - (١٤) ابنة أفراسياب ، تزوجها سياوش
 - (١٥) ابنة مهرب الكابلى وزوجة زال والد رستم دستان
 - (١٦) ابنة دارا
 - (١٧) ابنة بور راي كندج ، وقد اسرها بهرام كور
 - (١٨) ابنة الملك هامادران ، وقد لقبها العرب بالشعري اليماني
 - (١٩) اسم ملكة بردع ، وقد كان يرسلها الاسكندر قبله فى المناطق التى سيفوزها

(ابن شرين) (٢٠) الشمائل ، يعنى درة الصدف الكوركاني الأمير المنصور
(نصر الله ميرزا) الذي هو شمس (بهمن) ، قندر (شيديه) (٢١) ،
شهنامه (شيدوسين) (٢٢) ، جمال (سبهرم) (٢٣) ، جيش (شادكام) (٢٤) ،
مقصود (كويال) (٢٥) ، جناح (اردوان) (٢٦) ، سرعة (روئين) ، روح
(زوبين) ، سنان (سيامك) ، مكان (نريمان) ، مثل كريمان كرم
(نصر الله ميرزا) ، جعلوا ساحل بحر «جمون» مكان عام للسعادة ،
وزينوا مجلس جنة النزهة ، كان يهوى بجانب نزهة تنك الجنات الأربع
«سغد» و «شعب» ونهر «الأبله» و «الغوطه» في عرق الحياء ، زينوا
مجمع الخلد ، حيث كان صفاء تلك الجنات الثمان في مسدس الحيرة .

أظهر الفضاء المبهج «جنات عدن» مفتحة لهم الأبواب ، وحاشية
المجلس رغبة عطاء «متكئين فيها يسعون بفاكهة كثيرة وشراب» ، وأظهر
سناقي السعادة في روضة الهناء ببرهان وكأس شراب «يطاف عليهم
بصحاف من فضة وأكواب» وحماة في أطراف قصر الدولة جبين طاحن
الشراب «وعندهم قاصرات الطرف أتراب» محفل وقصر السلطان من وجه
القبعات الذهبية مجلس الأنجم ، كان قد رأى شموع المجلس مضيئة ،
ومجلس شموع العشق ضوء جزء عين المجلس والمحفل . أحيانا يشربون
في روضة الزبرجد مثل ماء ياقوت عنب الجناح من كأس شراب الفيروز ،
وأحيانا يسمعون لحن «سبز درسبز» (٢٧) ونغمة «سبزه بهار» (٢٨)
من أسمر وجه ياقوت الشفاة ، وغنوا في يوم شملهم بجانب النهر بنغمات
عذبة ، وأنشدوا في ليلة شديدة الظلمة مع «ليلي» و «شان رود» (٢٩) ،
وكانوا يعزفون ألحان المطربين على عود «بنان» (٣٠) طعنة «وأضربوا منهم
كل بنان» ، ألقى آئين منشدي ناي «زنام» (٣١) من الاسم ، كان يقرأ

(٢٠) ابن افراسياب الذي اسر على يد كيخسرو .

(٢١) ابن كودرز وشقيق كيو .

(٢٢) أحد أقارب افراسياب الترك حيث قتل في معركة دوازده رخ على يد هجير بن

كودرز .

(٢٣) أحد أقارب افراسياب الترك حيث قتل في معركة دوازده رخ على يد هجير بن

كودرز . محمد بادشاه .

(٢٤) شقيق فريدون . محمد حسين التبريزي .

(٢٥) اسم محارب من أقارب قيصر الروس .

(٢٦) اسم ملك من نسل كشتاسب .

(٢٧) اسم نغمة موسيقية من مصنعات باربد .

(٢٨) اسم نغمة موسيقية .

(٢٩) نغمات موسيقية إيرانية .

(٣٠) شاعر عربي ، كان ببلاط الخليفة المتوكل .

(٣١) اسم عازف ناي هارون الرشيد وقد كان له مهارة فائقة في العزف عليه .

« عتل بعد ذلك زعيم » وصارت رؤوس المحبين من نشوة الخمر الأحمر
ثملة ، وتلونت أجساد الحساد بالزعفران الأصفر ، ودمع الحسد الدامى
صبار أصفر وأحمر ، وظهرت عروس المراد بعرس الدولة ، وحدث اجتماع
النيرين فى برج الشرف ، واستراح الزمان ببشارة هذا الارتباط ، واستبدل
الغوغاء بالضيافة والعراك بالمصاهرة ، وزال غبار الحرب من مرآة خاطر
الحضرتين وذيل الدولتين الطويل . هذا العيش بعد ذلك الهيش اشراق
بيضاء عقيب ليل عبوس وتلك العرس البيضاء أمام العرس سوداء
العروس .

فحسن درارى الكواكب أن ترى طوالع فى داج من الليل غيب

بعد انقضاء وانتهاء أيام العروس والاحتفال فاز الأمير بشرف حضور
حضرة الملك (محمد شاه) الحماة ، رأى توافق العادة والطباع ، تشرفت
تلك الحضرة أيضا لقامته بتشريف الثوب المزين بالجواهر ، جعل الأعذار
فى معاطف العاطفة ومواقف الاجلال رأس الفيل مع أجلال ذهب السلك
وهودج جوهر المعشوق ، وخمس برادع مرصعة اللجام بوسائل تعليق
الجواهر الذى كان باقية وخاتمة الكنوز النفيسة ، وفى قدر وقيمة محطهم
رونق كنز عروس (خسرو) و (كيكاس) .

أن (لا عطر بعد عروس) ، وأصبح فى أيام التوقف من الأقاليم
والأداني لبلاد « الهند » « حتى اذا بلغ مطلع الشمس » من جميع أرائه رأى
وحكام ممالك الزينة والمعاندين الأقوياء والفارين من الجبال من خمر نخوة
الثل عريضة وهدية نزول ساحة الخلافة .

تأرجت الأرجاء بعزف عزفه ، وأرخت السير فى مكارم وصفه ،
انقادت القادة لأمره ، وأحكمت الأحكام بحكمة حكمه ، وألبس البلاد بلاد
عدالته ، وملأ أسماع الملاء بصيت جلالته ، فهابه بالضراعة كل عظيم ،
وتأهب له بالطاعة كل اقليم ، ورهب منه ملوك الأطراف ، وتعلق باستزادة
الشرف منه أمل الأشراف ، وكاتبوه وراسلوه بالتحايا ، وخاطبوه بالهدايا ،
وكل يطلب للكله أمانا ، وليده وقدمه من تمكنه وتأييده امكانا ومكانا ،
فما يعود الرسول الاسعاف المستول ، ولا يقبل عليه من حضرته الا نسمات
القبول ، فيقدم مكرما ، ويكرم قادما ، ويخدم حاضرا ، ويحضر خادما ،
ويجهد القواعد ، ويجدد العهود ، ويشهد المقاصد ، ويؤكد القيود .

بيان تفويض سلطنة « الهند » لـ (محمد شاه) انصراف موكب قرين النصر ناحية « ايران » الوطن

« ان هذا لهُو الفضل المبين » كان يظهر - بسبب ظهور فضيلة
(ابراهيم خان) الملك العالم في اوقات التأخير في تلك البلاد والتأخر في
ذلك الوطن - كل يوم بمثابة سنة وكل شهر ألسع من عضه الحية ، لم
يبدأ في أمر « الهند » ، ولم يظهر بمقتضى الطبع الامبراطورى ملك حاكم
العالم الملك العظيم ، الملك السعيد المبارك ، الملك رفيع الشأن ، نصره
تفحص عدل « أورنك زيب » « دارا شكوه » ، ملك الحكام ، الموفق السعيد
النجم ، المخصوص بتأييدات الملك الأكبر ، السلطان الأعظم ، والخاصان
المعظم الجنب لـ (محمد شاه) الذى ظهر في موازاة قمر لو أنه شمس
العالم المضيئة ، كان مهندس أساس الممالك سيفه المهنده ، وضع بيد
السيادة (ما برح يد الدهر يميننا) الليل السرور بالفرق المنزه ، كان الماء
نائر الشرر والشمعة الحادة ، وكانت المرأة الزائبية المشبعة متعطشة لدم
العاصى حاد الطبع ، السفاك المحارب ، صاحب الطبع الحاد ، مصداق
« وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد » محك اختبار البطل والحقير الصديق
والبطل جليس أصحاب المعارك ، التنين ثعبان الجسد ، أصل المعدن ،
ومنجم الجواهر ، هلال الشكل ، سمائي اللون ، صاعق برق نغمة .

متوقده متفرق عجباً نار وماء كيف يجتمعان ؟

يعنى ربط السيف المرصع على الوسط ، وتكون على مسند وعرش
فلك الجاه وهو لون سماء الفرش « اترى الملائكة حافين من حول العرش » ،
« وقال انك اليوم لدينا مكين آمين » ، وتعلق ملك تلك البلاد بالدمستور
الذى كان للأظهار أجداد تلك الحضرة ، كما كان من حق حضرته تفويض
وتفويض المباني المبينة ، وقبلت ولاية « الهند » بدون غضب علامة التقسيم ،
وتقرر أن تكون الجهة الغربية والشمالية لنهر « السند » من ميناء « سورت » ،
الى « كشمير » و « التبت » للدولة النادرة البادرة والباقية لمملكة ملك
« الهند » ، قرأ عصر الهلاك لأعداء الحضرتين سورة « تبت » ، وأعطى كسر
سورة صولة الأحزاب للنافقين برفع المجادلة من فرقان اخلاص فاتحة الفتحة .

وتكرم فى منح النعم للأشراف ومعاونسة الجنود وتقوية ومنح ومساعدة
النجباء هناك ، وحمل الطربوش من مائدة الكرامة وغطاء الرأس من باب
العطاء ، وكرم كل شخص من اختيار القصد وفواخر خلّاع المكرمة ، ومنح
بالأكرام لواء يرق مراتب راية اعتبارهم من السمك لسماك مرتفع الارتفاع
والعلو ، « رفع سمكها فسواها » وطلّى بمصقل المكارم الملونة بلون الصدا
وصداً من مرايا القلوب ، « انى لا أضيع عمل عامل » ، أنعم عليهم بخلع
قلوب المعادين ، وألوية تلوى أيدي المعاندين ، وكرم أمراء « إيران » أيضاً
« لكل درجات مما عملوا » بمزيد التعظيم بمنحهم فيل وشعار وكل أنواع
الجواهر ، كانت كل أعناق الجنود بها عدة قلائد نادرة الوجود ثقيلة حيث
أنهم كانوا مستغنين عن الأموال الأخرى ، لكن استغرب المنح الملكية البعيد
والقريب وابن البلد والغريب فردا فردا من كأس مكرمة مثل الخمر الجارى ،
واستعذبوا بعدوبة ماء معين عين عناية عذاب (السفر قطعة من السقر)
فى رغبة روح الجنود ، ملثوا أكياس الزاد بالهدايا ، ولزم المنتهى بلا نهاية
من الجود على رقاب الجنود ، وسكنت القلوب بهذه الحركة ، وركنت
النفوس بتلك البركة ، وسرت البشرى وسرت ، ودارت النعمى ودرت ،
وحسنت السنة باليسر ، وأحسننت الألسنة فى الشكر .

القصة أن اللآلئ المنتقاة والجواهر المصطفاة والبذور المليئة بدرر
البحر ، والبدور تامة « والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة » ، حيث كان
يصحح فى ضوء قيمة رونق سوق الذهب المغربى الخالص .
وأحمر يحكى الشمس شبكلا وأوصافه مشتقة من صفاته
فان قبل دينار فقد صدق اسمه وان قبل ألف كان بعض سماته
بديع فلم يطبع على الدهر مثله ولا ضربت اضرابه لسراته

صار راكبو الأفيال الشبيهة بالجبل وجمال فيل القدرة ، فى سنة
١١٥٢ هـ . ق فى يوم السبت السابع من شهر صفر وطأ أرض « إيران »
معسكر سعادة موكب نصرة الطراز ، نصر الأثر ، قرين الابتهاج والسعادة
بالشوكة والعظمة والنيل والانتصار وبلوغ المرام ، وامتنطى الجمال ذوات
الظهور المنخفضة والمطايا المباركة ، رحل والتوفيق مسايير ، والتأييد
مؤازره ، واليمن مظاهره ، والسعود محاضره ، والغز مسافره ، والظفر
مجاوره ، والاقبال محاوره ، والألسنة شاكره ، والله ناصره ، وكتب أوامر
شديدة الوضوح منبأة عن هذا الفتح السعيد ، وانصرفت أفواج فاتح العالم
برسائلها من شاطئ بحر « قنوج » الى نهاية « بلاد العثمانيين والروس »
حتى اذا بلغ مغرب الشمس ، وألقت الأصوات هذه الأخبار فى قصر
القيصرة المنيف وفى ناحية بلاد العثمانيين بالهزائم .

عبر من بعض أنهار « البنجاب » التي كانت تجرى لأطراف قدم
الملك من النظام الموج بالحنان رود ثمل كفف الرافضات ، عبر الجسر
المعلق ، لم يعود البعض حيث أنه حوصلة لطمات ذلك البحر العميق ،
وتبدل ركوب الخيول الى ركوب السفن ، وجعل طبيعته راغبة الماء تاركة
الأرض ، طالبة الريح ، ومطلوبها النار ، سمندر (١) الخصلة سمكي
الطبيعة ، تمساح العنق ، ثعبان الشكل ، مستسقى المزاج ، مائي الفراش ،
مدقوق الجسم ، جامد الهيكل ، صاف المشرب ، درويش السيرة ، متعدد
الأشكال كهيئة الكأس الخشبي ، صديق بلا أمل ، (اسكنندر) الفعل ،
(الياس) العمل ، علم نفسه السباحة ، وامتهن السباحة ، لم تنز من
تركيب الهيكل المثالي مثل المجردات المختلطة بعالم التراب ، كان دائما
يجرى بسرعة وبلا روح ، كان جاريا بدون يد وقدم التي بالباطن ، صلب
الرأس ، رخو الطرف ، صحراوي المولد ، بحري المسكن ، جامد الحس ،
متحرك الجسم ، عبر بشرع الجناح المسمى بالغراب (٢) .

كان ازدياد موسم الأمطار دائم الانهيار عقلة على قيد جبل العزيمة ،
وصارت أمطار الموسم مانعة طريق الطلب ، وتعذر من شدة هطول الأمطار
شبه الرجال والحل والترحال في تلك الأحوال حال بالرجال والمرتعج ،
وتعسر من قطرات الأمطار طي أقطار الماء والطين على فم الخيول المفتوحة
نشاط السير « أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها » ، وفي خلال
خمس شهور حيث صقيع تموز وطغيان مد البحور ، طوى فيافي مليئة بالماء
وصحارى كثيرة الأمطار ، حدث للكوكب المسعود بواسطة الأمطار والسيل
المسكون والتباطى وانتظرت الألوية اللوامع البيضاء عدة أيام نظرا لغلق
الجسر الواقع على نهر « روداك » (٣) وظهرت الأسحار التي هي درة
الشمس النامية من ظلمة الليل ، وظهرت آثار وصدف عنها الليل ، وأكد
الحركة عندها كان قد وصل للعرض ، حيث ظهر بيد الجنود في سلب
« شاه جهان آباد » جواهر بلا حصر مثل الحصى ، وقت عبور التماسيح
بحر الهيجاء نفذ أمر العظيم ، حيث ظهر بشأن الفحص والتفتيش .

عند صدور مثل هذا الأمر من حضرة الملك عظيم الأصل الذى
صفحة نشر جواهر بحر عطاياه « نهر البنجاب » بلاد الدهر ، بل (أندى
من البحر) ، وفي نظر همته قيمة اللؤلؤ أقل من الكمست (٤) ، يستبدح

(١) طائر وهمى يعيش فى النار ولا يحترق .

(٢) نوع من السنن وقد كانت تمصق قديما بشكل الغراب .

(٣) اسم نهر البند .

(٤) نوع من الجواهر رخيص الثمن قليل القيمة ويستخرج من بلدة الصفراء على
مسيرة ثلاثة أيام من المدينة .

ويبرع البحر أمام بحر قلبه نموذج البندى ، وصب الجنود كثير من الدرر
واللاليء بالبحر ، وأعطوا مضمون (كل يرجع الى أصله) زين الصدق ،
(الهف من مفرق الدر) عبروا من ناحية عبرة الدمع ، ناثرة الحسرة ، بعد
أربعين يوما ربطوا وسط الهمة باصابة الرؤى الثاقب وضمير شمس
الاضياء للمملكة فاتحة تلك النواحي ، وأساس متمردي تلك الممالك
(أفغان يوسف زاي) (٥) الذين كانوا يسكنون شعب جبال تلك المنطقة
بكمال العناد ، « وتنتحون من الجبال بيوتا فارحين » ، وغافل عن مكمن
« أتركون فيما ههنا آمنين » ومفتون بغرور « ونعمة كانوا فيها فاكهين »
وكان لهم فيها حصن حصين ، ومكان مكمن ، وركن ركين وكن كنين ، ومسنند
مشيد ، ومهاد مهيد ، وربع وسيع ، ومربع وشيع ، ومربع خيول ، ومسمع
طبول ، ومجر ذيول ، ومجرى سيول في المشتاء والمصيف والمحمصة
والمضيف ، بعد ذلك انشغل فوج من الأبطال الغاضبين بوجوه عابثة لقلع
وقمع تلك الجماعة ، وانحدروا وهبطوا « كماء منهمر » من الجبال العالية ،
وغرقوا في دوامة الخذلان ، وتفرقت وتشتت البقايا لدى الحياة عليهم
« يوم نحس مستمر » ، وجعلوهم « كأنهم جراد منتشر » و « أعجاز نخل
منقعر » « ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر » . بعد تأديب تلك الجماعة
الزائفة عن الحق يعنى الوقاحين « فزاعجت أبصارهم » ، ومظلمى القلب
« فأما الذين فى قلوبهم زيغ » ونفر الغراب كسير الجناح من الفرع الداخلى ،
ونشر غبار الحق والفتنة من الخاطر ، ودخل أربعون ألف فارس مشهور من
تلك الطائفة وباقي طوائف الأفغان وقبيلة « هزارة » (٦) ممالك « الهند »
بعادة الملازمة والطاعة (أتبع من الظل) فى ظل راية الشمس المضيئة .

(٥) اسم طائفة بشتوية كانت تعيش فى حدود مدينة خيبر وكانوا يتميزو بالشجاعة:
والجسارة .

(٦) هذه القبيلة كانت تعيش شمال شرق باكستان فى قلعة « نو بادغيسات » .
اصلاب رجال جيش جنكينز خان الذى غزا افغانستان فى القرن ١٢ م . وتوجد فيهم سمات.
مغولية واضحة ، وهم شيعية .

- ٢٧ -

بيان تسخير ممالك « السند » وتأديب عصاة تلك البلاد

« انهم كانوا قوما عمين » فى مسنارح هذه الحالات وهرور هذه المقالات ، وصلت عرائض من « السند » تفيد بتفتح براعم أغراض (خدايار خان عباس) حاكم تلك الناحية ، وأثمر غصن حاله ورد المعصية والاعراض ، ونشرت شجرة هراس الخوف شوك الرغبة بطريق خياله ، تحقق بعد دخول « كابل » أن استقام ذلك العاصى المخالف للصديق ، ومخالفته صادقة بلا رياء ، سار الحصن المستقيم السير ببطل تقويته حرارة سلوك الطريق تجاه « دير جات غازيخان » (١) و « اسماعيل خان » مدار دائرة الامتلاك ، بعد ذلك أظهر القمر لواء فاتح العالم سير درجات « دير جات » ، ظهر نور فى ملك « شكاربور » ، توجهت مقدمة الجيش لأول نصيحة كريمة ، أصدر لـ « خدايار » أمر مبنى على الوعد والوعيد ومخبر عن الترعيد والترغيب ، مقرر أن يميل لطريق الهداية وينعطف ناحية الطاعة ، وكان من الأنسب أن يظهر مظاهر الملازمة بلا تعفف ، ولم يفكر فى ما هو محظور ، ففتح على وجهه باب السلامة بأسنان مفتاح سين السلامة ، (لن ينفك الفرار بل يسحبك الى البوار ، ويقول سيفنا بلسان حديد « نحن أقرب اليك من حبل الوريد » ، فتعال الينا بعد توسلك « وما أريد أن أشق عليك » ، أن تجيء الينا فهذا لك أولى والا « أولى لك فأولى » • وجد من فرط ضلال « سينباد » نام « تلك الحكمة فى أذن الريح مجهولة المكان ، بل مثل قطرة السحاب فى سندان بلا أثر ، واختار الامتثال لأمر العظيم ، غير أنه تأخر عن تقبيل عتبة فلك المباني ، وأظهر أحد أبنائه مع عدة أشخاص من القواد عريضة مزورة (أكذب من أسير السند) (٢) مبنية على التقيد بقيد الانقياد لرسول بلاط فلك الأساس ، تقدم البلاء بعقد الأسباب المسببة ، فتشبت بدرع التذرع ، وتمسك بحبل الحيلة ، أما نخيل خياله لم يشمر سوى ثمر الندامة « أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا » •

(١) مدينة ناحية مولتان شرق نهر السند بحوالى ٤٥ ميلا ، وقد بنيت فى القرن

١٥ م •

(٢) ذلك أنه يؤخذ الرجل الخسيس منهم فيزعم أنه ابن ملك •

أدرك الملك الذى بلا نظير منذ دخول أولئك الأشخاص أسرار
ضمائرهم ، لم يسمع (مواعيد عرقوب) له بأذن الاستماع ، فأخبروا أن
هدف نظر هذا كان أن أولادك بعنوان الارتهان مثل العرض اللازم الملازم
لجوهر ركاب أصل النقش ، هدأت أحوال ولاية « السند » نانية وتفوضت
لك « ولكنى أراكم قومًا تجهلون » *

من هتاك لم يكن فى شريعة التعامل لبضاعة المكر والحيلة ثمن ،
وأصدر للشمع المضى من اللعب بنور الشمع أذن بإرسال الجيش ، عندما
سد « خديار خان » مدخل المعارضة والخداع ، اعتبر بهذه الحيل أن
شمس النجاة ستسطع من أفق طالعه ، هدم وأحرق جميع بيوت وعمارات
« الله آباد سيند » بفحواى « وقذف فى قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم
بأيديهم » ، وتحرك الأهالى من خوف السبى والقتل ، لم يترك فى تلك
البلاد لمنزلا ولا للأموال والمتاع أثرا ، « فأصبخوا لا يرى إلا مساكنهم »
وعبر من نهر « السند » ، جعل مأمته قلعة « عمر كوت » التى تقع فى واد
« غير ذى زرع » وأصعب القلاع والمواضع وصحراء أطرافه (أفقر من برية
خشاف) و (من أبرق العزاف) * عمل الملك فى ناحية « كاربور » عمل
الصبى (دستان) ، وسكن فى ساحل ذلك البحر الدامى « وله الجوار
المنشآت فى البحر كالأعلام » ، راكبا بمراكب الخيول رافسة الموج ، سلك
السريع الرشيق ثقيل الركاب ربح عنان الماء ، صار آكل الغار تراب المربط
يعنى السفينة ، وعبروا من البحر مثل الطوفان ، وظهر مؤدى « وجعل لكم
من الفلك والأنعام ما تركبون لتستوا على ظهورها » ونهض الحصان سريع
الجري للشجاع بسوط السطوة الحار *

له زهو طاووس وخطو حمامة	وتدويم باز وانقباض عقاب
وتثواب ظبى وانجفال نعامة	واهداب سيد وانسياب حباب
وصولة ضرغام وروغ ثعالب	ولحظ قطامي وحذر غراب
وجنل عنان وانثناء ذبالة	ووقد ضرام وانصياع شهاب
وهيج أخى شول وتدفيف اخيل	واهماض برق والتمتع سراب
واعصاف ربح واهتزاز يراع	ودره نور وانجياب سحاب

وطوى بأثر ثلاثين فرسخ صحراء وهضاب بلا تأخير فى يوم وليلة ،
ووصل وقت انفلاق ضوء الفجر ناحية القلعة ، أعضاء (خديار خان) وجه

الحرب « فلما رأوه عارضا مستقبلا أوديتهم » ، فضرِب المهماز على مركب صياح الرعد الحاد ، وأسرع لصحراء الهرب (رجع على حافرتة) .

جرّحه جماعة من الغزاة ، وأمسكوا بقبضة عنانه و تلاصقه ، وكبلوه فى قييد التكبيل ، واستولوا على جميع أولاده وأمواله وخزائنه ، كما استولوا على الأموال المختارة وجواهر تاج الملك التى فى ذلك المكان الأمين والقلعة المحكمة ، وقد كانت مكنوزة ومخفية ومخبئة ومستقرة ومكنونة فى جوف الأرض ، كما استخرجوا الذهب المخفى والمدسوس فى حفرة فى الأرض ، كل هذا انتقل الى مقر الدولة النادرية ، وجمع العظماء والموالى أموالا بلا حصر .

رغم أن (خلطيار خان) قلع الطمع من نفسه ، فانه سمح من رسول العناية الملكية بشرى هبة الحياة ، وحصى من ديوان (أحسن العقو عند المقدرة) منشور عتق العنق ، وتبدلت القيود لعطايا ، وزين الرقبة طوق العبودية ، وحزم وسط العبودية طواعية بطوق الاخلاص والرق ، وقبل ورق منشور الامتلاك و « رق منشور » ، حكم تلك الديار باسمه حلة الانسام وحلية الختم والعلامة ، وقد استراح قلبه ، وابتعد قلقه من هذه السياسة ، وجدت قمة روحه من رياح رائحة الأحبة نصيب ، عناية النشأة ، وانتسب ابنه بعد العهد والقسم لركاب النصر .

فى الحقيقة استقرت الخيول من هذا الفرار والهزيمة ، ورأى من أغلال مثل السرو جدول الافتخار ، ويمكن العذاب نهر عذب فى فم النفع ، وسحب اقباله حلقة عبودية الملك للعقل بلا نقصان وسعى لحفظه (صار الأمر خير قويس سهما) .

عندما أصبح فى ذلك الآوان من جانب الملك العظيم الجاه الهندى مرسل قليل من الشيلان وبعض النفائس بشكل الملائكة ، كما أحضر لحضرة الامبراطور أيضا من الفواكه المنتقاة يعنى البطيخ الذى كان فى تلك الأوقات بشائر من « بلخ » ، وكانت الهدية عبارة عن قطيع مكون من مائتى جمل محملة بالبطيخ لحضرة العظيم .

من الوقائع الصادرة والصادرات الواقعة التى وصلت لمسامع العظيم فى تلك الأونة ، حيث أنه عندما كان (لشاه طهماسب) لم يكن يتعامل فى غيبة الموكب الملكى مع الأمير (رضا قلى ميرزا) الا بالخبث ، صار مرتفع عمره فى « سبزووار » الخضرة موطن القهر ، وظائر اقباله فى مرج

العالم مثل الطائر الضعيف أسير شبكة مصيبة الدهر ، لم ينتفع بانى
الحظ الفاسد والعصر الحقير من الدولة العظيمة ، وجد العشب النامى
لحياة (عباس ميرزا) الطفل البرى أيضا مثل صفاء وجه « هشميم محتظر » ،
وصار من الظلم والتعب نموذج « فجعله غشاء أحوى » ، وصار هما الأسم
وأثر الصفويين قرينا (عنقاء المغرب) ، وقوة دولتهم ، (كأمس الزاهب) ،
وأوصل (حسين خان الغليجاني) - الذى كان فى « مازندران » - بالمال
الأصيل الليل بالنهار ، تقيد من ناحية الدهر المترقب ، ورأى ظهر الحياة
الحقيرة مزق ألوان الأصل والنسب وأوراق الحسب والعظمة ، وانشغل
حسب حكم القضاء عن صورة البقاء وقفز لطريق الفناء *

- ٢٨ -

بيان تسخير بخارا وتآديب عصاة العقول

« ان فى ذلك لذكرى لأولى الالباب » عندما أدرك سعادة وسرورا من أثر السحاب الآذارى وأمطار الربيع وبسيط التراب وكومة الثرى مثل جمال الحسينات جعل ذرات سطج الأرض جمالا وحسنا سائرا ، وأظهرت ساحة الشعب والشعب الصفاء الصافى والضيء الكامل والحسن والنضارة ، وجعل الحسنات عرائس الغصون وغرائس نادرة الضياء خلق وقلادة الأذن والرقبة ، وظهرت الآلى المتلافة النضيدة وشاح هياكل الزهر والياسمين ، مزين العرش والتاج ، صاحب البسالة ، الملك سعيد الحظ ، مجمل التاج والعرش ، حامى الحدود ، جراح جراحة الجمهور ، حامى ساحة الحمية ، ملك حدود الخبرة ، دليل صحراء الدهاء ، شمس قمة الذكاء ، (رستم) ثابت الروح ، « زال زواه » قهر الزمان ، سماك سماء السعادة والسباحة ، ملك مملكة الشوكة والشهامة ، سيف الصولة والصلابة ، ضيغم الضرغمة والضلعة ، طود الطراد ، وظفر الظفر ، عون العالم ، وعين العيون وغوث الغرباء وغيث العيون ، فلك فيض ملاك الفطرة ، قدر قضاء القدرة ، كاسر كتائب الكفاح ، ليث ليوث الكفاح ، ملاذ الملوك ، ناصر النفوس ، والى الدولة ، هزبر الهزابر ، يمين اليسار ، أعنى الملك السعيد فرغ من تنسيق عمالك « السنه » ، وتآديب الأشرار لقطاع الممالك ، فى الثالث عشر من محرم سنة ١١٥٣ هـ . أدار قائده العزيمة ناحية « ايران » ، وصار شعار صارى العلم مثل أشعة الشمس الذهبية مضيئة العالم ، سلك من طريق « بلوچستان » أرض المقصد القفر لطريق لائق بل أليق ، فى السادس من شهر صفر جعل « قندهار » مركز أشعة رايات الشمس المنيرة ، بناء على هذا فانه فى سوابق الأزمنة وسوالم الآونة كان « أوزبك » « بخارا » و « خوارزم » قله أغاروا عدة مرات على « خراسان » باطالة مطاول خيول القتال ، كان يرتبط دائما الضمير المضى بمحنت التأييد ومحرضات الحمية بصورة « خوارزم » وخيال شاطىء « جيحون » ، بعد دخول موكب العظيم الى « قندهار » صار عزم تسخير تلكما المكانين محرك سلسلة همة الخير ومحرك همة سماء السير (يجمع سيرين فى خرزة) ، عندما كان يلزم بسبب حدوث حادثة (ابراهيم خان) توجه الجيش ناحية « شيروان » ، انفصل (فتحعلي خان كوسه أحمد لوى أقشار) و (غنى خان أبهالى)

حاكم « قندهار » عن الركاب المفضل ، وأمرؤا بتأديب (لكزيين) تلك
الناحية ، وأرسلوا فوجا عظيما لمساعدة هذين الخانين

فهذا وعيد سطوتي من وراءه وعنوان نارى أن يبين دخانى

وأشار أن وقت الصراع مع تلك الجماعة أظهر قوس فزح ، وانجلت
بلمعة الرمح القاسى ظلال أهل الضلال ، وأظهروا الدخان من سلسلة
اقتدارهم ، حتى يصبح تعاقب شعلة قهر الحرقلة السلطانية برق ضياء
بيد أنار تلك الطائفة ، بعد ذلك اتجهوا الى « التركستان » عن طريق
« هرات » و « باد غيس » بالحياة الهائلة لتأديب الخصم المنافق ، لأنه
قبل توجه العظيم الى « بلخ » أصبح من موقف الأمر مخاطب بخطاب
« واصنع الفلك بأعيننا ووحينا » ، عمل بمساعدة أساتذة الصناعات
والصناع المهرة (أصبح من سرفة) ألف ومائة سفينة مثل العجل لحمل
ذخائر طريق « خوارزم » ، وبضع سفن خاصة بالركوب فى ساحل
« أموية » ، كان قد عمد الى تنظيف السفن بمهارة كبيرة ، صارت بيوت
السفن مثل ديوان الأبيات المقبولة والأشعة المرفرفة مثل منشآت الأعلام
ملونة وهتينة ، كل قارب بحر زخار وكل سفينة طاووس ملء بالرسم
والتزئين ، كانوا يمررون المدافع والذخائر التى كانت غذاء العدو والصدى
محملة على السفن والجمال من نهر « جيحون » والصحراء ، وفى السابع
والعشرين من جمادى الأولى ألقى هما اللواء عقاب الجسد ظل الوصول
لمنزل « كركى » الذى هو معبر « بخارا » عندما رأى (الأوزبك) أنفسهم
أمام ضرغام العزم وطغول الحرب صائلا الأسود مقيده يده وقدم الذئب ،
ومقيده قلم الكركى كسير الجناح ، ودخل حكام « حصار » (١)
و « قرشى » (٢) و « كسبى » وأكثر عظماء « بخارا » فى خدمة الملك مزين
العالم ، وساروا من هناك خارج « جارجو » (٣) لمقر معسكر العالم ، وأقاموا
جسر متين على نهر « أموية » ، وعبر الجيش المنصور مثل تتابع الشهور
وتوالى الدهور بقلب جهور وعزم شجاع من الجسر ، استبدل حضرته
الجمال السريعة سالكة التراب دوار بحره للسنبك النارى لمراكب مبارك
النفس سفينة وقارب ، وجلس مع الغلمان الخصوصيين على السفينة
بمقتضى « أنا لما طغى الماء حملناهم فى الجارية » ، وعبروا من ذلك البحر
الزاهر « وترى الفلك فيه مواخر » هناك قائم مقام الأب الذى كان لجام
حبل حكم (أبو الفيض خان) الى « بخارا » ، من هناك حيث عالج داء

(١) إحدى مدن مدينة بخارا ، بناها تيمور لك ليشقى فيها .

(٢) كانت فى الماضى تسمى نخشب ، وعرفها العرب بـ « نسف » .

(٣) اسم ناحية جنوب نهر جيحون بالتركستان .

المكر بلا دواء السرعة في العلاج الأول الحكمة بقانون تشخيص المرض ،
وفاز الوالي المذكور لقيسادة أمر العطاءات واستنشاق هواء المصالحات
والوداد ، وتمهيد مهاد المهادة والسلام في ذلك المقام « ولكل مقال مقام »
بتقبيل عتبة العظيم ، ورفع من هذه الموهبة رأس الرقعة على السماء مثل
عتبة قوة البلاط الملكي .

(أبو الفيض خسان) مع جميع أشرف وعلماء ورؤساء الأويغورين
الأصل بـ « بخارا » - الذين كانوا قد تشبهوا بالحجر الصلب - أخرجوا
بخار الغرور من مشعل الرأس ، واختص في أحد منازل المدينة بقيض
تقبيل عتبة فللك المماس ، افتخر بعباء الخلع المذهبة والخنجر المرصع
والتاج المكمل ، تميز أعيان مملكة « بخارا » بحريز خارا والألبسة الفاخرة ،
جعلوا من بحار الطاف الملك نيل المراد ، ميل أصداف درر نيل الآمال ،
وجعل الممالك الغربية التي كانت خلاصة تلك الممالك من مشتملات الولايات
المحروسة ، واستثنى « توران » وفروض وأعاد التاج وخاتم سلطنة ما وراء
نهر « أموية » كما كان لـ (أبو الفيض خان) ، وأعطى مفرق اسمه بتاج
الخطاب ملكي الافتخار ، كما في المثل (استأهلي اهالتي وأحسني اياتي) ،
عندما أثار بعضا من أهالي « توران » غبار وحشة حزن العين والقلب ، لم
يسلكوا طريق الطاعة ، أسرع جماعة من الجنود والمحاربين مع القواد
والأمراء ذوى الشأن ناحية « سمرقند » وأقصى بلاد « التركستان »
لاستمالتهم واستلانتهم ، فسلك جميع الطفاة طريق الطاعة ، مال الشيخ
والشباب على قدم ثريا مماس سرير الجبهة مثل جبهة ، وظلوا من شمول
شراب الاحسان الشامل وكأس الجود ذو اللطف الكامل وشراب الرأفة
والاتراف المنهمر مطعين ، بل صاروا من ثمل المال منقادين وموافقين ، وعاد
كل واحد من طريق الصداقة ، وأدركوا بأنفسهم بصند آفة المظهر وفي مكان
سياسة « أخذ عزيز مقتدر » نتيجة الطغيان والعداوة ، وكان عشرون ألف
من شباب « بخارا » و « سمرقند » المحنكين قد شقوا جعبة ابط « أشكش »
قاتل « كش » و « كاشغر » الذي بسطوة شباب الأرض في رأس « بيران »
ويسه « (٤) وبالحرية الخطية الناي في مخلب أسود الغابة ، وجدوا في
سلسلة الطائفة الشجاعة جهة الربط ، أسرعوا ناحية « خراسان » .

(٤) اسم قائد جيش الفراسياب .

بيان تسخير خوارزم وتدمير المعاندين الدون

« ذلك اليوم الذى كانوا يوعدون » (ايلبارس خان) والى « خوارزم » بوصف هذا أنه ربط فى أرض معركة المكرر وتر قوس الظلم والتزوير على قوس القلب القاسى ، ظهر على نواحي « خراسان » ، كوكب الحظ العاثر ، وكان نجم الطالع غائب فى أفق الاخفاق ، عاد الخاسر متحسرا بجماعة (الأوزبك) لصحراء الفرار ، وألجم حبال خيول الهجوم من وادى « خراسان » ، عندما كانت « الهند » وجهة جماعة خلافة مكان الرجوع ، وكرر عدة مرات عزم الاعارة والاستيلاء واغتنام خيول الجلادة السريعة ، مع ذلك لم يظهر الأسد الغضوب بطل « أبيورد » قهر الحرب ، حيث واجه هجومهم بالقتال فأصبح حبل التهوى مع أبطال الباطل أنفسهم (جولبة الباطل ساعة) بغرض الهجوم وبرغبة غلبة الأحق ، صاروا فى مقام الأسود المتهورة والتعلب اللاعب مخرب استراحة الأسد ، اقترن دخولهم بهجوم (رضا قلى ميرزا) أيضا من « هرات » ، وتوجه بالجيش الأجش لمقابلة ذلك الفوج الخسيس ، (ان كنت ريجا فقد لاقيت أعصار) عندما رأى (ايلبارس) الأوضاع هكذا وحامل الحظ فى شرف وضع الجنين (أخيب من حنين) ، لم يجد قرين الانين والنواح فرصة لحمل الغنائم ، « لا يقدر على شئ مما كسبوا » بحث القاتل عن طريق الندامة من شهرة مجيء الأمير (رضيت من الغنيمة بالاياب) ظهر مع (الأوزبك) ذوى الذقون فحوا « والذى خبت لا يخرج الا نكدا » من زينتهم وذقنهم ، وتعزى باطنهم وظاهرهم من ثياب « وريشا ولباس التقوى » ، أدار عنان الخيل لطريق الهرب ، ثبت أقدام شوم خيول خيله فى كل قدم من صورة النعل صورة اللعنة له ، (رجع بأفوق ناصل) ، أتم بتهديد سطوة الأمير الذى بلا نظير بلا اهمال وتأخير ومكان مخيف المهابط وأرض القحط ومهابط وممالك ومكان خوف وقمة الجبال ومقاذف ومساخط ومساقط ومهابط وأرض المعارك ، ذهب ل « خوارزم » هكذا قائلا .

فلا تلبثن اذا ما لقطت فتنشب فى كفة الجابل
ولا توغلن اذا ما سبحت فان السلاطة فى الساحل

وأُسرع كثير من (الأوزيك) للأطراف من حده السيف البرق مثل
البرق ناحية العدم ، جرى بشأنهم مضمون « لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين
كتب عليهم القتل الى مضاجعهم » .

حاملها قوم ومن ذا الذى يخرج ليثا حاذا من غايه
يدمى أبو الأشبال من زاحمه فى خيسه بظفره ونابه

أصبح ظهور هذه الحركة من (ايلبارس خان) باعثة تحرك رايات
فاتح العالم ، صار بداية الأمر وعنوان العزم بمهلول « وما كنا معذبين حتى
نبعث رسولا » رسالة تخبر عن توجه الموكب السعيد ومنبئة عن موعد
وصول قوم « أولى بأس شديد » ومن سم القهر وخزرة المحبة نموذج
ثعبان أرقش مختلط بالتواءه والوعيد « انا هديناه السبيل اما شاكرا
واما كفورا » ، مختلط برسم زينة الكلام والترشيح ، أبلغ مستحجب
الرسول لجانبه حامل أمر « اذهب الى فرعون انه طغى فقل هلك الى ان
تزكى » ، أشبار أن (آتسكم فالية الأفاعى) ، أحيانا يظهر هو
و (الخوارزميين) ايفاء العهود وابقاء العقود واختفاء النفور والحجور ،
ويفتحوا باب الطاعة ، « لبيدلتهم من بعد خوفهم أمنا » « أعملوا على مكانتكم
انى عامل فسوف تعلمون » ، بتأييد الله لم يأسف عليهم السيف الحاد
الذى هو رسول الموت السريع ، « فلم يك ينفعهم ايمانهم رأوا بأسنا » ،
لم يهتموا بشأن أثر عتائية النصيب ، كان قد وجد فى جواب الأمر كتابة
افتراء غلطات عديدة ، أدار الوجه من طريق الصدق ، كان قد قال عن
الظلمة الداخلية « بل قلوبهم فى غمرة من هذا » باخبار « وما نحن بشركى
آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين » ، « وقالوا قلوبنا فى أكنة
مما نسعون اليه وفى آذاننا وقر ومن بيننا حجاب فأعمل اننا عاملون » ،
عندما وصل لحد الوضوح ، أظهروا أن تلك الجماعة المكروهة أظهرت
الكراهية والدهاء وعدم قبول حكم العظيم ، « ليقولوا منكرا من القول
وزورا » « ويوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا » ، وظهر مع أفواج
أسود الانتقام فى مقام الانتقام وبشأن الاختصاص ، صاروا لاضرام واشعال
الحرب من « بخارا » ناصبا لواء القهر ناحية « خوارزم » .

بعد ذلك تبختر الحصان السريع الملائكى الهيئة وهيكل شيطان
الهيكل الملكى فى نواحي « جارجو » بالقتال ، كانت جماعة من مخالفي
العقيدة (الأوزيك) و (التركمان) - الذين كانوا وتر قوس جلادة وكنانة
نبال (ايلبارس خان) - يستخدموا الأوتار القياس الأزمنة السالفة بقوس
القساوة (انباض من غير توتر) صاروا مع طلائع موكب الاقبال مزينين
معركة القتال ومشغولين بسبل السيف وشغل اليد ، لكن هزموا بأقل كر

وفر مثل الشعر السلسل والشعر المجعد ، وأدار النائحون المضطربون المشوشون الوجه عن شاطئ « آموية » « فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين » أصابتهم حربة حرق الأرواح للشجعان التي تتصف بالصدق « انها شجرة تخرج في أصل الجحيم » ، وأصبح من رؤوس المخالفين ثمر فواكه « طلعتها كأنه رؤوس الشياطين » ، ومذاق أجسام أولئك القوم من خشب الخلدك جلادة السهام الذين ذاقوا معنى « ان شجرة الزقوم طعام الاثيم » ، وأدركوا لذة « فأنهم لأكلون منها فمالثون منها البطون » .

امتلاً فضاء الصحراء من خبث جثث تلك الجماعة ، ومرت رؤوس بلا حصر على أسنة الرماح بحضرة الملك ، وبعد ذلك اتجه (ايلبارس) المحارب ل « خوارزم » وبعد دخول موكب العظيم خارج قلعة « هزاراسب » ، فتوجه (ايلبارس) مع عدة آلاف من الفرسان البواسل بسلاسلهم لسيف الشجعان ، وأتاروا خيل المجادلة والمنازلة ، كما توجه محاربو الملك العظيم الى تلك الناحية لذبج أعداء البسملة ، وشرب كل واحد من كأس الانتصار شراب فلون كثير « انا أعطيناك الكوثر » ، وقصل بقصل إقامة رسم الشجعان ، وسعوا لذبج الأعداء « فصل لربك وأنحر » ، وأعطت الملائكة جماعات جماعات بشرى « ان شائنك هو الابر » .

عندما لم ير « الخوارزميون » مساعدة الساعد في اليد القبيحة « عضوا على ظهر يد اليد بأسنان الندامة » يوم يعض الظالم على يديه » .

وفى الكف قبض للأمور وبسطة ولكن اذا ما ساعد الكف ساعده

جاء ل « يموت » بقدرة الحي الذي لا يموت بالموت المفاجيء ، وقطع مهاجمو « تكة » (١) رباط التحمل ، عندما رأى (التركمان) قوس خيال المقاومة متحطم من سهم الأبطال ، ورمح المراد مكسور ، وصقر الشجعان بلا قوة ولا قوة ، وطائر الجلادة كسير الجناح منزوع الريش ، وصاروا بسرعة بالعين الدامية بلا أهل ولا عائلة حقراء أذلاء مثل النملة أمام صولة جنود سيدنا (سليمان) ، وفروا مسرعون الى صحراء التيه .

تاهوا من خوف سهم الرماة في تير حائر ، ولعب عقبان المريشات معهم كلعب البازي مع طير طائر ، وانكسر جناح بالهم من مناسر نسور الحراب وانبسطت مائدة النعم من دمهم في يسيط التراب ، وقلع الخان:

(١) اسم طائفة من التركمان الذين يسكنون بأثناء مرو ، وتعد هذه الطائفة أكبر الطوائف التركمانية من حيث عدد السكان .

دولة سلطانهم ، وخار شيوك شوكتهم وشأنهم ، وحالوا من حملات الكماة كالنمل في المور (٢) ، وفروا كالأعمى من جذوات الكور .

صار (الأوزبك) السنيون الراضون لهذا متخيلين عن (ايلبارس) « وأسروا الندامة لما رأوا العذاب » ، واختفوا من مقام السعى ، وأعادوا وأداروا الزمام جانب الفرار ناحية الفرار ، نزل عليهم البلاء ، وكتب عليهم الجلاء ، سلب جميع سيوبهم ، وجلب ما فى شعوبهم ، « فأخذهم الله بذنوبهم » ، تحصن (ايلبارس خان) مع أعوانه - (رماهم الله بالطلاطة والحمى المناطلة) - فى قلعة « خانقاه » ، وعزمت الأفواج المنصورة أيضا بأمر الايلخان القاهر لاحاطة وحصار « خانقاه » ، فأسروا القلعة بخناق الحصار ، وأحاط بها العسكر احاطة النار بأهلها ، ولجأ أعوانهم ضالعا حزام ضليعهم من الحيزوم الى حم الأرض من سهلها ، وقنطوا من الحرز الرصيص « فنقبوا فى البسلاد هل من محيص » ، كما وجدت طائفتى (سارت) (٣) و (الأوزبك) عرش اقبال (ايلبارس خان) مكسور القوائم ، وتخت حظه ضعيف الدعائم ، رأوا نهاره مخلوطا بالليل المعتم ، فحكمت - على وتيرة واحدة قبيلة قبيلة - جبين الضراعة بباب بلاط الملك العظيم من حيث الندامة ، وتوسلوا بليل « آنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأصلونا السبيلا » وقسموا عذر « كنا نخوض مع الخائضين » ، « ولما سقط فى أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا لئن يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين » ، رغم هذا فان (ايلبارس خان) لم يتنازل مع رؤساء القوم الضالين عن درجة التكبر وجنون العظمة ، ولم يتب عن حب المظهرية ، ولم يهدأ ويسكن عن اثارة الفتن ، « أو لم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا » .

يوم آخر لم يتعظ من « يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم » ، عاتبه أهل القلعة « ليدوق وبال أمره » مع أتباعه وهم عيبته الذين كلهم مساوى وسوء العاقبة ، حضروا فى سجن « وقفوهم أنهم مسئولون » بلا توقف ، « فظلت أعناقهم لها خاضعين » « فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون » ، عندما غلب دم الضلال على مزاج آجال (الأسرى) وطلبت عروق أعراقهم أثر سباب السيوف ، (ليس بعد الاسار الا القتل) ، رجح فناؤهم على بقائهم ، لم يركضوا بجزاء العمل من وادى « كل نفس بما كسبت رهينة » لطريق النجاة ، « ووجدوا ما عملوا حاضرا » ، وجد الأبطال المهرة فى يد

(٢) الجود هو التراب الذى تثيره الرياح ، ومعنى الجملة ان الكماة تحيروا كما تحير النمل وهى فى مهب الرياح .
(٣) طائفة ايرانية الاصل تقطن تركستان وتتحدث الفارسية .

الشجاعة لاجراء حكم السيف البتار اذنا من البطل العادل ، أسرعوا بهدف
فصد عرق حياتهم بأمر ميل سيف الجيتم والمبضع القاطع ، فتحوا عرق
اثارتهم أن (هكدي فصدي) (٤) ، أنشاء هذا الأمر ، دخل (أبو الخير
خان) والى « قزاق » « خيوه » لمساعدة (ايلبارس) ، حيث كان مقصود
الضمير المنير تسخير « خيوه » ، تحرك لواء الملك لتلك الناحية ، عندما
لطم هذا النبأ أذن والى « قزاق » ، تراجع عن عزمه ، وقال أهل « خيوه »
« هذا فراق » ، وساق أفواج الأشرار بسرعة بعصا « عصاهم شققا » جالبا
الخبية من « خيوه » على جانب التجنب ، وسار لشعب الفرقة والابتعاد ،
« لو يجلدون ملجأ أو مغارات أو مدخلا لولوا اليه وهم يجمعون » .

بناء على هذا كان أهالي « خيوه » بأطراف القلعة ، كانوا يقصرون
يد عبث الجنود من أطرافها ، انشغلوا بحماية القلعة ، انجذب وانحدر
الوكلاء لانشغاب جداول الماء من جانب القلعة ، وجعلوا من أطراف القلعة
الأربعة هدف مدافع فتح القلعة ، أظهروا آثار « وبرزت الجحيم للغاوين » ،
عندما احبط أهالي القلعة ببحر من نار بدلا من نهر الماء ، رأوا أنفسهم
والقلعة طعمة فم التمساح البلاء والاضطراب ، فتحوا بمفتاح الندامة باب
الهرب ، وأصبح الملك المعصوم من الخطأ قابلا العذر ، سامعا المعذرة ،
استراح أساس عاقبة مبصرى ذلك الفوج من التزلزل ، وفي الأزمنة المباركة
مصان من مئة الغير ووصمت الضرر ، ضم « خوارزم » كإقليم المملكة ،
وسحق العصاة وأطلق سراح الأسرى من وجه المحسنات (يارب هيجا هي
خير من دعة) ، أحكم رؤساء القلاع الخمس القبضة على طرف الخيمة ،
وربطوا الطرف على وسط الهمة ، واستظلوا مع فوج من الأبطال بظل لواء
حماية الملك « فوق الحق وبطل ما كانوا يعملون » ، وأرسل لجميع الاقطاع
والأماكن والأصقاع رسالة مزينة ببشرى الفتح المدون والمكتوب والمسجل
المقترن للأعداء بالنكاح ، فرح الأصدقاء وخذل الأعداء بنفس الركاب ،
وأصبح هذا النصر - الذى كان قوى الظفر - مخلب الاقبال اللائق ظفرة
عين الأعداء ، وعين (طاهر خان الجنكيزى) واليا لـ « خوارزم » الذى كان
ظاهر روحه متحدا مع باطن حاله ومحنكا بتجارب الأيام ، فى السابح عشر
من رمضان أسرعوا بقلب مفتوح وصدر منشرج من طريق « مرو » ناحية
« كلات » ، « فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسهم سوء » .

(٤) أول من تكلم بها كعب بن مامة حيث أنه كان أسيرا فى عنزة لأمته أم منزله
أن يقض لها ناقة فأنحرما فلامته فقال هكذا فصدى أى أنه لا يصنع الكرام .

بيان تعريف ووصف قلعة « كلات »

صانها الله تعالى في كلاته من شر الفلات ، « ذلك نتلوه عليك من الآيات » « كلات » قلعة تبارك الله أن رواسى جداره مقترنة بقرن الثور ، وحراس بروجها أصدقاء عطارد ، (فرود بن سياوش) (١) فى جانب حائطها الغربى متين ، الحلق أساس الثبات ، مصانة من وصول المصائب ، ومتعانة مثل الفلك ، محصنة بالقمم الشاهقة والمرتفعات العالية ، حدودها مسكن العلماء ، وسياجها مرتفعة ، جبالها مليئة بالغزلان لكن خالية من الأدميين ، ومرجها وصحرائها كلها غزلان لكن عيوبها قليلة جدا ، خرجت من العالم من كثرة الوحوش وثورة صيادى العالم ومن أجناس الاحناش وبرج الثور كان بالنجم المشحون من النرجس وزهر العين ومصباح العالم ونزهة واد الأعشاب المثير للخيال ، روضة الجنان لأنه مكان محبوب ، ومن حيث الاحكام والثبات بلا نظير ، عاد الملك الفاتح فى الأزمنة السالفة بخيال « لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب » من فحوى « أينما تكونوا يدركم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة » ، أساسها مثل الفلك ، صقل صدع وشق القلعة بالجبس والجير على الوجه الأكمل ، « تتخذون مصانع لعلكم تخلدون » ، أسس فى ثلاث أماكن مسماة بـ « خشت » و « كرد » و « قوشجي » (٢) عمارات الفلك المستدير ، عرش السمات ، وقصور فلك السمات السموات ، وأبنية سمو أساس السماء العالية ، البناء سامية الطبقات ، وبيوت زينة عظيمة الأساس ، ومناظر مكعبة ثابتة الأساس ، ورواقاتها الجميلة أفضل من حاجب الغلمان الحسان ، ومن منظر حور العين ، وحجراتها المنحوتة المزينة قرينة حجرات الفلك المزركش المرتفعة على قمة السماء فى رفعة وتفرد مثل الفلك ذو التسع حجرات ، كان العمال المهرة يصبون أساس بناء تلك القصور لتبدو مناسبة ، وكانت تتلون بألوان عديدة ، كما كان المهندسون يؤسسون بناء أساسها

(١) فرود بن سياوش وأمه ابنة بيران ويسه .

(٢) تقع بالقرب من منابع نهر هره ، شمال هراة .

العالى ، كان رماة أساسها يصبون الأساس لخراج أقليم « الهند » ، كان العمال المهرة يرفعون سطحها الرفيع بأيديهم الجاهدة ، فلم أنهم كانوا يشرعون مثل شمس الصباح المنيرة لكانوا يصلون للمنزل وقت العشاء ، كانت المجرة تحمل بوثقة شأنهم القليل الذى هو ذهب تذهيب قصرها المذهب ، لو كانوا يحملون ثور الفلك للأسفل ، فى عام آخر كانوا يفتحون باب أساس العمل ، وضعوا عمارات « خشت » الخشبية بالجنة رهنسا للحسناوات ، أنقروا مبانى « كرد » الطينية ذهبية الآجر للشمس بشكل أساس لقبة النصر ، تشابهت قصور « قوشجى » بقبة الفلك الملون ، وجلست طيور النافذة مع « منقارة السجاجة » (٣) وقت الحرب ، رسم مصور القضاء صور بدوكة الألوان للأكوان على باب وحائط الوجود ، كما رسم رسام « الهند » وأساس الليل رسما لوحة بياض ظلمة الأفق بزئبق الشفق ، وهكذا أوجدوا رسما غريبا ، وقد انحنى أمامها « حصن تيماء » (٤) ، و « قبة اردشير » (٥) ، و « منارة الاسكندرية » (٦) ، و « قلاع جمشيد » (٧) ، و « قصور بهرام السبع » (٨) ، و « توبال اردشير » ، و « سدير » (٩) ، و « خورنق النعمان » (١٠) ، و « أهرامات مصر » (١١) ، و « غمندان

(٣) الصورة التاسعة من الصور الشمالية •

(٤) بلدة بين الشام والحجاز لها حصن يتمثل فى الحصانة ، بناء سيدنا سليمان بالحجارة واللس •

(٥) توجد بجوار فارس ، مشرفة على سائر البلاد ، يتمثل فيها العلو والاشراف ، بناها اردشير بالحجارة •

(٦) احدى عجائب الدنيا ، وأصلها مبنى على زجاج والزجاج منصوب فى ظهر سرطان من النحاس فى باطن البحر •

(٧) وهى القلاع التى بناها اردشير فى شيراز - قلعة اصطرخ ، سكسته ، ستوان ، ومدفون فى كل واحد منها ابن من أبناء فريدون •

(٨) قصور بناها بهرام ، وكل قصر لونه مخالف للون القصر الآخر •

(٩) القصر الذى بناه النعمان بن المنذر لبهرام فى الحيرة •

(١٠) قصر شيده النعمان بن المنذر لبهرام كهر •

(١١) مضرب المثل فى الثبات والقدم والحصانة ، وقد زعم أبو معشر النجم البلى أن الأوائل من الأمم السالفة قبل الطوفان لما علموا أن آفة سماوية ستصيب الناس بالغرق والنيران فنتى على كل شيء من الحيوان والنبات ، بنوا أهرامات ناحية صعيد مصر كى يتحذرون بها من الماء والنار ، وهى مبنية من الأحجار والمر والرخام السميك •

اليمن « (١٢) ، و « طاق كسرى » (١٣) ، وسقط طشت الشمس من السطح بلا خجل ، كل قلاعها حصن حصين ، وكل حجراتها قلعة متينة وقد بنيت بمساعدة المهندس (سنمار) (١٤) مثل عمل (شيد) (١٥) ، ورسام الرسامين رسما مثل رسم (ماني) ، وعمل مصوري ارزك عمل (لوشا) (١٦ ، ١٧) « يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل » مراسم انكليون الشأن تنكلوشا (١٨) الأثر ، « لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون ولبيوتهم أبوابا وسرا عليها يتكثون » ، رسموا زينات أيقية ، وفرشوا سطوحها بالمرمر الأملس ، وأنشأوا في أوديتها وحقولها حدائق مصفوفة محكمة الجدران ، وأعشاب ملتفة طويلة موردة بورود يانعة ، ومعينة بعيون فضيضة ، ومشملة على أشجار مثمرة كثيرة الثمار ، ومحتوية على أنهار واسعة جارية ، كانت مياها العذبة (أعذب من ماء مأرب ، وأحسن من نيل المأرب) ، وصارت جداولها التي من سلاستها - ماء في فم « سيحان » (١٩) و « سيحون » (٢٠) و « جيحان » (٢١) و « جيحون » (٢٢) عندما جرى حكمه حملت الأحواض بالبركة التي كانت بالكوثر والتسليم قائلة بضعف رأته أمامها ، أشار شرابه عن مضمون « هذا مغتسل بارد وشراب » ، وبشر إيوانه المتين بوعده « لهم غرف من فوقها غرف مبنية » .

وأبوابها أثوابها من نفوسها فلا ظلم الا حين نرعى ستورها
معظمة الا اذا قيس سمكها بهمة بانيها فتلك نظيرها

(١٢) أحد الابنية الوثيقة للعرب ، وهو يعد مضربا للمثل في الحصانة والوثاقة ، وقد كان بصنعاء يسكنه ملوك حمير ثم دان للخراب ، وتحول الملك عنه الى قلعة كحلان ، ويقال انه بنى قبل غمدان .

(١٣) وهو المعروف بـ « ايوان كسرى » ، وكان مقرا لحكم الملك الايرانى الشهير كسرى ذو شيروان .

(١٤) اسم المهندس الذى صمم قصرا الخورنق ، وقد ائتم عليه النعمان بانعامات والفره ثم سأل هل فى امكانه صنع قصر مثله ؟ فقال له انه يمكنه صنع افضل منه فامر النعمان بالقائه من فوق القصر الذى بناء ، فصار هذا شائعا بين العرب « جزاء سنمار » .

(١٥) اسم الحكيم الذى شيد هفت كنبد لبهرام كور ، ويقال انه اهد تلاميذ سنمار .

(١٦ ، ١٧) حكيم رومى لم يكن يضاهيه أحد فى الرسم .

(١٨) اسم الكتاب الذى جمع فيه لوشا صوره وأعماله .

(١٩) نهر بالبصرة .

(٢٠) نهر كبير فيما وراء النهر .

(٢١) نهر بين الشام وتركيا .

(٢٢) نهر بين خراسان وما وراء النهر .

دخل موكب العظيم فى أوائل شهر شوال تلك المنطقة الجميلة ، وفى يوم آخر هبطت أفواج فروود النجوم بقلعة « فروود » ، وقد انشغل مع الحشم بالتنزه بذلك القصر البديع ، عندما رأت الهما ظل الملك - الذى فلك النصر ريشة همتة - اصطادت البط الأحمر ظهرا ، وفى ظلمة الليل اصطادت الشوات ، أحضر صقر النصر ريشة عزمه (انه لواقع الطائر) نسر طائر للواقع من الفلك المنحدر ، كانوا يميلون للصيد والأصطياد .

بعد المشاهدة التمتع فى تلك المتنزهات الجميلة ، طلب الصقر حاد البصر ملكى الطبع بتطير أنعمه ، وفى بداية سطوع الشمس - حيث أن الطائر يطير كل يوم ويضىء النهار من شمس العالم المضيء ، ساق مركب العزيمة لمكان الصيد بالنحيل والضخم ، سحب الصيادون يده الجوارح الحسنة مع الجوارح الصيادة فى طريق ومعايير الصحراء متدرجا بصيد الدراج والكبك واطارة الطيور واحاشة الوحوش ، كانوا يسيلون دم (يعقوب) وأبى اسحاق مع دم موسى مثل سعيده (٢٣) وجعفر (٢٤) توجهوا لساحة الوادى بأسنة سهام الصيد كالأسود والليوث ، صار فى مكان الصيد مثل (أفراسياب) صولة عالم البطولة لأن (كيو) لابد أن يصبح (كودرز) (٢٥) ، كان يجب أن يكون (دستان) (٢٦) والضعيف مثل (تهمتن) حيث يصبح (سرخاب) (٢٧) و (سياوش) ، يرفع أحيانا يده همة صيده بالقوس البهرامى ، جاءت البقرة الوحشية فى شهر من الشهور الى الصحراء لسلوك الطريق ، وأحيانا يصبح صيد عقاب طبعه السعيد بالميل للصيد ، أوصل غزال الشمس من عام للعدم حرارة الشباب من خطوط أشعته على قمة عطار ، لو انشغل بصيد الماعز الجبلى ، كان يطير من سهم الخدنك الصلب فتحت له لون من الجبل ، لو دخل فى الكهوف لصيد الوعول ، لتقدم الجدى على الحمل ، كان يعطى من شوق لذة جرح سهمه صغار الثيران القدرة على الفرار ، كان يفتح جناح الطيران بهواء مصيده مائة نوع من الصيد أعلى الجبل وفى المصيدة والصحراء .

النتائج أنه أراح بسن ريشة السهم النافذ فى الغزال ، وتجنب الراحة بضرب فوج الطيور طالبة الرزق الطيور وطيران الضواري ، انتهى

(٢٣) نهر .

(٢٤) الجدول .

(٢٥) هو كودرز بن كشواد ، بطل ايرانى قديم .

(٢٦) لقب زال بن سام نريمان وهو والد رستم .

(٢٧) اسم بن رستم وعرف أيضا بسهراب .

فى ذلك المصيد الملى بالصيد الوافر لحد كبير بحيث أن لم يشتتر غزال صغير ، وكانت صغار الوحوش بفلس •

من هناك فى آخر شوال كانت « مشهد » المقسبة مقر موكب النصر ، ومر شهرا ذو القعدة وذو الحجة اللذان انطبقا مع بهمن (٢٨) وأسفند (٢٩) فى قصور الحزن ، واتكأ بساعد السعادة ومرفق الدولة على وسادة المجلس الناعمة •

فى السادس والعشرين من ذى الحجة سحب طباخ الفلك الحوت من مائدة الأيام وقدم للحمل فرفعوا راية العداوة والبغضاء ناحية « داغستان » من تنين العلم للعقرب •

(٢٨) اسم الشهر الحادى عشر من السنة الشمسية •
(٢٩) اسم الشهر الثانى عشر الشمسى •

بيان تذهيب قبة الشمس عالية الظهور طليقة النجف الأشرف الملىء بانسور

« ولو لم تمسسه نار نور على نور » ، عندما دخلت مدينة « طوس » بحوزة التسخير ، فان رواق عتبة السماء فرش كرسى العرش الحضرة الرضوية - التي اشتهر بصفة (مير عليشير) - كان قد ذهب بالمنارتين منيرة شابهة تلك ساحة ارم بيمن همة خسرو قلبك العرش ، في هذا الوقت من عين الولاء وحسن تعلق طبع الملك الذاهب لتذهيب قبة العرش ، صاقل روضة شاه النجف العليا ألف التحية والهدية التي أسفل عتبته مباشرة لمعشر البشرى ببشرى (لا تخف مما تخاف) ، والمجاورين لباب حمايته من الملاء الأعلى تحف كثيرة المدح وثناء الاتحاف من حسنة الحلقة الذهبية في نقصان حلقة قرص القمر عتبته ، ومن شعاع شمس سقف قبة فيض زيادة نور الشمس في كثرة العتبة العليا مرض صدر الفلك وسقف ايوائه السماء الزرقاء اللون للفلك العالي لم ييسر النهوض من قبته الرفيعة ، وطوق الشمس المضيئة بشارته الذهبية قرين تسعة السرو الذي بقبضته الشمس مثل اقتلاع الباب من مدينة « خيبر » ، بل ألقى أساس المدينة والحصن من برج السماء الأعلى ، من قأب قابا (٣٠) من طعام نواله أدرك لذات النعيم ، ومن جام جاما (٣١) من شراب عطائه شرب دنا « مزاجه من تسنيم » .

أدرك ساقى الكوثر أنه كلما كان الماء عزب حب سلالته ، يتخيل شراب الكوثر غبار السراب ، وكل شخص يدخل في زمرة أحباب جنابه الشريف ، لا يعتبر أهوال أحوال يوم القيامة بشيء ، « أسد الله الغالب » الذي ذريته الطيبة مشبهة فطرياً بشبهة المقدس ، أن (الشبل يخبر عن الأسد) ، ولزمرة شيعته سطوة الأسد الجبلى ، أن (كل شيعة يتأسد) .

وضع القدم بحضن تعلقه ، لم يحن الرأس للجنان الثمانية ، كل ما هو لنفسه بشمع مكان نومه فراش يعنى فراشه ، لم يخف في فراش

(٣٠) القاب الطعام وقاب أى أكثر من الطعام وامتلأ .

(٣١) جام أى طلب الشيء جام أى طلب المزيد من الكؤوس الغضبية .

المحمد من هول دخول المحشر ، أعنى شمع صفة الصفاء « ولولاية الملك »
 « شمعون الصفا » (٣٢) ، وشمس روح الملة الاسلامية وسلطان مدينة
 مملكة الارتضاء ، ولبيستان الخلافة ربيع ناضر ، ولجمال الامام بهاء رانع ،
 مكن زائر مزار أنوره البليث الزائر ، وحرير ورمحه الشرعى شراع سفينه
 الشرع الزاهر (من آب عنه فقد باد) نائب مناب الرسول فى المبدء والمعاد
 ضيغم منيع الغاب على على الألقاب ، الذى قصر عن قبة قصر مناقبه الأطياب
 أطناب ، الأطناب ، سيده الكونين قاضى الذين وقاضى الدين صلوات الله
 عليه الى يوم الدين •

بعد دخول « قزوين » أمروا الثقة عضضى الطرف والناظرين شديد
 النظر بنهاية هذا الأمر خير المناظر •

دار على العز والتأييد مبناها وللمكارم والعليا مغناها
 دار تباهى بها الدنيا وساكنها طراوكم كانت الدنيا ثمنها
 من فوقها شرفات طال أدناها هذا الثريا فقل لى كيف أقصدها
 أنظر الى القبة الخضراء مذهبة كأنما الشمس أعطتها محياها
 ولو رضىنا مكان البسط أعيننا لم تبق عين لنا الا فرشناها

وأرسلوا نذور الضراعة للمحتاجين واليتامى والمختصين بالفقر
 والمساكين ساكنى الأماكن المقدسة ، وعشرين حمل محملة بالفرش للروضات
 المطهرة •

(٣٢) عابد صالح من حوارى سيدنا عيسى ، وقد ورد اسمه فى اعمال الرسل لدلالة
 على بطرس الرسول •

- ٣٢ -

بيان توجه جنود الشكر النادى مرة ثانية ناحية « داغستان » بعزم تأديب المكزيين قبيحى العمل

« أولئك كالانعام بل هم أضل » بعد ذلك كان الملك (كيومرث) الشان (أفراسياب) القدر ، (جمشيد) العزم ، (قارن) القرين ، (الاسكندر) الباب ، (دارا) الرأى ، (بهرام) المجلس ، بجنود بقوة قلب (كستهم) سهم بطل الحرب ، وبطولة (سام) وحسام (رستم) وصورة (بولاد) الضرب وبطولة (يلان) وصولية (يلان) يأسى (كشواد) ، مثل بطولة (كاموس) معدن (الوا) لواء (قلواش) ، مثل محاربى (جويلا) ، قبضة (جنكش) ، مخلب (بندوى) القيد ، مبارزى (كردكير) أسر (فرشيد) (١) ، وعظيمة (هومان) (٢) ، واصغى (بشنك) (٣) ، شأن (اشكبوس) (٤) ، بؤس (كركين) (٥) ، العداوة وبطولة (شبرون) (٦) رأى (روبين) (٧) ، عمود (كوبال) (٨) الحرية ، ومبارزة (زواره) (٩) ، قهر (برزو) (١٠) ، خروج (فربرز) (١١) للحرب ، بطولة (كرز) (١٢) كرب (كرازه) (١٣) ، تبختر (البرز) (١٤ ، ١٥) فى الحرب و (رب شد فى الكرز) ، تحرك من « قزوين » ناحية

-
- (١) اسم شقيق بيران ويسه .
 - (٢) اسم شقيق بيران ويسه قتل فى معركة كئابد على يد بيزن .
 - (٣) اسم ابن افراسياب .
 - (٤) اسم مبارز كشانى جاء لمساعدة افراسياب وقتله رستم .
 - (٥) اسم بطل ايرانى .
 - (٦) اسم بطل ايرانى كان فى خدمة الملك منوچهر .
 - (٧) اسم بطل ايرانى ابن بشنك وصهر طوس .
 - (٨) أحد القواد الايرانيين .
 - (٩) اسم شقيق رستم .
 - (١٠) ابن سهراب ومحارب تورانى فى جيش افراسياب .
 - (١١) ابن كيكافوس وقتل بيد كلباد فى معركة « دوازده رخ » .
 - (١٢) شقيق اسفنديار .
 - (١٣) اسم بطل ايرانى .
 - (١٤ ، ١٥) اسم بطل .

« شيروان ، جعل قلعة « شمانخي » الشهادة مقر جنده « شمانخ » (١٦) الشوكة بشوامخ العظمة ، كانوا بأسنة الرماح والنفخ أبطال زحل حرب « كيو » (١٧) القدرة أبطال آكوان مهابة البطل العاقل الذي كل واحد « جن » (١٨) العالم والتميز في الآكوان ، أضرمو النار في قصر (روبين) ، عندهما كان حضرته (فريديون) العظمة و (هوشنك) العقل ، وجيشه قرين (قارن) ، و (بيرن) (١٩) الاسقاط لدفع العدو (سيناوش) (٢٠) ، أدار الأرض بطرف سن أسنة المنفذ ، وصار من هنناك بصولة (كشتناسب) (٢١) وسطوة « كرشاسب » (٢٢) وهيبة « لهراسب » (٢٣) بخيل آذر من طريق « شاه داغي » ، جعل البرز - الذي صوت رفعتة مثل « جبل قاف » - هابط للآفاق مثل البرق الربيعي الحاد ، ومثل السحاب الجبلي سالك الجبل بالندى والعرق ، سحب بارشاد قائد الحظ من المعابر الدقيقة والمضايق الوعرة والجبال المليئة بالشجر بقلعة المتناح ، عندهما ألقى الهمما (٢٤) راية عقاب الجسد ظل الوصول على أطراف « غازي قموف » (٢٥) ، كانوا يمرون ب « شمانخ » و « سرخاب » و « أوسمي » (٢٦) الذين في خراب الغفلة وسهل الحيرة وفيفاء الجهل وصحراء فساد عصر الزمان ، تشرفوا من انقياد المتفرقين للمعربة السلطانية فاستظلوا بالظل الوارف ، واستفاضوا من تقبيل العتبة عالية المرتبة ، وارتووا من الكؤوس الشريفة والمياه الجارية الطاهرة ، ومن هناك اتصلوا بناحية « آوار » التي تتصل في نهايتها « داغستان » يحدود « الجركس » ، واشتمل بصفة « وكانوا ينحتون من الجبال ببوتا آمنين » ، وتحرك ركاب السحاب وعنان سماء المعلم ، مقترنا بذلك الخريف حاد المزاج ، مع ذلك لم يفسح في الأسواق الأربع فصول أربعة عقرب الميزان من كف وحجر التعديل من الكفة ، اضمحل سوق المعاملة ، وأمطر السحاب من السماء ، سحب

-
- (١٦ ، ١٧) اسم أحد الأبطال الإيرانيين
 - (١٨) اسم ابن المراسيات وقد أسره كيخسرو بعد مقتل والده
 - (١٩) ابن كيو وابن أخت رستم
 - (٢٠) ابن كيكاوس والد كيخسرو
 - (٢١) أحد الملوك البيشداديين
 - (٢٢) آخر الملوك البيشداديين
 - (٢٣) شقيق كيكاوس من الأسرة الكيانية
 - (٢٤) طائر خرافي - أسطوري
 - (٢٥) اسم ناحية شمال سرير وغرب قيطاق
 - (٢٦) لقب رئيس شمال وغرب قيطاق

« زال) الفلك من ظهور صورة بهمن « قوس قزح ، كان يظهر الصولة
البهمنية ، بدأ وجه الأرض قبل وصول موسم أسفند المصاحب لوقار
« أسفنديار » (٢٧) بغطاء الجليد ، تزين (بلنكر) (٢٨) نمرى الجسم
كالسحاب الرمادى فى الفلك بلون جلد النمر المتنمر ، رفع « بارق البربرى »
البرق الأبرق البراق لسير الفلك بلجام ذهب وركاب السحاب المزين ببيالق
البراق .

وبارقة لاحت عشاء فافطرت سحيقا من الكافور فى كل معطف
فمن غصن بالثلج فيها متوج وآخر يضحى فى جليده مشنف

صار ظل السحاب أسرع من الابر لادغة الروح ، هطلت أمطار العقرب
كثيرة على عقرب الخرابات لادغ وحارق قلوب الحائرين بنصل حاد الفطرات ،
عندما مر الخدنك نائر نار الأبطال الشجعان من الدرع والخوذة ، وتجمدت
فى سينان السهم الصغير نيازك نموذج راهى سهام الماء مثل النار .

قله أجمر الخمر فى كانون كل قدح وأحمد الجمر فى الكانون حين قدح
فالتلج قطن عليك السحب تندهه والجو يحلجه والقوس قوس قزح

سحب الجو الهواء لرد البرد بجلده السنجاب على الكتف ، تسيل
الزمان من شدة البرودة على الشمس ، ورأى فى هيكل الجمار قشعريرة من
الثلج ، واختفت كرة النار خوفا من البرودة فى ثياب الفلك السنجابى .

نثر السحاب من الهواء دراهما وكسى الأبطال من الحواصل ملبسا
والريح بناردة الهبوب كأنها أنفاس من عشق الحسان فأفسا

تجنب آثار الهدوء من نزول الثلج مرة واحدة من الطباع .

كان صقيع الأرض ما جصصت به على الأرض قطن أو دقيق مغريل

أصبح نفس برودة الهواء للجنود بنضة .

فيارب ان البرد أصبح كالحا و انت بحالى عالم لا تعلم
كان كنت يوما ملتحى فى جهنم ففي مثل هذا اليوم طأبت جهنم

(٢٧) ابن كشتاسب وكان يلقب بـ « روئين تن » ، بمعنى قدرة الحق .

(٢٨) اسم أمير زنجى قتل فى القوي علق يد الاسكندر الأكبر .

ورطب اللسان بـ

- ستر الفلك وجهه بسننجا السحاب
- استتر خلف شمس العالم المضيئة المستقرة
- هكذا بطل أثر النار الحارقة
- التي ظهرت فيها معجزة ابراهيم عيانا
- لو نثر تجاه الهوا الخمر والماء
- لعاد مرة أخرى يا قسوت

وفى أيام التوقف فى « آوار » فى يوم ممطر كان الهواء البارد أقطع من سيف الحرب ، والبرق أسرع من حصان فولاذ قبضة الأبطال ، وكان الرعد أزر من أسد الغابة ، أمر فوج من (لكزيه آوار) - أمطرهم الله فى وقت الصاعقة وتساقط الأمطار - بالاستعداد للحرب والتقدم للقتال .

أغاروا فى الأغوار المليئة بالثلج والصحارى الواسعة الكبيرة والأراضى الوعرة والهضاب حادة الطرف على الجيش الغيور ومدفعجية الجيش المنصور - غارهم الله بمطر - ، أظهروا فى ذلك الجو البارد جميعا التدرع بدرع الجلالة ، سكبوا ثلج الرصاص ، حاربوا بحملات متتابعة الحرارة ، صار جمع بالسيوف الحادة باردى الابدان .

هم يوم ذى قار وقد حمس الوغى خلطوا لها ما جفلا بلهام
ضربوا بنى الأحرار يوم لقهم بالمشرفى على صميم الهام

بعد ذلك بسبب هذين الأمرين الواردين ، ظهر الوجه من ستار تقديرات رب قدير ، اتجه موكب العظيم من « آوار » ناحية الانصراف ، (استعجلت قديرها فأملتت) ، وفى عرض الطريق صار خبر فرصة (قرا قيطاق) أيضا ضميم العلة .

توضيح هذا المقال : انه فى الوقت الذى كانت فيه « غازى قموق » مستقر الجلال ، بمضمون (أول الجحامة تخدير القفا) ، ارتبط أمر المعلى بالنفاذ ، حيث انتظم « سرجاب » و « اوسمى » فوج الأبطال من « اللكزيين » فى زمرة خدام الركاب ، جعلهم ازاء ومقابل تخفيف هذا الأمر أداء خراج

كامل حق الدمة ، أجاوبوا من موقف أعلى بجواب « فلن يقبل من أحدهم ملء الارض ذهباً »

« قال أتمدنون بمال فما آتاني الله خيراً مما آتيكم » ، رغم ذلك فإن تلك الجماعة تظاهرت في الظاهر بخلوص الباطن ، لكن في الحقيقة فإن قلوب الطوائف ارتجفت من الأمر المذكور ، وهبت من ذلك الأمر ريح التوحش (الخنفساء اذا مست ننتت) ، و « أوسمى » شيطان الطبيعة ، قاسى الطبع في نفس الوهلة الأولى طراً الخوف والهول القوي على القوى ، ومن هناك بدى ان مزاج الخنفس شم رائحة السم الناقع ، رائحة تمسك هذه الدولة المحبوبة (كما يضر الرياح الورد بالجعل) ضرب رأسه وتنفس ريحان شوكة فلك القوة (أبغض من ريح السذاب الى الحيات) ، صار غير ملائم لمزاج حياته ، انحرف رأى الشرير وطبع الجاهل عن طريق الصواب ، بمضمون (ان لم تغلب فأخلب) ، فتح مفتاح حقائق الحقد ورباط جراب الفساد والمكائنه وأبواب قصر ضيافة الخصومة وباب كنوز التخادع ، وقف بالمر في مقام الحقد المتمكن ، جعل بواسطة توزيع الارهاب صورة طفل الطلال في مشيئة القلب الذميم المعيب الصفة ، أخذ جماعة من الجنود للركاب لتقديم الأمر المعهود من خدمة العظيم ، انحرف ناحية « قراقيطاق » . ولكن كذب وتولى ثم ذهب الى أهله يتمطى « تمسك بزمام طريق الشيطان ، وكتب بمصندوق « لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه » رفاق العبودية ، وكتب أوراق رقوق المخالفة بمداد الجهل المركب ، ضل وعصى (وقشر له العصا) ، أيضا كان قد جلس العاصي السابق في موقف النفاق ، قد تغير لون الرسم وخيال الفكر من الطبع المختلط ، يعنى عباد فاتح باب الخذلان لوجهه ، وانصرف عن التوبة ، « تلك اذ كرة خاسره » وأظهر بالمحاربين المسلمين والأتباع عصا القهر والخشونة وصلابة الرأس من ناحية الحياء والغرور على أنف ناقة الخطر ، جعل بضروب الضرب سرعة جنود الجلادة للعمل في الغابة كثيفة الأشجار الوارفة المتشابكة علامة سهم التزوير ، « كفروا بعد اسلامهم » ، وقوى لاغتصاب الروائع الوضائع والجمال النحيفة والبضائع والسيوف ، وحصل على الثراء الواسع بهذه الحيلة بلا عناء ، « ومكروا مكرا كبيرا » .

وإذا الذئاب استنعت لك مرة فحذار منها أن تعود ذئاباً
الذئب أخبت ما يكون اذا بدا متلبساً بين النعاج أهاباً

رغم أن ضمير العظيم كان قد توجه من « داغستان » ناحية « تركيا » ،
الا أن (أوسمى) جعل (زال) عجوز الخصال ليهلك مع الدولة الباقية

بأظهار العداوة والحداع ، وصار ضائدا بحبال الحيلة ، صارت هذه الحادثة المخيفة مانعة طريق المرام ، أوقف السفر « لتركيا » وصرف الهمة للانتقام من أعداء البلاد، ربط مقر كوكب النصر خارج « دربنده » (رب جثيث مكثت) وفي نهاية مساكن أهل الفساد أقاموا بـ (أوسمى) كوخا مخصوص « كأنهم بنيان مرصوص » ، رفعوا الأساس لمبنى الهمة العالى بالقلاع المحكمة والمعابر المثبتة على أعمدة والملاجئ المعمورة والحصون القوية ، أوكلوا بكل ملجأ جيش جرار للمحافظة ، قرروا أن كل شخص رفع شدة برودة الشتاء يبنى المنزل والقصر من الخشب والطوب ، سعوا لإغلاف السيوف ، وعلف البهائم ، واطعام العجاف والضوامر ، وامراج السواهم والسوائم ، وتسمين الخيول والجمال ، وتقليل طعام البغال ، وإعياء الحمير .

ثم صاروا فى ذلك المكان بتوفير مستلزمات الشتاء ، وشغلوا بتدارك وسائل الحياة اللائقة ، حتى صبت الرياح الشتوية الكافور الرياحى على الشعر المجعد وردا وزهرا ، واختلط بالهواء البخور المجمرة فى ذلك الشتاء البارد العنبر الشحرى والعود القمارى ومسك العطار ، تسلفت الحسنات السمراوات من قاقم نائر الفلك السنجابى اللون فى ثياب السمور ، صار الأبطال الشجعان قلب الجيش فى قلب الشتاء أنيس النار ، أصبح الأبطال متجلدى الجلد ، وصار السنة والشيعه حنابلة ، وسخن سوق الخمر والجمر ، ووجد القدح الخشبى عمل ، وصار للجلد عظمة وقيمة .

ان الشتاء عدو لا تقاومه الا بأسلحة صمصامها النار

قلب الشتاء بلا لام ولا ألف على صميم الشتاء سيف له نار

والنار فى البرد مثل الماء طاب به فى الحر منزل عدن فيه أنهار

والنار نور أنيق فى تفتحه وقت الخمود اذا لم ترج أنوار

كان يضىء مغنى الفلك لسعة أرباب السيوف من سحاب الربابة .
وكان ارغنون آلة الفلك يلف بأذن العدو مثل وتر الطنبور .

كان (اوسمى) فى أثناء هذا الحال (أخدع من ضب) و (أختل من ذب) و (أروغ من ثعلب) و (أولغ من كلب) و (أولغ من قرد) و (أوقل من وعل) .

السيح لجاجبا من الخنفساء وأزهى اذا ما مشى من غراب

حيث أنه قد جعل بكبرياء النهر نوم الأرنب في أذن القيل (أنوم من فهد) ، سمح هذا الخبر بأذن حزينة (جددع الله مسامحه) ، وصار (أحير من ضب) و (أسهر من قطرب) و (أصبح فيما دهاه كالجمار الموحول) ، سقطت دمة في سروال ضميره ، سحب الرأس لفتحة الخمول مثل القنفذ ، و (ولا قرار على زار من الأسد) وبمثال (أول ما طلع ضب ذنبه) ، ارسل مطلق العيب شعاره (لا تله الحياة الا الحياة) بصحبة عدة أفراد من القردة المردة « اللكزين » - الذين كانوا مثل جراد « الأهواز » وعقاب « شهرزور » وأفاعى « سبجستان » و ثعابين « مصر » الضارة - المصريين على الفساد بإرسال عريضة كاذبة مزينة بالنفق للصلح (جاء بقرنى حمار) و (بالصقر والبقر) ، مقصود ذلك أن الملك - الذى كان مشغولا بالحديث - كانت أسود العالم أمام مقبض سيفه ثعالب .

عندما كانت مهلكات العمل ويطلان قول ذلك الكلام العشوائى - الذى كان نموذج التمويه وتلبيس إبليس و (مثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث) - لم يكن لائقا للاعتبار والاهتمام ، فطردوا ذلك الذى هو جامع لأخلاق البغال بناء على شبهة الاحتيال (أذل من بعير سانية) من معسكر العظيم ، وقالوا له (انما أنت خلاف الضبع الراكب) « أخرج منها مذءوما مدحورا » ، كما خاطبوا حاملو العريضة أيضا بخطاب « امبطوا منها جميعا » ، فأجاب وعاتب بجواب « اليوم لا تؤخذ منكم فدية » ، وحكم أيضا باسم (أوسمى) الموسم بالآخافة والاضطراب والموشم ببشارة التطويل متضمنا هذا المضمون المرتبط باصدار (أنت أنزلت القدر بإثافيتها) و (ضيعت قديرها وما فيها) ، وإيقاظ تيقظ هذه الفتنة سواء بسبب رقلة الغباوة والآفة خرافة الجراف سرعة النية لم يكن لها سبب ، (لم قدما قدما) حيثما كان يبحث عن طريق السلامة تظهر أسنان سبن السلم منشار قطع صنوبر شجر الخلاف والسلم بوجه النجاة « لاخوف عليهم ولا هم يحزنون » « فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون » ، لكن الحية لم تعد حيلة حواء لآدم ، ولم يعد المسيح بأنفاس عيسى المطبقة ، جاء هذا الصلح فى مزاج (أوسمى) ورؤساء « قراقيطاق » - المفطورين على الشقاق والمحصلين بالنفاق - سم زعاف ، وأعطى هذا الماء الصافى فى طبيعتهم تأثير السم القاتل « قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين » ، وهجمت على قلوبهم حشرات الحسرة وهوام الهموم « كذلك يرهم الله أعمالهم حسرات عليهم » ، وظهر من تلك الجماعة مصدوق « ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا » ومنطوق « واذا تلى عليه آياتنا ولى مستكبرا كأن لم يسمعها كان فى أذنيه وقرا » و « لو علم

فألله فيهم خيرا لأسمعهم » وبمفاد (اذا جاء القضاء ضاق الفضاء) ، انشغلوا
بتضييق المداخل والمعابر ، وتشبيد الحصون والقلاع « للجو في طغيانهم
يعمهمون » .

امتثل أهالي « شمخال » بأشارة « فينظروا كيف كان عاقبة الذين
من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثار في الأرض » مع أهالي « لكزيه »
لأوامر الملك ، وتسابقوا من بين القوم بعزم ادراك الوصول والمثول لبلاط
ثبات الملوك ، هاجموا عتبة الفلك المثلث مثل الفلك « فريقا هدى وفريقا حق
عليهم الضلالة » .

- ٣٣ -

بيان قلع قلاع وقرى « قراقيطاق » بتقدير القهار ذو العز والبهاء

« وتلك القرى نقص عليك من أنبائها » عندها أظهر عظماء
« طبرستان » (١) السخرية والبغى ، كانت « دربند » مدخلا لقلاعهم
(أرداء من داء القلاع) وقلعهم مكنون خاطر شمس الشعاع .

من النفر العالين في السلم والوعى وأهل المعالي والعوالى وآلها
إذا نزلوا اخضر الثرى من نزولها وان نازلوا احمر القنا من نزالها

انشغل الجيش الجرار بتدبير تلك الجماعة العاصية الوقحة المناقفة
(أشأم من أحمر عاد) (٢) ، جعل الأبطال السيف الأزرق أحمر بدمائهم ،
ابتلوهم بالقتل بالسيف والسهم الأسود والرمح الأسمر ذلك العدو أزرق
العين أصهب السبال أسود الكبد (أباد الله خضراءهم) (٣) .

ثم أرسل جيش جرار كسيل دفاق ناحية « آق قوشه » و « قراقيطاق »
لتأديب « أوسمى » ناقض العهد بلا وهن ، أمروا أن يعملوا بحكم « لا تدخلوا
من باب واحد وأدخلوا من أبواب متفرقة » ، جعلوه ينشغل من الجانبين
بأمر الحرب والقتال (أشغل من ذات النحيين) .

بعد دخول جواسيس أبطال الجلادة بطرق جبال « آق قوشه » ،
امتثل قاضى ذلك المكان - رغم انتسابه الى « شمخال » و « شمخال » -
بقلم أجفان العين من عين اطاعة أوامر الملك ، كان فتوى أوامر الملك بلا مثال ،
طلب مصداق (رضى الخصمان وأبى القاضى) ، جعل (أجهل من قاضى
جبال) بالرأى الناقص والرأس الأجوف والعقل اللقيف بالسولة صحيحة
الأركان الملك الذى بلا نظير مضاعفا لحصومة المهموز ، كتب بمداد الجهل

(١) اسم مكان قرب دربند .

(٢) المقصود به عاقر ناقة سيدنا صالح .

المركب كتب الكتائب ودون كراسى الجيش ، أظهر أوراقها الشباب العمل
المجرب بجمع وخياطة أجزاء حله الجهل بخيط الغفلة وفتح أبواب كتاب
الاختلاف .

صفان مختلفان تلاقيا آتيا بوجه مطلق ومناكح

وفى الحال انشغل للاستقبال بالسيف الماضى وأشعل الشرارة
« ليقضى الله أمرا كان مفعولا » ، وسلك الجحد والانكار مع ملك الدولة التى
القضاء تابع أمره ونهييه ، طلب خنجر الأبطال لنفى الأعداء مثل همزة
استفهام الصدر ، اشتق من مصادر الرمح والسنان أفعال الخصم . ومرضت
عيون الأعداء بعله السهم المنتصب .

كتبت على جسومهم سطورا غرائب حبرهن دم همول
يترجمها الأعادى للأعدى ويقرءها على الحى القتيل

القاضى الذى لم ير شطر من سطر مصيره كان يقرأ (مجمع الأمثال
للميدانى) (٤) لميدان القتال الممتلئ بعظماء الأبطال ، وجلادته دائما .

إذا ما نكحنا الحرب بالبيض والقنا جعلنا المنايا والرماح طلاقها

كان يساق على حد السيف والسنان ، عندما وجه يسدر الحظ
مصادف الصواعق المحرقة ، وفرق الأحوال متصادمة بالسيوف المهرقة
والهرواة المحطمة ، تحسر بفجوى « ياليتها كانت القاضية » ، فصرف العنان
ناحية الهرب .

فى يوم آخر حيث جلس القاضى البيضاوى (٥) الشمس لتفسير
سورة الفجر على مسند الافادة ، فتح أشعة كتاب « أنوار التنزيل » ، وضع
مدرس السماء « كشاف » الشفق على طرف الفلق لتوضيح آية « والليل اذا
أدبر » وتوضيح بيان « والصبح اذا أسفر » ، بحكم قاضى القضاء بقصد
أداء ما قضى واستندارك جبر ما مضى مع الملك الذى سراق قدره وذيل فخاره

(٤) كتاب فى الأمثال العربية وهو يشتمل على أكثر من ستة آلاف مثل ، وهو من
تأليف أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم الميدانى المتوفى فى نيشابور سنة ٥١٨ هـ .
(وقد استخرج ميرزا مهدى خان الكثير من الأمثال التى استخدمها فى « درة
نادرة ») .

(٥) القاضى البيضاوى هو ناصر الدين عبد الله بن عمر (م - ٦٨٥ هـ) صاحب
تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل .

منصوب ومجروح في ساحة العالم ، وراية شوكة أحبابه وأعدائه مرفوعة
ومكسورة ، ففتح باب طلب الحماية •

واعتبر من ابقاء العراء الارتقاء على سلم السلم بضمون « اسلم
تسلم » ، رفع الرأس عاليا لتفصيل عتبة العظيم ، وجد في الاحضار والأسفار
من الأسفار الى الأسفار « كمثل الحمار يحمل أسفارا » ، أصبح بمطايها
الأسفار حامل أحمال أوامر قضاء الأساس وسالك مسالك الطاعة والانقياد ،
رأى « أوسمى » نفسه محاصرا من كلام الطرفين (بين حاذف وقاذف) ،
تحصن في قلعة « قرشى » التي تقع في منطقة جبلية مليئة بالأشجار في
قمة جبل شامخ ، وطائر الشرفة جالسا ، واليوم ظليلا بقصره ، والنسر
الواقع طائرا •

عجوز ترى في صحة الجسم كاعبا ولو أرخت كانت من الدهر أقدما
وبكر نحافتها البعول مخافة فقد تركت من كثرة المهر أيما
كان قد سحب من خوف سيف الأبطال البتار المتاع بقلعة « قاف »
« سآوى الى جبل يعصمى من الماء » ، عندما انحصر ذلك الحصن بطريق
واحد ضيق حيث كان من ضيق الممر والتفاف الشجر العبور من ذلك
صعب على رسول الفكر ، ماذا يصل للرجل والفارس ؟ ، شمر الأبطال
البواسل والشجعان الجواسر (غشمشم يغشى الشجر) ذيل التهور في
وسط أشجار الغابة المتشابكة والشعب كثيرة الثنايا بهدف قمع الأعداء
المفسدين « وان كان أصحاب الأيكة لظالمين » واشتد أمر القتال ، فصعدوا
أعلى تلك القلعة المحكمة •

ضويق البلد ، وفورق الجلد ، وأحاط الرجال بأرجائه ، ورجعت
بشهب النصال شياطين الضلال في سمائه ، وترجل دونه الناس ، وتعجل
نحوه اليأس والحجارة تنقض ، وانحدر الجدار « يريله أن ينقض » ، واتصل
خروج الخروج للخروج ، ودام اقتراح الروح باقتراح الجروح ، وشغلت
الرقاب قواضى القواضب ، وحملت أحمال النواكب على المناكب ، وضربت
بمباضع بواضع الضوارب عروق ضوارب المردة وتمادت الأبهود العادية
كمعادتهم على أولئك القردة حتى خروج سوار من يدعم ولم يبق ثبات الرجل
على أحدهم •

تصدع سد قرار (أوسمى) من هجوم فوج زحل الأوج ، وتلاطم
بحر العالم المثير حديدى الموج وقبل صفة (بلغ السيل الزبى) ، واضطرم
نار اضطرابه ، وسقطت الخرقه بالقلب المتأجج ، لم يجد أحد مجالا للمكر
في تلك الأطراف بخيالات مستحيلة ، فتقدم لطريق الهرب وبصحبته

الأعوان خائفين ، أدار الوجه ، وتشرّد من طريق البلادة على بلاد « آوار » ، انطفأت نار فساده من ماء السيف ، وسحق كل « اللكزيين » بقبضة التأديب ، صارت منازلهم ومزارعهم وبراريهم سحقاً لقوائم خيول الأبطال ، تحصنت المحصنات والعوارات بالحصون وشعب الجبال ، ودخلوا بمعرض الأسر ، أصبحت حدود ذلك الملك مكشوفة بالسيف الحديدي ، ومرت الأيام على نسائه ورجاله صعبة ، واحتترقت قرى « قراقيطان » مع البيوت والجماعات بنار السيف البتار وانتقل باقي مواطني تلك الجماعات للمملكة ملك الملك الشاب ، وكان قد تحطم كتف شوكة العدو بمقرعة غضب وهراوة قهر الملك المنان « كل يوم هو في شأن » ، وحدث في تلك البلاد آثار « فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا » .

وطئت جبالهم بقوائم الدهم ، وتهدمت أماكنهم بهجوم الدهماء والدهم ، وما وجدوا فيها عوناً وغوثاً ، وتركوا دارهم جوثاً بوثاً ، وحاروا في دوائر المذلة « خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة » ، وجعلوا من الوجع عن الوطن والمقام « أليس الله بعزیز ذی انتقام » .

بعد ذلك أخذ سفير آدار — بحكم الامبراطور الباقي — عصاً من غصون الأشجار بالمشقة والايذاء لمن عصى ، اهتزت أسباط بسباط سطوات نيسبان عليه مثل البوص ، وذهبت آثار البرودة بالجلباب واللباس الوبري من عدوى لجوج البرد بعظمة جنود آيار ، « أخذت الأرض زخرفها » ، انشغل ملك العالم في تلك النواحي بقبض وبسط الأمور ، وغلق وفتح مهام « داغستان » ، حتى صار ببستان الشتاء ورد أحمر بلون حرارة الريحان الجبلي ، تألم وذبل البستان من صدمات جيش حزيان وتموز مثل حال بغاة « داغستان » ، ذهبت قلاع قمة الورد يعنى براعم الورد الناري للريح بتطاول جيش آب بمثابة تراب أوطان الأعداء الطغاة ، وبمجرد حلول شهري أيلول وتشيرين صار ماء لون الفل والنسرين مثل خزانة عتاة البغي من حديقة وروضة نهب الخريف ، ووصل شهر كانون موسم التغطية ، أصبح ثقل النقل والانتقال (أثقل من الكانون) ، وفي بداية كانون الأول أعاد زمام التوجه ، وجعل من ممالك الطغاة — أبعد الله الآخر — خارج « دريند » مقر الجيش العرمم ، ونصب في ذلك المكان (خاص فولاذ خان) بالأمر السابق لـ « شمعخال داغستان » و (سرخاب خان) لحكومة « غازي قموق » ، فأسرعا لخدمة الملك العظيم (أحق من المهوره بأحدى خدمتها) أو (من المهوره من نعم أبيها) مرهوني النعم ممنوني الكرم ناحية المقصد .

- ٣٤ -

بيان فتح « مسقط » وتأديب الأشرار والخوارج الملاحدة

« أولئك عليهم لعنة الملائكة والناس أجمعين » كان الشيخ (جبارة) قد احتل دار المؤمنين « بتحرير النفس الشريرة وذلك بمعاونة أعراب (الهولة) ، وبتتابع الشهور ومرور الأيام كان قد امتنع عن أداء الخراج « وجعل بين البحرين حاجزا » ، بعد الجلوس المبارك فى الوقت الذى كانت تتجه فيه رايات نصر الآيات ناحية « قندهار » ، انتقل (ميرزا محمد تقى الشيرازى) من رتبة الاستيفاء الى ولاية « فارس » ، ووجه خطاب ملكى افتخارى يأمره بتسخير « البحرين » و « مسقط » ، صنع أول فوج موج محيط البحرين » ، وأظهر آثار « مرج البحرين يلتقيان » ، حصل على جواهر فتح تلك الديار من مغاص وسط البحر المنيء بفضل وتأيد الخالق الذى كشف مدلول « يخرج منها اللؤلؤ والمرجان » ، ثم استعد لفتح « مسقط » .

السفن المسماة برحمانى وفتحشاهى وملك حيث كانت كل وحدة بحرية تجرى بلا نهاية أو كجبل ثقيل فى وسط البحر ، لو أن فلك الفلك اتجه معهم للمصارعة لأفسد سفينته ، لم يعودوا لمرساة عظمتهم حوصلة البحر ، فاحتلوا سفن الأهالى وحاصروا « مسقط » بأربع أمواج فاحتاروا وعجزوا .

فى هذه الآونة حينما كانت « الهند » مسير فرس الفلك المتجول ، أظهرت تلك الطائفة الشريرة (الهولة) فى ساحل ووسط البحر ووسط ملك الاضطراب والثورة ، ورفعوا شراع سفينة الغرور برغبة المخالفة ، وأشعلوا نار الفتنة ، وقفزوا فى بوغاز الفرصة ، قادوا بمجداف النذالة زورق العمر القائد الملكى لدوامه الفناء ، جعلوا نفس السفن مع السفن الملكية التى كانت فى الموانئ عرضة « يأخذ كل سفينة غصبا » ، وبعد انصراف موكب العظيم فى حدود « السند » وصل هذا الخبر للمسامع العايما ، أصدر الملك أوامره ل (نظام الملك) والى « السكن » مبنية على بناء عشرين سفينة مثل الجبال تشق البحار ، فى الأوقات التى حدث فيها نزول

كوكبة فاتح العالم للحدود « داغستان » ، صارت رسالة عتبة الجلال أنه وفقا للأمر الصادر كانت سفن سماء الشوكة - التي كل واحدة بلد بحوض البحر الملبى بالفتن - سور متين ، اكتملت الصورة في ميناء « سورت » ، كانوا يتقدمون الغرايات السريعة مثل الغربان التي مع النسرين ، كانوا يستعدون في أوكار ساحل البحر ، كانت السفن التي في البحر تسابق الخيول السريعة ، أخذ والى « سورت » تلك السفن بالأمثلة المعدة حيث كان يذكر أن كل سفينة في البحر عظيم الأمواج أكبر من سفينة الفلك المستدير ، كانت تظهر في عين الانسان انسان العين جبلا متحركة ، كان يلقى شوكة نك الأجسام الضخمة مثل هيكل التمساح للسفينة في بحر خرز الفلك الأخضر بدوامة الحيرة ، كانت نظرتهم الواسعة للبحر الأزرق مع آلاف الأعين تفرق التطلع ، كان يسرع بعملة « ويعملون في البحر » والملاحين حسنى الصورة وقبطان وبحارة ضعفاء من وجه البحر ، عندما كانوا قد ساروا بالسفن في غير الوقت ، ثار ابطوفان ، استقرت سفينة على الطين « حتى اذا أدركه الغرق » أما البقية وصلوا بهبوب رياح المراد سالمين لشاطئ النجاة .

تخير الوهم من اقبال صاحبنا فازوا بآمالهم من فيضة الناس
لقى فى الغيفاء خضر برحمته وفى لجة البحر الياس الياس

بعده وصول السفن للساحل المقصود ، كان الهدف أهلاك وإبادة (سلطان بن مرشد) والى « مسقط » ، وتحسير وتدمير الخوارج الأشرار « وأئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار » عين « كليلى خان أفشار » للقيادة و (تقى خان الشيرازى) مرة أخرى لولاية « فارس » ، واقترب أمر المعلى بالنفاذ بأن يسلك القائل من طريق الصحراء بالخيول ، و (تقى خان الشيرازى) يسلك من ناحية البحر بالسفن البحرية ، وذهب لـ « مسقط » والولايات التابعة لها ، لم يبق على الأخضر واليابس أثر للخارجين الفادرين « أولئك هم وقود النار » ، فرقهم بالسيف والمشنت ، وانفرد (سيف ابن سلطان) - الذى كان من أصدقاء الدولة النادرية - بحكم تلك المنطقة .

اتجه القواد من ناحية الامتثال للأمر ناحية المقصد بالأمواج المتوجة المتتابعة التي لا يظهر طولها من عرضها بل يظهر البحر الذى بلا نهاية بجانبهم كقطرة ندى ، (كلا جانبى هرسى لهن طريق) ، اختار والى « فارس » أن يركب أنواع السفن الباهرات ، كان يسلك بمساعدة السفن الهوجاء الموجاء « وهى تجرى بهم فى الموج كالجبال » صحراء مدينة البحر (صحرة بحرة) ، تلاقى وتقابل باستعدادات « سلطان بن مرشد » ،

وارتبط القتال بالمدافع الصاعقة ، صار من صياح تلكما البحرين الصاخبين « عمان » محيط عمان ، وأصبح من عراك ذلكما البحرين المليئين بالأمواج عالم بحر الحيرة ، جف ماء فم البحر من الخوف مثل ساحل ، وملى الصدف ثقب أذنه قطننا من زبد البحر من أرعد مثير القوارع ، فى النهاية صار الأعداء خائفين « وجائهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم » لطم الخاطر ، تحطمت سفينة أملهم مثل زورق بلا ربان فى موجة قهر الله البصير ، يعنى غرست عدة أساطيل ريح ذهابهم بجبل المدفعجية فى وجه الماء على الأرض ، سكانها بمقاد « نغشيه من اليم ما غشيه » غرقى بحر الغناء ، انقلبت سفينة حياتهم مثل الفقاعات الهوائية فى دوامة الغناء ، وصار أسرى العذاب الأليم بفحوى « فانتقمنا منهم فأغرقناهم فى اليم » ، لم يسحب أحد المتاع لساحل النجاة ، وصار فى ذلك الحرب سفينة الوجود وبارجة الحياة وطوربيد البقاء وسفن الأعمار كثيرة من أهل الضلال يعنى « جنود إبليس أجمعون » غرقى بحر العدم ، أسرع القائد بالأسلوب المقرر من جانب اليايسة للحصان التاتارى السريع ناحية المقصد ، أولا سخر قلعة « لوا » ، رفع لواء الاستيلاء ، ثم عزم على تسخير قلعة « صحار » فتهيا للحرب والقتال وفى خارج القلعة تعارك وتقابل مع الخارجين غرقى البحر العظيم ، قبل من سيوف حوت البحر أبطال ساحة الصحراء المائية ، وسبح المقاتلون فى بحر الدم ، هزم (سلطان) شيطان القريحة ، وصار جريح ومجروح باصابات وجروح بلا حصر مقصوم الظهر وذليل ، فى أثناء تلك الفترة وجد لرامى السهم قدر جرح من سهم نافذ « فأتبعه شهاب ناقت » ، أظهر بأفة الجرح درجة دار البوار ودرك العذاب « فى الدرك الأسفل من النار » ، أسرع من المقام بالرأس لمسقط « ويل » ، ودخلت ولايات « مسقط » و « مطرح » للاستيلاء ، تألم (أحمد بن سعيد) حاكم « صحار » - الذى كان خيال مائة مزرعة دولة (سلطان) اللعين من هذا الطرد والضرب ، سلم مقاليد مفاتيح القلعة ، تمكن القواد بحكم سلطان الزمان (سيف بن سلطان) الوالى الجديد فى ساحل البحر وملك « مسقط » - الذى كان مفتوح بقوة حد السيف - فى مكان المكانة (كوضع الهناء موضع النقب) (١) ، وأعطى الأقبال الملكى لأهل الدنيا بشرى « سبجان الذى سخر لنا هذا » ، وقرأ وقت مباركة النصر « سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بأمره » .

(١) وصف أعرابى رجلا يتكلم فيحسن فقال يضع الهناء موضع النقب .

- ٣٥ -

بیان تحرك (نصر الله ميرزا) ناحیة « خوارزم » بأمر بطل حدود « كن فيكون »

« ليدقيهم بعض ابدى عملوا لعلهم يرجعون » ، أنباء توقف جيش الملك فى « داغستان » فان « أوزبكیة خوارزم » و « آرال » (١) - بناء على تحريض وإشارة (نور عليخان) ابن (أبو الخير) إلى « قزاق » إذا هم يبقون فى الأرض - حطوا وفرقوا قيد العبودية برفع راية العصيان .

جردوا واستلوا سيف خيال العصيان من غلاف القلب « وقانوا قلوبنا غلف » ، قلعوا أسباس العزة ، وكانوا قد خلعوا (طاهر خان) الوالى من طريق قلعة الفرصة بلومة لائم ان « أنا لنريك فينا ضعيفا » وطعن غير ملائم « وما أنت علينا بعزیز » فى قلعة « خيوه » من سلطنة بلاد الحياة ، قرأ الملك عظیم الشأن من فرقان العزم آية « سنعدبهم مرتين » على تلك الديار المليئة بالاضطراب والفوضى ، فتح الأمير (نصر الله ميرزا) - الذى خطوط حظوظ جبينه مظهرة آية « يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء » - بنصر أصابع التدبير وسبابة اصباة عقله بلا ابهام مفتاح القلعة ، أسرع بالعتاد والعتيد والخدم والعييد بهدف دفع الأعداء المعاندين بدليل « فإذا عزمت فتوكل على الله » تجاه « خوارزم » ، وبعد دخول الأمير الى « مرو » عندما كانت الآية الكريمة نقش جبين مقدمة عمله « متى نصر الله ألا أن نصر الله قريب » ، ولا غرو اذ ان « جنود نصرت بالرعب مسيرة شهر » (٢) أسرع بلا قتال لاستقبال الاقبال ، وصحب ركاب النصر عند تحركه بفحوى « اذا جاء نصر الله والفتح » .

عامل رؤساء وأتباع العصاة بمضمون « يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم » ، فأظهروا الطاعة بمقادير « ولئن جاء نصر من ربك ليقولن انا كنا معكم » ، وأصبحوا نادمين وأبرياء من ذنوبهم ، واستقبلوا الموكب الجليل قائلين « أننا لمدودون فى الحاضرة » ، وانضموا من « مرو » لمعسكر الأمير ،

(١) أقوام تسكن بحر آرال فى تركستان العربية شرق بحر الخزر .

(٢) مأخوذ من الحديث الشريف نصرت بالرعب شهرا يربع منى العدو مسيرة

شهرا .

ووضعوا برسالةً وثيقةً « فنعترفوا بذنبهم » فقرة مثل القلم رأس على كتابة الأمر ، وفي عالم الطاعة من حيث الضراعة يسبب (عيصك منك وان كان أشبا) صاروا مستدعي العفو عن الأخطاء وجمع الزمام ، وفتحوا أبواب الاستقالة بمفتاح حسن المقالة ، ستر الأمير بأعطف وأكمام الرحمة وأمطار أمطار اللطف ، وتعليق أستار السكينة ، ووضع حجاب العفو وستار أذيال الملاطفة برودة الصفح والصفو الختائية على وجه أخطائهم وهفواتهم ، فتح باب الأمل في وجوههم مرة أخرى ، وأوضح معنى « عفى الله عما سلف » ، وألقى بالوعيد والتهديد بطريق رشاد تلك الجماعة « ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وان يعودوا فقد هضت سنة الأولين » ، واستمعوا أيضا بسمع الرضا ، كان المسئول عن تلك الجماعة (أبو محمد) ابن (ايلبارس) الذي كان في تلك الرحلة تحت لواء بخت عظمة الأمير المسمى بـ (أبو الغازي) واختص بسلطنة « خوارزم » ، ومنح عز العتيق والتحرير ، صار جمع من الرؤساء والقواد لعتبة نصرة حراس دولة عرش ملك البلاد ، حيث كان الأصدقاء والأعوان قد حضروا بمخدع الراحة والقرص المذهب في نقص الأعداء لقداهم عقبه وجه الحاجة ، صاروا موضع احسان « لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم الا أن تقطع قلوبهم الله عليهم حكيم » .

- ٣٦ -

بيان جريرة (رضا قلى ميرزا) وسقوطه من نظر اعتبار الوالد الموفق (نادر شاه)

« ان فى ذلك لعبرة لأولى الأبصار » ، عندما أصبح مفر كوكبه فاك العظمة الملكية خارج مدينة « طهران » ، جعل الأمير « رضا قلى ميرزا » ولاية « الرى » بأمر ملك الزمان مقر العزة ، حرم فيض الحضور ودار مثل الظل من الشمس المنيرة ، أظهر العصيان بناء على سوء الخلق والطبع بالأقوال القبيحة والسب أظهر عكس مدلول « أو من ينشؤا فى الحلية وهو فى الخصام غير مبين » بالخصومة من حلية الحال ، غفل قلبه الجامه عن مضمون (ق فاك عما يقرع قفاك) ، وغفل وجهه عن كلام (العاقل من عقل لسانه) (اذا وقى الرجل شر لقلقه وقبقة وذبدبة فقد وقى) .

– الكلام يجعل الرأس متوججا

– والرأس أيضا يجعل الكلام متوججا

عندما كان الملك متوجها ناحية « داغستان » بأجناس مثل الأسود ناضرة الوجوه وراية النصر ، كان مشغولا بالتنقل بين قرى « قراقيطان » ، عندما ارتسمت كرات ومرات الصور المنكرة عن أحوال (رضا قلى ميرزا) فى مرآة المخاطر الأقدس رأى علم التغيير للعقيدة من شمائل حال الأمير ، واج غبار النكران والتكبر من مخايل خيالاته .

نفذ الحكم المطاع باحضاره ، وعندما دخل بموقف الحضور ، انسلك بخطاب « خذوه فخلوه » فى سلسلة أهل القيد ، وتكبر بالقيود .

الحبس قصر لكل جزئ والقيد خلخال كل مixel

والخطب كالضيف لا تراه ينزل الا على الأجل

من هناك من أجل والد ابن بلا جاه وعظمة خشب موقد الشرر ومقدمة منيرة الشرر ، فوض السلطان المدركون للأمور مثل العين على استتصالح المهام الملكية ، كان يعتبر قررة العين ذاتها الابن قررة ونور عين الخداع على وجه الدولة عين ضارة .

رأى الملك الخبير منبع الرحمة بنور العين المنيرة ، ورجحت الأمور السياسية على رابطة الأبوة والبنوة ، وجعل متلقى الأمر بإشارة أصبح أمر الأقدس فى طرفه العين بالماس البراق لؤلؤ العين قطعة ياقوت حمى ، وأثاروا جعبة حدقته الدم ومنحوه الحياة ، عندهما ضل باغواء الضالين ، أظهر من هم النميمة والاعتياب معدن الياقوت البيكوى ، ولم يؤثر قوله (ما ذنبى) ، وزينة وجزع ثقبه (ان البلاء موكل بالمنطق) (١) ، و (لطفعلى خان أفشار) أيضا كان خال الأمراء بل كريم الأحوال والأعصام ، وجد نسبة (عموا وصموا) ، رأى نفس القضية برأى العين ، وعلق العين من نظر عالم الكون والفساد ، ألقى الدهر شدة قهر ضيق النظر باصابة العين فى لحظة واحدة نقش نفس الحادثة على ساحة الظهور .

– الكلام الطيب الذى مع صاحب التاج والعرش

– قولوا موزون ولا تتشددوا

– الأخطار فى عمل الملوك كثيرة

– جمع الملك لا يملك أحد نفسه

– عندما يضيق الوجه بالحق

– فلن يظهر حبالابسه

(١) يضرب لكلمة تجلب الشر . من أقوال الرسول (صلعم) وقد قيل شعرا :
احفظ لسانك أن تقول فتبتلى ان البلاء موكل بالمنطق

- ٣٧ -

بيان تحرك موكب الملك للمرة الرابعة تجاه « تركيا » بمقدمة الحظ السعيد

« ان الله يفعل ما يريد » بعد ذلك بتأييده الله الواحد « وله مقاليد السموات والأرض » دخلت مفاتيح قلاع « آذر بايجان » الأربعة بقبضة ملك الأفاليم السبعة ، عندما رأى وسمع أعيان الدولة العلية العثمانية بالعين والسمع شوكة واستيلاء الحضرة النادرة ، لم يستفيدوا من اطالة حروب بلا طائل ، لم يجدوا محصولا من زرع بلا حاصل غير الحسرة ، ولم يتخيل أصحاب الدراية في آية الشجاعة الا مفاد (منازعة الملوك تسلب النعم) ، في الواقع فان امتداد أيام الحرب والقتال أتلفت الخزائن وضيعت الضياع لكلا الدولتين ، ونتج عنها أسباب الفوضى والاضطراب ، أرسل الوزير المكرم (علي باشا) للبلاط النادرى طلبا للصالح ، وكان الوزير المذكور قد سبب شرف خدمة الأقدس في صحراء « مغان » عندما استقر الملك سعيد الحظ فوق العرش ، وعندما كلف أهالي « ايران » أن يبتعدوا عن الرفض والتبرأ وأن يظهرُوا الحب والولاء للخلفاء الراشدين ، ويرفضوا مؤدى « واتبعت ملة آبائي » .

وان تعدل تلك الجماعة أيضا عن العقائده السالفة ، وأن يقبلوا حقيقة الخافاء الكرام (خلفا عن سلف) ، وظهر نجم مذهب أهل السنة الذي غاب في أدق « ايران » من جديده ، لهذا فان تلك الحضرة اختارت كتابة الرسائل على السيوف العريضة لتقليم يده الفتنة وأخذ القلم، وكتب للسلطان العثماني سكندر الجاه رسالة صداقة الطبع من عين الوداد بصورة نفس مشرب « عينا فيها تسمى سلسبيلا » ، وبمعنى مجزوع ومختلط « انا سنلقى عليك قولا ثقيلًا » ، وطلب من الحضرة في حجاب « ما يبدل القول لدى » بلا حياء خمس مطالب .

الأول : انه في عهد السلاطين السابقين (لرفع العداوة والكراهية) كانت نخلة مذهب أهل السنة هي الشتلات الأربعة الأصيلة والشجرة الثابتة الوارفة وملقية الظل على رأس فوق الناس ، حيث أن أهالي « تركيا » و « الهند » و « توران » يقطفون من تلك الأغصان الجليلة

والفروع الكثيفة الشمرة الطاهرة والشمرة الحلوة والنجاة والنجاح ،
ويدركون من تلك السنن المضيئة الفوز والفلاح .

لان الإيرانيين فى الفروع عالية الشرف من الأشجار طيبات الأحكام
البارعة لحضرة (الصادق) عليه السلام اقتطاف المسائل الكافية وينهلون
من مجرى اجتهادات ذلك الجنب الشافى ، فانه يعتبرون طريقه الصائب
خامس المذاهب ، حتى صار المسلم من هذا التخميس قبضة قوية التسلط ،
بحيث أن كل مذهب من هذه المذاهب الخمس يتميز عن باقى الأديان
المختلفة ويضع الأصبع فى عين الملل المخالفة ، وتلقى بمساعدة هذا الصلح
الصالح والسلم السليم بالأصنام من حجرة قلوب المخالفين ، وتقلع أساس
الضلال .

الثانى : أن يخصص ركن من أركان المسجد الحرام لأئمة هذا المذهب حتى
يقيموا فى ذلك المكان الصلوات المكتوبة .

الثالث : أما من طرف « إيران » فان الباحثين عن طريق « ولله على الناس
حج البيت من استطاع إليه سبيلا » كل عام من الخواص والعوام
يتجهون لبيت الله الحرام عن طريق الشام . يسلك مندوبو تلك
الدولة العظمى مع حجاج ايران بطريق حجاج مصر والشام ، ويعلمون
لهم احتياجات وسبل طريق الحج من ذخائر وتموين على الوجه
اللائق ، ويوصلوهم دون المطالبة بأية رسوم على وجه السرعة للكعبة
المعظمة أعلى الله كعبه .

المطلب الرابع : أن يصدر أمر من كلا الطرفين بشأن تحرير واعتناق أعناق
الأسرى جميعاً الذين هم فى كل الممالك والديار ، وأن يعتقوا
ويتحرروا نهائياً من قيد الأسر ، ولا يكلفوهم بتكليفات العبودية .

المطلب الخامس : أن يكون فى بلاط الدولتين وكيل من الحضرتين يقيم
لرعاية أمور دولته .

بعد ذلك حصل الوزير المكرم (على باشا) الموفق الدعوب على الأمر
والأذن اللائقين من طرف الدولة النادرية ، ورحل بصحبة رسول بلاط سماء
الجه القيصرى سفراء معظمين برسالة مؤداها الحصول على المواد المعهودة ،
وقد كانوا محمولون من « مغان » أرسلوا أنفسهم الهدايا لبلاط الجاه القيصرى،
لم يقبل أعيان تلك الدولة القيصرية البنددين الأولين من معاهدة الصلح ،
حيث أن الجزء الأخير سبب عدم اتمام الصلح ، وأرجعوا ذلك للمعاذير
الشرعية والمحاذير الملكية ، وأرسلوا وزير الصدر الأعظم (مصطفى باشا)
والى « الموصل » مع اثنين من العلماء الإعلام للتهنئة بجلوس (نادر شاه)

على العرش ، واستقرار تلك الحضرة على عرش السرور ، وتجديد وتحديد الحدود للبلاط النادرى .

فى الوقت الذى ختم فيه منشور أمر « قندهار » بخاتم الانتهاء وتمائم والتمهيم على فرائد أمور تلك الجهة ، دخل السفراء عتبة فلك المثل ، فأرسل ملك العالم بحكم « ثم أرسلنا رسلنا ترى مرة بعد أخرى » سفيرا برسالة من جديد بأسلوب أنسب لاجراء الأمر المعهود ، ورفع ما جرى من عين العاطفة « بعين ما أريناك » لتلك الدولة الكبرى .

بعد عودة موكب فاتح العالم من « الهند » ، عندها كان يرسل لكل صديق من الأصدقاء ورقة خضراء من ذلك البستان ، كان يعادل اثنين من عملة « لك » (١) بالجواهر النفيسة بأربعة عشر سلسلة فيل حيث أن كل واحد فى هيئة سواد السحاب ، بدء فى صلابة زئير الأسود وخرطوم التنين المريب ، وهيكله جبل الفلك الآبتوسى ، فى ظهره العرش العاجى والفلك الحريرى على عرشه الحريرى وقت الذهاب ، يضرب السحاب الملىء بالأمطار بالبلطة المهلكة ، حيثما يسير باعتدال ، يرفس الفيل الفلك مثل نقش القدم ، وضع الفلك الفيلى اللون من الأنجم أثر « سنسمه على الخرطوم » على الأنف ، وحدد هيكله وخرطومه فى سطح الأرض من السماء والمجرة ، أسكت صوت أجراس السحاب المجلجل ، ونظف صيقل مرآته الصدفية من المرأة الشمسية .

— السحاب أسفل الريح والريح بالصحراء

— الصحراء فيها جبل والجبل بالصحراء

أهدى للحضرة القيصريّة مع حراس الأفيال الأقوياء (بياسم) (٢) القدرة برسم المنحة ، انشغل عدة مرات للتساؤل والفهم بالمباحثات المأمولة وإعادة المدعاة ، وألقوا دلائل دينية كاملة وحجج ملكية وملكية .

جاء أعيان الدولة العثمانية وذهبوا ، تخيل السفراء أرجوحة اللعب ، واستفتوا بشأن فتح أبواب هذه المسائل ، كان يميل باشوات المملكة العثمانية العظام « قالوا نحن أولوا قوة وأولوا بأس شديد » لتخميس المذهب وتفويض الركن الذى كان أعظم بنيان ، وتشبهوا بعذر « لا يكلف الله نفسا الا وسعها » بطلب عذر « انكم لتقولون قولا عظيما » ، ومن عين العناد لم يذعنوا ويتحدّثوا فى تلك الموضوعات ، جاز الطعن فى اجابة

(١) عملة هندية تساوى مائة الف .

(٢) شقيق بيران ويسه وقد قتل على يد رستم .

المشورة والمأمولات النصيب الأوفى ، صاروا من قدح المخالفة في مقام القبول
 شاربى الكأس حتى الثمالة بجواب لا ، أن (كنتنى مخ البعوض ويبيض
 السمائم) وأظهر الملك سكيندركى التركى الجاه أيضا بتلك الفتاوى حجة
 الحصومة ووسيلة التطاول ، أرسل لاسيكات المفتيون والمفتنون الأوباش
 شخصين من القضاة الكرام برسالة مشهورة ، وجعل منع وخجب العلماء
 بصحبتههم إيصال رسالة العقل الملكية لامعة الضياء ، عرض السفراء فى
 « دربند » ادراك تقبيل عتبة الفلك ، واستتر بالخوف والرجاء « وجاء
 المعذرون » لقد كان يشرق بالريق) ، عذر عذراء المعاذير فى أستار
 « وما يزيدهم الا نفورا » عرضوا (أوضح من العذرة) موضوعات مستترة
 مكتوبة فى معرض مضمون الكلام ، « بل قالوا مثل ما قال الأولون » ،
 عندما ظهر من نعمة الكلام آثار العداوة وحزن مزاج الأعيان « العثمانيين » ،
 وظهر مع كل عذر التساهل بل البذاءة فى الصلح مع الملك الفاتح نشيط
 ومشتمل الطبع ، أظهروا لون الغيظ المورد وورقة الرسالة بقوس النظر
 المرعب ، وسهم شزر الغضب ، والحق المميز ولوح جبين مرآة الشريعة من
 ثنية الانقباض للمرأة المموجة •

قد فصلت شفتاه من حفيظته فخييل من شدة التعبيس مبتسما

ثم كتب جواب خليط الصلح والحرب ومزيج الشبهه والحنظل (رب
 قول أشد من صول) للملك العظيم الجاه ، وسحب الحزام بوساطة السفراء
 والعلماء الأعلام أعلام المقصود ، وفتحوا الدواب ، علقوا حمل العزيمة
 مرة أخرى للجهة المعلومة ، وتطاول الدهر المناق على الدولة العثمانية •

— لا تكن مثل الديك كل لحظة بلون

— أو لتكن ناعما مثل الشمع أو صلب مثل الحجر

— أو لتكن على قمة الصلح أو قمة الحرب

— أو لتكن رومى البياض أو زكى السنود

كان يقرأ الحظ الملكى النصر على أهل الدنيا

إذا زار سيف الدولة الروم غازيا كفاهما لمام لو كف لمام

فتى تتبع الأزمان فى الناس خطوة لكل زمان فى يديه زمام

تنام لديك الرسل أمنا وغبطة وأجفان رب الرسل ليس تنام

إذا خاف ملك من مليك أجرته وسيفك خافوا والجوار تسام

فأو كان صلحتا لم تكن بشفاعة ولكنه ذل لهم وعمرام
ومن لفرسان النفور عليهم بتبليغهم ما لا يكاد يرام
ورب جواب عن كتاب بعثته وعنوانه للناظرين قسام
تضييق به البیداء من قبل نشره وما فض بالبیداء عنه ختام

هزت ضوضاء هذه الرسالة قلوب « العثمانيين » ، وصلت صوتها
الى « القسطنطينية » ، أمرت الحضرة القيصرية بعد وصول تلك الرسالة
- التي كانت كناية كنانة السهام بحشد الكتائب ، ونصب (أحمد باشا
جمال أوغلي) لقيادة الجند ، أمر بالتوجه ناحية « ديار بكر » ، قرر ان
يكون قبل دخول المركب النادرى لحد و حدود الدولتين (الايرانية
والعثمانية) ، لا يعبر الجنود العثمانيون طريق العبور ، ولا يتحرى فى
عداوة السرعة وفى مسابقة المسابقة والتسرع ، ولا تقطع بسل وتجريد
سيف المشاجرة وشجر الصداقة ، وامتلك بحكم « ولا تنازعوا فتفشلوا
وتذهب ريحكم » من سل سيف التناول .

بعد ذلك سار فى حدود « داغستان » بعون الله الصمد بصحراء
وطريق المقصد ، وانتقم من الافناء والاقبناء والاعتاب والاغناء ، والنفى
والإبقاء ، والاماتة والاحياء ، والابعاد والاعطاء والاخافة وزيادة المال ، والنفى
وابقاء العداوة والحب ، واستيققاء الرغبة واتمام الحق ، ويسر دفع واخبار
الأعداء ، وترجيح ومساعدة الاحباب ، واكمال العمل وجرح لأشرار وانطباع
نقوش المراد ، طاعة النفوس العاصية ، وجعل قصد السفر ل « رادة تصميم
العزم وشدة الرأى واحكام الهمة والجام الفرس ، فى العشرين من اسفند
سنة ١١٥٥ هـ اتجهت مع الأبطال المحاربين من « دربند » ركائب النجائب
ناحية « تركيا » ، ارتفع صوت أسلوب عمل قارئ الملاك بقراءة سورة
الرعدة بصوت عال ثم رطب اللسان بتلاوة « وأنزلنا من المعصرات ماء
تجاجا » ، وأثناء هذه الواقعة قرأت الروح من سورة الواقعة آية « أنتم
أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون » ، وصل من نزول الأمطار أساس
الأرض بالماء أن « فتحنا أبواب السماء بماء منهمر » ، وصارت من شدة
السيول الشديدة القصور العامرة حوض « فالتقى الماء على أمر قد قدر » ،
أظهر الهواء علم الخجل من كثرة الأمطار ، وامتلك ذلك الذى فى هذا القدر
المغطى هبطت من ظهر سطح الفلك على رأس المسافرين « يرسل السماء
عليكم مدرارا » وترك جريان السيل الجارف لتسطيح وتسوية الأرض
الصالحة والبور « لا ترى فيها عوجا ولا أمنا » ، اشتد انهيار السحب الى

حله أن امتلأ أبريق الفلك من ماء الحقد ، وجاءت قطرة المطر مع شباب
العداوة القديمة شدة السحب البراقة ، (أغدر من الغدير) ، وصارت
جميع فروع وتفرعات مضاجع الغيث ، حيث تمر الحروب من السحب
الصغيرة بذكر (أصابنا جار الضبع) ، بقي قادة الحفل في ورطة الوحل ،
وعبروا من قمة المال والروح ، وصنع الدهر بمهارة في خراب كل منزل
هذا البست عنه أبو الفتح البستي :

لا ترج شيئا خالصا نفعه فبالغيث لا يخلو من العيث
وساق الزمان من شعر الجديد لـ (ابن المعتز) هذه النجمة •

ويمطرنا السقف من فوقنا ومن تحتنا أعين تنبع

أخبر في بداية السفر الزمان عن معنى «ذوقوا مس سفر» ، وصارت
مظلة السحاب نموذج «عذاب يوم الظلة» ، وجاء أشجار أبو نواس تصف
حبال •

هو الغيث إلا أنه باتصاله إذا ليس قول الله فينا يباطل
لان كان أحيا كل رطب ويابس لقد حبس الأحباب وسط المنازل

ومفاد الشعراء :

روينا فما تزداد يارب من حيا وأنت على ما في النفوس شهيد
سقوف بيوتى صرن أرضا أدسها وحيطان دارى زكج وسجود

مطابق هذا المقال « هو الذى يريكم البرق خوفا وطمعا وينشئ
السحاب الثقال » من هطول الأمطار المتساقطة كانت الجمال المسافرة في
أنحاء الصحراء كما النعام ، وأصبحوا مثل ناقة بطيئة من شدة السحب
الممطرة سقطت الجمال التي مثل الأسود والجمال الضخمة الهيكل التي لم
تكن في قدرتها شك من سرعة حيث أصيبت بالعرج من ضمور وضعف
«الوقوع» حتى يلج الجمال في سم الخياط « فأوصلوا لحد اليقين ، وأظهروا
من نزول » فالحاملات وقرا « حمولات من أحمال الحمولات وأحمال العلاقات
» وتضع كل ذات حمل حملها ، وميز كل الجمال بعلامة (جمال لاهلها) ،
واتصف بصفة « تحمل أثقالكم الى بلد » ، عرجت الجمال من كثرة الأحمال
والغنائم ، قبلوا صورة « لم تكونوا بالغية الا بشق الأنفس » •

وحرف كنون تحت راء ولم يكن بلال يوم الرسم غيره النقط

وجاء القحط بالاضافة لعلة الوخل ، حول علقى الدواب لمصنع علفة
 « وما من دابة فى الأرض الا على الله رزقها » ، كانوا يسبقوا الخيول التى
 تسير مثل الصبا الى حله أن قللوا من الشخير ، بحيث أن الصبا كان مثل
 التبن ، والمطايا التى مثل أشهب الشمس لم تتوقف من المتعجل ، صاروا
 بانسانية غليظ الهيكل ، حيث أن خركتهم صارت كحركة حضان الشطرنج
 الذى لا يتحرك الا باليد ، تشابهت قوائم الدواب السريعة - التى كانت
 تتعلم من المطايا السريعة على غزال مقام راهو بمطرب نفمة رهاوى - من
 الضعف بأوتار الربابة الأربع ، أنشد المنشدون « ان أنكر الأصوات لصوت
 الحمير » لأن من حسن الترنم بصوت الطنبور أيضاً صوت ، وفى مدينة
 « خرخيز » (٣) عزف العام صاحب الصوت والنغمة ، وخرجوا من عدم
 الطعام والقوة ، لم يقبلوا الجمال البطيئة التى تسير بالصحراء شمالا
 ودورا ، ضاقوا من حمل الأحمال الثقيلة ، عندما تعثروا فى نقش القدم ،
 كانوا يسرعون كالجمال المسرعة التى على السحاب المظرة ، اكتسبوا فى
 فقدان صبر الحمار ، ظلوا فى الوحل مثل الحمار ، أخبر كل حمار فى
 السير عن فحوى « خروا سجدا » ، وماتت مطايا بلا حصر بصدمة التصادم ،
 أصبحت الأفراس فريسة الفناء ، وتراجعت الجمال القوية عن سلوك
 الطريق ، وجدوا الجمال الصبورة ضارة فلم يستخدموا الجمال الصغيرة ،
 صارت النوق مثل نجم ثاقبة السير (٤) وعاء المسك الطويل بطيئة وهريضة .

وصارت الجمال الحريرية المموجة مثل حجر الجرانيت آكلة الشوك
 ضعيفة وعجافا ، وأصبحت النياق المطيعة مثل شجر الأبنوس من السير
 فى الطريق الحيوية ومثل العاج جزء من الجسم ، وتشابهت رأس الجمال
 القوى بالخشب الجاف صندلى اللون ، والجمال الكبيرة عود رائحة كعود
 العزف ، تضاعف تعب الدواب من كثرة الاجهاد ، ومن شدة الأمطار دار
 عنان الذهاب من المطايا ، (بصيصن اذ خدين بالأذنان) وصارت الناقة
 أساس الهنوم ، وكثرة الأمطار أصل الغموم (وقع القوم فى سلا جمل)
 نتيجة ذلك فى المزالق والملازق والمضايق والمآزق والضمائم والشواهيق
 والأودية وطرف الصحراء من وميض البروق الخاطفة ونهوض الرياح
 العاصفة ، وثرأكم السنخ الهائلة وهبوب الرعود الهائلة وجد جميع
 دواب المعسكر من الخيل والبغال والحمير - حيث استحق (ابن المنذر) أن
 يكون مربى تلك الأتعام - نكتم (بغلة أبو دلالة) وحمار (طياب) وشاة
 (سعيد) وجاء مصداق الحال لأوضاع الجيش مثل (لا ناقة لى فى هذا)

(٣) مدينة تقع ببلاد الغور أو غربستان ، وهى مشهورة بكثرة المعادن .

(٤) نخوم شبيه بالناقة .

ولا جمل (سلب القواى قوة المشى من أقدام الرجال ، وأسقط السوارى طاقة الركوب من ركبان الرجال .

من كثرة السحب ظل الجيش المنصور بلا جمل أو خيل بل بلا قميص وغطاء ، كانوا يطرون فيافى المخالفة فى كمال الضعف والنفافة بأقدام الامتثال لأمر « هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها » بأسقاط « كلوا من زرقة » .

كانوا جميعا مثل ثمر شجرة الآراك فارس بلا مركب بل فارس ركب مطية ضعيفة ، كانوا يعدون الفرس مكنز اللحم مثل ساق زهرة النرجس ، عندما يمتلك كاب السنبل الا ساق قدم حمله ، « وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم » ، كانت تنظر كل قطعة أرض للزهور الصغيرة ، كانت تبدو كل منطقة صحراوية من القدم والتابوت بساط شطرنج (مركب الصعب من لا ذلولا له) ، فى تلك الرحلة أنشدت الأفواج فوجا فوجا بشكاية « لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا » ، وأصبحوا متحملين صدمة الأعباء والاعباء والمشقة والتعب من الركوب والنزول بمائة تعب ومتاعب ، (ركبوا فى الطلب أعجاز الأبل) من « دربند » حتى نهر « كور » ، رغم ذلك فان الجيش كان فى قمة سوء الحال ويطونهم خاوية ، كان يمطر عليهم كل مساء مطر دائم يعنى مطر ضار جالبا للأمراض (حتى جال الماء على الأرض) ، كانت أوقات الجنود من تغير الفصول تظهر معنى (ندى المزن بالأمطار) ، (رب غيث لم يكن غيثا) ، أربعون يوم مضت على هذا النهج لم تلق السماء الا باللباس الواقى من المطر ، كان يقترن بكاء الجنود بكثرة الثلج ، « بعدت عليهم الشقة » ، تقيدت قدم أهل المعسكر فى عرض الطريق ، كان قيد سلاسل البرق والحساب وأسر سلاسل المحنة بلا حساب ، كانوا يستريحون تحت الخيام بأمنية انكشاف الغيوم وتفتح الغيوم وانقشاع الغمام ، حتى من أربعون يوما من الشتاء من خوف سيل الأمطار ، وظهرت الشمس ، وجاءت بعد طول هطول الأمطار ، وانتهت أيام دوام المطر بصفاء الشمس وانقطاع المطر ، وظهرت نجوم المرام ، وانخلت العقدة العائقة ، وانجلى الحجاب المانع ، وتبدلت مناهج العنبر بمناهج اليسر ، ظهر من فصل الرنق رياحين وروائح الربيع « والله أنبتكم من الأرض نباتا » للبستان والصحراء الجنون الموسمى وموسم الجنون ، وصار من رونق الليل وشأن بستان « فيها من كل شئ موزون » كل شجرة بيد مجنون بل مجنون الصحراء ، وأعد قرب المكان المعروف ب « جواد » (٥) جسر على نهر « كور » ، جعلت كركبه العظيم صحراء « مغان » من رفع

(٥) جسر جواد على ملتقى نهر كور وازن .

الحيام الذهبية القباب نموذج ساحة السماء ، وقاموا في ذلك المرتع الواسع والبستان الكبير تسمين الضعيف النحيف واطعام الحيوول والجمال النحيفة الشاحية ، رأى المترافون المذلة وتحملت الممشوقات المشقة ، ووجدت الجمال ذات الوبر والدواب العجفاء من السمينة عظمة البهاء ، كان الجمال الضعيف الذي مثل القمر الحديث من سير المنازل من الضعيف بحيث كان هشار اليه بالبنان ، في خلال أسبوعين أصبح مثل البدر من البدانة وظهر في أجسام الضعفاء من التحام اللحوم والاعصاب آثار « انظر الى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما » وأصبح أهل المعسكر من الحياة الهائلة نجاح « كلوا وأشربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية » ، (وقع الناس في روضة وغدير) (٦) ، بعد صعود المرتفعات الصعبة والمضايق المتعبة اتجهت خيول المناعة والشان ناحية المقصد ، أرسل « أحمد باشا » والى « بغداد » عدة أشخاص من الأعيان الأكابر الى ناحية « سنندج » بالخيول المزدانة المسرجة لاستقبال موكب كواكب الأفواج المتتابعة .

خير ما استطرفه الفوارس طرف كل طرف بحسنه مبهوت
هو فوق الجبال وعل وفي السه ل ظليم وفي المعابر حوت

أظهر التوشح بانتهاأ أمر الصلح ، وأدى اعتذارات بالغة « كاعتذارات النابغة » ، وسافر في بياض الصبح حيث أن قافلة النجوم السيارة ثابتة النية ، وجعل سفراءه من نفس المكان بقصد انقطاع جبل الممالة وتمهيد مراسم الموالة ورفع الغائلة الطائلة ودفع المنازعات غير المفيدة لرسول البلاط العثماني .

اتجهت الراية المنصورة من طريق « شهر زور » (٧) بقوة التأييد الالهى الى قلعة « كركوك » ، هرب (خالده باشا) حاكم « شهر زور » ودخل ابن عمه (سليم بيك) بإرشاد رشاد « اذ جا عربه بقلب سليم » من باب السلم والتسليم ، وسلم له ايالة تلك الولاية وأصبح القواد « الأكراد » أيضا بعوارف منظمة وعواطف مهذبة ، وأودع كل واحد طريق « فقد جاؤوا ظلما وزورا » ، وتركوا موضع القهر والدمار .

(٦) يضرب لمن وقع في خصب ودعة .

(٧) تقع بين أربيل وحمدان ، أهلها كلهم من الأكراد .

بيان حال «الموصل» وتسخير «كركوك» و «أربيل»

«ولن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل» بعد انتهاء مهام «شهر زور» أصبح خارج قلعة «كركوك» مسقط شعاع المظلة المذهبية، وتعلقت قباب الخيام على قمم الأخبية (١) أحتمى أهالي «كركوك» بأحكام السور الذي كان في المتانة والقوة بمنزلة مدينة «كماخ» (٢)، اهتموا بحراسة الحصن، حمل المدفعجية بأمر الملك المدافع قرب حائط القلعة لضرب القلعة من الأطراف الأربعة، في يوم آخر ضربوهم من الصباح حتى العشاء تلك الثعابين تنين الهيكل من فوهة جهنم الزبانية على مقام وسقف أهالي القلعة، نشروا النار وأحجار القذيفة التي كانت نازلة منزل آية «فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة»، ونقشوا من الطلقات النارية على صحف مصير ذلك القوم نقوش «يوم يكون الناس كالفراش المبثوث»، وجعلوا ألواح الجدران مكتوب عليها بقلم رعد صوت المدفع «وتكون الجبال كالعن المنفوش».

وقت الغروب - حيث ان المدافع حاملة الظلام من خان سوء الحظ - أظهر الليل المظلم نهارا مضيئا على أهالي القلعة، أدخلوا داخله من اشعال الصاعقة والتشريد.

جعل ساحة القلعة مليئة من أجساد بلا حياة وأجسام قتلى، وبقي من الأمر هيكل القلعة وأسفل الحصن، ووصل للطرف من يد المدفع ضارب فتحة البروج، وطوق باب القلعة من خوف تنين الصولة مثل الأفعى، أخرج لسان القفل بالحاج، سحب أهالي القلعة ذهل الاستيجار بيد الأناية، أملوا في بشرى الأمان وسلموا القلعة، أسرع فوج أيضا بحصار واحاطة قلعة «أربيل» التي صارت سيطرة حكام القلعة من قبل صبر وقوة حمل المعين وأهالي القلعة بعد احاطة تلك المنطقة بأمر «قولوا حطة» محور خط خطائه بوسائل أمل، اعترف بجرمه، واعترف من «نيل» نيل المراحم

(١) سعد الأخبية المنزل الخامس والعشرين من منازل القمر

(٢) مدينة تركيا تبعد عن أرزنجان مسافة يوم واحد

الملكية ، صاروا من هذه الغرفة قصر درجات « أولئك يجزون الغرفة » ،
ثم تزاحمت كوكبة الكواكب المتتابعة ناحية « الموصل » ، سكن بجوار
مزار الجنة آثار مظلة المكرمة « وأنبتنا عليه شجرة من يقطين » (يونس
ابن متى) على نبينا وعليه السلام ، أثارت جماعة من مقدمة الجيش في
أطراف القلعة غبار الطيش والفساد ، في تلك الآونة انضم (أحمد باشا)
قائده الجند من ناحية « ديار بكر » (٣) الى « ماردين » ، ضبط العنان بعله
م صاحبة الجيش ، أسرع لمعاونة (حسين باشا) والى « حلب » (حلب
الدهر أشطره) بالصخب والضوضاء لدفع الملك على الحسب الذي يجلب
كل صبح من العشاء و « حلب » ، وطلب بالسيف المصرى كل مساء من
« الهند » أتاوة وجزية وسلاح ، أسرع الباشا المذكور بدخول « الموصل » ،
وربط على الوسط حزام المحافظة على القلعة لمساعدة « حسين باشا » والى
تلك الناحية ، بقدر ما يقدر ويطاق ، لكن (فوج باشا) حاكم « كوى »
— الذى كان قد خطف شجاعة الكثرة من الأكفاء — وضع القدم فى ركاب
المعارضة من رأس التهور بفوج عظيم بهدف دفع العدو القوى ، رأى
أشهب الشجاعة حدة العنان وآثار الجلادة والقتال ، سحب سيف الوقاحة
من الغلاف بقصد الهجوم والالتحام ، وهاجم فى ميدان التعالى والمغلاة ،
لكنه خسر نقد الاسم والشرف فى ساحة التجلبه .

صغى ينبوع خط أهل الحرب مثل عين ارم ، صار جسده المقاتلين
« العثمانيين » من تفتح براعم شق جروح غصن الورد الأحمر ، وأسروا
جماعة طعمة السيف المميز ودوال سرج الخيول السريعة ، وانتهت رؤوس
الجنود فى مجلس الحرب من بقاع جرعة غنائم الثمل ، واستطرف فى أحد
طرف نياق أحوالهم حاملا الأناقة ، وبدأ الأمر بمدلول « ادع الى سبيل ربك
بالحكمة والموعظة الحسنة » أصدر لشرح رسم الايعاظ بإيعاز القلم صحيح
البيان منشور مبنى على قلع شجر التشاجر ، ومذكر عن فجراى « ولا تقرى
هذه الشجرة فتكونا من الظالمين » وحكم مبنى على رفع غوائل التنافر مصدر
بخاتم « انى لكما من الناصحين » من مصدر الأمر باسم والى « الموصل »
و « حلب » ، ولكن الرسالة والأمر لم يحدثا أثرا ولم يوصلا للمطلوب
« فوسوس لهما الشيطان ليبدى لهما ما ورى عنهما من سوء آتهما » ، وتعدى
الأمر من المراسلة والرسائل الى ارسال رسل وسفراء .

ولا كتب الا المشرفية عنده ولا رسل الا الخميس العرمم

(٣) ولاية كبيرة من الممالك العثمانية (سابقا) ومعظمها واقع بين دجلة والفرات .

المهم سحب من السنة التملق أسنة الجديد ومن الأقوال القوية
المعاول والسيوف والجاروف ، وتحول الجواب الى نصل النبل التي هي
تناسخة الأرواح .

فلا قول الا الطعن والضرب عندنا ولا رسل الا ذابيل وحسام

واستعد الجانبان للحرب بمقاد (النقب ميعاد مزاحيف المطى) ،
وبدأ الشق من ناحية أصحاب النقب والنقب من باب السجى بالمعاول بمحطم
المخ والمغارف التي تشق الصبحور ، ومن الجانب الآخر فتح أصحاب النقب
والضرب - بسله الملاحي - أبواب المحن على وجه أهالى القلعة .

فتح حصن التحصن من فتحات النافذة بوجه وثغر ضاحك يضحك
أسنان مظهره الشفافة ، جعل مزغل الحصن برصاص الحراس مثل كحل
العين ، وضع العين على طريق الانتظار ، وفى ليلة الخامس عشر من شعبان
شق أصبح القضاء القمر لنصفين ، وسلك الساقى الدائر من قبة الفلك
الأزرق بكأس البدر التام على نصف أهل الدنيا ، وضع الملك (سليمان)
القدر القدم بحلقة عين الركاب ، جلس فى « الخندق » بجيش (بهرام)
القهر بنجوم جشم العين بطريق سطوع بداية الفجر ، حتى عندما اشتعل
الصبح لنقب الأفق من الشفق ، وتطهير دخان الظلمة ، صب الأبطال شرر
نار المزاج من الأطراف مثل الشعلة الدائرة مثيرة الحارة وناقب نقب نقب
مثل قلوب محمى المحصورين ، لم يكشف النقاب من وجه شاهنه المراد
بمساعدة العمال الخبراء ، (انه لنقاب) .

إذا لم يعنك الجدد فالجد باطل وسعيك فيما لم يقدر مضيع

تشمروا مرة أخرى استعدادا للهجوم ، عندما لم يصبح الخيل الجامح
فى أيام سعيد المراد ، سكب سكان القلعة المساكين دموع الندم ، ومحو
رسم المناقشة والمناوشة من لوح الخاطر ، وسلموا طريق الحروب ، ومال
الباشوات أيضا من صولة الأبطال العجزة للعجز ، وسار خيل الانكسار
فى طريق الاضطراب ، وأرسلوا رؤساء الجيش لخدمة العظيم ، أرسلوا
الخيول العربية الأصل للصقر الضائر الذى كان يوصف فى ساحة اللعب
بهجوم البرق :

ومطهم مرعى العنان معود خوض المهالك كل يوم براز
واذا توقل فى ذرى متمنع صعب بعينه العهد بالمجتاز
تركك سنايكه بصم صخوره أثرا يلوح كنبقش صدر البازى

عرف المسافرين طريق الآداب ، صار عدة أشخاص من المفتين ذى الشأن رسلا لبلاط الخلافة العثمانية ، وحدث المرایا المراد بلا قتال فى المرایا حسن القبول على الوجه مرغوب الشكل ، وتبدل سبل وتجرید السيف لاغماده فى جرابه •

بعد ذلك انعطف عتبان العزم من أرض المعركة ، وانصرف هوكب ذى الشوكة المسلح بسرعة ناحية « شكى » (٤) ، أقام فى تلك النواحي رسم التوقف فى انتظار المفتين وطال نوم السيف المغلف فى منام الغلاف ، وتزوج كل فرد فى حینة هائلة ، وانقلب فراش السرج لمهاد الراحة المريحة •

(٤) ولاية بأرمينيا تقع على نهر كور تفليس •

- ٣٩ -

بيان حرب (يكن محمد باشا) قائد الجند الثالث وانتهاء أمره بحكم القضاء

« ان فى ذلك لعبرة لأولى النهى » فى أثناء هذا الحال وأثناء هذا الأمر
تم عرض الأمر ، حيث أن لم يصل أمل الموصلين للقبول فى الدولة البهية
العثمانية ، لم يجعلوا الأرض المروية بالعهود المعهودة منبت حسن الأثر ،
وغادوا لهم بجواب (ليس الشامى للعراقى برفيق) وعين (يكن محمد
باشا) الصدر الأعظم السابق لقيادة الجند - الذى كان السهم الباقى فى
كتانة تلك الدولة بمصداق (هو أوثق سهم فى كنانتى) - ، كانوا قد
أرسلوا الى « قارص » كتائب الجلادة المرعبة ، جعل الملك الذى بلا نظير
بعزم اعياء وارهاق الحصم العنيد والفوج الجاحد رفع الأعلام وارسال
الجنود ، أظهروا لصقر « مراد تبه ايروان » مضرب خيام النصر ، وتحرك
قائد الجند أيضا من « قارص » لظهار الغرور والكثرة ، دخل بأربع
فراسخ معسكر الملك فريدونى العظمة السخى بالعزة والقدرة والشوكة
الواسعة (جاء بذات الرعد والصليل) ، وتزينت أفواج المقاتلين « عن
اليمن وعن الشمال عزين » مثل أسد العرين بسلاح .

سمن وبيض ان عرين تسربلت بدل الجفون جماجم الأبطال
« لقد أحصاهم وعدهم عدا » ، وأرسلوا أبطال الحرب فوجا فوجا
مثل توالى الأمواج لمعركة المعركة والاعتراك .

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب
« تكاد السموات يتفطرون منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا »
تزلزلت تلال ووديان تلك المملكة من قدم ساق الخيول الصامتات ، « اذا
رجت الأرض رجا وبست الجبال بسا » ، وغمرت مدارج الجبال بتراب
الظلمة من تصادم أقدام الخيول بالرياح السريعة ذات الرؤوس الحادة ،
« فكانت هباء منبثا » ، صغار زثير الرعد مثل خيول برق قوائم خيول .

اذا وطئت بايديها صخورا بقين لوطى أرجلها رمالا

وألقى للعالم يقيناً بشبهة « اذا جاءت الطامة الكبرى » ، وأعطى رونق
«الخيول المختارة السريعة أحزمة » .

سود حوافرها بيض جحافلها صبيغ تولد بين الصبح والغسق
وحدد من مدلول « ما تذر من شيء أتم عليه الاجلته كالريم » ،
«وصار البطل المحارب بالبرق الحاد والسيوف الماضية مثير دهشة القلوب ،
كان يحرق بيدر وجودهم الواحد تلو الآخر » .

كان سنا الماذى فوق متونهم مواقد نثار لم تشب بدخان
كانوا يخيطنون الحجاب الزجاجى بأسنة السهام والرماح لأشفار
عيون الأعيان » .

والطلعن فى الأحقاد دأب رماتهم والراميات سهاما الأحقاد

يوميا كانوا يجعلون - على وتيرة واحدة - فى ميدان التلقى والقتال
وساحة التراشق بالينال والقطع بقصبات الرمح والسنان اشعال نيران
القتال ، كان قائده الجند (العثماني) يتقدم جنوده وجيشه مع أبطال
ومبارزى ساحة قتال البطولة حتي وصل قبل المعسكر الملكي بنصف فرسخ ،
رفع خيام الاقامة ، مقارن ذلك الحال سحب أمير جند الأجل مزين ميدان
القتال من مكن قوس الحقد لتأديب عدو الحرب الناظر الى الأذن ، وفتح
من قبضة شبكة (الأفلاك قسي والحادثات سهام والإنسان هدف والله تعالى
الرامي فأين المفر ؟) عجز قائده الجند بالقوة ، فى نفس اليوم كان عمره فى
آخر العصر ، وتبخر بحكم القضاء من قضاء الوجود لا يوان البقاء ، وفست
وسائل تفاخره ومباهاته ، وخمن آثار ثورة المعسكر من بعيد ، وحرصوا
خيول الفرسان المفترسة للهجوم والفوضى والهياج والاثارة ، وارتبطت
ولولة وثورة وغوغاء واحتفال جميل فى طرفة العين من كلا الطرفين
بطرفة ، انهزم الجمع والحشد (العثماني) وانخرم سلك انعقادهم » .

واهتم الجيش (الايراني) بتتبعهم واقتفاء أثرهم بلا توقف ، وتعقبوهم
حتى حدود « آريه جاى » ، هزموا وأسروا جمعا كثيرا بسهولة ، ودخلت
خيول كثيرة من خيال وخيل ومتاع بلا حصر بحفظ الاجتلاب وسباحة السلب
وحوزة النهب وحدود الاكتساب ، وأسرعوا من هناك مثل البلاء المنزل
النازل بمنزل عن طريق « أصفهان » الى « خراسان » .

- ٤٠ -

بيان قتل (نادر شاه) مع الأولاد والأحفاد

« لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب » ظهر على دقيق الطبع
« الدقيقة وشمس خمائر صبح النفس أن يظهر أنوار القادر ذى الجلال فى مقام
حيث شعاع الظهور ، منح الذرة التافهة رونق الشمس ، والشعاع المحتاج
الدرجة الجمشيدية ، وفطرة البحر للمشرب العمانى ، والنملة الضعيفة
الشوكة السليمانية »

— الأسد القوى يفرك النملة •

— تتجراً بعوضة على فيل جرى •

بعد ذلك بآية « ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى » جاءت النفس
« المخلوقة بشر البشر وبسر العتو والعصيان ، وضع القدم أعلى تل الطغيان
وهضبة العدوان وساحة الظلم وقمة التكبر وتل الفتن ، أصبح ربح قهر
يطال جلاله مقلب ورق الدفتر المصغر وورق أشجار حديقة النعم ، تهدمت
غرفة رأس « النمرود » بهواء تحرك جناح البعوضة النحيفة ، أغرق بالعصا
« الخشبية » أساس عظمة وعون « فرعون » ثارت الأبابيل لمعارضة أفيال
« أبرهة » ، أسقط عرش حظ « بختنصر » (١) أوهن من بيت العنكبوت ،
حلبوا للضحك بمقاد هذا كل موضع الكتف ، وضع على الكتف مكافأة
وعمل حمل جزاء العمل ، وهدمت أركان « شلداد » الشداد بنفس واحد
من عواصف القهر ، « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم »
لم يتمهل فى استرداد عطايا نعمائهم ، « وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل » ،
وعلم أن « نادر شاه » فى بداية الأمر جعل نفسه سلسلة مليئة بالعقد وتحمل
المحن على سبيل الشفقة بالعباد « كذيلة السراج تضيء ما حولها وتحرق
نفسها » ، مثل المصباح وحيداً لثياب اعتنى فترات بحب شمع السلطنة ،
واعتبر أهالى « ايران » ذلك المصباح مضيئ الليل مقتنيس من النور الإلهى ،
كانوا يدورون حوله مثل الفراشة و (أطيئش من فراشة) ، لم يخافوا على
أجالهم من النار المضرمة ، نهاية ملك ملك ملوك العظمة مكافأة للخدمة
أدت للكفر ، وتبدل القسبط الى ظلم ، وسقط من مصداق « ان الله يحب

(١) ملك بابلى معروف من السلسلة الباشية وقد حكم حتى عام ١٠٥٣ ق م.

المقسطين « بمهبط » وأما القاسطون « وتقدم بوجه قاطب لجميع سكان
الاقطار والعظماء الأقطاب ، حيث أنه سحق فرع محكم وبارز على السماء ،
فماذا جنى ؟ ، غفل عن مضمون « كن صاحبقران ولا تكن كصاحب قران » ،
ولو أنه عدل لبقى مدة أطول في ممالك الوهاب ، لكن أثمر غصن شوكته
شوك الخسران بمآل (أجفى من الدهر) و (أجور من حاكم سدوم)
(وأظلم من الجلندي) (٢) و (أشد من الشداد) ، ورغم أنه جمع
من صورة المقبولين عملة (هذا باطل) ومظهرين (هي الخمر تكن الطلا)
— يعنى الذهب الأحمر — قناطير بالظلم ، لكن في نهاية الأمر باع دينه
ودنياه بذلك ، وحيث اختزن أموال بلا حصر ألمع من النجوم بدون تفكير في
يوم الحساب ، آخر الأمر حرر من الكف بالنسيئة والنسيان وتأخير الشكر
« انما النسيء زيادة في الكفر » ، ألف وأحب لوازم التنافر والبغض ، وتقارب
وسعى لوسائل التباعد والتجانب بينه وبين أهالي « إيران » ، وصارت
بعض السيئات تابعة لتلك الاستنكارات وذوابة تلك الكراهية ، وأصبح
هذا المعنى متبوع بذهاب فيض رونق المملكة ، ومستردف نضوب ماء نمر
السلطنة .

توضيح هذه المسألة وتفصيل هذا الادعاء ، أن الجنب النادرى في
سوالف الأيام وأوائل الأعوام عندما كانت أرض بستان « إيران » سحقا
لهجوم الأعداء ، اعتمد وتوكل على الواحد الذى بلا شريك ، حصد الحشيش
الخصيس الموجود بذلك البستان و (البستان كله كرفس) بمعاونة مالك
بستان القضاء (أبطش من دوسر) (٣ ، ٤) مثل الأعشاب الضاربة حصدها
كلها بمنجل جزاء العمل يعنى المنجل الحاد ، وكان يخرج العشب الفاسد
بقطع رأسها جاعلها طعمة السيف ، وأظهر لحديقة الدهر بحرية السياسة
نموذج « غير باغ ولا عاد » ، ونزع من شوك الاشجار شوكة العصيان .

وبعد استقرار أوضاع الممالك مثل شمس الدنيا ، سل سيف الحرب
ودفع دم الظلم بمبضع الرمح من عروق الدهر قبيح للوجه ، ومحي بعد
السيف صورة الأحداث من صفحات الملك ، واستولى على « الهند »
و « السند » و « توارن » و « خوارزم » بصرف الهمة ، بسط بساط
العدالة ، بذل نقد الأوقات الثمينة في تنظيم المشتتات والمبدعات وتقويم
المعوجات والشاردات ، ورفع الأمور الشديدة عن الشريف والصعلوك ،
« انه لقول فصل وما هو بالهزل » ، وصار من يمين حظوظ خلوص حدود
الأقاليم أن جرح بأظفار القوة الأعداء الماكزين وجساد العالم « فلا تك في

(٢) الجلندي هو الملك الذى ورد ذكره في سورة الكهف الذى كان يأخذ كل سفينة
غصبا .

(٣ ، ٤) والدوسر كتيبة من جيش النعمان بن المنذر .

مريّة منه انه الحق » ، أضاعت شمس التفاتته على أنحاء حال ضعفاء ذلك الزمان ، ونثر نور تلك الشمس المنيرة على ظهر ومفرق النور ، وكانت يده وقلبه بعطاء وقوس تدبيره بلا خطأ ، كان يراعى حسن المعاملة مع أئمة القوم .

بعد العودة من رحلة « داغستان » ، ظهرت ورقة الشامة على بذر أحواله (٥) ، وأصبح فرع اقباله من الادبار بلا ثمر ، ووضع قمر بدر بخته الوجه للانحطاط ، وأدت عواقبه وأساليبه للضلال ، ودأب على اذلال نفسه ، (أمور الله جارية على اذلالها) وحطم أساس أهرامات ممارس عقله مثل أيوان كسرى ، (أدبر عريده وأقبل هريده) ، ومن شدة الفساد والضلال قطع سلاسل حسن السلوك ، اعتبر - بلا اجتناب - قطع واجتثاث أشجار أعمار الأبرياء زينة بستان دولته واحتشامها ، وتمسك بذيل سنزبل « كلوا مما فى الأرض حلالا طيبا » ، لزم الظلم ، واعتبر مال وماء المظلومين على نفس الظالم مثل لبن الأم للرضيع ، وأصبح على ادخار الحطام الدنيوى أحرص من الظامى على الماء البارد ، وبدل معارك النزال بمخازن الغضة ، وأماكن المبارزة لمكائن المضاربات المالية قوضا بقوض ، وسلك أسلوب وطريقة الفلك الأجوف ، تقدم أحق الملاطفة مع الفلك القوى المكار الظالم شريكا ، وكان فى خيمة العالم مثل الفلك الدائر ، وأظلم العالم من ظلمات الظلم على أعين الترك والتاجيك ، اختلط ماء معاشهم القليل بالحصى ، وجعل بكل بسعة مهنة أهل الفن بمعاونة القضاء نهاية الراى الأعوج ، وصار كل خياط كيس كاتب رق ، وصار كل عقرب الطبع محتسب ، وكل كاذب ملاذ ، وصار كل مخادع عزيز ، وكل فاسق قادر ، وتفاسخ كل فاجر ، وهبطت فرقة شوق حفظ العشق للدرويش (٦) ، وقرأ القارىء شيخ الفلك سورة غضب الحرص بأذن روحه ، وطرا طمع كثير غير قليل على مزاجه ، وصار متاع الدولة الذى كان يضربه البطل على بيدر القمر مثل كومة التبن فى مهب الريح واعتبر التلذذ هو تذوق طعم العلقم ، وصب الدم الأحمر القانى للضعفاء بالأرض من كل حدب ، وجعل بالسن المؤذى خاطر أصحاب الشأن نموذجا لعش العسبل وعش النحل ، ودخل من الأقواس والأخيار تلك التى بخياله ، قرأ عليهم « أصب اليهن » ، وأنغمض عن وعيد « انما توعدون لآت » ، وألقى بشباكها الاضطرار من أجل فلس واضح للناظرين وضوح القمر ، فى الحقيقة ضرب القدم على كاس دولته (البغى

(٥) يبدأ (ميرزا مهدى خان) من هذه الفقرة تغيير لهجته التى صار عليها طوال مدة فائدة من مدح لنادر شاه الى ذم أعماله وأعماله .

(٦) هذه العبارة صوفية فالخرقة هى الثياب المميز للدرويش وكذلك كلمتى الشوق والعشق المقصود بهما الحب الإلهى .

يسلب النعمة والظلم يجلب النعمة) ، وعندما ظهرت شمس عمره على الحائط ، عمل بمثل الشيطان سىء التفكير ، (او الهوى شريك العمى) ، وظلوا وأحمد مضايح العائلات بعواصف الظلم والاقتلاع ، وأشعل نار الظلم « كلا انها لظى نزاعة للشوى » .

فى النهاية سقطت شرارة من نار جحيم الشرر وبرق بدون رعد على بيدر الوجود وقصر باب دولته ، وصار الظلم الزائد منتج الملل والشؤم ، وخال وجه الشهامة ، وظهرت خسائس الخصال ووضع أيضا تأثير وسر آية « فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين » ، كانوا يقولون أن دولته ونيتته شريكا العنان ورضيعا اللبن من ثدى واحد ومعتقان من رهان السباق وصديقان فى فترة الصبا ، حتى جعل لأهل « ايران » البغضاء وخصومة فى القلب ، وشطر أساس الدولة باليد نصفين ، (اسكندر) العظمة الذى كان يرى فى مرآة الجبين رسم « خائنة العين وما تخفى الصدور » مثل المصباح الذى لم يكن يراه وهو تحت قدميه ، وملك الدراية الذى كان بنبا من حدة الذهن وجاذبية الفطنة والطبع وعدوبة الحديث عن قصة الحوادث الحديثة والقديمة ، وكان يدرك أسرار السرائر من خطوط كف اليد وعقد الجبين ، ولم يدرك البديهيات الوحيدة التى كانت عذيلة العقل الأول ، وأظهر بالعقل العظيم كشف خبايا الأمور ودفع شدائد الدهور ، وهكذا اعتقل فى عقال الحيرة ، ولم يعلم أن حسن المال من سوء الختام ، والعقل الذى يجيب السائل من نهاية العقل عن المسائل الصعبة الجارية مثل الماء الجارى ، الى حد ما صار مشوش الرأس بحيث أنه لم يجعل من غلبة الجنون ادراك اضطراب الأمور . وكان يجد تجدد شعور الجنون حيث (الجنون فنون) يوم ظهور التجدد . حتى أنه فقد سلسلة الدولة بعلم مبالاة مثل السفهاء ، وضرب بباطن القدم خيل الطالع من الطبع العاصى ، (اذا أراد الله سبحانه ازالة نعمة من عبده . كان أول ما يغير عقله وأشد شئ عليه فقده) .

تخيل الايرانيون أنه آية الرحمة ، ورسوموا على صفحة القلب رسم محبته ، وزرعوا غصن ولائه فى أرض الروح ، كانوا يدعون بكلتا اليدين برجاء جلى ثمار المراد ، جعلوا من قمة منبع العين رى رياض دولته ، كانوا قد أظهروا بانتظار ربيع السعادة آثارا مثل العين البيضاء ، فى النهاية أكلوا من احراز المدعى المحروم بشوك شجرة (المغيلان) (٧) ، وأكلوا بدلا منه زهر العشب والحنظل ، (وقعوا فى عبو ثران شر) ، طمعوا أن ينالوه فأصابوا سلعنا وقارا ، صار زمان الخلافة نخل الآفة .

(٧) شجرة كثيفة الشوك .

وأيام ملكه أساس الضرر والخوف ، ونجاء عهده مناجته معهد المتاعب ، ومهد راحته مهاد المصائب والمصاعب .

ليس البلية فى أيامنا عجباً ان السلافة فيها أعجب العجب .

ابتدع اختراع من جملة مخترعات الطبع النادر بمداول (لا ينبغي للملك أن يجرى على لسانه عدد أقل من ألف) ، أن كل لك - الذى هو خمسة آلاف تومان ايرانى - يسمى ألف ، من المغرب الى المغرب ، ومن بداية المجلس حتى النهاية مثل ألف الابتداء والانتها ، ولا يكون بداية ونهاية حديثة الا بذكر ألف مساعده ، ويفتح نهاية الحساب بمقاليد الكلام الصعب ، أظهر دقايق حوانيت عديدة الرواج والازدهار فى العمل .

وسعى السعاة سعداء فى سوق ضرر الناس حاملين متاعا حقيرا ، ونسجوا بسدى ولحمة سوء النية وحابل ونابل قبح السريرة منمنم النميمة ووشى الوشاية .

كدود كدود القز ينسج دائباً ويهلك غما ونشط ما هو ناسجه

ولم يعرف المفترون بلطفية (المفترى لا يذوق البرد) باردا من حارا ، كانوا يقطعون ما لا ينقطع بمقراض بدائى بهيكل كل شخص لابس لباس الافتراء ، كان هو أيضا أمر تمام ناقص فى محكمة غير منسوخة بعدالة النبى المرسل وحججه الداحضة وأقواله المتناقضة التى تحكى عن مضمون « ان هذا الا فك افتريه » ، وجد وحيه المنزل وأوامره المعجولة وأساطيره . المجهولة التى كتبت « هذا بهتان عظيم » مسجلة بسجل قاضى القضاء ، كانوا يكبلون المتهمون « فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا » .

ما يبرح الدهر يتلو حجة كذبا عذباء ليس لها وجه وعينان .
لها شهيدان من زور وكاتبها هى بن بى ومجنون بنى شيطان .

وكل واحد من المفترى عليهم الذين لم يدعوا ويستسلموا للتهديدات . « لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف » يقرأ على الفور بمفتريات خلاف . المفترى بصمت وسكون يعنى (أقر صامت) وإلا صاروا عرضة للتصليم (٨) ، كان ينكر مؤدى المال المؤدى للفساد الأسوء ، وكل حرف يزيده على ألف . يضيف له نقطة صفر آخر ، وكانوا يظهرون من شدة الظلم والقهر أمرا بقطع اليد وكسر الأنف وصلب الأذن وقلع العين وجلع الأذن والأنف .

(٨) جلع الأنف والأذن .

وما شابه ذلك ، والتركيب الذي امتلك الصورة الصحيحة من فجوى « له عينيته ولسان وشفتيه » لم يتركوا باقى (دهن فمه وأهرق دمه) ، كان يتمم كل شخص فى تخليق الافتراء أو تصديق المفترى بكلمات من تحت الضرس ، أو كان يفتح الشفاة للاستشهاد والاستبداء « سئل القرية التى كنا فيها » ، فعل بالأسير النقف (٩) والدمق (١٠) والصلب والدمغ ، كانوا يطوون عليه صحراء السياسة وجسور العقوبة ، حتى أنهم كانوا يظهرون لأولئك الجناة أيضاً من طريق الظلم والقهر جانب الظلم المشقة والنصر والغلبة ، تجرأ بتلفيق الأكاذيب وادعاء الباطل ، كان يفترى بمصداق (عند النوى يكذبك الصادق) (١١) ، من أجل كل عاجز غرس نواة مائة نوع من الغروس ، ولا جرم اذ كان يعطى تحت الفلك من جرم الشمس جرم على فلك الأسناد ، لابد أن ضرب العصا كان يزين شجرة الافتراء من أجل الطيب والشرير بما تنهى نوع من الفروع والأوراق ، لم يمتلك الفقير العريان (أفقر من العريان) (١٢) و (أفلس من ابن المذلق) الذى مات من الفقر مثل ألف نقطة الفلس ، كان يحول آلاف الألف باسمه ، كان ينطف بايلام السيوط وأسواط العذاب للحياة من الماء العذب ، لم يكن يتألم من الآلام والعذاب (أعرض من الكلايب) ، أظهر بدلا من كيس نقود العين عين كيس النقود على الجاه ، كان يودع السنة النار أذنان تقذ الروح ، مع هذا لم ير أهله وأولاده وجه الخلاص وقيد وكبل الجائع والمريض بشبكة القنص ، كانت تصل اليه سلسلة الافتراءات من تناقل الأحاديث المهلكة للأرواح بالوثيقة والسند للمدينة .

كل من أحرق يوما كدسه يتمنى حرق أكدهاس الأمم

كان وكلاء الديوان - بمحض تلك الأسانيد التى بلا سند فى الموضع والمكان على الرجل والمرأة - يطالبون بتعليقهم فى الأسواق من القيد بميداليه ذهبية ، كانوا يعتبرون جريان دمع العين بحسرة بلا حصر على وجه الأرض بدلا من كيس الذهب ، كانوا يودعون بالذهب رغبات نقود الروح .

الحاصل أنه كان يظهر العظماء والصعاليك من ظلم ذل القوم الجبارين الغادرين فرط التجاوز فى الغذاء والاطعام من قلذة الكبد ، كما كانوا يحرمون الكبار والصغار على سبيل الاذلال الاكثار من العشاء والجماع ،

(٩) تحطيم أوتار الرأس

(١٠) تحطيم الأسنان

(١١) يضرب مثالا للرجل الصادق ثم يكذب

(١٢) وهو العريان بن شهلة طلب الفنى فلم يزداد الا فقرا

وجعلوا ثلاثة أشخاص ضالين (رماهم الله بثلاثة الأثافي) مثل ثلاث درجات موقد سماء الشأن بل كأربع أركان ايوان الدولة مثلث البنيان وهصدائق عمل وشغل وقائد « وجعلناهم أئمة يسعون الى النار » بإشارة « فمن تبعني فإنه مني » ، كان قد اعتقل حدود حريم الحضرة اللواتي تقدمن بطرق حق العداوة ، ذلك الذي يتنصف بصفة الاسترداد ، في الحال تزين بتلك الزينة ، تحزم بنطاق نطق « وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى » ، وكانوا يتدوقون بالملوحة والملاحة وأمره (أمر من المر واللا) بلا تلويث العجز والشك « واتبعوا ما لم ينزل به سلطانا » ، وبناء على القول العارى من النقص والقلة حيث صدق « المعرى » *

إذا صدق الجدل افتري العم لفتى مكارم لا تخفى وان كذب الخال

أقواله وأفعاله ممدوحة ومحدودة ، كانوا يوضحون الصادر عن وحى والهام الرب الودود « كذلك زين لفرعون سوء عمله » « وزين للمسرفين ما كانوا يعملون » ، وصار هذا المعنى بتسويل تلك القروء الثلاثة الكفرة (قطع الله نسناهم) في ضميره الى حد المملكة الراسخة ، الذي لم يصبح في أى أمر غبار حجب الحجة والتحقيق ، وذلك الذي خطر على خاطره وكان يجرى على لسانه ، واعتبر الجميع انه تنزيل حق ووحى مطلق ، كان يسرع للمخابرة والتجسس « لبئس المولى ولبئس العشير » ، ووقت حساب العمال « ويوم يقوم الحساب » * لم يزن أوزان عدل العادلين عشر عشير الله عدالته ، ومع هذا كله كان يعتبر غير لائق بدون حساب قسطاس تمييزه (أعدل من الميزان) ، وطعن عدة مرات « أنو شروان » بطعن الانحراف ، وجعل الكلام مردف بهذا المضمون *

يا أيها السائل عن مذهبي لتقتدى فيه بمنهاجي
منهاجي العدل وقمع الهوى فهل منهاجي من هاج
وأحيانا كان يتعجب ويستغرب في أمر الكثير والقليل والعسير
واليسير ، أظهر الأشرار المقربين « واتبعوا في هذه لعنة ويوم القيمة بئس
الرفق المرفود » ، بتصديقات بلا تصور دفع تردده ، كانوا يؤكدون له ذلك
الجرم *

انى أرى صاحب السلطان فى ظلم ما مثلهن اذا قاس الفتى ظلم
فجسمه تعب والنفس خائفة وعرضه عرضة والدين مثل
بمناسبة المقام كان يورد من واردات الطبع :

صحبة السلاطين تسحب بعضها بالسلامة وبعضها بالندامة ، قرب

قرب قرب من السرور وبعد عن الشرور ، وهو باب المحبة وسبب الدل ،
 وبدر البلاء ودرة الرحمة والغناء الجاذب والريح اللافح والجنة الحامية ،
 ويعلى لك الأخطار ، وكم من تقرب نقرت وبمرت وبفرت منه الطيبات
 وللطبايع والطبايع أطباع ، وهو ناب المحنة وسبب الذل وبذر البلاء ،
 ودرة الرحمة ، والعناء الحادث ، والريح اللافح ، والحية الحامية ، ويغلى
 لك الأخطار تجنب في عهد بدون أمانة ميثاق وعهد مرة واحدة ، (يصادقون
 بالفواقع والبواقيع) ، ومن خشية نملك غلظته لم يكن يرى الناس نوم مريح
 في الحلم ، « تتجافى جنوبهم فى المضاجع » ، كانوا يقيسون الأبطال الأقوياء
 من اليد والرقبة ، كان عظماء القوم وكبارها يديرون أضراس الطواحين من
 أجل حبة قمح ، كانوا يفتنون أصل الأسنان فى لثة ارتفاع الأطفال الصغار
 والشيوخ الكبار ، كانوا يظهرون الملابس الصوفية والحريرية من فوق
 الحسنات ، كانوا يهلكون النجباء ذوى الشن ، وكانوا يقيسون ذوى
 الأصل بالجمال ، كانوا يلغون الحسنات الطاهرات بسبب مثقال فضة
 على الطين ، كانوا يعلقون المحبوبات الصينيات الأصل من الذؤابة بتهمة
 زلف التقصير ، كانوا يودعون الملائكة بادعاء مال الديوان بديوان شيطان
 الطبع ، كانوا يحلون جلد الحسنات البيضاء • اللواتى يشبهن الفضة
 من الجسد ، كانوا يسحبون الحسنات بسبب الثراء مثل الشمس على
 الفلكة ، من الخوف من اسم الذهب لم تصبح الغزالة الصغيرة فى طرف
 الصحراء ، ومن الخوف من اسم الفضة لم يظهر ثقب صغير فى بساط
 الأرض وبسبب اسم المرجان نبتت الخضرة فى صحراء العجز ، ولم تتمكن
 لاله عباسى (١٣) من الاخضرار فى أى تربة من المؤاخنة الملكية وصارت
 لجماعات الناس ذهب آفات المحنة الكثيرة ودرهم ودينار الثعبان السام ،
 وصارت الأموال والحلى سبب جرح القلوب (يذبح الطاووس من أجل
 ريشة) •

جعلوا لطف المربين الذين من وسادة الناعمة مليئة بالشكوى ، اغتموا
 من الفراش الناعم وكانوا جديرين بفراش النسرين ، واستراحوا من فرش
 الصوف على بساط الحجر الصلب ، وحولوا رقيقى الهيكل اللواتى هن مثل
 الوسادة الناعمة من رقة الحسن لخشونة الحس ، كانوا يظهرون فى غصن
 الثياب المزركش قلة النوم ، صار السمندر (١٤) ملازما للفراش ، جعلوا
 الرماد والتراب سترة للجسد ، كانوا يضربون الياسمين الباكي الذى يطول
 القادة مائة درجة على صدر حور الجنة ، مزقوا فى المصادرة قطعة الذهب
 مثل ورد صدر الروح ، كانت تأكل جميلات الوجه اللواتى هن رقيقات

(١٣) نوع من الزهور •

(١٤) كناية عن النار •

الطبع - رائحة الورد طيب السنبيل ، رأوا وجه زهر اللون بضرب المسدس
مثل زهرة النيلوفر والبنفسج ، الخضر الملاح بالتمكن حيث خالهم المليح
وفهم السكرى امتلك فى حوزة التملك « شورابك » و « بنكاله » ، باعوا
بشمن بخس لجماعة نحس « لا مرحبا بهم » ، والبنين والبنات الذين كانوا
من « بيش بالغ » القبضة الباليغية و « لون التفاح » للغد ، و « قراقيمى »
الخال ، و « صينى » الذؤبة و « صينى » الوجه وملك « يغما » الغمزة
و « شهر سبزی » الحاجب و « سمر قند » القم لمالك توران « فى حوزة
التمكن ، وامتلكوا من ياقوت الشفاة منجم « بدخشان » تحت الفص ،
صاروا سخريه واستهزاء تغيير وجه « الأوزبك » و « التركمان » ، واشترى
من كل صوب محبوب بوجه مضى ، وأضاءت من كل جانب آتسة مستورة ،
داجت من البيع والشراء زهرة جبين سوق المشتري ، ومن تعاقب الليل
والنهار (١٥) تزاوجت الظلمة والنور معا « وآخر من شكله أزواج »
كانت جماعة من التدلل يسحقون الرأس على الفك ، رأوا من التدلل
القدم على الفك ، والناس الذين كانوا مثل أهل العالم المجربين المحترمين
الخبراء جلسوا مثل حب الكحل على التراب الراكن ، والجماعة التى أمام
جوهر عقلهم يتساوى الجوهر والحصاة ، وفى مقياس شعلة مصباح أنظارهم
الذهب والفضة فى نفس وزن الحجر ، أسقطوا الوزن من ميزان الاعتبار ،
والزمرة التى كانت دائما قطب رضى الراحة والرخاء صارت مقطوعة الرجاء ،
صارت حجرا تحت طواحين الحوادث ، الكريم الذى حرك وتر القلب وسلك
الصدر ، لم يصبح طبعه الرقيق حمل تفاخر الذات صار عبدا للشدائد ،
والمبارز الذى كان أبا عن جد أسد بارز لأرض القتال ، جاء فى مكن
مجهول (آكن من جد جد) ، وضع أبطال الجلادة فى يد تهوهم (منبض
ندافى) حيث كان قوس (حاجب) وسيف (عمرو) ، ومخراق اللاعب
صار درع المحن ، صاروا من اغراء الظلم مثل قوس الانزواء ومثل السيف
المجرد ، والجماعات المسلحة التى فى ثقب دروع أشواك شوكتهم كان
كالأسد محطم الأسنان سهام الترك ورماح العرب وحراپ الهند وزانات
الديلم ونصول الروس ، كان يحطم رونق سوق الاشتهار ، سحبوا الرأس
لفتحة ثوب اليأس مثل السيف المقرب والصمصام المختلف ، صار حاملو
السهام رماح المنقبة الأعزل ، وجاء ضاربو الخناجر ملاعب الرماح (أضل
من سنان)

الأبطال الذين جعلوا من جماجم الأعداء كؤوس شرب خمر العشرة ،
كانوا يشربون الخمر اللذيد ، جعلوا عاقبة ساقى ذو الخمار دهر داهى

(١٥) الليل والنهار والظلمة والنور كناية عن الايرانيات الحسنات والاوزيك
والتركما قبيحى الوجه

الدامع زهر في كأسهم ، سلك عليهم كأس الظلم حتى خط شفاة الكأس ، الأبطال الذين كانوا أسود غابات الشجاعة وجدوا لطم كثير من فلك نمر الطبع ، الجنود الذين كانوا يصنعون بلا سبب ومسيببات بقبضة الدقيق بقلب سعيد ، حمد أن شبعوا من الحياة ، حيث كان يظهر لدى راكب ومترجل الأجل أجل المواهب والرعاة والرعايا الذين كانوا في الشدة والرخاء والخوف والأمان معاونين للدولة ، اختاروا بنوعية النفور ، حيث كانوا يبحثون دائما عن الواهب بلا منة بأمنية المنة ، سقط من جذبات جفاء الدهر الأشراف والصعاليك بالصعاب والبلاء ، (وقعوا في وادي جذبات ومتالف) ، وصار ساحبي القوس ورماة الرماح من دوران فلك عطارده أملين ظهر مغزل الأرامل « رضوا بأن يكونوا مع الخوالف » ، وبقي بخلط الوشاة من المستظلين حتى ثمر الأشجار ومن الثياب الموشى حتى الدواب والمواشى ومن لباس الحرير حتى بردة الحمام ، ومن الديباج والحرير الى الصمغ والديباغة على فرد فرد ، قبل مفاد « ما يمكن من قطير » بشأن الصغير والكبير زينة الصديق ، لم يجد الملابس القديمة على الناس والثياب الرثة على البشر ، حتى يصل بالقماش المزركش للذهب ، ابتعدت النعم عن الأيادي ، وأدار العمران الوجه عن البيوت المهجورة والبركة واليمن واليسار ، وأضير برأس المال والمنفعة من كل صوب ، حتى أرباب الصناعات الذين يتشوقون لسوق البيع والشراء مروا للتعامل بالقوة يوم سوق القيامة ، يأس أهل السوق البكاء من منافع أيام دولته ، سمح متاع تجار البحر والبر للفقير والعراء وصار المقربون والمطمئنون هالكين « مقرنين في الأصفاد » .

مع هذا فان شاة الراعى ورعية الشاة أيام وليال فان الراعى يجب أن يكون عليما بشئون القطيع ، لكنه كان على عكس هذا المعنى فلم يكن يراعى رعيته ، فهاجمته الذئاب التي كانت قوية الأخذ والعمل ، وتناولت عليه الراغبة ولسان الطعن مثل أسنان الخنزير ، تغاضى عن طاعة الرعية ورعاية الزراعة بسبب عمران البلاد والامصار : وجعل نصب العين قتل الرعية ورعاية الكفار .

كالعين لا يبصر ما حولها ولحظها يدرك ما يبصره
وقدر جانب الأجانب وأظهر فحوا (كم من مسلم مسلم وكم من كافر مسلم) ، حتى طهر من الطبع الشجاع المزارع من القصامة والنخالة والنسافة والعصافة « فجعلهم كعصف مأكول » وصار محصول الأرامل والأيتم بمفاد (زارع لنفسه حاصد سواه) بمنجل الجفاء محصور جيش الظلم (داس الغلات وهدم المستغلات) ، فلاح لجماعة الفلاحين وأهل الفلاحة وجه الفلاح بعيد عن ظلم الكافر ، صار زراع اسلام مذهب القرى في أماكن الكروب ينثرون ذهب دمع الحسرة من طلوع الشمس حتى الغروب ، تساوت أملاك

الملاك بتراب الخرائب ، « وترى الأرض هامدة » ، وصارت مناطق النزهة الجبلية مثل القلوب الخامدة عن النزهة البريئة ، صارت بعيدة عن الماء والزرع « وترى الجبال تحسبها جامدة » ، أصبحت الجداول والبساتين المليئة بالأعشاب والتين بنار الشدائد الأرضي البور ، وضحت في عصر السلطنة علامة « فأصبحت كالصريم » ، وفي وقت سلطنته صار مصداق « والعصر إن الإنسان لفي خسر » على الناس أجمعين ، صار الخاص والعام ساكنين مساكن المسكنة ، وسقطت جميع المخلوقات بصحراء الغيوم ، وضع الطيب والشرير من داء الغصة الرأس بمرآة الفكر ، رأى الشيوخ ظهور المصائب وقيام الشدائد إلى حد أن قلبهم أصبح أسير الحيرة ، حيث فقدوا سلوك الطريق وطريق الحقيقة ، وصار المشايخ مملوئين بالغم حيث لم ير من مصحف ضميرهم إلا مصحف سورة ألم بمعنى سورة الألم ، صار العلماء الأعلام مشفقو الشفاة ، صار علم العلم باقتضاح الأثر ، حصل درس المدرسين حكم حيض النساء ، تحصن السادة بعشرين الحيوان المتوحش ، وتوارى الأمراء بالكهوف والأغوار ، استراحت قلوب أهل الطرب من الغناء ، وصار خاطر أرباب الطرب دف الدلال والتنغيم « تخشى أن تصيبنا دائرة » ، كان يرتفع من قلبه السحر الظاهر في قلب ليالي النسيب الشهباء الشعل المشتعلة مثل دوار هالة القمر الجائلة ، كانت ترتبط أيام سهم أنين ظلمة الأيام بالفلك دائر الطبيعة ، أظهر من سواد عمله كل يوم على الخدم والمقربين عشاء الغراباء ، وكان من عدم انصافه كل ليلة على الخدم والعبيد (يوم عبيد) ، عندما لم يكن في بلاطه محاكمة ، كان اظهار ذلك البلاط في تناقص وكانوا بذلك الجمال في توضيح ، وأظهروا عمله وأمله من أعماله ترك الآمال ، وصل في أعصار دولته آثار « أعصار فيه نار » من اثار العدوان على قبة الشمس الفاتنة ، وأغرق أمطار البهتان وغيث الظلم أساس حياة المتظلمين انزوت علامات النشاط من العالم ، أثقلت هذه الحادثة الشنعاء الدم في الكبد والغم في القاب ، ومن شدة صعوبة بفع فلك ارتفاع المنتفع تساوى بالقاع والتل ، (لا تنطج بها ذات قرن جماء) ، كان يسحق القصر والبيت المهجور حيث الرأس متساوية ، صار مقلوب القصر يعنى متساوى بالترباب ، (قد بلغ منه البلغين) هدم أكواخ الممالك هجوم رياح شدائد الدهر ، ومحا غبار شدة السخط والشطط آثار الصفاء من الدهر ، لم يبق من العواصر السريعة الضرر في الأرجاء من المكان المسكون ، وأظهر جانب النعمة بمكان النعمة وصارت بجاروف الظلم ومكنسة الجور النفوس الشجاعة ساحة البلدان مكنسة النهب ، وشاع في ساحل البحر والريف والنواحي الظلم والخوف والميل عن الحق ، لو كان الرسول يسير للمقصود سالكا طريق « سفراً قاصداً » يصبح المتكبر من بعل الديار والبحار في دائرة صحراء الحيرة مثل

العاصفة النرابية ، (ما بالدار داري) ، ولو يسرع رسول الأحد البلدان لم
يجد للراحة والاسنجمام بقدر قرية النمل المغمورة المغمورة حيث (ليس
وراء عبادان قرية) لم يتواصل من المساء حتى الصباح الصباح والضجيج
والنأوة والأسف الا للسماء ، (لو ترك الحرباء ما صل) ، كان يقرأ الصغير
والكبير والتاجيك (١٦) والترك على المنازل والمساكن .

هذا أحسق منزل بالترك الذئب يعوى والغراب يبكي

(ترك ظبي ظله) وكل شخص أسير القيد والأوتاد محب للوطن
(كمثله غير عاره وتده) صار مقيد بسلسلة الفتن ، وكان فريسة أنياب
النواب ، وطعمة مخالف المصائب (شر الأوطان ما لم يؤمن القطان) « ذلك
من أنباء القرى نقصها عليك » ، يرهق ويذهب ، ويخرب ويحرق ، ويرعد
بصاعقة بأسه ويبرق ، ورعى الزروع ، وعرى الضروع ، وزاع أنواع النوع
والجوع ، وشاع فوات القوات في الجموع ، وسعر الغلة لغلاء سعر الغلة ،
وقشر البشر ، وأغبر البشر ، وبشره بشر ، وشربه أنشره وسلب القرار من
القرى ، والسكون من السكان والورى « وما كان حديثا يقتري » .

مع ذلك كان مخصوصا من الكنوز « ولله خزائن السموات والأرض »
بعطاء « جعلت له ما لا مملودا وبنين شهودا » وبطبع « ثم يطمع أن أزيد » ،
ونداء « هل من مزيد » ، كان يمنع فتح عين وفم الطمع ، وكان كلما دأ
خزائنه من النفائس المعدة بمصداق « خلق الانسان هلوعا » كان يزداد
ويشته التهاب حرقه النفس وحرصها ، ورغم ذلك فإن حكمه كان يجري
مجرى الماء على وجه الأرض ، لكن مثل المستسقى من الماء الثائر ولم يهدأ
عطشه الداخلي (يصبح ظمآن وفي البحر فمه) ، حقيقة لم يكن متعطشا
لموج السراب المشيع بالماء ، ولم يتسل الظام العطشان ببرق السراب ،
بناء على هذا التخلف ألقى بالفضة والذهب المدخرين لتنظيم شئون الممالك ،
وأغلق أبوابا وطرق الرحمة من شدة التعلق بالنفائس ، وغربل تراب
« ايران » بغربال ضيق ، وأنضج الخبز باعتقاده من الخيالات النينة
الوخيمة للأولاد والأحفاد ، وخيط من مدلول (لا اعتبار بالأمور النادرة)
عين الاعتبار .

لم يترك لأهل ايران فضة الا فضها ، ولا ذهبها الا ذهب به ،
ولا فرسها الا فرسه ، ولا عالقا الا علقه ، ولا عقارا الا عقاره ، ولا غلة
الا غلها ، ولا ضياعا الا أضاعها ، ولا خزا الا جزه ، ولا بزا الا بزه ،
ولازكازا الا ركزه وارضا الا رضها ، ولا عرضا الا عرضها ، ولا نفائس

(١٦) كل جنس غير الترك والمغول والایرانی خاصة .

الا ونسفها ، ولا سبدا الا استبد به ، ولا بلدا الا لبد به ، ولا غنما
الا اغتنمها ، ولا قطيعة الا اقتطعها ، ولا حالا الا أحال عليه ، ولا مالا الا مال
اليه ، بحيث لم يبق لهم بردة الا الجلدة ، ولا حلية الا اللحية ، حيث كان
ذلك فى اغراء المحصلين :

— هذا الشرح الذى قالوه عن ذؤابة للحبيب *

— كلمة من آلاف أضفيت فى العبارات *

بهذه الطريقة ابتعد الملك مرة ثانية عن الجفاء ، وانطوى عن الظلم ،
ولم يفق من الغفلة ، ولم يمر بصحراء المروءة وفيافى المرحمة ، وأكثر من
المزاحمة والعداوة والغيظ والايلام ، وأظهر مفاد « لا يعذب عذابه أحد
ولا يوثق وثاقه أحد » (يوما فيوم أشد وأحد) ، ولم يتنبه من نصيحة
(اتق يوما بين شديقك الدخن) ، كان يقول لزمان مراعاة النظير بسخرية
(لا مائك أبقيت ولا حرك اتقيت) ، وتتابعت هذه الداهية لمدة ثلاثة أعوام
على الخاص والعام ، وتوالى غيوت البلايا وسيل المصائب والأخطار على
ساحة « ايران » وفنائها ، وسقط الأهل أيضا فى هذه المصيبة ، وترجو
يليت ولعل حتى مجيئ زمان الفرج والفرح « بحكم « اصبر حتى يحكم الله
وهو خير الحاكمين » ، وقد كانوا يثابرون بشدة صحراء الظلم ، وكانوا
يصبرون بمرارة الصبر والاصطبار (كاد العروس يكون ملكا) ، وفى كل
أمر مر يثار فيه بلاء الدهر ، كانوا يجعلون مرارة كئيس الصفرى لحرقه
البلايا على مذاق الروح حاو وسائغ ، حتى هذا جاء من جفاء ذلك الجار
الجائر للقلوب حائرة وحائرة أنواع النواهي ، بأسست النفوس من اعتدال
ذلك السائس ظالم الأساس ، وقد سببت شدة البأس هذه اليأس للناس ،
ووجدت العداوة والأحقاد طريقا للدخول فى الصدور طرا النفور على المقيم
والقادم ، تغيرت وتبدلت منه زينة الأمم ، وصارت كل نفس من هذه الصدمة
خائفة ، ومالت عشرة العشائر للكراهية ، ورجعت حياة القبائل والعائلات
من كثرة القهر والظلم للملل ، وصارت مشارب العقائد من دوران الفلك
أسفل وأعلى بأنين بلاء الكدر والقذارة ، وانتفت عنه رغبة الرعية والرعاة ،
عاب الناس على أخلاقه القبيحة ، لو كان شقيق شقيق ، ولو كان عدو
وقم ، لضجر هذا الأسلوب ، وأشاح الوجه عنه ، ومزج اخلاص بده
بلا نقصان بالبغض ، وشتم الأصدقاء من حديقة دولته رائحة اليأس ، وصار
الفدائيون المخلصين « جانوسبار » (١٧) الخائن ، أرجع أهل القلم قلم
وورق الدفتر لحسن العقيدة ، وسحب الكتاب بالمداد الأسود وجه نخط

(١٧) اسم شخص من همدان لازم دارا بن داراد ، قتل حديقته فى الجرب ضد
الاسكندر بالخدعة والمكر والحيلة *

الباطل على صفحة الارادة ، وقرأ الزمان على المائدة الملوثة لسلطنة عظمته
(لا طلاوة فيه ولا خلاوة) ، و (أنا منه فالج بن خلاوة) ، عندما رأى
الدهر غفلته فى المنام ، أيقظ الفتن الخامدة بنداء « وخاب كل جبار عنيد » ،
وجعل المسرورون ساحة الحياة بلا دار وديار ، فى النهاية قطع حبل اقتداره ،
وحطم رواسخ شوكته ، وحطم جدر القلوب بمقتضى (لا بد للمصدور أن
ينفث) ، عندما أدراك الطيب والشرير من كيد الداخلى آلام « لقد خلقنا
الانسان فى كبد » ، أضاء كبد السماء من ضياء الكبد (لكل كبد حراء
آجر) (١٨) سحقوا فى التو والحال ببلاط القهار الحقيقى بالدعاء والأنين
والتأوه جبين الاستغاثة والاستعانة ، وبشفاعة عطشة وقلب محتاج وفسم
يابس وبطون جائعة فتحت جماعة الناس شفاة النفور بالزمزمة ، واشغل
الدراويش فى الأسحار بالذكر لقطع أشجار دولته ، وأمضى الشيوخ
والشبان أياما وليالى فى منتديات ومجالس شتمه وذمه نظرا لسوء أخلاقه
وظلمه ، وجه الزهاد المتعبدون وجه الحاجة بدعاء سهم الليل بقوس منزل
فلك الدرع ، لم تتحمل حوصلة الغيرة عبرة حضرة رب العزة - عزت
كلمته - لتحمل ذلك الاعتداء ، وبكت السماء من الشفق دما على حال منكوبى
الانجم ، ورأى انتقام المظلومين فى حجاب التجسم بعين التجشم القهر
بحشم حشمته ، وانقلبت شهادته وصارت ندالة واندفع سيل دموع
المظلومين جفاء وغشاء للجفاء والعناء .

— أعاد البكاء الماء لوجه المحترقين

— أصبح الآتين مغيث العاشق المسكين

« ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين » ، رغم ذلك كانت دولته سرو
حديث النمو ، عندما اشتعلت الجنار العتيقة من ذات النار ، نسج ثياب
خلافته من حمقه بل من طيشه ، وصارت سلسلته العلية « بل هم قوم
خصمون » سلسلة قامة عظمتهم ، كان (عليقى خان) ابن أخيه الذى كان
فى ذيل حقواته وظل للملاذه بلا حقارة متنعم بدر النعم وحالب لبن الاحسان
العام ، عندما رأى العم من جماعة العميان ، وظهر من ناصية حاله (أرى
خالا ولا مطرا) . ومفاد .

أقارب كالعقارب فى آذاها فلا تفرح بعم أو خال
فكم عم يكون الغم منه وكم خال من الاحسان خال

(١٨) حدثنا عبد الله عن أبى ثناء يعلى عن الصحابة قال سألت رسول الله (صلعم)
عن الضالة من الأبل تخشى حياض هل لى من آجر أسقيها ؟ قال نعم ، من كل ذات كبد .

صار معه وقتا ثم انقلب عليه ، وتحير فى تيه الغيوم ، ولم ير
أشراب شراب (عمك أول شارب) موافق المشرب ، وجعل بوق مخالفة العم
يصم أذن أهل الدنيا بلا حياة ، كان يدق طبل النفاق التى كان يخفيها ،
ونفخ فى النفير العام وأشبار بقتله (فأنعان عليه قوم آخرون) يعنى
الأفشارية تضامنوا معه أيضا رب ربيب اذا على قلى وخان ، ورب بربر
اذا اضطر عض المران ، ورب صدبق للمرء وهو خادعه ، (ورب حام لأنفه
وها جادعه) ، وكم من حميم (كسحاب نور ماؤه حميم) ، وكم من الحماة
والأحباب والأقارب أضر من حماة الحيات والعقارب .

فياعجبا لمن ربيت طفلا ألقمه بأطراف البنان

أعلمه الرمايسة كل يوم فلما اشتبه ساعده رمانى

وفى منزل « فتح آباد خيوشان » فى ليلة الحادى عشر من جمادى
الثانى سنة ١٦٦٠ هـ ، ألقى صياد الأجل الشباك لسمك عمره ، وقطع
فصاد القضاء عرق حياته التى كانت قد انضمت لسنواتها العام الستين ،
أخذ نقه روحه أجر السنارة ، يعنى اشتغل الحجاب بهتك الأستار ، تقدم
المعترفون بالملح والخيز الثورة ، وجماعة من الأفشار حراس السراشق
الملكى ، وكانوا مجردين من شعار العار ، حملوا رأسه وسط الخيمة ،
وأبرزوا السيف الألباس الياقوت المذاب من منجم أركان وجوده ، وأهرقوا
الدم الصافى من جسده بحل السيف .

يا راقده الليل مسرورا بأوله ان الحوادث قد يطرقن أسحارا

وجعل بطل القضاء رأسه - التى لم تمنحنى وقت الغروب من قمة
العظمة فى ساحة الدنيا حتى العشاء - فى ميدان الحى كرة صولجان لعب
الأطفال ، رفع الزمان من هذا الأمر العظيم والجسارة الكبيرة - التى صدرت
منه (كأنه جاء برأس خاقان) رأس العظمة والافتخار للملك الدوار ،
وضع السرور - الذى من سطوته ترك سلاطين « الهند » وخوانين « الترك »
القبعة والخوذة - الرأس على قمة سور السريرة ، والقاضى الذى كان ملوك
وجه الأرض يمسحون بالشكاية الوجه على أرض خدمته ، سقط فى طريق
(من فعل ما شاء لقى ما شاء) على تراب الخذلان ، شرقى الأصل الذى كان
يمنح أمسيات ممالك « الشام » للمالك « مصر » ، اختفى وقت طلوع
الشمس ، وصار فى القبر ، « كان لم تغن بالأمس » ، اعتبر « أتراك بخارا »
الذين أظهروا بنجم الغرب المضى طالع النصر شمس الشرق ذرة ثقافة ،
بلا تأخير حتى انضم خبر شمس عمره للزوال (بدل مجالاته بالدمس) .

فما ضباغ كلى لحم أمرء طعمت باقى فريسته آساد هيچاء
يا خفافيش بشراكم فقد غربت وبالحجاب توارت وقت اضحاء
رغم أن نحيفا وسمينا وقديما وثمانيا لكل ملك وديار من الشال
والسجاد ، ومن الخزف حتى الذهب ، ومن الثياب القطنية حتى الزبرجد ،
ومن الثياب المزركشة حتى الحصيد ، امتلأت بها خزائن ومخازن « كلات »
بلا شريك ولا رفيق ، وأظهرت جميع أفضل الأموال من الأطراف ، جمع
وخزن أثاث « كيكاس » ، وجمع وكنز كنوز « دقيانوس » وجمع وسائل
التجمل حتى عنان السماء ، وارتبط بحبال طول الأمل فانتهى الأمر ، ولم
يحمل من الدفائن والثياب للمدفن إلا الكفن ، « ما أغنى عنه ماله وما كسب » ،
ولم يبق من أثاث ومتاع هذا القصر القديم غير قميص قطن وأصله ، « سيصلى
نارا ذات لهب » ، لم يسترح صقر دولته فى هذا الوكر اليأس ، اضطرب
الشنقار ، وصارت هذه القصة المشهورة بالسوء نصيبه والغصة الروحانية
غشته .

ما حال متجر مستبضع حقبا ميسكا وقتذا بأوقار وأمناء
ويركب البحر يبغي من مرباحها تحريا بين أرخاص وأغلاء
يزجى الرخاء له طوعا جواريه على الرخاء باجراء وارساء
ويشحن الفلك مما ليس يوجه فى قصر لقيصر أو دار البداراء
حتى ترائى له أعلام بلدته وساحل يجتلى من طرف رناء
بيننا كذاك اذا تكبت سفينه من نار صاعقة فى جوف ظلماء
بفحوى (من كان لله كان الله له) ، حتى لا ينفصل عن الله ، كان
الله معه ، عندما تبدلت أمطار الرحمة لجذوة نار المشقة ، عاد عن الحق ،
وضيع وأفسده أموال وحقوق الدولة ، « نسوا الله فأنساهم أنفسهم » ،
ومحى نقشا بلا نظير للعمر النفيس بيده من صفحة الوجود ، أظهر قطع
جبل دولته « يمحى الله ما يشاء » ، وقتل بغلظة الطبيعة البهيمية والطبع
الوخيم بالسيف الدامى المثير الخصم السفاك نجسة ، صار من ذلك كله
بحيش وخيل وعطايا الله وتكبر وأوهام ، ولم يحمل سوى الحسرة والحسران
« أم للانسان ما تمنى » ، لم يجن فائدة من الحرب والتعب والمشقة ،
وكنز بدون ألم ومال سوء زاوية البلح « ما يغنى عنه ما له اذا تردى » ،
وودع العمر الفانى بجماعات الألم فى الحرص الطويل ، وحصد زرعه من
مزرعة الدهر ، وضاع كل هذا التعب والهلاك والقسوة والشدة عبثا .

(انك لا تجنى من الشوك العنب) كما قال الله عز اسمه « لكل امرئ منهم ما اكتسب » •

تولى فما آثر المعدلة ولا شكر الله اذا خوله
وصب على الناس سوط العذاب كأن لا له به وكله
وحاز الجيوش وأدنى الجبوش وصيرهم حوله قنبلة
وظن البرابر يحمى حماه اذا نزلت نحوه مفصلة
وأن المنيعة لا تهتدى اليه اذا قصدت معقله
غلبا عتا وعدا طوره وحقق على الله أن يخذله
رمته يد الدهر عن قوسه بسهم فما أخطأت مقتلته
رماء الزمان بأحدائه ومن حيث أخرجه أدخله
ولو شكر الله نعمائه لما برحت عنده مكملته
وكانت تفاريق اذا أقبلت ولكنها أدبرت مجملته
كذلك يكون انتقام المليصك اذا أخذ العبد ما ليس له

عندما حدث تحدى لجناب (الوصاف) (١٩) فى آخر المجلد الخامس
التاريخى مع المؤلف كتاب كليله ودمنة فى عدة فقرات ، كان يحمل هذا
النقص بمناسبة هذا مقام تحديهما لهما بذكر عدة عبارات ، كان يجعل
التبن فى مقابل السنبل والريحان جعل الخزف يتقدم عقد اللؤلؤ
والمرجان •

(١٩) هو شرف الدين عبد الله الكلبى الملقب بوصاف البهضة المتخلص بشرف ولد
عام ٦٦٢ هـ ق • وهو مؤلف كتاب تجزئة الامصار وتجزئة الامصار المشهور •

- ٤١ -

فى ذكر كلمات وعظ الأساس المتبوعة بالاقتباس

« هذا بيان للناس » ، من ذا الذى يزرع فى حديقة مملوءة بورد عالم شجر الورد الذى لم ينفذ شوك جفائه الى القلب ؟ ، ويبسط مائدة السعادة . ولم تصل حصاة الدم لكبدته ، بناء على هذا لا تشتري صاحب العقل الدنية بفلس لم يدر حول حمرة وصغرتة لو امتلأ بالدم (ان السلامة فيها ترك ما فيها) .

- لا تطلب الأشياء لو كانت كلها ملكية
- فان نهاية البحث دائما آثمة
- لو يصبح القمر طالبا والشمس مطلوبة
- مهما ملاً كأسا فهو فارغ

لا يهتم صاحب التوكل بغم العظيم والحقير ، ولا يجنى الحريص أدنى فائدة من الضرب والحمل ، لم تظهر زخارف الدنيا أمام المدركين للأمور ، ولم يجعل أى عاقل التعلق زينة الرقبة حتى لا يسحب الرأس لفتحة ثوب الخمول ، لم يدق قدم الرفعة على رأس الأبيض والأسود طالما لم يثن قائمة الطاعة الشبيهة بالمنجل ، ومن لم يجن من مزرعة الحياة حاصل الثناء ، سقط ببئر الندامة ، ومن لم ير تلك العاقبة بعين البصيرة ، بقى فى الحسارة الأبدية ولم يعط ذلك فى رئاسة قاعدة العدل (طوبى لمن سعى فى فكاك نفسه قبل ضيق الأنفاس) .

- عندما يكون حاصل عمرك غش وخداع
- اذهب واعدل ولو وقع عليك ظلم فى كل لحظة
- لا تغتر بنفسك حيث اصلى وأصلك
- غبار وشرار ونسيم ورييح

كل من يرى عاقبة الأمر لم يبد آخر الأمر ، كل من وزن نقد أعماله ، ولم يحترق بنار الجحيم ، وكل من سار من طريق الانصاف ، لم يكن

- جديرا بالرحمة ، وكل من يفقه نطقه العلائق ، لا يسلك طريق الخذول
- (طوبى لمن تجلى بالعفاف ورضى بالكفاف)

— كن كتابا فى مكتب عقلك

— وكن جواب نفسك فى فكر سؤال الحق

— حتى لا تتعثر غدا فى الحساب

— حاسب نفسك اليوم

- لان تحصل حاصل السعادة ، طالما لاتزرع بذرة العمل الطيب ،
- لن تتحرر طالما تراقب النفس الخادعة ، لا تدخر حياء الدارين ، حتى
- لا تمطر دمع الحاجة فى طريق الله ، لا تساعد طالما لا تترك الهواجس
- لا تتجه الى المحبوب الحقيقى الوجه للحبيب ، عندما تسحب الرأس لفتحة
- قوب العزلة لا تجعل قفاك من الخجل بذلة ، حتى لا تجعل ضبط عنان
- النفس العاصية صعب ، لم يقفز خيل التفوق للعالم ، لانه لا يمكنك تحصيل
- رضاء الحق بالضعف ، لا تدبر وجه الاهتمام للدهر الدنيء علمت نهاية
- الامر ناقص ، ولا تعلو حتى لا يتجمع عليك غبار الطريق القاصى والدانى
- (العاقل يضع نفسه فيرتفع والجاهل يرفع نفسه فيتضع)

— لا تطلب السمر والاطلس

— وانظر بعين الاعتبار شوك ونفاية

— أتريد أن تطل برأسك من المنزل

— لتكن مثل الشوارع الخرب انسان وتافه

- لا يرفع العالم رأسه عن الأرض مثل الشجرة المثمرة ، ويحتاج
- العارف لقلب الذى أدار وجه الحاجة لحضرة المعبود ، لم ينشد الا ذكر
- الحق لو يأتى حجر بلائه للرأس ، ولا يحيد عن ذلك وان أتى خطأ من الصين
- وبلاد الفرنجة • (ان الدنيا دار فناء وعناء وعبر وغير)

— أتعلم مما يضحك الصبح دون حجاب

— يضحك وقد ألقى النقاب عن وجهه

— لانه ليس هناك مجال للضحك فى هذه الدنيا

— يضحك الصبح من ضحكة الشمس

- عابد الدنيا طالما لم يتحرر من قيده وجوده ، لم ينبت ورد مراده ،
- وطالما لم يترك قبضته الطمع لم تضى عليه نور العزة ، حتى لا يبقى من

علائقه لأعمة ولا مكسب فهو لم يفز بالحظ الخالد ، طالما لا تأكل من غصن دون ورق فهو لم يحقق رغبة قلبه ، (ثمر الحرص العناء وثمره القناعة الغناء) :

- طالما أنت مرتبط بهذا العالم الملىء بالتزوير
- لا تبحث عن مخرج لنجسدتك
- أهل التجريد ليسوا أحرارا
- لهم من رسم الحضرة سلسلة قيد
- لا يشرب الانسان كأس العافية طالما لا يسحب نفسه لزاوية العدم ،
- ولا يفوز بكرة السعادة عن الميدان ما لم يقض على العلائق ، لا يثبت طريق السلوك حتى ما لم ير ما تحت قدمه ، ولا يظهر شاهد توفيقه الوجه طالما لا يكشف حجاب وجوده ، ولا يثمن غصن تمتعه طالما لا يثمر برعم التوكل ، التوكل أفضل عمل ، والثقة بالله أقوى أمل) .
- اننا لا نختار الوجود والعدم
- من وجود ذاته كل وجود موجود
- كل عدم يصبح موجود نفس الوجود معدوما
- كل موجود يصبح عدم نفس العدم موجودا
- السعيد ذلك الذى سلك طريق الخلاص ، وكتب وثيقة حريته ،
- التقط بساط تعلق الدهر ، وقطف من شجرة زرد المقصود ، وأخذ القلب من عجوز الدنيا ، واحتضن أنسة السعادة ، وطرد الهواء من الرأس ، وطلب النجاح من شجرة التوفيق (حب المال يفسد المال) .
- عندما يبصر العارف وجوده
- يهن كل ما أراد قلبه
- أدرك أن الأحباب فى بحر الوجود
- عندما ترك قلبه يصبح بحرا
- كل عارف عارف بالحبيب فوجهه المعرفة والجهل هو الحبيب ، وكل من عاش متجرد الطريقة عاش الحياة الأبدية ، كل من باع الدين بالدنيا ، أشعل نار الجحيم على نفسه ، ذلك الذى قام بالمجاهدات فى بداية الأمر ، وفى النهاية نال كأس الراحة ، كل من كان يتباهى بحجر الاستغناء على الفلك ، كان يتدلل الفلك بوجوده ، كل من يتبخر فى طريق الصدق ، يفخر فى كلا العالمين ، كل من يطيع هوى النفس ، يضطرب نهاية الأمر ،

كل من يتعارك مع القضاء ، يجعل قوس الحقد بالصدق مع نفس الدرع *
(الرضا غناء والسخط عناء) *

- لو تبعد ذيل همتك عن العالم
- وتقطف من نخل نفسك
- لو كنت أميرا على الروم أو على الصين
- نقطف كل بذرة زروعها

أيها الشقيق الشقيق اعتبر أن ميدان الجاه ملء المثر ، زين برقع الترفع من وجه الأمل وحب العقل المزين ، لتستيقظ كل يوم من نوم الغرور ، أحرس بساتين الدارين ، أعلم الخبيث من الطيب بنظرة فاحصة ، انشغل محمد الله العادل العفو الغفور القوي ، أركن وسيلة الهواء والهواجس دفعة واحدة ، وأسلك مع العظام بالأكرام ومع الأخسياء بالاحسان ، أظهر سوء الرأي من عهد النفس ، اسحب لآلى كلام «سحبان» المقبول بسند الحقيقة المعلق مثل الدرقي الأذن ، ربما تدرك الدر الخالص الوضاء عن الغوص ، ومتاع راحة المنزل سعة المراد من الأدناس ظهر الطاهر وبرى البرى (أقبل على نفسك بالادبار عنها) *

- كل من عرف الله يكون حرا
- وهو سعيه دائما بخير الزمان وشره
- لماذا تعلق قلبك بوجود وهو مثل الفقاقيع
- أساس وجودك كرة مليئة بالهواء

يا أخى متى يتيسر لك خلوة النفس الخبيثة دورا محببا ، وماذا ييسر صوت الحق الا درويش الحق ؟ يشتري درهم ودينار الدنيا ، ولا يشتري بالثافة ، ويشترى بالعقل والتجرد سلعة سعادة الكونين ، ان اتخذت من القناعة زادا للدنيا ، وخوض دارا الزمان لو همة على مالك النفس (ان فى القنوع لغنى ، وان فى الحرص لعناء) *

- لا تطلب من الدنيا ففى هذا النجاة
- لا تطلب العزة فهى أصل الذلة
- ان كنت مفلسا أو غنيا يجب الذهاب
- فى حالة امتلاكك أو فى حالة عوزك

لا تزين غصن القلب من فرع وورق الحرص والاضطراب ، لا تقلع
جذر نخل البخل من أرض الطبع ، لا تقطف ثمر الراحة وان ، قطفته
لا تلوث اليد لو بطرة ملك الصين ، ترى من جبين عدو الدهر عظمة بلا عبوس
ولا ثنايا ، وعندما تغضى عن الحرير والبرد وحر وبرد الدنيا ، فانك لن
ترى الغدا مارأيته أمس من برودة شهر دى ، اغتنم اللحظة حيث انك
لن تجد عين ستبقى لك فى النفس الأخير (شرف الغنى ترك المنى) *

— ايها السيد الذى تزين العالم بك

— وصار من رأيك وجه الأرض جنة الخلد

— ان غضضت العين عن أسباب الدنيا

— لا تسقط مطلقا فى طريق الدين

لا تتأخر فى التزود ب زاد الآخرة ، واسع بسرعة ، ولا تعط الدين
بالدنيا ، ومن يفعل ذلك تكون مائدته مليئة بأساس الغرور ونعمه
المختلفة (أهون من متاع الغرور) « فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم
بالله الغرور » *

— ماذا يفرك بالمسكن والكوخ

— ان الوجود حاصلة خرافة العمر

— ماذا يضىء شمع جار منزل الريح ؟

— ماذا تقيم منزلا فى ممر السيل *

تنحوا جانبا نهاية الدولة المليئة بالدلال ، ابدأوا المشقات للحصول
على الدار الآخرة فى النهاية ، ابدأ عملا تكون نهايته جزءا خيرا لان الجزء
الأخير لعل النجاة وضعت بجانبك التامة ، لا تنتحوا جانبا ، واعطوا الأجر
فى نهاية العمل ، لا تتبع جماعة « كلما أضاء لهم مشوا فيه » ، لا تنظر
بصورة الحال فى مرآة الغرور « ذلك هو الحسران المبين » ، لا تدبر الوجه
من كعبة صدق « اليه أدعوا واليه متاب » ، انه النفس عن مخالفة أمر حاكم
حدود كن ، لا تشكو من غم المال والمنال ، وانظر لعاقبة أمر (ان العيش
يحلو ويمر والدنيا تغر وتضر وتمر) *

— يطلقونك اليد لك يومين أو ثلاثة

— يختبروك فى الشر والخير

— الفلك حولك حصن من الزجاج

— كل ما تفعل يظهر لك

حيثما يكون الذهب الخالص فسان الزئبق المغشوش خلاف الرأي الثابت ، والفضة الخالصة مع النحاس والرصاص وجه الطلاء المنافى للطبع الجميل ، أما الملك الذى كان يخالف أمر « لا تتخذوا بطانة من دونكم » فان نحاس منحوس الطبع جماعة من الأجانب حيث آثار « قد بدت البغضاء من أقواهم وما تخفى صدورهم » أكبر من أكثرهم ، أخفى عيوب الجنود بسرة النقود ، كان قد جعلهم من الخوف ترأس الظهر فى حائط الدولة « وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن » ، وفى الليلة المذكورة فان تلك الناس الأذناس كانوا يمتلكون حراسة خيمة العزة ، فى وقت الصبح حيث كان العالم ذبيح الشمس قد مر على هذا الطشت القضى ، وتلون طرف الأفق من دم الشفق ، وأدهى وجه الفلك الرمادى من قبضة الشمس ، فتوقف عن قمة الأمر ورفع الرأس بجرأة واليد بهجوم ، صار أيضا البطل (قارن) مقترن بالسلاح والدرع لردع تلك الفتنة ، حملهم من هناك عقب الهزيمة .

وقت وقوع هذه المصيبة الشديدة ، كان (نصر الله ميرزا) مع الأمراء السعداء فى قلعة « كلات » ، وكان (على قلى خان) فى « هرات » ، بعد حدوث هذه الفتنة المفرقة المصدعة (ناقرة لا خير فى سهم زلج) ، أرسلوا حملة الى « مشهد طوس » فى بداية المكر والحيلة ، واحتلوا « كلات » حيث لم تجرو نملة من السير فى ذلك الطريق ، ففر (نصر الله ميرزا) مع (شاهرخ ميرزا) و (أما مقل ميرزا) - ناحية « مرو شاهجهان » ، فأعادهم (دوست محمد) - مربى الأمير (نصر الله) عليه انعام الله - الذى دائما يربط مثل جونتى يد العظمة كما كان فلك مراده من اليد المفتوحة نعمة طعام العطاء وطعمة الاحسان - من صحراء « كلات » ، وأحضرهم للأراضى المقدسة ، زحف (على قلى خان) وتقدم من فكرة انتقال الملك ، لم ير الأمر بعين العاقبة البصيرة ، تقدم لكفاة الاحسان المتقدم بقدم (المجازات بالمساءات) وعكس مضمون (لا تعدم من ابن عمك نصرا) ، اتجه (نصر الله ميرزا) والأمير العظيم (رضا قلى ميرزا) مع ستة عشر فردا آخرين من أبناء العم مسكى الأنجال والأحفاد الى الأراضى المقدسة ، غير أن ابن العم أرسلهم بحقد كبير وبلا تأثير وغم فى قلعة « كلات » بالسيف البتار لقصر سلطان العدم ، وجعل غسل عمرهم اللئيم مختلطا بسيم حد السيف (أجمابه ذباب لا ذغ) ، وكان ذلك الثبت الحديد يستلن الحياة الذى أمطار حياتهم (أى أبناء وأحفاد نادر شاه) سحاب المطر وشجر حياءهم أعلى مائة مرة من البدة المنتهى ، فألقى بلا رحمة بجرح السيف ، وقتل سلالات العزة بحد السيف المسلول بالزجر التام ، قطع أفلاذ الكبد من أجل أهوال الدنيا الدون ، وواصل مثل (شفيت نفسى وجذعت أنفى) ، وأباح لنفسه فى الحقيقة هذا النقصان (رب ابن عم ليس بابن عم) .

أخاك أخاك ان من لا أخا له كساع الى الهيجاء بغير سلاح
وان ابن عم المرء فاعلم جناحه وهل ينهض البازى بغير جناح ؟
وكان القضاء يقول بلسان خال الأمراء هذا المقال (وهو أتطق من
لسان المقال) ، وكان يثقبه هذا الدر على أذن الزمان .
إذا ما الدهر جر على اناس كلاكله أنساخ بآخرينا
فقل للشامتين بنا أفيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا
وفى وقت افول نجم حياتهم ، كان جناب الأمير شمس الطلعة
(شاهرخ ميرزا) قد بلغ سن الرشيد ، ولم يصل كوكب طالعه للغروب ،
وحفظ من آفة العدو البتار (ان يبع عليك قومك لا يبع عليك القمر) .

- ٤٢ -

بيان سلطنة (على شاه) ونهاية أمر ذلك الجاهل المغرور

« ولله ملك السموات والأرض وإلى الله ترجع الأمور » بعد تسخير
« كلات » وانتهاء أمر الأمراء ، جلس (على قلى خان) فى « مشهد طوس »
على عرش الخلافة العالى « ورفعناه مكانا عليا » ، وشاعت صكوك وسكوك
السلطنة باسمه ، واشتهر بـ (على شاه) ، وأصبح فى البداية من غليان
عشق الخمر ثانى غيلان وشياطينه نفسه عشق الحسنات ، وغفل عن
ندامة المنادمة ، وكان دائم الميل للشراب وحياة اللهو ، ودار الخمر الحرام
فى حرمة المجلس ، واهتم بأن يلون القصر مزين والرواق مزوق والمنزل
مروق بـ شراب الشراب الصافى والخمر المعتق والصهباء المصفاة ، وكان
يشرب من الكأس والقدر خمر أصفى من عين الديك والبطل ، وأخذ الخمر
الأرغونى من الغوانى ، وشرب من الندماء الخمر الصافى من الأقداح
الواسعة ، حرك فى البستان مجلس الطرب على وجه الزنبق والياسمين مع
الحسنات الفاتنات بالشراب مع الجميلات الشراب الخالص ، وكلف
الغلمان المراهقين بالنواهى ، وأمضى الليل والنهار فى امتلاك ومعاشرة
الحسنات والاعتناق والاصطباج .

كان نتيجة ما تقدم أن هبت ريح الرغبة بالتراب على عين البصيرة ،
وسال ماء الدولة فى نثار الشراب ، كما فقد الاسم والسمعة عن طريق
مصاحبة الغوانى والسبايا ، وابتلى أول الأمر « بريح صرصر عاتية » ،
وفسد أساس الدولة بالتنفير فى لذة الطعام وحموضة جرعة الخمر ، وفتح
أبواب الكنوز النادرية بيد غير خائفة ولا مرتجفة بخيال (بالاحسان تملك
القلوب وتستترق الرقاب) ، وظهر من باب الاسراف والتبذير مع الأدانى
والأقاصى والاشراف والصعاليك ، وصرف رهان النقد المسكوك فى المجلس
فى أقل من يوم على الكرام والخونة ، وسك مدلول « أن المبذرين كانوا
أخوان الشياطين » ، وتحولت الهمة التى كانت عليه الى تهمة ، ونثر جواهر
غالية ولآلىء ثمينة بدلا من الحجر والخزف على السفلة والدون ، وقرأ لسان

الزمان في اتلاف وجه الحسناوات « وجوه يومئذ ناضرة » يعنى الذهب ،
وبيض الوجوه الجميلات يعنى الفضة على الكنوز والدخائر بحسرة
(ما أسرع ذهاب الذهب وفضاض الفضة) ، وحينما أعطى ناصح الدهر
البذل له فى ترك هذا البذل بلسان حال نداء (من الندامة لا ترى الندامة) .
كان يقول :

أنعم بتخفيف ما اسديت من نعم فكثرة الضوء يغشى ناظر المقل

ألقى ملاك القضاء أخبار « ما عندهم ينفذ » « وما أنتم له بخازنين »
على فمه ، كان يسمع :

أما ترى الدهن فى الصباح يطفئه ان زاد والقطر يؤذى النبات ان داما

كان يجعل أكثر الأذان صماء للعين والعين عمياء للأذن ، كان يهب
أموال وممالك الدنيا مثل الكنز على رواد الحازلت ، كان يفرغ الخزائن التى
كانت مملوءة بنار الذهب وماء الجواهر - بهواء اليد على التراب المظلم ،
كان ينفق الفضة مثل الحصى ، والذهب بدلا من الرصاص ، والذهب بشمن
الرصاص الخالص ، حتى أن الكنوز الثقيلة حرقت بنار الاتلاف ، وجعل
الحزنة العامة خرابة غامرة ، أخلى المخازن الكبيرة من الدنانير المسكوكة
والدراهم الكثيرة والقناطير المنقطرة (أترب فندق) .

— الله الله فقه أنفق ما كان مخزونا .

رغم أن حصان التوفيق هاجم بلا خوف فى ساحة الزمان ، لكن آخر
الأمر علق وجهه على الخطيرة الحجرية - لكن بقضاء الله - لا حول ولا قوة
الا بالله - فقه قضى مدة عام فى السلطنة (أوقات السرور خلصة) .
وصارت دولته بأشارة « وسيرى الله عملكم » هدف سهام النهاية ، استفاد
(إبراهيم خان) أخيه الأصغر حيث أن اقباله قد ظهر من فحوى « ولقد
آتيننا إبراهيم رشده » ، وأظهر يرشادته مصداق (لا يجمع سيفان فى
غمده) مثل اظهار السيف من الغلاف ، فتخاصم بتقدير القدير مع أخيه .
وحدثت بينهما معركة فى « سلطانيه » ، وهناك لم يهتبت من بستان الدهر
المنافق الا ورد الفحار ، ولم يعتمد على ثباته ، وكان بعض من جنود (على
شاه) الذين بدلالة بحقارة « هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى »
كانوا قد أصبحوا مادة الضلال وبوادر الفساد ومثيرى دواعى استبداده .
لأنهم كانوا جماعة وقحة ، وكانوا قد شربوا من مشرب الوقاحة ماء أسن .
نثروا التراب على رأس الحمية ، تبعثروا أسرع من النار ومثل الريح .

وتباعد الجميع عن المساعدة بالعدة والعدة « كمثّل الشيطان إذ قال للإنسان
 أكفر فلما كفر قال انى برىء منك » ، (على شاه) الذى كان قد طلب طريق
 الباطل ، وجد الطالع المعكوس عاطل ، بعد ذلك فقد الأمر ، وعاد بنفسه :
 وأطلق من داخل القلب صيحة (أكلتم تمرى ، وعصيتم أمرى ، وشربتم
 خمري ، وفسدتهم أمرى) « كالذى استهوت به الشياطين فى الأرض حيران » ،
 وساق الخيل الأصيل ناحية « طهران » ، وهناك سجد نواب (إبراهيم
 خان) فى السلاسل والقيود ، وأكملوا مثل الفصاد من سن الخنجر أهل
 العين المكتحلة له فى منظر العرق الأكل ، ورأى عليه معنى « وكذلك نولى
 بعض الظالمين بعضا » .

- ٤٣ -

بيان جلوس (شاهرخ ميرزا) فى « خراسان » بتأييد مالك الملك المطلق

« الآن حصحص الحق » ، بالنحو الذى سبق ذكره ، « وقد قصصناهم عليك من قبل » ، بعد ذلك صار أبناء الملك المغفور له من عدم وفاء الأخوان الخونة والأعوان الفاسدين مقطوعى حبل الحياة نتيجة لسيل سيف البلاء ، وصارت تلك الجماعة الأصلية سعيدة الشماثل مالكة سيف الجفاء ، وظهر من مدفع تدلب الدهر والمصائب ومدفعية الدولة النادرية (شاهرخ ميرزا) ، حيث كان (على شاه) قد أخفاه فى ديوان « مشهد » المقدسة مثل الجوهر المدفون ، وأنشاع نبأ قتله .

وقد هذبته النائبات وانما صفا الذهب الأبريز من قبل السبك
أما فى نبي الله يوسف أسوة مثله محبوسا على الظلم والافسك
اقام جميل الصبر فى السجن برهة فأفضى له الصبر الجميل الى
الملك

عندما ظهر بعصر الدولة تغير الحيرة من روح (على شاه) ، صارت نوبة الشوكة فى أعلى سقف اسم (إبراهيم خان) على الصوت ، وصار أمراء ورؤساء الايلات وجميع أهالى « خراسان » متفحصين عيش الجلال ، وأخذ الديك سعيد الوجه على البخت ، هما السعادة من عيش القصر ، حيث ظهرت علامات السخاء من سجايه السعيدة ، فتنكر الأمير وتعفف عن قبول السلطنة ، وظهر بثر الاعتذارات من صميم القلب ، وغلبهم فى المبالغة ، فأعطوه يمين المتابعة والمبايعة فى العتبة المقدسة بالمهد واليمين .

وأصبح الأمير مضطرا لتقلبه أمر السلطنة ، وصار فى الثان من شوال عام ١١٦١ هـ مألوفاً فى أرض الميمنة ، وجلس على عرش السلطنة الموروث ،

وأظهر للقلوب النشاط والانسياب المأنوس ، وجاء وجوده المطهر مظهر
آيات « وما جعله الله الا بشرى » ، وأوصل هاتف الرحمة للقلوب المغمومة
بشرى « ان مع العسر يسرا » ، وصار ملكه جبيرة جروح جبر السلف ،
وأصلح من دولته الاضداد المختلفة ، وهبت من سبيم الطافه « والنجم
والشجر يسجدان » ، وصار فى دار الضرب أنواع احسانه الشمس والقمر
يسجدان ، مع ذلك لم يصبح بياض عارض كافور لونه من سواد الخط
المسكى المخطط صالحا لاصلاح جرح القلوب حاوية محاسن الصفات ،
وجاء تاريخ جلوسه المبارك موافق « سلطان أعظم » ٠٠

- ٤٤ -

ذكر جلوس (ابراهيم خان) فى « تبريز » بأغواء المفسدين الخناس

« وتلك الأيام نداولها بينه الناس »

أرى الدنيا وزخرفها ككأس تدور على أناس من أناس
فلا يبقى على أحد كما لا يدوم بقائهما فى كف حاس

بعد سماع (ابراهيم خان) خبر جلوس (شاهرخ ميرزا) فى السابع
عشر من ذو الحجة فى تلك السنة فى « آذربايجان » بدلا من أخيه ، صار
مثل جلوس (ابراهيم) على النار ، اتكأ على وسادة العظمة ، بسط مسند
(قرب الوساد وطول السواد) ، (الدبران تلو الشريا ولا خير فى دال
الدبران) ، وقد كان رجلا محتالا متملقا ، وله رأى فائر وغدر حاضرو (كلام
كالعسل وفعل كالأسل) و (لسان من رطب ويده من خشب) ، ماء ورد
احسانه وحل ، وحبه أفتى من الرغاوى ، وشراب مواعيله (أغر من سراب) ،
نسائم رافقة سمائم الشمايم ، وظل عنايته (قضاة رياحها السمايم) ،
ولود الوعد ، عاقر الانجاز ، صلب القحف ، لبن الإعجاز ، منهله (جرف
منهال) وسخاؤه (سحاب منجال) ، خلته برق خلب ، وقلبه حول قلب ،
ما يخرج من فمه ما يوجد شيء فيه ، يقول مردفا باليمين ويمين ، ولا يبسط
اليمين إلا لقبض الرث والتمين ، من ماش حبة من عدسه يحمل عليه منة
ارزن من أبان ومن ارتكب ارتكاب فرسه (أذل من حمار قبان) ، ختم
على كيس الذهب الرائج والكاسد من محبة الخاتم (من الكيس ختم الكيس) ،
لو يظن أن درهم فى كيس شخصى ، يصبح فى هم ، ولو رأى فلس على
جسد بيمكة ، يلقي بنفسه فى الماء •

بلد أنت غزاله كيف بالله تكالته

— الخانقة التى أتت مرشدتها الكامل

— عنكبوتها فى الزوايا كلها زنا رميتين

أصبح مع الوصف مجتهدا في أمر الرئاسة مقلدا طريقة العم ، وصار
ظلمه وجوره أعم (ان الشراك قد من أديمه) ، رتب أوتار السلطنة بالنغمة
النادرية ، لكن عزف بلا لحن ، اتجه صقر عهده في بساط الملك الصحيح ،
لكن انصرف (بل زاد في الطنبور نغمة وفي الشطرنج بغلة) .

— ملكي أولئك الناس الذين يسبرون في طريقك

— الغراب يتطلب لسير اعجلة

— افترض أن الهيلون تشكل مثل الشعبان

— فهو السم للعدو ، والمطرقة للصديق ؟

إذا لامني انسان سوء مقال لي هجوت الأتقاحي والهجاء من المين

أقول له كيف الملام فانه غدا بين أنوار الرباض بوجهي

القصة بعد الجلوس ثار للمخالفة ، أدار الوجه عن (شاهرخ شاه)
بتحريض وإثارة المفسدين « ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا » ،
(قد اتخذ الباطل دغلا) ، رفع الراية للبعيون من « تبريز » باحتشام موفور
ناحية « خراسان » ، وصاحب (على شاه) المقيمه بالأحمال والانتقال ، ترك
« قم » ، وجعل بمظاهرة عظيمة القوة (قمم الله عصبه) من « قم » إقامة
رسم المعارضة (وعلى هذا دار القمم) (١) ، ونادى الزمان على حظه النائم
بعضوت :

يا أيها النائم المفترش لست على شيء فقم وانكمش

لست تقوم أضعضوا أمرهم فأصلحوا مثل المعى والكرش

بعد الدخول الى « سرخه » (٢) بـ « سمنان » ، وعندما سحبت راقص
الفضاء خيل الشمس من غضرة فلك العنان ، أخذ جيش « سرخه » (٣)
صلابة رأسه ، فأسرع البعض لدى (شاهرخ شاه) والبعض لأوطانهم
(ذهبوا شغز بنر) ، وانعطفت (ابراهيم خان) من هجوم المفصائب برأيه
الأعوج ناحية « قم » ، وظهر حراس المدفئة من أجل الصه والمنع ، ورأى
من عين الغبن مدلول الكلام حسن التسوام لـ (ميرزا قوام الدين محمد
القرويني) .

(١) أي الى هذا صار الخير .

(٢) اسم قرية من قرى سمنان .

(٣) اسم ابن أفرسياب وقد قتل .

يا وارد هذا البلد الطيب قم فيه بوظائف العبودية قم
قم من أدب الحضرة المعصومة بالجفن فناء ذلك المشهد قم

أمر الجماعة التي كانت معه بالظلم والهجوم ، وأظهر كمال الوقاحة
فى القتل والأسر والتخريب والسحق وتدنيس ذلك الطاهر ، ولم يبق
يلا رياء حصير على مجلس وثياب للفقير ، جعل تراب « قم » قمامة السلب ،
وذهب من هناك بصحبة أولئك المنافقين الى « كاشان » ، والقى فى « لنكروء »
خطاف الدخول ، كانت تلك الجماعة التي بفحوى « ان تمسكم حسنة
تسؤمهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها » فى حالة الرخاء أصدقاء أحماة وفى
الشدة أعداء ثعابين لثام « لتجدن أشد الناس عداوة » ، وأظهروا هناك
بمصادق (فى تصارييف الأحوال تعرف جواهر الرجال) جوهر الذات
المنزهة عن الانقياد ، مثل (عرفتنى بالحجاز وانكرتنى بالعراق) تبدل
مع (ابراهيم شاه) المعاهدة بالمعاندة ، والموافقة بالمناقفة ، والمجالسة
بالمخالسة ، والمخالسة بالمخالسة ، جعلوه برهة عارى ، وأخذوا الخيل
الأصيل من الفخذ والتاج من رأسه (الوأم مع اللأم يورث اللوام) ، وخربوا
« كاشان » و « لنكروء » ، وأثاروا وأهالوا ثراب الجفاء وثار العداوة على
رأس وروح السكان ، ولم يبقوا نافع ناره ومالك متاعه بل (على رجل
من القرينتين) .

هرب (ابراهيم شاه) من تلك الناحية بلا متاع أو ثياب ، وعودة
وثوب الاختيار ومع نديم ندامة (أخبط من عشواره) و (أخيب من القابض
على الماء) و (أخجل من مقمور) ، وفر المقهور ناحية « خراقان » ، وتحصن
بقلعة « كلابور » ، فقيده أهل القلعة ، وأرسلوه الى (شاهرخ شاه)
– شاه وجه عداة – وواصل السير فى طريق حياته ، تبع الفرس الأصيل
عمره ، ووصل نعيشه الى الأراضى المقدسة (عسى الغوير أبؤسا) ، وتحرك
« المأمورون من « قم » بمتاعه وأثائه بموجب الأمر الملكى ، وأحضروه للأراضى
المقدسة مع (على شاه) ، تذوق (على شاه) أيضا بقصاص دم الأمراء
عسل القصاص من حد السيف القاسى ، ورأى بالعين العمياء الرأس تحت
القدم أسرع الأفع بلا روح ، وكان نهاية الطبع الشرس أن وضعت رأسه فى
الركن (كل شاه يرجلها تناط) .

خاتمة درة نادرة

بعد قضية (نادر شاه) وأولاده الأبرياء ، لم يمض عام حتى علق القضاء الأذن كل واحد من مشيرى الفتنة بتأنيب التأديب حلق « ذوقوا فتنةكم هذا الذى كنتم به تستعجلون » ، وجعل جميع أهل الخلاف بلا خلاف مظهرين فحوى « لا يلبثون خلافك الا قليلا » ، أرسل لمطمورة المصائب ومغمورة المهالك ، واختفت شمس دولته وراء سحب الحوادث ، لم يضىء الشعاع البللورى على أهل العصر (مهما تعش تر) (هذا قول لا يشوبه نره) حيث أنه سيطعن فى هذا الادعاء أبناء العصر « وأكثرهم للحق كارهون » كانت « مستكبرون به سامرا تهجرون » بطعن (لا تعرف بما لا تعرف) أما اذا لم يروا بقلب صاف وعين الانصاف ، سيعتبر أن شقاوة أبناء هذا العصر تفوقت على (ابن زياد) ، ومن جفائهم صارت كل « ايران » مدينة الظلم ومملكة الجور « فستذكرون ما أقول لكم » .

— لو يوجد فى المنزل شخص واحد فكلمة واحدة فقط .

فقل للدهر . أنت أصببت . فاليس . برغمك دمنبا ثوب جسدك .
اذا قدمت خاتمة الزرايا . فقد عرضت سوقك للكساد .

الغاتمة

بعد الانتهاء من « درة نادرة » دراسة وترجمة ، تستعرض أهم النتائج التي تم التوصل إليها من خلال ما سبق عرضه :

- ١ - ان اهمال المؤرخين الايرانيين لشأن (نادر شاه) على الرغم من الدور الوطني الفعال الذي لعبه للحفاظ على استقلال ايران وتوسيع حدودها راجع الى تحيزات عرقية ودينية أجبتها دماؤه التركمانية وميوله للمذهب السني .
 - ٢ - أن « درة نادرة » لم تكن تأريخاً لـ (نادر شاه) أو تسجيلاً لأهم الأحداث التي حدثت في عصره بأسلوب أدبي ، بل هي عبارة عن عمل أدبي نسجت خيوطه على خلفية من وقائع حقيقية .
 - ٣ - ان المؤلف وان اقتفى نهج (وصاف الحضرة) في كتابه (تاريخ وصاف) الا أن منهجه اختلف من ربطه كل حدث من الأحداث بآية قرآنية بحيث تبدو وكأنها منزلة خصيصاً لها ، ويعد (مهدي خان) بذلك رائداً من رواد منهج التفسير الديني للتاريخ .
 - ٤ - ان (مهدي خان) قد كتب عمله على مرحلتين ، الأولى في حياة (نادر شاه) والثانية عقب مصرعه ، فهو في القسم الأول يكيل الثناء على الشاه ، بينما ينقلب في الجزء الذي يلي مصرعه من المديح الى الهجاء ، أي بعد أن دالت دولة الشاه وآل الأمر الى أعدائه .
- وفي النهاية أرجو أن أكون قد وفقت في ما دأبت عليه من بحث ودراسة وترجمة وأسأل العلي القدير أن يستفاد من هذا الكتاب بقدر الجهد المبذول .

المراجع

- ١ - المراجع العربية *
- ٢ - المراجع الفارسية .
- ٣ - مراجع أخرى *

المراجع العربية

- ١ - ابن خلكان ، وفيات الأعيان . القاهرة ١٩٤٨ م .
- ٢ - ابن شاکر الکتبی ، فوات الوقیات . القاهرة ١٩٥١ م .
- ٣ - ابن عبد ربہ الأندلسی ، العقد الفريد . القاهرة ١٩٢٨ م .
- ٤ - ابن قتیبہ ، عیون الأخبار . القاهرة ١٩٢٨ م .
- ٥ - ابن قتیبہ ، المعارف . القاهرة ١٩٦٠ م تحقیق د . ثروت عکاشة .
- ٦ - ابن منظور ، لسان العرب . القاهرة ١٣٠٠ هـ .
- ٧ - ابن النديم ، الفرست . طهران ١٣٥٠ هـ . ش .
- ٨ - أبو اسحق الحصری القيروانی ، زهر الآداب وثمر الألباب . القاهرة ١٩٢٥ م .
- ٩ - أبو بكر محمد بن دريد الأزدي ، الأشتقاق . بغداد ١٩٧٩ م .
تحقيق عبد السلام هارون .
- ١٠ - أبو الريحان البيروني ، الجماهر في معرفة الجواهر . حيدر آباد ١٣٥٥ هـ .
- ١١ - أبو الريحان البيروني ، التفهيم لأوائل صناعة التنجيم . لندن ١٩٣٤ م .
- ١٢ - أبو الطيب المتنبي ، ديوان المتنبي . القاهرة ١٩٣٦ م . شرح
أبو البقاء العكبري .
- ١٣ - أبو عبد الله البخاري الكرماني ، صحيح البخاري . القاهرة ١٩٣٣ م .
- ١٤ - أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ . الحيوان . القاهرة ١٩٣٨ م .
- ١٥ - أبو فراس الحمداني ، ديوان أبو فراس . بيروت ١٩٥٩ م .
- ١٦ - أبو منصور عبد الملك الثعالبي ، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب . القاهرة ١٩٦٥ م .

- ١٧ - أبو منصور عبد الملك الشعالبي ، المشترك وصفا والمفترق صمقا .
بون ١٨٤٦ م .
- ١٨ - أبو منصور عبد الملك الشعالبي ، يتيمة الدهر . القاهرة ١٩٣٤ م .
- ١٩ - أبو هلال العسكري ، جمهرة الأمثال . القاهرة ١٩٦٤ م . تحقيق
د . محمد أبواهميم أبو الفضل ، عبد المجيد قطامش .
- ٢٠ - أحله أخوة المدارس المسيحية - التقرير ، تاريخ الآداب العربية .
الاسكندرية ١٩١٤ م .
- ٢١ - د . أحمد السعيد حمدي الخولي ، الدولة الصفوية : تاريخها
السياسي والاجتماعي ، وعلاقتها بالعثمانيين . القاهرة ١٩٨١ م .
- ٢٢ - أحمد أمين الشنقيطي ، المعلقة العشر وأخبار شعرائها . القاهرة
١٩٤٥ هـ .
- ٢٣ - أحمد سعيد البغدادي ، أمثال المتنبي . القاهرة ١٩٣٢ م .
- ٢٤ - د . أحمد مطلوب ، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها . بغداد
١٩٨٦ م .
- ٢٥ - د . اسعاد عبد الهادي قنديل ، فنون الشعر الفارسي . القاهرة
١٩٧٤ م .
- ٢٦ - الباخريزي ، دمية القصر في جريدة العصر . حلب ١٩٣٠ م .
تحقيق د . محقق .
- ٢٧ - بطرس البستاني ، دائرة المعارف . بيروت ١٩٠٠ م .
- ٢٨ - بطرس البستاني ، محيط المحيط . بيروت ١٩٨٣ م .
- ٢٩ - التحف البهية والطرف الشبية . قسطنطينية ١٣٠٢ هـ .
- ٣٠ - جورجى زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية . القاهرة ١٩٥٧ م .
- ٣١ - الحريري ، مقامات الحريري . القاهرة ١٢٩٩ هـ .
- ٣٢ - حسن عثمان ، منهج البحث التاريخي . القاهرة ١٩٨٤ م .
- ٣٣ - حسن محمد جوهر ، أفغانستان . القاهرة ١٩٦١ م .
- ٣٤ - د . حسين محمد سليمان ، المدخل الى علم التاريخ . المملكة
السعودية ١٩٨٤ م .
- ٣٥ - خير الدين الزركلي ، الأعلام . القاهرة ١٩٥٥ م .

- ٣٦ - داود الأنطاكي ، تذكرة أولى الألباب . القاهرة ١٩٥٧ م .
- ٣٧ - رشيد الدين الوطواط ، حقائق السحر في دقائق الشعر . القاهرة ١٩٤٥ م .
- ٣٨ - سعيد الخوري ، أقرب الموارد في فصيح العربية والشوارد . بيروت ١٨٨٩ م .
- ٣٩ - سيد أحمد الهاشمي ، جواهر الأدب في أدبيات وأنشاء لغة العرب . القاهرة ١٣٥٦ هـ .
- ٤٠ - الشريف علي بن محمد الجرجاني ، التعريفات . القاهرة ١٣٢١ هـ .
- ٤١ - عبد الله ، البستاني ، الوافي . بيروت ١٩٨٠ م .
- ٤٢ - د . عبد الحلیم عويس ، تفسير التاريخ : علم اسلامي . القاهرة ١٩٨٧ م .
- ٤٣ - عبد القادر البغدادى ، خزانة الأدب . القاهرة ١٢٩٩ هـ .
- ٤٤ - عمر رضا كحالة ، معجم المؤلفين . القاهرة ١٩٥٧ م .
- ٤٥ - عمر فروخ ، تاريخ الأدب العربي . بيروت ١٩٧٨ م .
- ٤٦ - الفردوسى الطوسى ، الشاهنامة . القاهرة ١٩٦٥ م . ترجمة أبو الفتح البندارى .
- ٤٧ - فردينان توتل ، المنجد فى الآداب والعلوم . بيروت ١٩٥٦ م .
- ٤٨ - د . كمال مظهر أحمد ، دراسات فى تاريخ ايران الحديث والمعاصر . بغداد ١٩٨٥ م .
- ٤٩ - لويس شيخون اليسوعى ، مجانى الأدب فى حقائق العرب . بيروت ١٨٨٢ م .
- ٥٠ - لويس معلوف ، فرائد الأدب . بيروت ١٩٦٩ م .
- ٥١ - لويس معلوف ، المنجد فى الاعلام . بيروت ١٩٦٥ م .
- ٥٢ - لويس معلوف ، المنجد فى اللغة . بيروت ١٩٥٦ م .
- ٥٣ - مجدى وهبة ، معجم مصطلحات للغة والأدب . بيروت ١٩٧٩ م .
- ٥٤ - محمد بن على التهانوى ، كشف اصطلاحات الفنون بيروت ١٩٦٦ م .
- ٥٥ - محمد علي الميداني ، مجمع الأمثال . القاهرة ١٩٥٩ م .

- ٥٦ - محمد محسن الشهير بأغا بزرك ، الذريعة الى تصانيف الشيعة .
القاهرة ١٩٥٩ م .
- ٥٧ - معجم أعلام الفكر الانساني . القاهرة ١٩٨٤ م .
- ٥٨ - مصطفى بن عبد الله حاجي خليفة ، كشف الظنون على أسامي الكتب
والفنون استنبول ١٣٦٠ هـ .
- ٥٩ - الموسوعة العربية الميسرة . القاهرة ١٩٦٥ م . اشراف محمد
شفيع غربال .
- ٦٠ - وديع جبر ، معجم النباتات الطبية . بيروت ١٩٨٧ م .
- ٦١ - ياقوت الحموي ، معجم الأدباء . القاهرة ١٩٢٢ م .
- ٦٢ - ياقوت الحموي ، معجم البلدان . القاهرة ١٩٠٦ م .
- ٦٣ - يوسف اليان سركيس ، معجم المطبوعات العربية . والمعربة .
القاهرة ١٩٢٩ م .

المراجع الفارسية

- ١ - ابن سينا ، رسالة النفس . طهران ١٣٣١ هـ . ش .
- ٢ - حافظ آبرو ، جغرافياي حافظ آبرو . طهران ١٣٤٩ هـ . ش .
- ٣ - حافظ شيرازي ، ديوان حافظ شيرازي . استانبول ١٢٥٧ هـ .
- ٤ - حبيب الله آموزگار ، فرهنگ آموزگار . طهران ١٣٣٣ هـ . ش .
- ٥ - حسن بيرنيا ، ايران باستان . طهران ١٣١١ هـ . ش .
- ٦ - ذبيح الله صفا ، تاريخ ادبيات ايران . طهران ١٣٤٨ هـ . ش .
- ٧ - رضا زاده شفق ، نادر شاه در نظر خاورشناسان . طهران ١٣٣٣ هـ . ش .
- ٨ - زهراي خانلري ، فرهنگ ادبيات فارسي طهران ١٣٤٨ هـ . ش .
- ٩ - سعدي شيرازي ، كلييات سعدي . مخطوط محفوظ بدار الكتب .
- ١٠ - سيد علي حسن ، صبح گلشن . بهريال ١٨٧٨ م .
- ١١ - صنعتي زاده گرماني ، نادر فاتح دهلي . طهران ١٣٤٠ هـ . ش .
- ١٢ - عبد الحميد مولوي ، آثار باستاني خراسان . طهران ١٣٥٣ هـ . ش .
- ١٣ - علي قلي خان ، تاريخ افغانستان . طهران ١٢٧٣ هـ .
- ١٤ - عمر الرادوياني ، ترجمان البلاغة . استانبول ١٩٤٩ م .
- ١٥ - لطف علي آذر ، آتشكده آذر . كلكتا ١٢٤٩ هـ .
- ١٦ - لورانس لوكهارت ، انقراض صفويه . طهران ١٣٤٣ هـ . ش .
ترجمة مصطفى قلي عماد .
- ١٧ - مجلة توشه سنة ١٣٣٧ هـ . ش .
- ١٨ - محمد باد شاه ، فرهنگ آندراج . لكهنو ١٨٨٩ م .
- ١٩ - محمد تقى بهار ، سبك شناسي طهران ١٩٥١ .
- ٢٠ - محمد حسين بن خلف التبريزي ، برهان قاطع .

- ٢٢ - محمد خاوند شاه ، روضة الصفا . بمبای ١٢٧١ هـ .
- ٢٣ - محمد علی حزین ، تذكرة الأحوال . لندن ١٨٣١ م .
- ٢٤ - محمد علی التبریزی ، ریحانة الآدب فی تراجم المعروفین بالکنیة والملقب . طهران ١٣٣٥ هـ . ش .
- ٢٥ - محمد غیاث الدین ، غیاث اللغات .
- ٢٦ - محمد کاظم ، عالم آرای نادری . موسکو ١٩٦٠ .
- ٢٧ - محمد کزیم ، برهان . تبریز ١٣٦٠ هـ .
- ٢٨ - محمد معین ، تعلقات چهار مقالة . طهران ١٣٤٧ هـ . ش .
- ٢٩ - مرزبان بن رستم ، مرزبان نامه . طهران ١٣١٧ هـ . ش .
- ٣٠ - میرزا مهدی خان ، جهانکشای نادری . طهران ١٣٤١ هـ . ش .
تحقیق سید عید الله أنوار .
- ٣١ - میرزا مهدی خان ، درة نادرة . طهران ١٣٤١ هـ . ش . سید جعفر شهیدی .
- ٣٢ - میرزا مهدی خان ، مبانى لغت . کلکتا ١٩٣٦ م .
- ٣٣ - نصر الله فلبسفی ، زندگانی شاه عباس اول . طهران ١٣٣٤ هـ . ش .
- ٣٤ - نور الدین النسوی ، نفثة المصدور .
- ٣٥ - وصاف الحضرة ، تاریخ وصاف . اصفهان ١٢٦٩ هـ .

مراجع أخرى

- ١ - شمس الدين سامي ، قاموس الأعلام . استانبول ١٣١٤ هـ .
- ٢ - شمس الدين سامي ، قاموس تركي . استانبول ١٣١٧ هـ .
- (٣) Bazin, Perc Louis S. J. Momoires sur les dernieres annéés
du regne d'Thomassp Kouolï Kan. Paris 1780.
- (٤) Frasn, James, The history of Nadir Shah. London, 1742.
- (٥) Hanway, Jonas. An historical account of British trade
over Caspian sea.
- (٦) Lockhart, L. Nadir Shah. London, 1938.
- (٧) Malcolm, Sir John. The history of Persia ... London, 1815.
- (٨) Sykes, Percy. The history of Persia. London 1951.



الفهرس

الصفحة	الموضوع
٣	تقديم
٥	المقدمة
٩	القسم الأول
٩	الفصل الأول : نادرشاه
١١	١ - نادرشاه حياته - اعماله
١٤	٢ - طفولة نادر شاه
١٦	٣ - ظهور نادر شاه
٢٠	٤ - تتويج نادرشاه
٢٢	٥ - خصال نادرشاه
٢٤	٦ - نادرشاه والمذهب الشيعي
٢٦	٧ - مقتل نادر شاه
٢٨	٨ - مشجر نادرشاه وأخلاقه
٢٩	٩ - حملة نادرشاه على الهند
٣١	١٠ - معركة كرنا
٣٦	الفصل الثاني : ميرزا مهدي خان الاسترآبادي
٣٦	١ - حياته
٣٨	٢ - تخلصه بـ « كوكب »
٤٠	٣ - ميرزا مهدي خان رائد التأريخ الاسلامي
٥٠	الفصل الثالث ! درة نادرة ، دراسة نقدية تحليلية
٥١	١ - دراسة حول درة نادرة
٦٧	٢ - أهمية درة نادرة
٦٩	٣ - درة نادرة والنصوص السابقة عليها
٧٦	٤ - النشر في العصر الافشاري
٨١	٥ - ملاحظات على درة نادرة

الصفحة

الموضوع

القسم الثاني :

٨٥	• • • • •	أولاً : درة نادرة - الترجمة
٨٧	• • • • •	١ - مقدمة درة نادرة
١٢١	• • • • •	ثانياً : ترجمة متن درة نادرة
١٢٣		١ - بيان احتلال ممالك إيران بتقدير مالك الملك المطلق
١٢٥		٢ - بيان استيلاء الأفغان العليجائيين على اصفهان
١٣٣	• • • • •	٣ - جلوس الشاه طهماسب ميرزا
		٤ - خاتمة أمر محمود ، وجلوس أشرف ، وقتل
١٣٧	• • • • •	الخاقان الشهيد
		٥ - بيان تدرج حال وترقي أحوال نادرشاه بتقدير الله
١٣٩	• • • • •	القنبدوس
١٤٢	• • • • •	٦ - بيان تسخير مشهد المقدسة
١٤٧	• • • • •	٧ - بيان تحريك رايات الملك ناحية هرات
١٥٠	• • • • •	٨ - بيان تسخير اصفهان بعون الله سبحانه القدير
		٩ - بيان استئصال أشرف الأفغان بفتح القادر
١٥٥	• • • • •	القنبدوس
١٦٠	• • • • •	١٠ - بيان فتح اروميه وتبريز
١٦٤	• • • • •	١١ - بيان حرب إبراهيم خان مع الأفغان ، وهزيمته
١٦٧		١٢ - بيان انصراف الموكب النادرى ناحية خراسان
١٦٨		١٣ - بيان عرس رضا قلى ميرزا بلطف الله جل شأنه
١٧٧		١٤ - بيان تسخير هرات قرينة الفزعة ، وقيلع الأفغان
١٨٣		١٥ - بيان توجه حضرة الشاه طهماسب ناحية ايروان
		١٦ - بيان تحريك الموكب النادرى ناحية بغداد خلك
١٨٧	• • • • •	النظام
		١٧ - بيان الحزب مع توبال عثمان باشا قائد الجند ،
		وحدوث خلل فى الجيش بعد الفتح بتقدير الله
١٩٣	• • • • •	القدير
		١٨ - بيان توجه الموكب النادرى للمرة الثانية ناحية
١٩٨	• • • • •	العثمانيين ، وقتل عثمان باشا
٢٠٦	• • • • •	١٩ - بيان طغيان محمد خان بلوچ ، وخاتمة أمره
		٢٠ - بيان توجه نادر ناحية العثمانيين للمرة الثالثة ،
٢١٠	• • • • •	وقتل عبد الله باشا

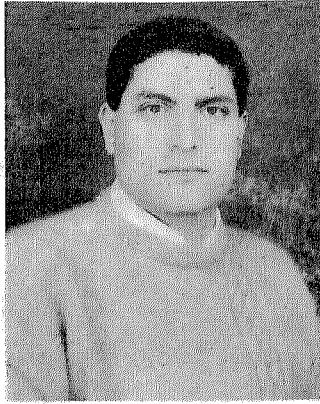
الموضوع	الصفحة
٢١ - بيان جلوس الملك الأوحـد بتأييد مالك الملك	٢١٧
٢٢ - بيان تسخير قندهار ، وقلع الأفغان بتأييد رب العالمين	٢٢٤
٢٣ - بيان فتح بلخ ، وتدمير الأعداء العصاة	٢٢٩
٢٤ - بيان تسخير الهند بتقدير خالق الظلمة والنور	٢٣١
جل شأنه	٢٣١
٢٥ - بيان القتل العام بـ « شاه جهان آباد » ، وتأديب الجهلاء	٢٥١
٢٦ - بيان تفويض سلطنة الهند لـ (محمد شاه) ، ونصراف الموكب قرين النصر ناحية إيران الوطن	٢٥٨
٢٧ - بيان تسخير ممالك السند ، وتأديب عصاة تلك البلاد	٢٦٢
٢٨ - بيان تسخير بخارا ، وتأديب عصاة العقول	٢٦٦
٢٩ - بيان تسخير خوارزم ، وتدمير المعاندين الدون	٢٦٩
٣٠ - بيان تعريف ووصف قلعة كلات	٢٧٤
٣١ - بيان تذهيب قبة الشمس عالية الظهر طليعة النجف الأشرف المليء بالنور	٢٧٩
٣٢ - بيان توجه جنود الشكر التادري مرة ثانية ناحية داغستان بعزم تأديب اللكزيين قبيحي العمل	٢٨١
٣٣ - بيان قلع قلاع وقرى قراقيطاق بتقدير القهار ذو العز والبهاء	٢٨٩
٣٤ - بيان فتح مسقط ، وتأديب الأشرار والخوارج	٢٩٣
الملاحدة	٢٩٣
٣٥ - بيان تحرك نصر الله ميرزا ناحية خوارزم بأمر	٢٩٦
بطل حدود كن فيكون	٢٩٦
٣٦ - بيان جريرة رضا قلي ميرزا ، وسقوطه من نظر اعتبار الوالد الموفق نادرشاه	٢٩٨
٣٧ - بيان تحرك موكب الملك للمرة الرابعة تجاه تركيا	٣٠٠
٣٨ - بيان حال الموصل وتسخير كركوك واربيل	٣٠٩
٣٩ - بيان حرب يكن محمد باشا قائد الجند الثالث وانتهاء أمره	٣١٣
٤٠ - بيان قتل نادرشاه مع الأحفاد والأولاد	٣١٥
٤١ - في ذكر كلمات وعظ الأساس المتبوعة بالاقتباس	٣٣٢

الموضوع	الصفحة
٤٢ - بيان سلطنة على شاه ، ونهاية أمر ذلك الجاهل المغرور	٣٤٠
٤٣ - بيان جلوس شاهرخ ميرزا فى خراسان بتأييد مالك الملك	٣٤٣
٤٤ - ذكر جلوس ابراهيم خان فى تبريز باغواء المفسدين الخناس	٣٤٥
خاتمة درة نادرة	٣٤٨
خاتمة الكتاب	٣٤٩
المراجع	٣٥١
١ - المراجع العربية	٣٥٣
٢ - المراجع الفارسية	٣٥٧
٣ - مراجع أخرى	٣٥٩
الفهرس	٣٦١

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ٤٨٣٩/١٩٩٤

ISBN — 977 — 01 — 3808 — 8



إن الأدب الفارسي - كسائر الآداب الشرقية - يحمل بين طياته سحر الشرق وجماله وغموضه ، ولقد استطاع مؤلف «درة نادرة» أن يوضح هذا كله من خلال عمله الخالد «درة نادرة» الذي أرخ فيه للسلطان نادر شاه الذي لقبه المؤرخون بخليفة تيمور لنك ونبليون الشرق. وهذا الكتاب تاريخي مدون بأسلوب أدبي بليغ وكذلك يمكن اعتباره دائرة معارف مصغرة مبسطة حيث أنه يحتوي على معلومات علمية فلكية زراعية طبية وتراجم لشخصيات عديدة مما يجعل قارئه لا يشعر بمطالعته مللاً بل ويجني منه ثمار علم ومعرفة.